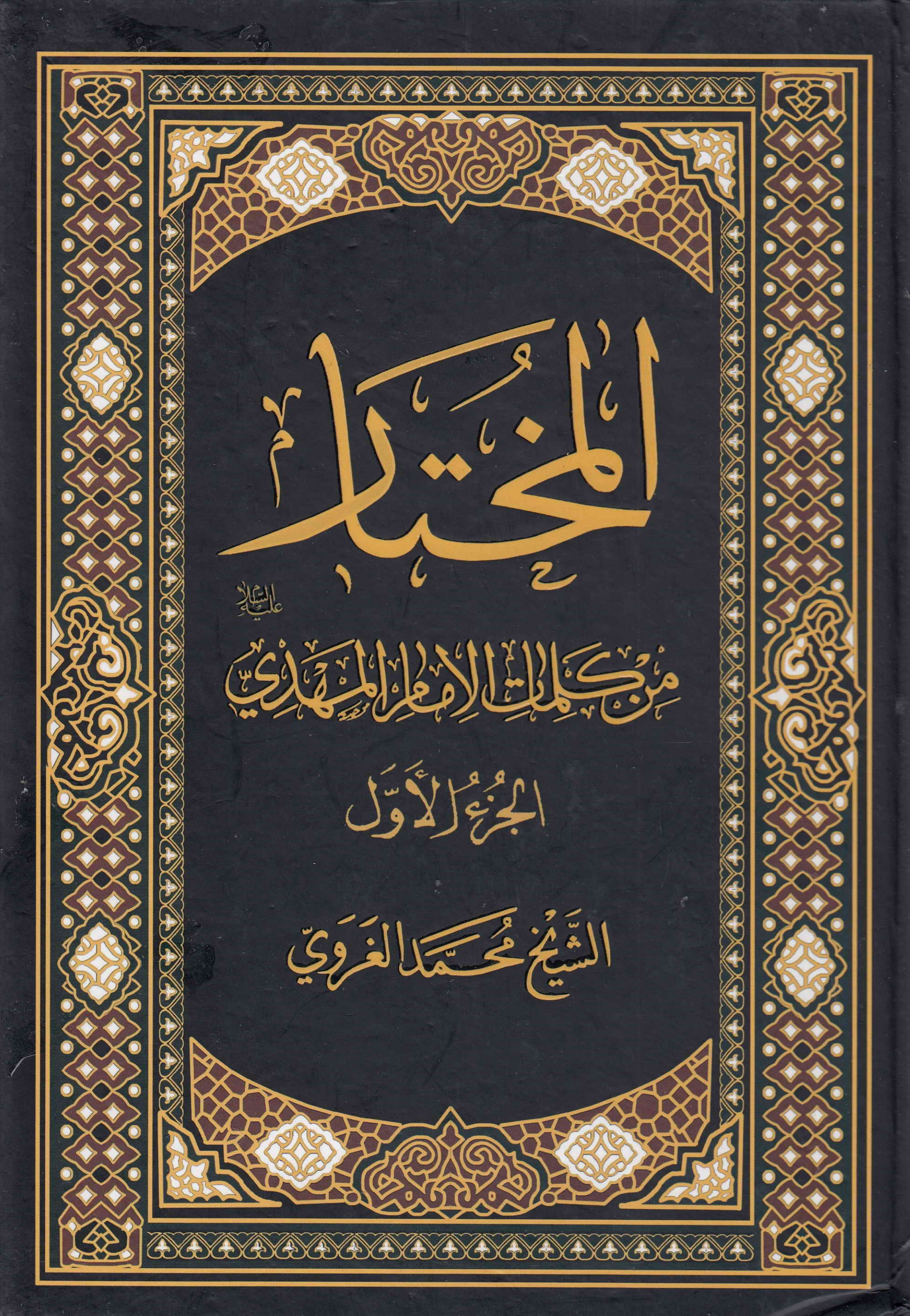
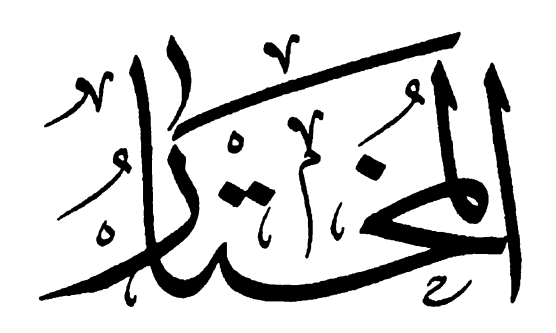

المختار
من كلمات الإمام المهدي عليه السلام
الجزء الأول
الشيخ محمد الغروي



من كلمات الإمام المهدي عليه السلام

تأليف

الشيخ محمد الغروي

الجزء الأول


بسم الله الرحمن الرحيم
شبكة الفكر
alfeker.net

الإهداء

إلى من قال له الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام: «يا بُنيّ أرجو أن تكون أحدَ من أعدّه الله لنشر الحقّ، ووطئ الباطل، وإعلاء الدين، وإطفاء الضلال، فعليك يا بُنيّ بلزوم خوافي[1] الأرض، وتتبّع أقاصيها[2]؛ فإنّ لكلّ وليّ لأولياء الله عزّ وجلّ عدوّاً مقارعاً، وضدّاً منازعاً....

واعلم أنّ قلوب أهل الطاعة والإخلاص نُزّعٌ إليك مثل الطير إلى أوكارها...

وكأنّك يا بنيّ بتأييد نصر الله [و ـ خ] قد آن، وتيسير الفلج[3]، وعلوّ الكعب [و ـ خ] قد حان، وكأنّك بالرايات الصُفر[4]، والأعلام البيض تخفق على أعطافك ما بين الحطيم[5]، وزمزم.

---

(١) خوافي: الريش الصغار التي في الطير ضدّ القوادم، واحدتها: خافيه. النهاية ٢ / ٥٧ ـ خفا ـ شبّهت بها الأرض المستورة عن الأبصار البعيدة من الناس.

(٢) واحدة الأقاصي الأقصى: أي الأبعد.

(٣) الفلج: الغلبة ومنه الحديث: «إنّ المسلم ما لم يغش دناءة... كالياسر الفالج»، الياسر: المقامر. والفالج: الغالب. النهاية ٣ / ٤٦٨ ـ فلج ـ.

(٤) صفر الرايات الروم، وبيضها عامة الأنصار، وسُودها رايات مقبلة من خراسان.

(٥) الحطيم مابين الركن الذي فيه الحجرالأسود، وبين الباب سمّي به لأنّ الناس يزدحمون فيه على الدعاء، ويحطم بعضهم بعضاً. مجمع البحرين ـ حطم ـ ولا ينافي العسكري: «فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة» إكمال الدين ٢ / ٤٠٩؛ لأنّ الأُولى في مكّة قبل وصولها إلى النجف.

وكأنّك بترادف البيعة، وتصافي الولاء يتناظم عليك تناظم الدُرّ في مثاني[١] العقود، وتصافق الأكفّ على جنبات الحجر الأسود، تلوذ بفنائك من ملأ براهم اللّٰه من طهارة الولادة، ونفاسة التربة، مقدّسة قلوبهم من دنس النفاق، مهذّبة أفئدتهم من رجس الشقاق، ليّنة عرائكهم للدين، خشنة ضرائبهم عن العدوان، واضحة بالقبول أوجههم، نضرة بالفضل عيدانهم، يدينون بدين الحقّ وأهله، فإذا اشتدّت أركانهم، وتقوّمت أعمادهم، فدّت[٢] بمكانفتهم طبقات الأُمم إلى إمام؛ إذ تبعتك في ظلال شجرة دوحة تشعّبت أفنان غصونها على حافّات بحيرة الطبريّة[٣]، فعندها يتلألأ صبح الحقّ، وينجلي ظلام الباطل، ويقصم اللّٰه بك الطغيان، ويعيد معالم الإيمان، يظهر بك استقامة الآفاق، وسلام الرفاق، يودّ الطفل في المهد لو استطاع إليك نهوضاً، ونواشط الوحش لو تجد نحوك مجازاً، تهتزّ بك أطراف الدنيا بهجة، وتنشر عليك أغصان العزّ نضرةً، وتستقرّ بواني[٤] الحقّ في قرارها، وتؤوب شوارد الدين إلى أوكارها، تتهاطل عليك سحائب الظفر، فتخنق كلّ عدوّ، وتنصر كلّ وليّ،

---

(١) أي كالعقود المثنّاة دررها.

(٢) أي ركضت بمعاونتهم كلّ الطبقات إلى الإمام المهدي، أو هم كمقدّمة الجيش له عليه السلام إذا فتح الإمام.

(٣) قال الأزهري: هي نحو من عشرة أميال في ستّة أميال، وغور مائها علامة لخروج الدجّال... فقد رأيتها مراراً وهي كالبركة، تحيط بها الجبال، ويصبّ فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر، وينفصل منها نهر عظيم فيسقي أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الغور، ويصبّ في البحيرة المنتنة قرب أريحا. ومدينة طبريّة في لحف الجبل مشرفة على البحيرة ـ إلى أن قال: ـ وفي وسط هذه البحيرة حجر ناتئ يزعمون أنّه قبر سليمان بن داود عليه السلام. وبين البحيرة والبيت المقدّس نحو من خمسين ميلاً... معجم البلدان ١ / ٣٥١ ـ ٣٥٢. ويحتمل أن يراد بالبحيرة الطبريّة بحيرة ديلم وفي البحار ٥٢ / ٣٥١، في الحديث: «عصا موسى، وتابوت آدم في بحيرة طبريّة... حتّى يخرجهما القائم إذا قام» مضمونه.

(٤) جمع البانية أي الطوائف المنفصل بعضها عن بعض في المذهب تجتمع على الحقّ والدين الخالص، قال ابن الأثير: البواني في الأصل أضلاع الصدر. وقيل: الأكتاف والقوائم الواحدة بانية... النهاية ١ / ١٦٤ ـ بون ـ.

فلا يبقى على وجه الأرض جبّار قاسط، ولا جاحد غامط[١]، ولا شانئ مبغضٌ، ولا معاندٌ كاشح[٢]. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾»[٣]. أُهدي بضاعتي المزجاة:

أُهدي لمجلسِهِ الكريمِ وإنّما ... أُهدي له ما حُزْتُ مِنْ نَعمائِهِ

كالبحر يُمْطِرُهُ السحابُ وما لَهُ ... منٌّ عليه؛ لأنَّهُ مِنْ مائِهِ[٤]

بك، منك، إليك سيّدي، ولي أُسوةٌ فيما قال القائل:

لا تنكرنْ إهداءنا لك منطقا ... منك استفدنا حُسنَه ونظامه

فالله عزّ وجلّ يشكر فعل مَن ... يتلو عليه وحيه وكلامه

الآخر:

لا تنكرنَّ إذا أهديتُ نَحوك من ... علومك الغرّ أو آدابك اللُّطفا

فقيّم الباغ قد يُهدى لمالكه ... برسم خدمته من باغه التُّحفا[٥]

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[٦].

---

(١) قال ابن الأثير: فيه ـ أي الحديث النبويّ ـ: «الكبر أن تسفّه الحق وتغمط الناس» الغمط: الاستهانة والاستحقار، وهو مثل الغمط يقال: غَمِطَ يَغمط، وغَمَطَ يَغمِط النهاية ٣ / ٣٨٧ ـ غمط ـ.

(٢) أي مضمر العداء وفيه: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح» الكاشح: العدوّ الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كشحه أي باطنه. النهاية ٤ / ١٧٥ ـ كشح ـ.

(٣) الطلاق: ٣. إكمال الدين ٢ / ٤٤٨ ـ ٤٥١، الباب الثالث والأربعون... الحديث ١٩.

(٤) جمال الأُسبوع: ٢١.

(٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٢٩ هـ. ، ص٣، ابن طباطبا العلوي معجم الأُدباء ٥/٩٧ـ١٠٦، والبُستي، الكنى والألقاب ٢/٨٢ـ ٨٣.

(٦) يوسف عليه السلام: ٨٨.

تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمّد رسول الله، وآله المعصومين خلفاء الله، وفاطمة الزهراء الأُسوة الحسنة، كما قال ولدها المهدي: «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة»[1] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

خمسمائة كلمة مختارة من كلمات الإمام المهدي عجّل الله فرجه، انتزعناها عن منابع:

١ ـ الروايات التي تروي قوله لأصحابه، أو غيرهم في غيبته أو حضوره عليه السلام.

٢ ـ التوقيعات الصادرة على أيدي سفرائه الأربعة: الشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد العَمري السمّان الأسدي، المتوفّى ـ على احتمال ـ ٢٦٢.

وابنه الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري، المتوفّى ٣٠٤، أو ٣٠٥[2].

والشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، المتوفّى ٣٢٦.

والشيخ أبي الحسن علي بن محمّد السمري، المتوفّى ٣٢٩.

وهؤلاء هم المنصوص عليهم بالسفارة.

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٣ ـ ١٧٤، ووجه التأسيّ ابتلاؤه بالعتلّ الغاشم طاغوت عصره أو استتاره، أو مظلوميّته، أو العالم بأسره في جانب، وهما في جانب أو عدم البيعة لأحد في عنقه كما كانت كذلك عليها السلام، وصَرحت به في أول خطبتها: «أصبحتُ والله عائفةً لدنياكنّ، قايلةً لرجالكنّ...» احتجاج الطبرسي ١ / ١٤٧، انظر رقم المختار ٢٦٤ أو غير ذلك.

(٢) على قول الشيخ الطوسي والترديد منه الآتي ذكره.

٣ ـ أقوام ثقات ترد عليهم من قبل السفراء الأربعة قال الشيخ الطوسيرحمه الله: «وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل:

منهم أبو الحسن محمّد بن جعفر الأسدي...

ومنهم أحمد بن إسحاق، وجماعة خرج التوقيع في مدحهم، وروى أحمد ابن إدريس عن أحمد بن ابي عبدالله بالعسكر، فورد علينا رسول من قبل الرجل، فقال: «أحمد بن إسحاق الأشعري، وإبراهيم بن محمّد الهمداني، وأحمد بن حمزة بن اليسع ثقات»[١].

٤ ـ القصص التي تُحدّثنا عن الإذن بالتشرّف بيُمن لقائه عليه السلام لجماعة من هذه الأمّة المذكور أسماؤهم في الكتب المصنّفة بهذا الشأن.

٥ ـ الكلمات التي تبلغنا في حين وآخر عن الآحاد الغامضين بين الناس؛ لأنّه عجّل الله فرجه حيّ حاضر لدى الجميع في عصر الغيبة، وعصر الحضور؛ ولأنّ لله عزّوجلّ أولياء تربطهم به المعرفة يحبّهم ويحبّونه، فإذا دلّ العيان، أو البيان المعتبر على أنّه قال لهم أو تكلّم معهم بكلام ووصل إلينا على طريق اليقين أو على الاحتمال، فلا سبيل لنا إلى الردّ؛ إذ لعلّه شيء خرج عن الناحية المقدّسة، وقد جاء في الأحاديث منها:

١ ـ النبويّ: «من ردّ حديثاً بلغه عنّي فأنا مخاصمه يوم القيامة، فإذا بلغكم عنّي حديث لم تعرفوا فقولوا: الله أعلم»[٢].

٢ ـ والباقري أو الصادقي: «لا تكذّب بحديث أتاكم به مرجئي، ولا قدري، ولا خارجي نسَبَه إلينا؛ فإنّكم لا تدرون لعلّه شيءٌ من الحقّ، فتكذّبون الله عزّوجلّ»[٣].

٣ـ والصادقي: جعلت فداك إنّ رجلاً يأتينا من قبلكم يُعرف بالكذب فيُحدّث بالحديث فنستبشعه. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «يقول لك: إنّي قلت للّيل: إنّه نهار، أو للنهار: إنّه ليل؟» قال: لا، قال: «فإن قال لك هذا إنّي قلته، فلا تكذّب به؛ فإنّك إنّما

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ـ ٢٥٨. (٢) البحار ٢ / ٢١٢. (٣) المصدر نفسه.

تكذّبني»[١].

إنّ كلّ شيء أمكن أن يكون أو لا يكون، لا يسوغ للإنسان ردّه عقلاً، ولا نقلاً كما سمعت، بل الأخير دالّ على عدم ردّ خلاف السنّة الجارية وما هو محالٌ عادة كحديث إنّ الليل نهار، والنهار ليل. فالذي ينقل إلينا كلمةً أو كلاماً للإمام المهدي عليه السلام لا يجوز لنا ردّه؛ لأنّه على حدّ التكذيب المنهي عقلاً وشرعاً، ولا ينافي ذلك ما ورد عنه عليه السلام قوله لآخر النوّاب الأربعة: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم يا عليّ بن محمّد السمري، أعظم اللّه أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلّا بعد إذن اللّه تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم»[٢]؛ إذ ليس ذلك إلّا لردّ نظائر الهلالي والبلالي ممّن ادّعىٰ النيابة على الشيعة، وكلمة «لشيعتي» تشهد بأنّ المراد من ادّعاء المشاهدة لذلك؛ فإنّه كذب وافتراء محض؛ لأنّ السفارة بعد موت السمري انسدّ بابها وبه ختمت؛ ومن ثمّ نهي رحمه الله عن إيصاء أحد لها، ولم يسمع ممّن شاهد الحجّة عليه السلام وسجّلت الكتب قصصهم لنا أنّهم ادّعوا السفارة على الشيعة ومنهم السيّد بحر العلوم الآتي ذكر مشاهدته عند قول الإمام المهدي عليه السلام له: «إنّ الأدب في الامتثال»[٣] وقصّته مذكورة هناك؛ ويشهد لذلك أيضاً جوابه قدس سره عمّن سأله عن إمكان رؤية الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة، وتكذيب مدّعيها حسب الأخبار الواردة بقوله:

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١١ـ٢١٢. وتقدم منه أيضاً ١٨٧ تحت الرقم ١٤ نقلاً من بصائر الدرجات مع شرح له.

(٢) غيبة الطوسي: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، ذكر أبي الحسن السمري، الاحتجاج ٢ / ٢٩٧، البحار ٥٢ / ١٥١ والسفياني والصيحة من العلائم الخمس والعمدة الأولىٰ.

(٣) رقمه ١٠٢، وانظر ٢٢٢، وفيه الرد على مدّعي السفارة.

(ما أقول في جوابه؟ وقد ضمّني صلوات الله عليه إلى صدره)[١].

الكلمات المختارة:

اخترنا منها ما يمسّ العقائد، ويمتاز الحقّ به عن الباطل، ويخصّ بعض الأحكام كالجوابات عن المسائل والرسائل، والقضايا الاجتماعية، والفردية، وخاصّة الشيعة في عصر الغيبة، وعلاج الاختلافات، وسُبُل حلّها، ولولاه لهلكوا أو ماتوا ميتة كفر ونفاق، كما نذكر منها ما هو الأشمل للأمثال والحكم وغيرها، ولأجله اخترنا له اسم (المختار من كلمات الإمام المهدي عليه السلام)؛ لأنّ علومهم كثيرة غير مُحصاةٍ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٢] ورثوها كابرٌ عن كابرٍ وعليه فلا يُراد بالمختار انتقاء الجيّد ضدّ الرديّ نعوذ بالله، بل اختيار بعض علومهم التوجيهيّة المذهبيّة والإسلاميّة المثمر للثبات على الاعتقاد الاسلامي، والولاية العلويّة خصصنا للأمثال والحكم[٣] العسكريّة كتاباً لدراستهما، لتكون الدراستان واحدة لعين صنع وحدة الجواديّة الهادويّة[٤]، مرّت الإشارة إلى نوعيّة الدراسة في مقدّمة كتاب أمثال وحكم الإمام الكاظم، وكلماته المختارة والرضا عليهما السلام[٥].

هدف التأليف:

لم يكن إلّا نشر علوم أهل البيت عليهم السلام والتنصيص على محاسن كلامهم،

---

(١) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٣٦، الحكاية العاشرة.

(٢) يسٓ: ١٢، الشاملة للنثر منها وهي الأكثر، وربّما جئنا بما روي عنه عليه السلام في اليقظة أو المنام من الشعر رقمه ٣٢٢، الآتي:

لا تراني اتّخذت لا وعُلاها   بعد بيت الأحزان بيت سرورِ

(٣) من الأمثال: «لا تطلب أثراً بعد عين» رقمه ٣٢٤، إكمال الدين ٢ / ٢٨٤. ومن الحكم: «إن طلبت وجدت» رقمه ٩٨، إكمال الدين ٢ / ٥٠٩.

(٤) «إذا نزل القضاء ضاق الفضاء» المثل الجوادي. «الدنيا سوق ربح فيها قوم، وخسر آخرون» الهادوي.

(٥) طبعا في إيران، سنة ١٤٠٩ هـ، والأوّل ١٤١٢ هـ، ومن المُؤسف شديداً أنّ أتعابي في تصحيحهما ذهبت درج الرياح؛ إذ لم تُطبّق.

وإحياء أمرهم؛ لأمرهم بذلك كلّه.

قال الصدوق: حدّثنا عبدالواحد بن محمّد بن عبدوس النيسابوري العطّار رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن محمّد بن قتيبة النيسابوري، عن حمدان بن سليمان، عن عبدالسلام بن صالح الهروي، عن الرضا عليه السلام قال: «رحم اللّٰه عبداً أحيا أمرنا»، فقلت له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: «يتعلّم علومنا، ويعلّمها الناس؛ فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا...»(١).

ومن التعليم تأليف كتاب بهذا الشأن، وعرضه للناس عسى أن يعرفوا محاسن كلامهم عليهم السلام، فيتّبعوهم ويلحقوا بهم فيخرجوا عن التقصير؛ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى التي يلحق بها التالي، وإليها يرجع الغالي»(٢). وعن الباقر عليه السلام: «نحن نمط الحجاز، قيل: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط؛ إنّ اللّٰه يقول: ﴿*وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً*﴾(٣). قال: إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المقصّر»(٤).

ولابدّ من التمسّك بعروة الدين، وأهل البيت هم العروة؛ لقول الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن سويد: «استمسك بعروة الدين آل محمّد» صلّى الله عليهم وسلّم(٥).

نهج الكتاب:

وهو نهج سائر مؤلّفاتنا في هذا الصدد: نذكر الكلمة كالعنوان ثمّ يتلوها الأصل الذي أخذت عنه، والإشارة إلى مصدر أو مصادر، وبيان جهة الصدور، وما كان من شرح أو تعليق لنا أو لغيرنا. وتأتي على نظم الحروف في أوائلها، ولا نعتدّ إلّا نادراً

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٤٠، الباب ٢٧، الحديث ٦٩، الوسائل ١٨ / ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) شرح النهج ١٨ / ٢٧٣، الحكمة ١٠٦. والنُمرقة: وسادة صغيرة، ويجوز كسر النِمرقة. وللفنطسة فوق الرَحل، أمثال النهج ٢٤٩ من مؤلفاتنا.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) تفسير الصافي ١ / ١٤٧.

(٥) روضة الكافي: ١٢٤ ـ ١٢٥، البحار ٤٨ / ٢٤٣، المختار من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام وأمثاله وحكمه، رقم ٧٦، راجعها فإنّها حريّة بالرجوع إليها، والبناء عليها. وفي آية ﴿*لا إكراه في الدين ـ إلى ـ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها...*﴾ البقرة: ٢٥٦، قد جمع بين الدين، والاستمساك بالعروة فتدبر جيّداً.

بحرف التعريف.

وربّما تصدّينا لترجمة رواتها، أو غيرهم من آحاد الناس إذا مسّت الحاجة إلى المعرفة بهم، أو من شاهد الحجّة عليه السلام، وسمع منه أو عنه بعض الكلام. وقد عرفت المنابع الخمسة المنتزعة عنها الكلمة، وربّما انتزعت عن غيرها عند إرادة الإجمال، أو عدم التصريح.

كما وقد اخترنا طريقة القدماء في مسألة صدور الرواية والأخذ بها؛ لوثاقتها، لا وثاقة الراوي فحسب، فلا يضرّ بها الإرسال أو أحد أسباب التضعيف إذا كانت موثوقة الصدور، كما يأتي تحقيقه إن شاء اللّٰه[1]. ولا يخفىٰ على المراجع الكريم أنّ الإنسان لا يسلم عن الخطأ - والعصمة لأهلها - فالعذر إليه؛ وشيمة الكريم القبول[2]، واللّٰه تعالى يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3].

الكتب والرسائل المؤلّفة:

وتجدر قبل الشروع الإشارة إلى بعض الكتب والرسائل المؤلّفة حول كلماته عليه السلام بالإفراد لها، أو باختصاص بعض الفصول.

وأمام تلك نشير إلى التوقيعات، والكتب الواصلة عن الناحية المقدّسة إلى أشخاص مذكورة أسماؤهم في مؤلّفات أصحابنا.

ومنها (معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة عليهم السلام) للمحقّق الفيض الكاشاني، مع تقديم منّا على الكتب والتوقيعات:

١ - التوقيع في جواب مسائل إسحاق بن يعقوب (١٩٧)[4]. ٢ - التوقيع في جواب بعض شيعته (١٩٨). ٣ - التوقيع في ردّ الغلاة (١٩٩). ٤ - التوقيع في شأن الشلمغاني (٢٠٠). ٥ - التوقيع إلى علي بن محمّد السمري (٢٠١). ٦ - التوقيع فيه الزيارة المعروفة - بآل يٓس (٢٠٣). ٧ - التوقيع فيه تعليم الصلاة على النبي وآله

---

(١) المختار رقمه ٣٣٢.

(٢) في المثل: «العذر عند كرام الناس مقبول» أمثال وحكم ١ / ٢٦١.

(٣) يوسف: ٧٦.

(٤) هذه أرقام التوقيعات المذكورة في فهرس معادن الحكمة: ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٢٠٤). ٨ ـ التوقيع إلى عثمان بن سعيد وابنه (٢٠٥). ٩ ـ التوقيع إلى الشيخ المفيد (٢٠٨) الأوّل. ١٠ ـ التوقيع إلى الشيخ المفيد (٢١٠) الثاني. ١١ ـ التوقيع إلى أبي علي بن همّام (٢١٢). ١٢ ـ التوقيع في النهي عن التسمية (٢١٣)[1]. ١٣ ـ التوقيع في النهي عن التسمية (٢١٤). ١٤ ـ التوقيع لمحمّد بن إبراهيم بن مهزيار (٢١٥)[2].

الكتب:

١ ـ الكتاب إلى أحمد بن إسحاق (١٩٥). ٢ ـ الكتاب إلى جماعة من الشيعة (١٩٦). ٣ ـ الكتاب إلى محمّد بن عثمان (٢٠٢). ٤ ـ الكتاب إلى الشيخ المفيد (٢٠٧) الأوّل. ٥ ـ الكتاب إلى الشيخ المفيد (٢٠٩) الثاني. ٦ ـ الكتاب الجواب عن كتاب محمّد بن صالح (٢١١)[3].

وفي غضون الأبحاث الآتية تجد الكلام حول ذلك، وغيره.

الكتب والرسائل:

١ ـ ترجمة (كلمة الإمام المهدي عليه السلام)[4] وزيادة قسم التوقيعات إليها للسيّد حسن افتخار زاده السبزواري، وتنسيق وتكميل حسن تاجري. نشر آفاق إيران، ثلاثة أجزاء باللغة الفارسية: الأوّل التوقيعات، والثاني الأدعية والزيارات، والثالث الكلمات.

٢ ـ التوقيعات الخارجة عن الناحية المقدّسة، لأبي العبّاس عبدالله بن جعفر ابن الحسين بن مالك بن جامع الحميري القمّي، من أصحاب العسكري عليه السلام ذكره النجاشي[5]. وعبّر عنه في الفهرست بـ (الرسائل والتوقيعات)[6]. ٣ ـ التوقيعات

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٦٤٨، باب ٥٦.

(٢) فهرس معادن الحكمة: ٣٢٧ ـ ٣٢٨، إكمال الدين ٢/٤٨٢ ـ ٥٢٣.

(٣) فهرس معادن الحكمة: ٣٢٧ ـ ٣٢٨، ترقيم الكتب والتوقيعات، وتعليق المحقّق الشيخ الأحمدي.

(٤) للسيّد حسن الشيرازي رحمه الله.

(٥) رجال النجاشي ٢ / ١٨، رقم المترجم له ٥٧١، طبع بيروت، دار الأضواء الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

(٦) الذريعة ٤ / ٥٠١.

الصادرة عن الناحية المقدّسة، مع ترجمتها إلى الفارسيّة ذكر في أوّله أنّه من جمع العلّامة المولى محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، لكنّه لم يذكر في فهرس تصانيفه. وطبع في بمبي بمباشرة الميرزا محمّد ملك الكتّاب[١]. ٤ ـ توقيعات حضرت قائم عليه السلام. طبع في بمبي، نقله خان بابا مشار في فهرسه، ص ٩٧١. ٥ ـ توقيعات مقدّسة بنوّاب أربعه. بقلم جعفر وجداني ـ طبع طهران ـ ١٣٥٦ش، عدد صفحاته ٩٠. ٦ ـ الرسالة المهدويّة. لتاج العلماء السيّد علي محمّد بن محمّد النقوي اللكهنوي المتوفّى ١٣١٢ هـ، ذكرها السيّد علي نقي في «مشاهير علماء الهند»[٢]. ٧ ـ الرسالة المهدويّة. بلغة الأُردو، طبعت في الهند[٣]. ٨ ـ سخنان حضرت مهدي عليه السلام. تأليف عمران علي زاده، طبع قم ـ إيران، حكمت، ١٤٠٤ مجموع صفحاته ٦٤. ٩ ـ الصحيفة القائميّة. عبّر عنها كذلك في (المآثر والآثار) ص ١٥١، للحاج الشيخ فضل الله ابن المولى عبّاس النوري ابن أُخت شيخنا النوري، وصهره على بنته... قتل مصلوباً يوم السبت ١٣ رجب ١٣٢٧ وهو الصحيفة المهدويّة[٤] الآتي ذكرها. ١٠ ـ الصحيفة المهدويّة، أو الصحيفة القائميّة كما مرّ للشيخ فضل الله ابن الآخوند المولى عبّاس النوري[٥]. إنّما التكرار من صاحب الذريعة مع وحدة التأليف والمؤلّف، لأجل تنوّع العنوان، والاسم، فراجع. ١١ ـ الصحيفة المهدويّة. في أدعية المهدي عجّل الله فرجه وهي من إنشائه دون ما رواه عن آبائه عليهم السلام مثل: دعاء العلوي المصري، ودعاء العبرات ونحوهما، للميرزا محمّد ابن رجب علي الطهراني، وقد ذكر فيه ما يقرب من ستّين دعاءً له، وفرغ من تبييضه أخيراً ١٣٥٨ هـ ش، أوّلها: [الحمد لله ربّ العالمين...]، وذكر أوّلاً فهرس الأدعية، وألحق بها بعض الأدعية التي تقرأ في عصر الغيبة، وبعض التوسّلات[٦]. ١٢ ـ الصحيفة المهدويّة. مطبوعة كما في بعض الفهارس، ولعلّها (الهادويّة) الآتية. ١٣ ـ الصحيفة الهادويّة والتحفة المهدويّة. للشيخ إبراهيم بن محسن الكاشاني،

---

(١) المصدر نفسه ٥٠٠ ـ ٥٠١. (٢) المصدر نفسه ١١ / ٢٢٦. (٣) المصدر نفسه.
(٤) الذريعة ١٥ / ٢٣. (٥) المصدر نفسه ٢٤. (٦) الذريعة ١٥ / ٢٤.

طبعت ١٣١٨ في طهران، فيها التوقيعات، والأدعية، والزيارات الواردة عن الناحية المقدّسة، أوّلها: «يا من تحيّرت في أشعّة أنواره...»[1] صفحاته ٢٥٧. ١٤ ـ صحيفة المهديّ عليه السلام. في الأدعية المنوّعة الغايات من إنشاءاته عجّل الله فرجه، لجامعها الشيخ عيسى الأهري. لقصّة سبب الجمع ذكرها في مقدمة الكتاب، وهي ٣٤ دعاءً صورتها: دعاء الفرج، والتوحيد، والعلوي المصري، وصلاة يوم الجمعة، وقضاء الحوائج، والإنجاز، والحكمة، ويوم المبعث، والمنن السابقة، والرجبيّة، والفرج أيضاً، ودعاء عام، والاهتمامات العامة، والقنوت فيه دعاءان، والقائم عليه السلام[2]، وتسبيح القائم عليه السلام، والنجاة من الشدّة، والخلاص من الشدائد، والشفاء، والصاحب عليه السلام، والحجاب، والاستخارة، والحرز، والزيارة، والندبة، والنيل بالأماني، والافتتاح، وسهم الليل، والاستخارة، والحاجة، والعبرات، وبعد الصبح في يوم الفطر، وتسبيح القائم عليه السلام أيضاً... طبع مؤسسة الغدير ـ طهران ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ١٥ ـ كلمة الإمام المهدي عليه السلام. تقدّمت الإشارة أنّ الكتاب للشيرازي وهو السيّد حسن بن السيّد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي. الطبعة الأولى، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٠، صفحاته ٦١٢، ويدخل في جملة الفصول المختصّة بكلامه عليه السلام، و «حدّث عن مَعن ولا حرج»[3]؛ فإنّ الكتب التي اختصّت فصول منها بالتوقيعات والكتب الخارجة عن الناحية المباركة خارجة عن الإحصاء، بل أُلّفت نُبذةٌ منها باسم معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام. والمؤلّفة فيما يخصّه من شؤون قديماً كإكمال الدين للشيخ الصدوق وحديثاً مثل يوم الخلاص، ومعجم أحاديث الإمام المهدى وتاريخ الغيبة الصغرى والكبرى ممّا لا يحصى، ومنه تعالى نسأل العون والاعتصام وصلّى الله على محمّد وآله الكرام عليهم السلام

المؤلّف

---

(١) نفسه، تجدهما فيه. (٢) أي يُعرف بهذا الاسم.

(٣) مجمع الأمثال ١ / ٢٠٧، الرقم ١١٠٣، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٣، يعنون معن بن زائدة بن عبدالله الشيباني وكان من أجود العرب.

المدخل

قال اللّه تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١).

روى الشيخ الصدوق في الصحيح عن محمّد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «القائم منّا منصورٌ بالرعب، مؤيّدٌ بالنصر، تُطوىٰ له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويُظهر اللّه عزّ وجلّ به دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون، ـ إلى أن قال: ـ فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ثمّ يقول: أنا بقيّة اللّه في أرضه(٢) وخليفته وحجّته عليكم، فلا يسلّم عليه مسلّمٌ إلّا قال: السلام عليك يا بقيّة اللّه في أرضه، فإذا اجتمع إليه العِقد وهو عشرة آلاف رجل خرج، فلا يبقى في الأرض معبودٌ دون اللّه عزّ وجلّ من صنمٍ [ووثنٍ] وغيره إلّا وقعت فيه نارٌ فاحترق، وذلك بعد غيبة طويلة؛ ليعلم اللّه من يُطيعه بالغيب ويؤمن به»(٣). ﴿بَقِيَّتُ اللهِ﴾ ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا هو حرام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممّا تجمعون بالتطفيف ذكره الفيض وفيه حديث الباقر عليه السلام. ولعلّ المراد به بقيّة خلفاء الله بتقدير المضاف وكلّ أمر يضاف إليه تعالى يصحّ أن يقال بقيّة الله فجلال الله بقيّة الله كما قال في قوم شعيب عليه السلام.

---

(١) هود: ٨٦.

(٢) الكلمة المختارة رقمها ٨٧، سيأتي التكلّم عنها إن شاء اللّه.

(٣) إكمال الدين ١ / ٣٣٠ ـ ٣٣١، الباب ٣٢ ما أخبر به الباقر عليه السلام من وقوع الغيبة، الحديث ١٦؛ تفسير الصافي ١ / ٨٩، تفسير غرائب القرآن ٤/٤٤ فيه معانٍ منها.

باب الألف

١

ائتوني طائعين

رواه العلّامة المجلسي رحمه الله من حديث الصادق عليه السلام قال: «ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجنّ عليه الليل وحده فإذا نامت العيون نزل إليه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام والملائكة صفوفاً فيقول له جبرئيل: يا سيّدى قولك مقبول وأمرك جائز. فيمسح عليه السلام يده على وجهه ويقول: ﴿*الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ*﴾[1] ويقف بين الركن والمقام، فيصرخ صرخة فيقول: يا معاشر نقبائي وأهل خاصّتي، ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض آئتوني طائعين. فترد صيحته عليه السلام عليهم وهم على محاريبهم، وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أُذن كلّ رجل، فيجيئون نحوها، ولا يمضي لهم إلّا كلمحة بصر، حتّى يكون كلّهم بين يديه عليه السلام بين الركن والمقام...»[2].

ولو خدش في سند الحديث، فإنّ قيام المهديّ من البيت من يقينيّات أهل البيت عليهم السلام، وتأتي دلائل القيام في غضون الأبحاث الآتية، واجتماع نقبائه بعدد أصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر يجيئون قزعاً كقزع الخريف.

روى الشيخ الطوسي بإسناده إلى جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يبايع

---

(١) الزمر: ٧٤: ﴿*وقالوا الحمد لله...*﴾ شكراً وتحميداً له تعالى على ذلك.

(٢) البحار ٥٣ / ٧، باب ٢٥ ما يكون عند ظهوره عليه السلام....

القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدّة أهل بدر فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء اللّه أن يـقيم»[١] والصادقي: «كان أميرالمؤمنين عليه‌السلام يقول: لا يزال الناس ينقصون حتّى لايقال (اللّه) فإذا كان ذلك ضرب يعسوب[٢] الدين بذَنبه[٣]، فيبعث اللّه قوماً من أطرافها يجيئون قزعاً كقزع الخريف[٤]، واللّه إنّي لأعرفهم، وأعرف أسماءهم وقبائلهم واسم أميرهم وهم قوم يحملهم اللّه كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين حـتّى بـلغ تسـعة[٥] فيتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر وهو قول اللّه ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]، حتّى أنّ الرجل ليحتبي فلا يحلّ حبوته، حتّى يبلغه اللّه ذلك»[٧]

لفظة «أئتوني طائعين» أمرٌ صادرٌ عن وليّ الأمر صدور حتمٍ وتكوين بإذن اللّه كقوله تعالى للسماء والأرض بإرادته التكوينيّة فكانتا: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٨].

وحجّة اللّه عبده الذي قال تعالى فيه: «عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا حـيّ لاأموت أجعلك حيّاً لا تموت، أنا غنيّ لا أفتقر أجعلك غنيّاً لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون»، وحديث قدسيّ آخر: «عبدي خـلقت الأشـياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»[٩] وأولياء المهدي أعظم من السـماء والأرض؛ لأنـهم

---

(١) الغيبة : ٢٨٤، طبعة النجف الثانية، و ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧، الرقم ٥٠٢، ٥٠٣ طبعة قم، مؤسسة المعارف الإسلاميّة ١٤١١ هـ، البحار ٥٣ / ٣٣٤، الحديث ٦٤، ٦٥.

(٢) اليعسوب: السيّد والرئيس والمقدّم. وأصله فحل النحل ومنه حديث عليّ عليه‌السلام: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين...» النهاية ٣ / ٢٣٤ ـ عسب ـ.

(٣) الضرب بالذَنَب مثل للثبات يعني أنّه يثبت هو من تبعه على الدين، المصدر.

(٤) يأتي تفسيره في محلّه.

(٥) من القبائل ويحتمل الرجال أيضاً.

(٦) البقرة: ١٤٨.

(٧) الغيبة: ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٨) فصلت: ١١.

(٩) الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة ـ للشيخ الحرّ ـ: ٣٦١.

الإيمان المتجسّد، يحملون العبوديّة بمعناها الحقيقي، وقد أُذن لهم بيمن اللقاء، والنقابة، ووصفهم الإمام الباقر عليه السلام في حديث رواه الصدوق بإسناده إليه قال: «كأنّي بأصحاب القائم عليه السلام وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم، حتّى سباع الأرض، وسباع الطير، يطلب رضاهم في كلّ شيءٍ، حتّى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم»[١]. فإذا كان الأصحاب هكذا فما ظنّك بإمامهم المهدي مجرى إرادة الرب تعالى ومهبط ملائكته الثاني عشر، خاتم الأئمّة وخلفاء الأُمّة الصفوة الّتي اصطفاها الله عزّ وجلّ لنفسه في إحدى زيارات الحسين بن عليّ عليهما السلام الّتي رواها ابن قولويه فيها الإرادة الربوبيّة بإسناده عن مشايخه العظام الكليني والشيخ الطوسي عن الصادق عليه السلام بعد ذكر آدابها قبل الدخول وبعده قال: «واجعل القبلة بين كتفيك، ثمّ تقول: السلام عليك يا حجّة الله وابن حجّته ـ إلى أن قال: ـ وبكم تُسبّح الله الأرض الّتي تحمل أبدانكم وتَستَقِلُّ جِبالُها علىٰ مراسيها إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمّا فُصِّلَ من أحكام العباد...»[٢].

ويأتي الكلام عليها عند «إذا شاء شئنا»[٣]، فيه الحوار بينه عليه السلام وكامل، وبيان الإشائة وبعض أحاديثها.

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٦٧٣، باب ٥٨.

(٢) كامل الزيارات ١٩٧ ـ ٢٠٠، الباب ٧٩.

(٣) رقم المختار ٤١، منها الإشارة إلى الزيارة الحُسينيّة فلاحظها.

٢

آبائي من الأوّلين آدم ونوح وإبراهيم...ومن الآخرين محمّد رسول اللّه وعليّ بن أبي طالب... عبيد اللّه عزّوجلّ

انتزعت عن بعض توقيعات الإمام المهدي عليه السلام ردّاً على الغلاة، رواه الشيخ الطبرسي قال:

وممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات اللّه عليه ردّاً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه على يد محمّد بن علي بن هلال الكرخي:

«يا محمّد بن علي تعالى اللّه وجلّ عمّا يصفون وبحمده، ليس نحن شركاؤه في عمله، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال تباركت أسماؤه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1].

وأنا وجميع آبائي من الأوّلين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيّين، ومن الآخرين محمّد رسول اللّه وعليّ بن أبي طالب، وغيرهم ممّن مضى من الأئمّة صلوات اللّه عليهم أجمعين، إلى مبلغ أيّامي ومنتهى عصري عبيد اللّه عزّوجلّ يقول اللّه عزّوجلّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ قال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ قال: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام قال: أعمى قال: يعني أعمى البصر في الاخرة وأعمى القلب في الدنيا»[2].

---

(١) النمل: ٦٥، الاحتجاج ٢ / ٢٨٨، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٢٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٢) طه: ١٢٤ ـ ١٢٦، تفسير الصافي ٢ / ٨١، لأنّه لو أبصره لكان له وليّاً.

ولعلّ وجه الاستدلال بآية الإعراض عن الذكر، أنّ نسبة ادّعاء الغيب، والاشتراك في القدرة والربوبيّة إلى الأئمةعليهم السلام هي من أظهر مظاهر الإعراض عن الذكر؛ إذ كيف يتأتّى ذكر اللّه تعالى ويرميهم ذاكر اللّه بما هم منه برءآء بأنّهم شركاء له في العلم والقدرة والربوبيّة، وما درت الجهلاء أنّهم عباد اللّه المكرمون، اختارهم اللّه لعزّ جلاله وجماله وقد جاء عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «لا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثمّ قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا»[(١)] ياالها من كلمة لا تقوم لها السبع الطباق.

وهو المراد بالتوقيع وإليك ما تبقّى منه:

«يا محمّد بن عليّ، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم[(٢)]، مَن دينه جناح البعوضة أرجح منه[(٣)]. فأُشهد اللّه الذي لا إله إلّا هو وكفى به شهيداً، ورسوله محمّداًصلى الله عليه وآله، وملائكته، وأنبياءه، وأولياءه عليهم السلام، وأُشهدك، وأُشهد كلّ من سمع كتابي هذا أنّي بريء إلى الله وإلى رسوله ممّن يقول: إنّا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يحلّنا محلاً سوى المحلّ الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّى بنا عمّا فسّرته لك وبيّنته في صدر كتابي.

وأشهدكم أنّ كلّ مَن نبرأ منه فإنّ الله يبرأ منه، وملائكته ورسله وأولياؤه. وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك[(٤)]، وعنق من سمعه أن لا تكتمه لأحدٍ من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ[(٥)] من الموالي؛ لعلّ الله يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحقّ، وينتهون عمّا لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه. فكلّ من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فقد حلّت عليه اللعنة من الله وممّن ذكرت من عباده الصالحين»[(٦)].

دلّ بكلّ وضوح وفق العلوي الآنف الذكر من أنّهم ليسوا بِرَبٍّ ولكنّهم عباد

---

(١) الاحتجاج ٢ / ٢٣٣، البحار ٢٥ / ٢٧٤.

(٢) انظر «آذانا...» رقمه ٧.

(٣) رقمه ١٦٥.

(٤) انظر الرقم ١٦٠.

(٥) في نسخة «كلّ» هامش البحار ٢٥ / ٢٦٧.

(٦) الاحتجاج ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، البحار ٢٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧، معادن الحكمة: ٢٨٢ ـ ٢٨٤، رقم التوقيع ١٩٩.

مكرمون وقد هلك من هلك المتجاوز عمّا حدّوه له كما في العلوي: «يهلك فيّ اثنان: محبّ مفرط، وباهت مفتر»[١]. قال الشريف الرضي رضي الله عنه: وهذا مثل قوله عليه السلام: «يهلك فيّ اثنان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ»[٢].

«محبّ غالٍ» هم الغلاة المفرطون في محبّة الأئمّة إلى حدّ الربوبيّة. و «مبغض قالٍ» هم أعداؤهم التاركون نهجهم؛ لأنّ «قالٍ» من قلىٰ البغض والترك. ومنه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٣]. أي ما تركك، ولا أبغضك. وإنّ من أفرط المُفرطين من الناس اثنين: من لا يقول بأفضليّة[٤] عليّ عليه السلام، ومن يعتقد ربوبيّته وهم الغلاة الوارد

---

(١) شرح النهج ٢٠/٢٢٠، الحكمة ٤٧٨. (٢) المصدر نفسه. (٣) الضحىٰ: ٣.

(٤) أقول: هنا قصّة رواها ابن أبي الحديد المعتزلي جديرة بالذكر ولها علقة بأفضليّة عليّ عليه السلام لاشتمالها على حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ ائتنا به مع أفضل أُمّتي عندك منزلة» نذكرها عن آخرها وهي من أجمل القصص، قال في شرح النهج ٢٠ / ٢٢١ ـ ٢٢٦؛ عند بيان الحكمة العلوية المتقدّم ذكرها، والعلقة بصلب الموضوع:

(فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة)

والقول بالتفضيل قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمّار والمقداد وأبو ذرّ وسلمان وجابر بن عبدالله وأُبي بن كعب وحذيفة وبريدة وأبو أيّوب وسهل ابن حنيف وعثمان بن حنيف وأبو الهيثم بن التيّهان وخزيمة بن ثابت وأبو الطفيل عامر بن وائلة والعبّاس بن عبدالمطلب، وبنوه وبنو هاشم كافّة وبنو المطلب كافّة.

وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر، ثمّ رجع، وكان من بني أميّة قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبدالعزيز.

وأنا أذكر هاهنا الخبر المروي المشهور عن عُمَر، وهو من رواية ابن الكلبي قال:

بينا عمر بن عبدالعزيز جالساً في مجلسه دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلّقان بها، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عُمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أميرالمؤمنين عمر بن عبدالعزيز، من ميمون بن مهران سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد، فإنّه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور، وعجزت عنه الأوساع ـ أي الطاقات جمع وسع وهو: الطاقة ـ وهربنا بأنفسنا، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾

﴿وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإنّ أباها يا أميرالمؤمنين، زعم أنّ زوجها حلف بطلاقها أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمّة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه يزعم أنّ ابنته طُلّقت منه، وأنّه لا يجوز له في دينه أن يتّخذه صهراً، وهو يعلَم أنّها حرام عليه كأمّه.

وإنّ الزوج يقول له: كذبت وأثمت، لقد برّ قَسمي وصدقت مقالتي وإنّها امرأتي على رغم أنفك وغيظ قلبك.

فاجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك، فسألت الرجل عن يمينه؟ فقال: نعم قد كان ذلك وقد حلفت بطلاقها أنّ عليّاً خير هذه الأمّة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وآله، عَرفَه مَن عَرفه، وأنكره من أنكره، فليغضب مَن غضب، وليرض من رضي. وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتّى.

وقد علمتَ يا أميرالمؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم وتسرّعهم إلى ما فيه الفتنة، فأحجمنا عن الحكم، لتحكم بما أراك اللّه. وإنّهما تعلّقا بها، وأقسم أبوها ألا يدعها معه، وأقسم زوجها إلّا يفارقها ولو ضربت عنقها إلّا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم إليك يا أميرالمؤمنين، أحسن اللّه توفيقك وأرشدك!

وكتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات وردن يوماً ... فحارت في تأمّلها العيونُ
وضاق القوم ذرعاً عن نباها ... فأنت لها أبا حفص أمينُ
لأنّك قد حويت العلم طرّاً ... وأحكمك التجارب والشؤونُ
وخلّفك الإله على الرعايا ... فحظّك فيهم الحظّ الثمينُ

قال: فجمع عمر بن عبدالعزيز بني هاشم وبني أميّة، وأفخاذ قريش؛ ثمّ قال لأبي المرأة: ما تقول أيّها الشيخ؟ قال: يا أميرالمؤمنين هذا الرجل زوّجته ابنتي وجهّزتها إليه بأحسن ما يجهّز به مثلها، حتّى إذا أمّلت خيره ورجوت صلاحه، حلف بطلاقها كاذباً، ثمّ أراد الإقامة معها.

فقال له عمر: يا شيخ، لعلّه لم يطلّق امرأته، فكيف حلف؟

قال الشيخ: سبحان اللّه! الذي حلف عليه لأبين حنثاً وأوضح كذباً من أن يختلج في صدري منه شكّ، مع سنّي وعلمي؛ لأنّه زعم أنّ عليّاً خير هذه الأمّة وإلّا فأمرأته طالق ثلاثاً.

فقال للزوج: ما تقول؟ أهكذا حلفت؟

قال: نعم.

➔ فقيل: إنّه لمّا قال: نعم كاد المجلس يرتجّ بأهله، وبنو أميّة ينظرون إليه شزراً إلّا أنّهم لم ينطقوا بشيءٍ، كلّ ينظر إلي وجه عمر.

فأكب عمر مليّاً ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثمّ رفع رأسه وقال:

إذا ولي الحكومة بين قوم ... أصاب الحقّ والتمس السدادا

وما خير الإمام إذا تعدّى ... خلاف الحقّ واجتنب الرشادا

ثمّ قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا، فقال: سبحان اللّه ! قولوا.

فقال رجل من بني أميّة: هذا حكم في فرج، ولسنا نجترئ على القول فيه، وأنت عالم بالقول، مؤتمنٌ لهم وعليهم، قل ما عندك؛ فإنّ القول ما لم يكن يُحِقُ باطلاً ويُبطِل حقّاً جائز عَلَيَّ في مجلسي.

قال: لا أقول شيئاً؛ فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب، فقال له: ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيليّ؟

فاغتنمها، فقال: يا أميرالمؤمنين، إن جعلت قولي حكماً أو حكمي جائزاً قلت، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي، وأبقى للمودّة.

قال: قل وقولك حكم وحكمك ماضٍ.

فلمّا سمع ذلك بنو أميّة قالوا: ما أنصفتنا أميرالمؤمنين، إذ جعلت الحكمَ إلى غيرنا ونحن من لحمتك وأولي رحمك.

فقال عمر: اسكتوا، أعجزاً ولؤماً ! عرضتُ ذلك عليكم آنفاً فما انتدبتم له.

قالوا: لأنّك لم تُعطنا ما أعطيت العقيلي، ولا حكّمتنا كما حكّمته.

فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم، وحزم وعجزتم، وأبصر وعميتم، فما ذنب عمر، لا أباً لكم أتدرون ما مثلكم؟ !

قالوا: لا ندري.

قال: لكن العقيلي يدري؛ ثمّ قال: ما تقول يا رجل؟.

قال: نعم يا أميرالمؤمنين، كما قال الأوّل:

دُعيتم إلى أمرٍ فلمّا عجزتُمُ ... تناوله من لا يداخلُهُ عجزُ

فلمّا رأيتم ذاك أبدت نفوسكم ... نداماً وهل يُغني من القَدَرِ الحذرُ

فقال عمر: أحسنت وأصبت، فقل ما سألتك عنه.

قال: يا أميرالمؤمنين، بَرَّ قسَمَهُ ولم تطلّق امرأته.

قال: وأنّىٰ علمت ذاك؟

←

➜ قال: نشدتك اللّه يا أميرالمؤمنين، ألم تعلم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائدٌ لها: يا بنيّة، ما علّتك؟

قالت: الوَعَك يا أبتاه.

وكان عليٌّ غائباً في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله، فقال لها: أتشتهين شيئاً؟

قالت نعم، اشتهي عِنَباً، وأنا أعلم أنّه عزيز وليس وقت عِنب.

فقال صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه قادر على أن يجيئنا به؛ ثمّ قال: اللّهمّ ائتنا به مع أفضل أُمّتي عندك منزلة؛ فطرق عليٌّ الباب، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ما هذا يا عليّ؟

قال: عِنبٌ التمستُه لفاطمة.

فقال: اللّه أكبر اللّه أكبر، اللّهمّ كما سررتني بأن خصصت عليّاً بدعوتي فاجعل فيه شفاء بُنيّتي؛ ثمّ قال: كلي على آسم الله يا بنيّة؛ فأكلت، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى استقلّت وبرأت.

فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعتُه ووعيتُه، يا رجل خذ بيد امرأتك، فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه.

ثمّ قال: يا بني عبد مناف، واللّه ما نجهل ما يعلم غيرنا، ولا بنا عمىً في ديننا، ولكنّا كما قال الأوّل:

تصيّدت الدنيا رجالاً بفخّها فلم يُدركوا خيراً بل استقبحوا الشَّرّا
وأعمالهم حبّ الغنى وأصمّهم فلم يُدركوا إلّا الخسارة والوزرا

قيل: فكأنّما ألقم بني أميّة حجراً، ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران:

عليك سلام، فإنّي أحمد اللّه الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعدُ، فإنّي قد فهمت كتابك وورد الرجلان والمرأة، وقد صدق اللّه يمين الزوج، وأبرَّ قَسمَه، وأثبته على نكاحه، فاستيقن ذلك، واعمل عليه، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

فأمّا من قال بتفضيله على الناس كافّة من التابعين فخلق كثير كأويس القرني وزيد بن صوحان وصعصعة أخيه، وجندب الخير [وحبيب]، وعبيدة السلماني وغيرهم ممّن لا يحصى كثرة، ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلّا لمن قال بتفضيله، ولم تكن مقالة الإماميّة ومن نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذٍ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنّهم موعودون بالجنّة فهولاء هم المعنيّون به دون غيرهم، ➜

الغلاة:

وهم طوائف من الشيعة الخطّابيّة، والبيانيّة، والراونديّة، وغيرهم.

قيل: سُمّي الغلاة بهذا الاسم لأنّهم غَلَوا في عليّ، وفي أئمّتهم، وقالوا فيهم قولاً عظيماً. وقالت طائفة منهم إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله هو اللّه تعالى، وهذه الغلاة ينسبون أنفسهم إلى الشيعة، ولكنّ الشيعة الإماميّة ينكرونهم ويلعنونهم، وتجمع الأهواء الغالية على تجسيد الأُلوهيّة في عليّ والأئمّة عليهم السلام. ولا يقتصر الأمر في هذا على اعتبار مشاركتهم للكائن الأعلى في الصفات والقوى الإلهيّة التي ترفعهم فوق المستوى، ولكن على اعتبار أنّ عليّاً والأئمّة هم صور وأشكال يتمثّل فيها الجوهر الإلهيّ ذاته وجثمانيّة هذا الجوهر ليست سوى حادث طارئ[1].

قد كتب سعد بن عبداللّه الأشعري القمي[2] حول الفرق ومنهم الغلاة كتاباً وبسط الكلام حول أُولئك وجعلهم طوائف ثمّ قال:

فهذه كلّها من صنوف الغلاة غير أنّهم مختلفون في مذاهبهم من التناسخ، فإنّ أصحاب عبداللّه بن معاوية[3] يزعمون أنّهم يتعارفون في انتقالهم في كلّ جسد

← ولذلك قال: إنّ أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقّاً.

فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الإفراط والتفريط إن شاء اللّه.

أقول:

نحن وإن خرجنا بسرد القصّة عن آخرها عن الموضوع لكنّها أعطت للجاهل علماً وعقلاً، والعارف نوراً وثباتاً وإيماناً، وإنّ الهداية بيداللّه عزّوجلّ وكذلك القلوب. بل كل شيءٍ.

(١) كتاب المقالات والفرق، تعليق المصحّح: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام المتوفّى ٢٩٩، أو ٣٠١ هـ. وكان شديد المناظرة، حريصاً على اكتناز العلوم.

(٣) هو ابن عبداللّه بن جعفر بن أبي طالب الخارج بالكوفة، وأُمّه أُمُّ عون بنت العبّاس... المقالات والفرق: ٣٩، المعروف بعبداللّه الطالبي، المتوفّى ١٢٩ هـ. انظر المصدر ١٧٩.

صاروا فيه على ما كانوا عليه مع نوح... في السفينة، ومع الأنبياء في أزمانهم ومع النبيّ صلى الله عليه وآله في عصره وزمانه، ويسمّون أنفسهم بأسماء أصحاب النبيّ يزعمون أنّ أرواحهم فيهم يتأوّلون في ذلك قول عليّ بن أبي طالب: «إنّ الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[١].

فنحن نتعارف كما قال.

وقال بعضهم بالتناسخ وبنقل الأرواح مدّة ووقتاً وهو أنّ كلّ دور في الأبدان الإنسيّة الحيّة فهو عشرة آلاف سنة، ثمّ تحوّل في غير هذه الأبدان الإنسيّة وذلك للمؤمنين خاصّة، فتحوّل في الدوابّ الفره مثل الأفراس العتاق والشهاري والنجائب وغيرها ممّا يكون لمواكب الملوك والخلفاء على قدر أديانهم وطاعتهم لأنبيائهم وأئمّتهم فيحسن إليها في علوفاتها وإمساكها وتحليتها بالديباج والوشي وغير ذلك[٢].

وقال في موضع آخر منه:

وحكى محمّد بن عيسى بن عبيد بن يقطين عن يونس بن عبدالرحمن: أنّ الغلاة يرجعون على اختلافهم إلى مقالتين هما أصلهم في التوحيد.

فإحدى المقالتين إنّهم يقولون: إنّ اللّه يتراءى لمن شاء في ما شاء كيف شاء في عدله، إذ يرى من نفسه ما يرى من خلقه، فلم يجز أن يتراءىٰ لهم إلّا في مثل ما يعرفونه لكي يكونوا آنسين بهم[٣] ولما يدعوهم إليه أسرع فلقوله أقبل فيريهم فى مرأى العين نفسه إنساناً وليس هو بإنسان من جهة اقتداره على ما أراهم نفسه به[٤].

والمقالة الثانية :

إنّهم قالوا: إنّه في ذاته وكنهه[٥] روح القدس ساكن في مسكون فيه والمسكون حجابه ولا يوجد أبداً إلّا بصفته وصفة غيره، غير أنّه في وقت احتجاجه على خلقه لم يجد بدّاً من أن يتغيّر عن ذاته وهيأته بآلة معروفة جسدانيّة، والدليل على ذلك

---

(١) نبوي أيضاً ذكرناه في «الأمثال النبويّة» ١ / ٨، الرقم ٥٠.

(٢) المقالات والفرق: ٤٨ ـ ٤٩. (٣) كذا. (٤) نفس المقالات ٦٣.

(٥) لعلّه مصحّف كيفيّته أو كينونته ذكره المعلّق على المقالات والفرق: ٦٢.

أنّه لا نطق معروف معقول إلّا بجسد معروف، فمن أدرك اللّٰه بغير اللّٰه فقد أدركه، واعتلّوا في ذلك بأن قالوا هو ظاهر من باطن كما وصف نفسه أنّه الظاهر الباطن، فروح القدس باطنه والظاهر الجسم المضاف إليه المستعمل الذي هو نعت له في وقت حاجة الخلق إليه، لأنّه سبب ولا يدرك لطيفه إلّا لسبب معروف، ومن السبب يكون التسبّب فسبب الولد من التسبب أي من البدن لا من الروح، فروح القدس ساكن باطن، والظاهر الجسم المضاف إليه فالذي يلهو ويأكل ويشرب وينام ويسقم ويألم هو الجسم، وروح القدس لا يلهوا ولا يألم ولا يولد، تعالى اللّٰه عزّوجلّ عن ذلك وعمّا يصفون علوّاً كبيراً[1].

فمن رام الإحاطة بكلّ خرافاتهم نظر المقالات والفرق فإنّها وضعت لذلك.

والغلاة ظهرت مقالاتهم من قبل الإسلام وبعده كما تقدّم من سعد في النبيّ والأئمّة كلّهم عليهم السلام ادّعوا اُلوهيّتهم وإلى اليوم توجد فرقهم المعروفون المشتهرون بـ (عليّ اللّهيّة وحسين اللّهيّة) والواقفيّة الّذين وقفوا على موسى بن جعفر عليهما السلام قال قوم منهم بربوبيّته ومن غيرهم قالوا بربوبيّة الإمامين الهادي والعسكري ونسبوا إلى الأئمّة ما لا يليق بهم ومنهم من ادّعى البابيّة عنهم وإليك نصّ الشيخ الطبرسي رحمه الله تعالى قال:

روى أصحابنا: أنّ أبا محمّد الحسن الشريعي كان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله اللّٰه فيه من قِبل صاحب الزمان عليه السلام، وكذب على اللّٰه وحججه عليهم السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد.

وكذلك كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن عليه السلام، فلمّا توفّي ادّعى البابيّة لصاحب الزمان، ففضحه اللّٰه تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والغلوّ والتناسخ، وكان يدّعي أنّه رسول نبيّ أرسله عليّ بن محمّد عليه السلام، ويقول بالإباحة للمحارم.

---

(١) المقالات والفرق: ٦٢.

وكان أيضاً من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي[١] وقد كان من قبل في عدد أصحاب أبي محمّد عليه السلام ثمّ تغيّر عمّا كان عليه وأنكر بابيّة أبي جعفر محمّد بن عثمان، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الأمر والزمان وبالبراءة منه في جملة من لعن وتبرّأ منه.

وكذا كان أبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال، والحسين بن منصور الحلّاج، ومحمّد بن عليّ الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقري لعنهم اللّٰه، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعاً على يد الشيخ أبي القاسم حسين بن روح رحمه الله[٢].

فهؤلاء منهم الكرخي والهلالي والبلالي والنميري والعزاقري والشريعي كلّهم من الغلاة أو مذهب التناسخ الذي هو مذهب (داروين) وغير ذلك من المذاهب الفاسدة.

ولعلّ الكرخي هو البلالي المعروف الحسن الحال في أوائل أمره وفاسده في أواخره وقد ترجمه السيد الأُستاذ الخوئي ووثّقه وإليك التلخيص.

قال:

والمتلخّص من جميع ما ذكرنا أنّ الرجل كان ثقة مستقيماً وقد ثبت انحرافه وادّعاؤه البابيّة ولم يثبت عدم وثاقته، فهو ثقة فاسد العقيدة فلا مانع من العمل برواياته بناءً على كفاية الوثاقة في حجّية الرواية كما هو الصحيح[٣].

بعد صدور اللعن على البلالي وأضرابه المصرّح بأسمائهم الآنف الذكر، لا يبقى الوثوق بهم، ولا مجال لاستصحاب وثاقتهم حال الاستقامة؛ كمن كفر بعد الإيمان لا يجري عليه أحكامه فالحقّ أنّ روايته لا يعمل بها إذا انفرد بها وتؤخذ مع انضمام رواية الثقات.

والسيّد الأُستاذ قبل لفظه المتقدّم قال: ومع هذا كلّه فقد أخلد إلى الأرض واتّبع هواه وادّعىٰ البابيّة، قال الشيخ ومنهم: (المذمومين الّذين ادّعوا البابيّة لعنهم اللّٰه): أبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال، وقصّته فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمّد بن

---

(١) لعلّه أخو عليّ بن هلال الكرخي راوي التوقيع.

(٢) الاحتجاج ٢ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠، توقيعات الناحية المقدّسة.

(٣) معجم رجال الحديث ١٦ / ٣١١ ـ ٣١٢.

عثمان العمري نضّر اللّه وجهه وتمسّكه بالأموال التي كانت عنده للإمام وامتناعه من تسليمها، وادّعاؤه أنّه وكيل حتّى تبرّأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف...[١].

وهل يسوغ الاعتماد على قول الملعون على لسان الإمام المهديّ عليه السلام ؟ ! أم أنّ المقصود من صدور اللعن التحرّز منه وهجره إطلاقاً حتّى أقواله كلّها؟ نعم إذا قامت القرائن من الخارج على أنّ قوله الحقّ أُخذ به وإلّا ترك.

وفي التوقيع الذي نحن في صدده ما يلي:

«جعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك[٢] وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من الموالي لعلّ اللّه يتلافاهم فيرجعون إلى دين اللّه الحقّ...»[٣].

إنّ التوقيع ردّ على المصدّق دعوى الغلاة في أهل البيت عليهم السلام من أنّهم شركاء اللّه في قدرته وخلقه الخلق وغيرها وأنّ الغالي أو المدّعي ما ليس له لا يبقى معه الوثوق حتّى يؤخذ بقوله أو روايته، وحتى قبل الغلوّ كما قيل.

ولعمري إنّ كلام الإمام المهدي عليه السلام يلقي على الشيعة دروساً، منها: أن لا يأخذوا إلّا ممّن نصّ عليه أو تشمله أحاديثهم عليهم السلام ، والأخذ من غيرهم على حدّ الإنكار لهم، وقد روى مَن رأىٰ المهدي عليه السلام عنه: «طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوق لإنكارنا»[٤].

وربّما يقال إنّ الكلام فيمن يروي عنهم، وأين هذا ممّن طلب المعارف من غيرهم؟!

ويجاب عنه أنّ المنع من الأخذ من المخالف لما عليه المعصومون وشيعتهم يشمله عموم تُرّ[٥] حمران بن أعين وإليك حديثه الذي رواه الصدوق بإسناده إلى حمزة ومحمّد ابني حُمران قالا: اجتمعنا عند أبي عبداللّه عليه السلام في جماعة من أجلّة

---

(١) معجم رجال الحديث ١٦ / ٣١٠.
(٢) تأتي الكلمة رقمها ١٦٠.
(٣) الاحتجاج ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، البحار ٢٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.
(٤) أبواب الهدى: ٤٦، سيأتي في الرقم ٢٣٦.
(٥) كنّى عن التمييز بين الحقّ والباطل.

مواليه وفينا حُمران بن أعين فخضنا في المناظرة وحُمران ساكت فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «ما لك لا تتكلّم يا حُمران؟» فقال: يا سيدي آليت على نفسي أنّي لا أتكلّم في مجلس تكون فيه. فقال: أبو عبدالله عليه السلام: «إنّي قد أذنت لك في الكلام فتكلّم». فقال حُمران: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، خارج من الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه، وأنّ الحقّ القولُ بين القولين: لا جبر ولا تفويض، وأنّ محمّداً عبدُه ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأشهد أنّ الجنّة حقّ، وأنّ النار حقّ، وأنّ البعث بعد الموت حقّ، وأشهد أنّ عليّاً حجّة اللّه على خلقه لا يسع الناس جهله، وأنّ حسناً بعده، وأنّ الحسين من بعده، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنت يا سيّدي من بعدهم.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «التُّرُّ تُرُّ حُمران» ثمّ قال: «يا حُمران مُدّ المَطْمَرَ بينك وبين العالم».

قلت: يا سيدي وما المطمر؟ فقال: «أنتم تسمّونه خيط البناء، فمن خالفك على هذا الأمر فهو زنديق» فقال حُمران: وإن كان علويّاً فاطميّاً؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: «وإن كان محمّديّاً علويّاً فاطميّاً»[1].

وفي الآخر: «فمن خالفكم وجازهُ فابرؤوا منه...»[2]. لا يُفتدى الدّين بما هو أدون منه؛ ومن ثم نطق الوحي بما هو ثابت في العقول، قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[3]. لعمر الحق إنّها الميزان يثقل لمستبدل الخير، ويخف سواه من الصور المتصوّرة وزِنْ نفسك يا هذا به وعاين من أنت؟

* * *

(١) معاني الأخبار: ٢١٢ ـ ٢١٣ الحديث ١، باب معنى قول الصادق عليه السلام: «التُّرُّ تُرُّ حُمران».

(٢) المصدر: ٢١٣، رقمه ٢.

(٣) البقرة: ٦١، إن بني إسرائيل استبدلوا طاعة موسى عليه السلام بالبقول.

٣
اتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة

استخرجت الكلمة عن جواب الإمام المهدي عليه السلام لكتاب أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي، وعن كتاب جعفر بن عليّ في درجه وإليك بعضه:

روى الشيخ الطوسي طاب ثراه، عن جماعة، عن التلّعكبري، عن أحمد بن عليّ، عن الأسدي، عن سعد، عن أحمد بن إسحاق رحمة اللّه عليه: أنّه جاءه بعض أصحابنا يُعلمه أنّ جعفر بن عليّ كتب إليه كتاباً يُعَرِّفه فيه نفسه، ويُعلمه أنّه القيّم بعد أخيه، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه، وغير ذلك من العلوم كلّها.

قال أحمد بن إسحاق: فلمّا قرأت الكتاب، كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام، وصيّرت كتاب جعفر في درجه فخرج الجواب إليّ في ذلك:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أتاني كتابك أبقاك اللّه، والكتاب الّذي أنفذته درجه، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه، وتكرّر الخطأ فيه، ولو تدبّرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه، والحمد لله حمداً لا شريك له ـ إلى أن قال عليه السلام: ـ ثمّ بعث إليهم النبيّين عليهم السلام مبشّرين ومنذرين، يأمرونهم بطاعته، وينهونهم عن معصيته، ويعرّفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة يأتين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة، والبراهين الباهرة، والآيات الغالبة...»[1].

يأتي عند «أمّا سبيل عمّي جعفر وولده...»[2] وعند «أَبَى اللّه عزّوجلّ للحقّ إلّا

---

(١) كتاب الغيبة: ١٧٤، البحار ٥٣ / ١٩٣.

(٢) رقمه ٨١.

إتماماً»[١] وعند «إذا أُذن لنا في القول ظهر الحقّ»[٢].

وقد جاء في زيارة الجامعة: «آتاكم اللّه ما لم يؤت أحداً من العالمين...»[٣]، ولولا أنّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله قد ختمت به النبوّة لكان أميرالمؤمنين والأحد عشر من وُلده المعصومين عليهم السلام أنبياء، ويدلّ على ذلك حديث «يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٤].

* * *

(١) رقمه ١١.

(٢) رقمه ٣٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٨١، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه ٥ / ٤٩٣، البحار ١٠٢ / ١٥٤.

(٤) إحقاق الحقّ ١٦ / ١٨ ـ ٢١، الغدير ١ / ٥١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ج ٣ / ١١٥ ـ ١١٦ و٩٩ ـ ٢٠٠، ج ٤ / ٦٣، ٦٥، ج ٥ / ٣٦٣... .

٤
آتي مكّة فأكون في المسجد الحرام

روى الشيخ الطوسي قدّس سرّه قصّة معنعنة عن جماعة وهي مطوّلة وفيها ما يربط الكلمة.

فقال ـ محمّد بن دارم اليمامي لأبي عبدالله محمّد بن زيد في حديث بينهما ـ: هذا حقّ، جاءني منذ سنيات ابن أُخت أبي بكر النخالي العطّار ـ ... ـ فقلت: من أنت؟ وأين كنت؟

فقال لي ـ يعني العطّار ـ أنا مسافر منذ سبع عشرة سنة.

فقلت له: فأيش أعجب ما رأيت؟!

فقال: نزلت في الإسكندريّة[1] في خان ينزله الغرباء، وكان في وسط الخان مسجد يصلّي فيه أهل الخان وله إمام، وكان شابّ يخرج من بيت له أو غرفة فيصلّي خلف الإمام ويرجع من وقته إلى بيته، ولا يلبث مع الجماعة.

قال: فقلت ـ لمّا طال ذلك عليّ ورأيت منظره شاب نظيف عليه عباء ـ: أنا والله أُحبّ خدمتك والتشرّف بين يديك.

فقال: شأنك. فلم أزل أخدمه حتّى أنس بي الأُنس التامّ، فقلت له ذات يوم: من

---

(١) يقال والقائل ياقوت الحموي: ثلاث عشرة إسكندريّة، وعدّ منها ما هو في بلاد الهند. وشاطئ النهر الأعظم. والتي بأرض بابل. وسمرقند. ومرو. ومجاري الأنهار بالهند وكوش وهي بلخ. والعظمى التي ببلاد مصر. وقرية بين حلب وحماة. وقرية بين مكّة والمدينة. ولم يعرف منها اليوم بهذا الاسم إلّا الاسكندرية العظمى التي بمصر. واختلف في الاسكندر الذي بناها باسمه هل هو الأوّل الرومي أو غيره أُنظر: معجم البلدان ١ / ١٨٢ ـ ١٨٩. ولا ندري ما في القصّة أيّاً منها.

أنت أعزّك اللّه؟ قال: أنا صاحب الحقّ. فقلت له: يا سيّدي متى تظهر؟ فقال: ليس هذا أوان ظهوري وقد بقي مدّة من الزمان.

فلم أزل على خدمته تلك وهو على حالته من صلاة الجماعة، وترك الخوض فيما لا يعنيه ـ إلى أن قال: ـ أحتاج إلى السفر.

فقلت له: أنا معك، ثمّ قلت له: يا سيّدي متى يظهر أمرك؟

قال: علامة ظهور أمري كثرة الهرج والمرج، والفتن، وآتي مكّة فأكون في المسجد الحرام، فيقول الناس: انصبوا لنا إماماً، ويكثر الكلام حتّى يقوم رجل من الناس فينظر في وجهي، ثمّ يقول: يا معشر الناس هذا المهديّ انظروا إليه، فيأخذون بيدي وينصبوني بين الركن والمقام، فيبايع الناس عند أياسهم عنّي.

قال: وسرنا إلى ساحل البحر فعزم على ركوب البحر، فقلت له: يا سيّدي أنا والله أفرق من ركوب البحر؛ فقال: ويحك تخاف وأنا معك؛ فقلت له: لا، ولكن أجبن؛ قال: فركب البحر وانصرفت عنه للشيخ رحمه الله في غيبته هنا قصّتان[1].

* * *

---

(١) الغيبة: ١٨٢ ـ ١٨٣، طبعة النعمان، الثانية، طبعة قم ص ٣٠١، رقم الحديث ٣٥٥، البحار ٥١/ ٣١٨، ح ٤١، القصّة الأُولىٰ في الغيبة ص ١٨١ ـ ١٨٢، انظر رقم المختار ٩٢.

أقول: للنظر فيه مجال لا مجال لبيانه، ولولا كمثل الشيخ الطوسي شيخ الطائفة راوي القصّة لكان الريب يسرع إليها، ونردّها إلى من جاء بها. ولكن يمكننا أن نقول: لعلّ في صورة الاقتداء سرّاً لا نعرف وجهه، واللّه العالم.

٥
آثار عصيانه لله عزّوجلّ مشهورة قائمة

من كلمات الإمام المهدي عليه السلام في جواب كتاب أحمد بن إسحاق القمّي الأشعري، قد رواه الشيخ الطوسي فنذكر بعضه وفيه ردّ على جعفر المدّعي للإمامة، قال عجّل الله فرجه:

«وقد ادّعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادّعاه، فلا أدري بأيّة حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه، أبفقهٍ في دين الله؟! فوالله ما يعرف حلالاً من حرام، ولا يفرّق بين خطأ وصواب.

أم بعلم؟! فما يعلم حقّاً من باطل، ولا محكماً من متشابه، ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها.

أم بورع؟! فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوماً؛ يزعم ذلك لطلب الشعوذة، ولعلّ خبره قد تأدّى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عزّوجلّ مشهورة قائمة.

أم بآية؟! فليأت بها.

أم بحجّة؟! فليقمها. أم بدلالة؟! فليذكرها...»[1].

وهل آثار عصيانه إلّا سواد الوجه في الدنيا وعذاب الله في الآخرة؟!

* * *

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٥ ـ ١٧٦، البحار ٥٣ / ١٩٥، باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام، الحديث ٢١.

٦
آجرك الله في صاحبك

صدر عن السفارة جواب كتاب لرجل من أهل مصر معه مال، وفيه التعزية بموت صاحبه، وإليك ما يلي:

علي بن محمّد، عن الحسن بن عيسى العُرَيضي أبي محمّد، قال: لمّا مضى أبو محمّد عليه السلام ورد رجل من أهل مصر بمال إلى مكّة للناحية، فاختلف عليه فقال بعض الناس: إنّ أبا محمّد مضى من غير خلف، والخلف جعفر، وقال بعضهم: مضى أبو محمّد عن خلف، فبعث رجلاً يكّنى بأبي طالب، فورد العسكر ومعه كتاب، فصار إلى جعفر، وسأله عن برهان، فقال: لا يتهيّأ في هذا الوقت، فصار إلى الباب وأنفذ الكتاب إلى أصحابنا.

فخرج إليه: «آجرك الله في صاحبك، فقد مات وأوصى بالمال الّذي كان معه إلى ثقة ليعمل فيه بما يحب» وأُجيب عن كتابه[1].

لعل الصاحب الميّت المُوصي بالمال هو الباعث للرجل المكنّى بأبي طالب إلى (سرّ من رأى) المعبّر عنه بالعسكر. والكلمة تقال في تعزية المصاب كما تأتي نظيرتها: «أحسن ـ الله ـ لك العزاء»[2].

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١ / ٥٢٣، إرشاد المفيد: ٣٥٥، البحار ٥١ / ٢٩٩.

(٢) رقمه ٢١.

٧
آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم

كلمة مستخرجة من التوقيع الخارج عن الناحية المقدّسة جواباً عن كتاب كتب على يد محمّد بن عليّ بن هلال الكرخي، ردّاً على طائفة الغلاة في الأئمّة الهداة بأنّهم شركاء الله في علمه وقدرته تعالى الله عمّا يصفون....

وقد تقدّم ذكر التوقيع بتمامه عند المختار: «آبائي من الأوّلين: آدم ونوح...»[(١)].

قال عليه السلام: «يا محمّد بن عليّ، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومَن دينه جناح البعوضة أرجح منه...»[(٢)].

يأتي الكلام عن «جناح البعوضة أرجح منه»[(٣)].

مَن هم الشيعة؟ ومن الجاهل والأحمق؟؟

الشيعة الإماميّة الإثنا عشريّة: الفرقة المؤمنة بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وآله وأنّ الأئمّة المعصومين الاثني عشر خلفاؤه أوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام الحجّة بن الحسن العسكري المهديّ الموعود عجّل الله فرجه، وبكلّ ما جاء به صلى الله عليه وآله من أحكام السماء. الشيعة الممدوحون الّذين ليسوا بحمقاء من هم؟ وما هي صفاتهم المرضيّة وفضائلهم؟ الجواب عن سؤالك هي أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يدلّك على أنّهم النمط الأوسط، وأنّهم المرضيّون عندهم وعند الله عزّ وجلّ وهي كثيرة نذكر منها ما يلي:

---

(١) رقمه ٢.

(٢) الاحتجاج ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، البحار ٢٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) رقمه ١٦٥.

١ ـ النبويّ: «إنّ اللّه تبارك وتعالى يبعث أناساً وجوههم من نور، على كرسيّ من نور، عليهم ثياب من نور، في ظلّ العرش، بمنزلة الأنبياء وليسوا بالأنبياء، وبمنزلة الشهداء وليسوا بالشهداء، فقال رجل: أنا منهم يا رسول اللّه؟ قال: لا، قال آخر: أنا منهم يا رسول اللّه؟ قال: لا، قيل: من هم يا رسول اللّه؟ قال: فوضع يده على رأس عليّ عليه السلام وقال: هذا وشيعته»[1].

٢ ـ الآخر: «شيعة عليّ هم الفائزون يوم القيامة»[2].

٣ ـ الآخر: «ألا أبشّرك يا أبا الحسن؟ فقال: بلى يا رسول اللّه، فقال: هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن اللّه جلّ جلاله أنّه قال: قد أعطي شيعتك ومحبّيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأُنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان والجواز على الصراط، ودخول الجنّة قبل سائر الناس من الأُمم بثمانين عاماً»[3].

٤ ـ الآخر: «إنّ الشيعة الخاصّة الخالصة، منّا أهل البيت، فقال عمر: يا رسول الله عرّفناهم حتّى نعرفهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما قلت لكم إلّا وأنا أُريد أن أُخبركم، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا الدليل على اللّه عزّ وجلّ وعليّ نصر الدين، ومناره أهل البيت وهم المصابيح الّذين يستضاء بهم.

فقال عمر: يا رسول اللّه فمن لم يكن قلبه موافقاً لهذا؟

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ما وضع القلب من ذلك الموضع إلّا ليوافق أو ليخالف، فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً، ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت كان هالكاً»[4].

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٢١٦، البحار ٦٨ / ٨ ـ ٩، والمجلسي بعد النقل قال: الرجلان السائلان هما الرجلان.

(٢) نفس الأمالي: ٧٩، والبحار ٦٨ / ٩.

(٣) الأمالي المسبق: ٣٠٠، المجلس ٥٤، البحار ٦٨ / ٩.

(٤) روضة الكافي: ٣٣٣، ويحتمل قريباً أنّه صلى الله عليه وآله صرّح بالجواب والراوي اقتصر على نقل باقي الحديث لأمرٍ ما، ولعلّ الكناية هي أقرب الاحتمالين.

هل الإخبار النبويّ عن سؤال عمر، هو الكلام التالي؟

نعم، إنّ الجواب واضح لمن يعقل، وانطوى قلبه على الحقّ، وأمّا المخالف فهو الهالك كما قالﷺ، وكما قال تعالى: ﴿*إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ*﴾ [1] وسَبَقَ.

٥ ـ «... ولقد قال أميرالمؤمنينعليه السلام لقنبر: يا قنبر ابشر وبشّر واستبشر، فواللّه لقد مات رسول اللّهﷺ وهو على أُمّته ساخط إلّا الشيعة:

ألا وإنّ لكلّ شيءٍ عزّاً وعزّ الإسلام الشيعة.

ألا وإنّ لكلّ شيءٍ دعامة ودعامة الإسلام الشيعة.

ألا وإنّ لكلّ شيءٍ ذروة وذروة الإسلام الشيعة.

ألا وإنّ لكلّ شيءٍ شرفاً وشرف الإسلام الشيعة.

ألا وإنّ لكلّ شيءٍ سيّداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة.

ألا وإنّ لكلّ شيءٍ إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة.

واللّه لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عُشباً أبداً...» [2].

٦ ـ والصادقي: «الحمد لله صارت فرقة مرجئة، وصارت فرقة حروريّة، وصارت فرقة قدريّة، وسُمّيتم الترابيّة وشيعة عليّ. أما واللّه ما هو إلّا اللّه وحده لا شريك له، ورسوله، وآل رسول اللّه، وشيعة آل رسول اللّه، وما الناس إلّا هم.

كان عليّ أفضل الناس بعد رسول اللّهﷺ، وأولى الناس بالناس ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ» [3].

٧ ـ رواية حنّان بن سدير الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبداللّه جعفر بن محمّدعليه السلام وعلى كتفه مطرف من خزّ، فقلت له: يا ابن رسول الله ما يثبت الله شيعتكم على محبّتكم أهل البيت؟ قال: أولم يؤمن قلبك؟! قلت: بلى إلّا أنّ قلبي فرحة.

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) روضة الكافي: ٢١٢ ـ ٢١٣، الرقم ٢٥٩، البحار ٦٨ / ٨٠.

(٣) روضة الكافي: ٨٠، الرقم ٣٦، ويعجبني الخبر المسلسل بالفاطميّات المذكور في البحار ٦٨ / ٧٦ الحديث ١٣٦ من باب فضائل الشيعة ١٥.

ثمّ قال لخادم له: ائتني ببيضة بيضاء فوضعها على النار حتّى نضجت ثمّ أهوى بالقشر إلى النار، وقال: أخبَرَني أبي عن جدّي أنّه إذا كان يوم القيامة هوى مبغضنا في النار هكذا، ثمّ أخرج صُفرتها فأخذها على كفّه اليمين ثمّ قال: واللّٰه إنّا لصفوة اللّٰه كما هذه الصُفرة صفوة هذه البيضة!

ثمّ دعا بخاتم فضّة فخالط الصفرة مع البياض والبياض مع الصفرة، ثمّ قال: أخبَرني أبي عن آبائي عن جدّي عن رسول اللّٰه أنّه قال: إذا كان يوم القيامة، كان شيعتنا هكذا بنامختلطين، وشبّك بين أصابعه ثمّ قال: ﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [١].

٨ ـ والعلويّ، قال لنوف الشامي: «هل تدري مَن شيعتي؟» قال: لا واللّٰه، قال: «شيعتي الذُبل الشفاه، الخُمص البُطون، الّذين تعرف الرهبانيّة في وجوههم، رهبان بالليل أُسد بالنهار...» [٢].

٩ ـ والباقريّ: «إنّهم حصون حصينة، وصدور أمينة، وأحلام رزينة، ليسو بالمذاييع البُذر [٣] ولا بالجفاة المرائين، رهبان بالليل، أُسد بالنهار» [٤].

١٠ ـ والصادقي: «فإنّما شيعة عليّ مَن عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك فأُولئك شيعة جعفر» [٥].

١١ ـ والآخر: «امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وإلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدوّنا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها». [٦]

---

(١) البحار ٦٨ / ٥٦، الآية من سورة الحجر: ٤٧.

(٢) البحار ٦٨ / ١٩١ عن كنز الكراجكي.

(٣) المذاييع جمع المذياع: الذي لا يكتم الأسرار. والبُذر جمع البَذِر: الذي يفشي الأسرار ويفرقها أو جمع البذور يبذر الكلام كما تبذر الحبوب.

(٤) البحار ٦٨ / ١٨٠.

(٥) أُصول الكافي ٢ / ٢٣٣، وصدره: «إيّاك والسفلة...» ولعلّهم المراد من جهلاء الشيعة وحمقائهم.

(٦) الوسائل ٣ / ٨٣، الباب ١ من أبواب المواقيت، الحديث ٢٢، البحار ٦٨ / ١٤٩.

١٢ ـ والآخر: «معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حُسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول»[١].

من هذه الأحاديث تعرف أحوال الشيعة غير المرضيّة من جهلائها وحمقائها وإليك من كلٍ شيئاً يدلّك على حقيقة الأمر.

جهلاء الشيعة من هم؟ قيل لموسى بن جعفر عليه السلام: مررنا برجل في السوق وهو ينادي: أنا من شيعة محمّد وآل محمّد الخلّص، وهو ينادي على ثياب يبيعها: من يزيد؟

فقال موسى عليه السلام: «ما جهل ولا ضاع امرؤٌ عرف قدر نفسه، أتدرون ما مثل هذا؟ هذا شخص قال: أنا مثل سلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار وهو مع ذلك يباخس [يناجش] في بيعه ويُدلّس عيوب المبيع على مشتريه، ويشتري الشيء بثمن فيزايد الغريب يطلبه فيوجب له، ثمّ إذا غاب المشتري قال: لا أُريده إلّا بكذا، بدون ما كان طلبه منه، أيكون هذا كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار؟!

حاش لله أن يكون هذاكهم، ولكن ما يمنعه من أن يقول: إنّي من محبّي محمّد وآل محمّد ومَن يُوالي أولياءهم، ويُعادي أعداءهم؟!»[٢].

مع قطع النظر عن سند الحديث لو كان إنسان كهذا الإنسان أليس يعدّه الناس من الجهلاء والحمقى؟ وإليك من حديث الحمقى:

قيل لعيسى عليه السلام: يا روح اللّه وما الأحمق؟ قال: «المعجب برأيه ونفسه الّذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويُوجب الحقّ كلّه لنفسه ولا يُوجب عليها حقّاً. فذلك الأحمق الّذي لا حيلة في مداواته»[٣].

ولا يخفى عليك بعض الحديث الصادقي أوّله: «إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتُهم بإذن اللّه، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن اللّه، وعالجت

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢ / ٥٥، البحار ٦٨ / ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) البحار ٦٨ / ١٥٧ نقلاً من تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(٣) البحار ١٤ / ٣٢٤.

الموتى فأحييتُهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه...»[١].

سمع أميرالمؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً وقد رام قنبر أن يردّ عليه، فناداه أميرالمؤمنين عليه السلام: «مهلاً يا قنبر: دع شاتمك مهاناً تُرضي الرحمن، وتُسخط الشيطان، وتُعاقب عدوّك، فوالّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه»[٢]. والباقري: قال: «أردت سفراً فأوصى أبي عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال في وصيّته: إيّاك يا بني أن تُصاحب الأحمق أو تُخالطه؛ واهجره ولا تُجادله؛ فإنّ الأحمق هُجْنةُ[٣] عينٍ، غائباً كان أو حاضراً، إنْ تكلّم فضحه حمقه، وإنْ سكت قصر به عيّه، وإن عمل أفسَدَ، وإن استرعى أضاع، لا علمه من نفسه يُغنيه، ولا علم غيره ينفعه، ولا يُطيع ناصحه، ولا يستريح مقارنه، تودّ أُمّه ثكلته، وامرأته أنّها فقدته، وجاره بَعُد داره، وجليسه الوحدة من مجالسته، وإنْ كان أصغر مَنْ في المجلس أعيى مَنْ فوقه، وإن كان أكبرهم أفسد مَن دونه»[٤]، إنّ الشيعة المرضيّين عند أهل البيت عليهم السلام هم المتّقون المطيعون لله ورسوله اللازمون لهم غير المنفكّين؛ ويشهد لذلك قول الإمام الرضا عليه السلام في حديث إبراهيم بن أبي محمود: «مَن لَزِمَنا لَزِمناه، ومَن فارقنا فارقناه...»[٥]. نعم، ربّما كان الرجل محبّاً لهم، ولا يملك من صفات الشيعة شيئاً وما أكثر ذلك في الناس:

ففي العسكري: «... قال الباقر عليه السلام لرجل فخر على آخر وقال: أتُفاخرني وأنا من شيعة آل محمّد الطيّبين؟! فقال الباقر عليه السلام: ما فخرت عليه وربّ الكعبة، وغبنّ

---

(١) نفسه ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) نفسه ٧١ / ٤٢٤، يماثل الفقرة الأخيرة المثل الفارسي: (جواب أبلهان خاموشيست) أمثال وحكم: ٢ / ٥٨٨.

(٣) الهُجنة: القبح والعيب، وكلّ ما يستهجن ذكره.

(٤) أمالي الطوسي ٢ / ٢٢٦، البحار ٧٤ / ١٩٨، كتاب العشرة نقلاً منه.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧، باب ٢٨، الحديث ٦٣، من الأمثال والحكم الرضويّة ٢ / ٦١٨، رقم الكلمة ١٥٩.

منك على الكذب يا عبدالله. أَمالُكَ معك تنفقه على نفسك أحبّ إليك أم تنفقه على إخوانك المؤمنين؟ قال: بل أُنفقه على نفسي، قال: فلستَ من شيعتنا؛ فإنّنا نحن ما نُنفق على المنتحلين من إخواننا أحبّ إلينا، ولكن قل: أنا من محبّيكم ومن الراجين النجاة بمحبّتكم...»[١] يريد عليه السلام أنّ الشيعي هو الّذي يتبعنا في الإحسان إلى المؤمنين وفي كلّ شيء ممّا نحن فيه وإلّا فليس فيه من معنى الشيعة شيء؛ لأنّها من المشايعة وهي المتابعة[٢] وشايع سيّده ومولاه ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي من شيعة محمّد صلى الله عليه وآله أورده الشيخ الطبرسي وعليّ عليه السلام نفسه النفيسة فاسم الشيعة على المحبّ حقيقة دون الأولى، نعم تسميتهم بالرافضة أثبتها الصادق عليه السلام ؛ لرفضهم الباطل، لما رواه الكليني ما هذا حاصله: إنّ هذه التسمية كانت لسبعين رجلاً رفضوا فرعون وقومه لمّا استبان لهم ضلالهم، ولحقوا بموسى عليه السلام لما استبان هداه، وأنّها اختاره الله لهم ولمحبّي آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وسمّاهم بها، لأنّهم رفضوا الباطل، لا والله لم يسمّوهم بها الأعداء، بل كما دريت التسمية منه عزّوجلّ وثابتة في التوراة[٣].

* * *

---

(١) البحار ٦٨ / ١٥٦، الحديث ١١، باب صفات الشيعة ١٩.

(٢) فلا يقال: إنّ المعصوم لا يقاس به غيره، فكيف يعلّل بإنفاقه فتدبر.

(٣) الصافات: ٨٣، تفسير مجمع البيان، ٨ / ٤٤٩، روضة الكافي ٣٤، الرقم ٦ الصادقي.

٨
آمرك أن تصنّف الآن كتاباً في الغَيْبة

قد أَمر الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشيخ الصدوق رحمه الله في رؤياه التي فاز بها بيُمن لقائه عليه السلام ؛ لأمره بتصنيف كتاب[١] في الغيبة لا تبقى معه شبهة في وجوده روحي فداه وطول حياته. وأنا أحتمل قويّاً أنّ فوز الزيارة كان في اليقظة، وذكر النوم لدفع غائلة دعوى الرؤية اللازمة التكذيب في الغَيْبة الكبرى. وكيف كان الأمر فنحن نذكر ما ذكره قدس سره في أوّل كتابه الذي بين يديك، قال رحمه الله :

(إنّ الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا: أنّي لمّا قضيت وَطرَي من زيارة عليّ ابن موسى الرضا صلوات اللّه عليه رجعت إلى نيسابور، وأقمت بها، فوجدتُ أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيّرتهم الغَيْبة، ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشبهة، وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقاييس، فجعلت أبذل مجهودي في إرشادهم إلى الحقّ وردّهم إلى الصواب بالأخبار الواردة في ذلك عن النبيّ والأئمّة صلوات اللّه عليهم، حتى ورد إلينا من بخارا شيخ من أهل الفضل والعلم والنباهة ببلد[ة] قم، طالما تمنّيت لقاءه، واشتقت إلى مشاهدته، لدينه وسديد رأيه واستقامة طريقته، وهو الشيخ نجم الدين أبو سعيد محمّد بن الحسن بن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصلت ـ أدام الله توفيقه ـ.

وكان أبي يروي عن جدّه محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصلت ـ قدّس اللّه روحه ـ ويصف علمه وعمله وزهده وفضله وعبادته.

---

(١) سمّي بإكمال الدين وإتمام النعمة، وهو من أهم المصادر المعتبرة عند أصحابنا الشيعة الإماميّة رضوان اللّه تعالى عليهم.

وكان أحمد بن محمّد بن عيسى في فضله وجلالته يروي عن أبي طالب عبدالله بن الصلت القمّي ـ رضي الله عنه – وبقي حتى لقيه محمّد بن الحسن الصفّار وروى عنه.

فلمّا أظفرني الله تعالى ذكره بهذا الشيخ الذي هو من أهل هذا البيت الرفيع، شكرت الله تعالى ذكره على ما يسرّ لي من لقائه، وأكرمني به من إخائه، وحباني به من ودّه وصفائه.

فبينا هو يحدّثني ذات يوم إذ ذكر لي عن رجل قد لقيه ببخارا من كبار الفلاسفة والمنطقيّين كلاماً في القائم عليه السلام قد حيّره وشكّكه في أمره لطول غَيْبته وانقطاع أخباره، فذكرت له فصولاً في إثبات كونه عليه السلام، ورويت له أخباراً في غيبته عن النبي والأئمّة عليهم السلام، سكنت إليها نفسه، وزال بها عن قلبه ما كان عليه من الشكّ والارتياب والشبهة، وتلقّى ما سمعه من الآثار الصحيحة بالسمع والطاعة والقبول والتسليم، وسألني أن أُصنّف [له] في هذا المعنى كتاباً فأجبته إلى ملتمسه، ووعدته جمع ما أبتغي إذا سهّل الله لي العود إلى مستقرّي ووطني بالريّ.

(فبينا أنا ذات ليلة أُفكّر فيما خلّفت ورائي من أهل وولد وإخوان ونعمة، إذ غلبني النوم فرأيت كأنّي أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشوط السابع عند الحجر الأسود أستلمه وأُقبّله، وأقول: «أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة». فأرى مولانا القائم صاحب الزمان ـ صلوات الله عليه ـ واقفاً بباب الكعبة، فأدنو منه على شغل قلب وتقسّم فكر، فعلم عليه السلام ما في نفسي بتفرّسه في وجهي، فسلّمت عليه فرّد عليّ السلام.

ثمّ قال لي: «لم لا تصنّف كتاباً في الغَيْبة حتى تُكفى ما قد همّك؟» فقلت له: يا ابن رسول الله قد صنّفت في الغَيْبة أشياء.

فقال عليه السلام: «ليس على ذلك السبيل، آمرك أن تصنّف [ولكنّ صنّف] الآن كتاباً في الغَيْبة، واذكر فيه غَيْبات الأنبياء عليهم السلام».

ثمّ مضى صلوات الله عليه، فانتبهت فزعاً إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلمّا أصبحت ابتدأت في تأليف هذا الكتاب ممتثلاً لأمر وليّ

اللّه وحجّته، مستعين باللّه ومتوكّلاً عليه ومستغفراً من التقصير. وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت وإليه أُنيب)[١].

ترجمة الشيخ الصدوق طاب ثراه:

وهو أبوجعفر محمّد بن عليبن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، ولو لم يكن له من خصائص مرضيّة إلّا أنّه المولود بيُمن دعاء الإمام المهدي عجّل الله فرجه لكان كثيراً، وإليك ما ذكره الشيخ الطوسي طاب ثراه، قال:

وأخبرنا عن جماعة، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه، وأبي عبداللّه الحسين بن علي ـ أخيه ـ، قالا: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن علي الأسود رحمه الله، قال: سألني عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه ـ رضي الله عنه ـ بعد موت محمّد بن عثمان العَمري قدس سره[٢] أن أسأل أبا القاسم الروحي قدس سره[٣] أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو اللّه أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته، فأُنهي ذلك، ثمّ أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيّام، أنّه قد دعا لعليّ بن الحسين رحمه الله[٤]، فإنّه سيولد له ولد مبارك ينفع اللّه به، وبعده أولاد ـ إلى أن قال: ـ فولد لعليّ بن الحسين رضي الله عنه تلك السنة محمّد بن عليّ وبعده أولاد.[٥]

قال السيّد الأُستاذ الخوئي في ترجمة والده عليّ بن الحسين نقلاً عن النجاشي: (... كان قَدِمَ العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله، وسأله مسائل، ثمّ كاتبه بعد ذلك على يد عليّ بن جعفر بن الأسود أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عجّل الله فرجه يسأله فيها الولد، فكتب إليه: «قد دعونا اللّه لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيّرين»، فَوَلد له أبو جعفر وأبو عبداللّه من أُمّ ولد. وكان أبو عبداللّه

(١) إكمال الدين ١ / ٢ ـ ٤، سبب التأليف، اقتباسٌ من سورة هود: ٨٨.

(٢) توفّي سنة ٣٠٤، أو ٣٠٥ كما في غيبة الشيخ الطوسي: ٢٢٣.

(٣) الحسين بن روح النائب الثالث المتوفّى سنة ٣٢٦.

(٤) عليّ هذا والد الشيخ الصدوق، المتوفّى سنة ٣٢٩، عام تناثر النجوم.

(٥) كتاب الغيبة: ١٩٤ ـ ١٩٥، باب ما ظهر من جهته من التوقيعات، ومعجم رجال الحديث ١٦ / ٣٢١.

الحسين بن عبيد يقول: سمعت أبا جعفر[١] يقول: أنا وُلدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام ويفتخر بذلك...)[٢].

وقال في ترجمة الشيخ الصدوق نقلاً عن المشائخ: «إنّ عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه كانت تحته بنت عمّه محمّد بن موسى بن بابويه، فلم يرزق منها ولداً، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين روح رضي الله عنه أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولاداً فقهاء، فجاء الجواب:

«إنّك لا تُرزق عن هذه، وستملك جارية ديلميّة وتُرزق منها وَلَدين فَقيهَين» ـ إلى أن قال: ـ قال ابن سورة: كلّما روى أبو جعفر وأبو عبدالله ابنا علي بن الحسين شيئاً يتعجّب الناس من حفظهما، ويقولون لهما: هذا الشأن خصوصية لهما ـ كذا في الأصل ـ والمناسب لكما ـ بدعوة الإمام لكما، وهذا أمر مستفيض في أهل قم» (الغيبة، الباب المتقدّم، الحديث ٢٢). ـ ثمّ قال الأُستاذ الخوئي: ـ

أقول: يظهر من الرواية الأخيرة أنّ قصّة ولادة محمّد بن علي بن الحسين بدعاء الإمام عليه السلام أمر مستفيض معروف متسالم عليه، ويكفي هذا في جلالة شأنه، وعظم مقامه، كيف لا يكون كذلك وقد أخبر الإمام عليه السلام أنّ والده يرزق وَلَدين ذَكَرين خَيّرَين على ما تقدّم من النجاشي في ترجمة أبيه علي بن الحسين[٣]، وأنّه يرزق ولداً مباركاً ينفع الله به، كما في رواية الشيخ الأُولى، وأنّه يرزق ولدين فقيهين، كما في رواية الشيخ الثانية، وإنّي لواثق بأنّ اشتهار محمّد بن علي بن الحسين بالصدوق إنّما نشأ من اختصاصه بهذه الفضيلة الّتي امتاز بها عن سائر أقرانه وأمثاله، ولا ينبغي الشكّ في أنّ ما ذكره النجاشي والشيخ من الثناء عليه والاعتناء بشأنه مغنٍ عن التوثيق صريحاً؛ فإنّ ما ذكراه أرقى وأرفع من القول بأنّه ثقة[٤].

* * *

(١) أي الشيخ الصدوق.

(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ٣٦٨، المختار رقمه ٢٠١، باب السين.

(٣) تقدّم من معجم رجال الحديث ١١ / ٣٦٨.

(٤) معجم رجال الحديث ١٦ / ٣٢١ ـ ٣٢٢. وقد توفّي سنة ٣٨١ هـ.

٩
آوي إلى ركن شديد

من كلمات دعاء العبرات الذي نجا السيّد رضي الدين محمّد بن محمّد الآوي من يد طاغوت زمانه: جرماغون، ومن طامورته، ببركة تعليم الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، وتأتي قصّته بتفصيل عند المختار «انظره تجده»[١]. فلا نطيل هنا ولا نذكر من الدعاء إلّا بقدر ما يربط المختار، قال:

«ويسجد ويقول:... إلٰهي لا ركن أشدّ منك فآوي إلى ركن شديد، وقد أويتُ إليك وعوّلت في قضاء حوائجي عليك، ولا قول أسدّ من دعائك، فأستظهرُ بقول سديد، وقد دعوتُك كما أمرتَ، فاستجب لي بفضلك كما وعدتَ، فهل بقي يا ربّ إلّا أن تُجيبَ، وتَرْحَمَ منّي البكاء والنحيبَ، يا مَنْ لا إلٰه سِواه ويا مَن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دعاهُ، ربّ انصرني على القوم الظالمين، وافتح لي وأنت خيرُ الفاتحين، والطُف بي يا ربّ وبجميع المؤمنين والمؤمنات برحمتك يا أرحم الراحمين»[٢].

هذا آخر دعاء العبرات ولقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه دعاء من التمثيل والاستعارات العجيبة المستدعية إلى وضع رسالة تضمن لشرحها، وما أودع فيها من إشارات إلى المعاني السامية.

شرح المختار:

«آوي إلى ركن شديد» لعلّه مقتبس من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ

---

(١) رقمه ١٠٠، قال الكفعمي أنه مروي عنه عليه السلام، البلد الأمين ٣٣٣.

(٢) جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى، المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٢١ ـ ٢٢٥، الحكاية الرابعة.

﴿آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[١] من قصّة نبيّ اللّه لوط على نبيّنا وآله وعليه السلام حين عصاه قومه وتمرّدوا عليه حتى على أضيافه جبرئيل عليه السلام ومن معه. قال الفيض في تفسيره للآية: لو قَويتُ على دفعكم... أو أويت إلى قويّ أتمنّع به عنكم لدفعتكم عن أضيافي. شَبّهَ القويّ العزيز بالركن من الجبل في شدّته ومنعته. في الجوامع: قال جبرئيل: إنّ ركنك لشديد افتح الباب ودعنا وإيّاهم. وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: «لو يعلم أيّ قوّة له...».

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام: «رحم اللّه لوطاً لو يدري من معه في الحُجرة لعلم أنّه منصور حيث قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة؟»[٢].

ومعنى كلمة الدعاء: يا ربّ لا ركن لي أشدّ من ركنك آوي إليه، فما هلك مَن آوى إليك وتوكّل عليك واعتمد في قضاء حوائجه عليك، فأنا واثق ومطمئنّ بالأمان، وكيف يهلك مَن كان كذلك.

* * *

---

(١) هود: ٨٠.

(٢) تفسير الصافي ١ / ٨٠٤. في الصادقي قال: القوة: القائم عليه السلام والركن الشديد: ثلاثمائة وثلاثة عشر، تفسير القمي ١ / ٣٣٦.

١٠
آية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظّم

من كتابه عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله يأتي بعضه عند «أيّدك اللّه بنصره»[١] هو الكتاب الثاني له الصادر عن الناحية المقدّسة سنة اثني عشر وأربعمائة وتجده بأسره عند «إنّه من اتقى ربّه...».

«وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظّم من رجس منافق مذمّم، مستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان...»[٢].

لعلّ المراد باللوثة[٣] الغَيْبة، وبالحركة منها: الظهور، والحرم: المسجد الحرام، أو مطلق الحرم، أو الحادثة التي هي من علامات الظهور ولعلّها هي قتل النفس الزكيّة، وفي الصادقي: «ليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل الزكيّة إلّا خمسة عشرة ليلة»[٤]. ولعلّ ذلك تفسيره المحتّم ففي الباقري: «وقتل غلام من آل محمّد بين الركن والمقام اسمه محمّد بن الحسن: النفس الزكيّة... فعند ذلك خروج قائمنا»[٥].

* * *

---

(١) رقمه ١٣١.
(٢) رقمه ١١٨، الاحتجاج ٢ / ٣٢٤، البحار ٥٣ / ١٧٧.
(٣) الشرّ والدنس، وبضمّ اللام: الاسترخاء والبطء... مجمع البحرين في (لوث).
(٤) إكمال الدين ٢ / ٦٤٩، لعلّ «خمس عشرة ليلة» أصحّ.
(٥) البحار ٥٢ / ١٩٢.

١١
أبىٰ اللّٰه عزّ وجلّ للحقّ إلّا إتماماً

الجواب المُسبق عن كتاب أحمد بن إسحاق الأشعري وإليك من موقع القطع، قال عليه السلام: «... والحمد لله ربّ العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا، أبى اللّٰه عزّ وجلّ للحقّ إلّا إتماماً، وللباطل إلّا زهوقاً، وهو شاهد عليّ بما أذكره، ولي عليكم بما أقوله، إذا اجتمعنا ليوم لا ريب فيه، ويسألنا عمّا نحن فيه مختلفون؛ إنّه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه، ولا عليك، ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة، ولا ذمّة، وسأُبيّن لكم جملة تكتفون بها إن شاء اللّٰه تعالى...»[1].

وعند المختار السابق قلنا: إنّ جعفر بن عليّ عمّ الإمام المهدي عليه السلام قد كتب إلى بعض أصحاب أحمد بن إسحاق: أنّي أنا القيّم بعد الحسن العسكري عليه السلام وعندي علم الحلال والحرام، وسائر العلوم....

وسبق التصريح في التوقيع نفسه أنّه قد ترك الصلاة المكتوبة لغاية الشعبذة، وأنّه شارب الخمر جاء ذكر ذلك كلّه عند كلمة «آثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة»[2].

والكلام نصٌّ بأنّ جعفر ليس بقيّم على أحد من الخلق، ولا بإمام، ويأبى اللّٰه عزّ وجلّ إلّا أنْ يتمّ نوره، ويبطل الباطل، كأمثال جعفر المدّعي للإمامة باطلاً وزوراً.

---

(١) «آتاهم من الدلائل الظاهرة...» رقمه ٣، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ١٧٤، البحار ٥٣/١٩٣.

(٢) رقمه ٥.

وفي نبويّ: «فسمّوه الصادق؛ فإنّ للخامس من ولده ولداً اسمه جعفر يدّعي الأمامة إجتراءً على الله وكذباً عليه فهو عند الله جعفر الكذّاب المفتري...» إكمال الدين ١/٣١٩ ـ ٣٢٠.

وقد أراد إطفاء نور اللّه جلّ جلاله المتحقّق في الإمام المهدي عليه السلام، وأبى إلّا إتمامه ولو كره جعفر وتابعوه، وليس هذا بأوّل من ادّعى باطلاً، وقد سبقه المنازعون لكلّ واحدٍ واحدٍ من الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، والأعداء المقارعون لهم، ولا يزالون. في كلّ دَورٍ وكَوْرٍ وستجد في غضون هذا الكتاب التصريح بإبطال دعوى السفارة من جماعة بأسمائهم كالهلالي والبلالي والشريعي والنميري والدهقان وحتى الحلّاج وغيرهم وإنما يفتضح الكاذب المفتري على اللّه وحججه الصفوة، واللّه متمّ نوره ولو كره هؤلاء الضُلّال الجُهّال الغُواة وإنّ جعفراً المُدّعى للإمامة أبطلها الإمام عليه السلام بكل صراحةٍ لا يبقى لأحدٍ معها شك أبداً وتمت الحجّة لمن وعاها وعمل بها ورعاها.

* * *

١٢
أبدله اللّٰه بالإيمان كفراً حين فَعَلَ ما فَعَلَ

روى الأُستاذ الخوئي في كتابه الرجالي عن الكشّي التوقيع الخارج في لعن أحمد بن هلال البغدادي الآتي ذكره عند كلمة «بتر اللّٰه عمره»[1]، وما رواه من أبي‌حامد قال: «احذروا الصوفي المتصنع...» فثبت قوم على إنكاره ما خرج فيه ـ الهلالي ـ فعاودوه فيه، فخرج: «لا أشكر اللّٰه قدره، لم يدعُ المرءُ ربّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما منّ به عليه مستقرّاً ولا يجعله مستودعاً، وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان ـ عليه لعنة اللّٰه ـ وخدمته وطول صحبته، فأبدله اللّٰه بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله اللّٰه بالنقمة، ولم يمهله والحمد لله لا شريك له، وصلّى اللّٰه على محمّد وآله وسلّم»[2].

الدهقان: قال رحمه الله بعد العنوان: عروة بن يحيى: «عدّه البرقي من أصحاب الهادي عليه السلام، وعدّه الشيخ في رجاله أيضاً من أصحاب الهادي عليه السلام قائلاً: عروة النخّاس الدهقان ملعونٌ غالٍ وقال الكشّي... عروة بن يحيى الدهقان. حدّثني محمّد ابن قولويه الجمّال عن محمّد بن موسى الهمداني أنّ عروة بن يحيى البغدادي المعروف بالدهقان لعنه اللّٰه كان يكذب على أبي الحسن علي بن محمّد بن الرضا عليه السلام، وعلى أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام بعده، وكان يقتطع أمواله لنفسه دونه، ويكذب عليه حتى لعنه أبو محمّد عليه السلام، وأمر شيعته بلعنه والدعاء عليه لقطع الأموال لعنه اللّٰه.

قال علي بن سليمان بن رشيد العطّار البغدادي: كان يلعنه أبو محمّد عليه السلام، وذكر

---

(١) رقمه ١٣٦.

(٢) معجم رجال الحديث ٢ / ٣٥٦.

أنّه كانت لأبي محمّد عليه السلام خزانة، وكان يليها أبو علي بن راشد رضي الله عنه فسلّمت إلى عروة فأخذ منها لنفسه، ثمّ أحرق باقي ما فيها يغيظ بذلك أبا محمّد عليه السلام. فلعنه وبرأ منه ودعا عليه، فما أمهله يومه ذلك وليلته حتى قبضه اللّٰه إلى النار. فقال عليه السلام: «جلستُ لربّي في ليلتي هذه كذا وكذا جلسة، فما انفجر عمود الصبح ولا انطفأ ذلك النار، حتى قتل اللّٰه عروة، لعنه اللّٰه».

وتقدّم عنه في ترجمة أحمد بن هلال العبرتائي: ما ورد في التوقيع من لعنه، وذكر خروجه عن الإيمان، وأنّ اللّٰه عاجله بالنقمة ولم يمهله[1].

قوله «تقدّم في ترجمة أحمد بن هلال» يريد في كتابه.

ويريد دام ظلّه بما ورد في التوقيع، ما صدّرنا به المختار، ولا ينافي أنّ عروة الدهقان هلك بدعاء العسكري، كون التوقيع للمهدي عليهما السلام، ويشهد له كلمة «قد علمتم ما كان من أمر الدهقان» حكايته عمّا مضى؛ هي الدنيا الّتي غرّت الكثر الكاثرة.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ١١ / ١٣٩ ـ ١٤٠.

ولا يخفى أنّ سبب خروجه من الإيمان خيانته في أموال العسكري عليه السلام، وعناده معه لعنه الله.

١٣
ابسط سيف نقمتك على أعدائك المعاندين

المختار هو من قنوت مولانا الحجّة محمّد بن الحسن عليهما السلام، على حدّ تعبير السيّد ابن طاووس طاب ثراه، وهذانصّ الدعاء بعد عنوان (قنوت...):

«اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وأكرم أوليـاءَك بـإنجاز وعـدك، وبـلّغهم دَرَك ما يؤمّلونه من نصرك، واكفف عنهم بأس مَن نَصَبَ الخـلاف عـليك وتـمرّد بمنعك على ركوب مخالفتك، واستعان برفدك على فَلّ حدّك وقَصَدَ لكيدك بأيدك، وَوَسَعْتَهُ حلماً لتأخذه على جهرة، وتستأصله على عزّة؛ فإنّك اللّهمّ قلت وقـولك الحقّ: ﴿*حتّى إذا أخَذَتَ الأرْضُ زُخرفها وازّينتْ وظنّ أهلُها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمسِ كذلك نُفصّلُ الآيـات لقـومٍ يتفكّرُون*﴾[1].

وقلت: ﴿*فَلَمّا ءاسَفُونا انتقمْنا منهم*﴾[2]. وإنّ الغاية عندنا قد تناهت، وإنّا لغضبك غاضبون[3] وإنّا على نصر الحقّ متعاصبون، وإلى ورود أمرك مشتاقون، ولإنـجاز وعدك مرتقبون، ولحلول وعيدك بأعـدائك مـتوقّعون. اللّـهمّ فأذن بـذلك، وافـتح طُرُقاته، وسهّل خروجه، ووطّئ مسالكه، واشرع شرائعه، وأيّد جـنودَه وأعـوانـه، وبادر بأسك القومَ الظالمين، وابسُط سيف نقمتك على أعـدائك المـعاندين، وخُـذ بالثار...»[4].

---

(١) يونس: ٢٤. (٢) الزخرف: ٥٥.

(٣) أي متابعة لغضبك. نحن غاضبون أيضاً.

(٤) مهج ا لدعوات: ٦٧ ـ ٦٨، قنوت الإمام الغائب عجّل الله فرجه. قوله: «متعاصبون» من العصبة والعاصبة التي تجمعها علقة القرابة أو تعاهد الوحدة على أمر من الأُمور.

لهذا القنوت بيان يخرج بنا عمّا نحن بصدده من ذكر المختار؛ إذ لكلّ كلمة شرح مبسّط يستدعي مجالاً أوسع.

قوله عليه السلام: «ابسط سيف نقمتك على أعدائك المعاندين»: المراد به نفسه المقدّسة؛ لأنّه عجّل الله فرجه هو سيف الله المغمود إلى سنتنا هذه وهي الثمان والأربعمائة بعد الألف الهجريّة النبويّة على مهاجرها آلاف الثناء والتحيّة. وسيأذن الله عزّ وجلّ بسلّه وبسطه على أعدائه قريباً إن شاء الله تعالى، وهو القائم الخارج بالسيف وكذا أصحابه، كما جاء في الباقري: «في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء عليهم السلام: سنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمّد صلى الله عليه وآله.

فأمّا من موسى: فخائف يترقّب، وأمّا من يوسف فالحبس، وأمّا من عيسى فيقال: إنّه مات ولم يمت، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالسيف»[١].

والآخر: «يا محمّد بن مسلم إنّ في القائم من آل محمّد... شبهاً من خمسة من الرسل يونس بن متّى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم.

فأمّا شبهه من يونس بن متّى: فرجوعه من غَيْبته وهو شابّ بعد كبر السنّ، وأمّا شبهه من يوسف بن يعقوب: فالغيبة من خاصّته وعامّته، واختفاؤه من إخوانه، وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليهما السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته.... وأمّا شبهه من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسول الله صلى الله عليه وآله والجبّارين والطواغيت، وإنّه يُنصر بالسيف والرُعب وأنّه لا تردّ له راية»[٢].

وقد جاء في أصحابه عليه السلام: «ولو مرّوا بجبال الحديد لقلعوها ولا يكفّون سيوفهم حتى يرضى الله عزّ وجلّ»[٣] ولابد من ذلك اليوم الذي يُوعدون، «لو لم يبق

---

(١) إكمال الدين ١ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧، الحديث ٦، الباب ٣٢.

(٢) الإكمال، ص ٣٢٧.

(٣) ص ٦٧١ ـ ٦٧٣، «... عليهم السيوف مكتوب على كلّ سيف كلمة تفتح ألف كلمة، الصادقي ١٩ من نوادر الكتاب».

من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّله اللّٰه حتّى يُظهر وليّه» في حديث الوصيّة «... وأوصى الحسن بن علي ابنه حجة اللّٰه القائم بالحق الذي لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّٰه ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً...»، والرضوي: «... لو لم يبق في الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّٰه ذلك اليوم حتّى يخرج...» جواباً لدعبل الخزاعي وشعره من قصيدته التائية :

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم اللّٰه والبركات[1].

* * *

(١) الفقيه ٤ / ١٧٧، الرقم ٥٤٠٢، الإكمال ٢ / ٣٧٣، و ج ٢، المختار رقمه ١٩٧.

١٤
أبفقهٍ في دين اللّه؟ فواللّه ما يعرف حلالاً من حرام

من الكلمات المنتزعة عن كتاب الإمام المهدي عليه السلام جواباً لكتاب أحمد بن إسحاق وعمّا في درجه؛ ردّاً لما ادّعاه جعفر بن عليّ عمّه عجّل الله فرجه من القيمومة بعد الإمام العسكري عليه السلام وإليك منه ما يربط المختار:

«فلا أدري بأيّة حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه، أبفقهٍ في دين اللّه! فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرّق بين خطأٍ ولا صواب، أم بعلم فما يعلم حقّاً من باطل...»[١].

دلّل عليه السلام على شروط الإمامة في هذا الكتاب منها: العلم بالحلال والحرام والفقه فلا قيمومة مع فقد الفقه وهو في اللغة الفهم وفي عرف الفقهاء العلم بأحكام الإسلام من الكتاب وأحاديث أهل البيت عليهم السلام بل هو واجب كلّ مسلم، وفي آية النفر التشدّد على لزوم التفقّه في الدين: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢]. وأمّا الحديث فحدّث عن مَعن ولا حرج[٣]، هذا وأمّا المعصوم عليه السلام فبنصّ من الله والرسول صلى الله عليه وآله، والإمام المعصوم المتقدّم عليه، وإلّا فليس بإمام.

* * *

(١) غيبة الطوسي: ١٧٥، البحار ٥٣ / ١٩٥، الحديث ٢١.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) مجمع الأمثال ١ / ٢٠٧، الرقم ١١٠٣، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٣.

١٥
أتدرون ما كان أبو عبدالله عليه السلام يقول؟

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام من حديث دعاء الإلحاح الطويل قد قاله عجّل الله تعالى فرجه، قد رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه، وإنّه من الأحاديث الدالّة على الاهتمام بشأن الدعاء والإلحاح في الطلب من الله عزّوجلّ، نذكر منه ما يربط المختار وهو ما يلي:

قال: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: حدّثنا أبو القاسم جعفر بن أحمد العلوي الرقّي العُريضي، قال: حدّثني أبو الحسن علي بن أحمد العقيقي، قال: حدّثني أبو نعيم الأنصاري الزبيدي، قال: كنت بمكّة عند المستجار وجماعة من المقصّرة[1] وفيهم المحمودي وعلّان الكليني وأبو الهيثم الديناري وأبو جعفر الهمداني، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً، ولم يكن منهم مخلص علمته غير محمّد بن القاسم العلوي العقيقي فبينا نحن كذلك في اليوم السادس من ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين ومائتين من الهجرة، إذ خرج علينا شابٌ من الطواف عليه إزاران محرم [بهما]، وفي يده نعلان فلمّا رأيناه قمنا جميعاً هيبة له، فلم يبق منّا أحد إلّا قام وسلّم عليه، ثمّ قعد والتفت يميناً وشمالاً، ثمّ قال: أتدرون ما كان أبو عبدالله عليه السلام يقول في دعاء الإلحالح؟ قلنا: وما كان يقول؟ قال: كان يقول:

«اللّهمّ إنّي أسألك باسمك الذي به تقوم السماء، وبه تقوم الأرض، وبه تفرق بين الحقّ والباطل، وبه تجمع بين المتفرّق، وبه تفرّق بين المجتمع، وبه أحصيت عدد الرمال، وزنة الجبال، وكيل البحار أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل

---

(١) قيل المراد التقصير في عُمرة الحجّ، ويحتمل غيره أيضاً.

لي من أمري فرجاً ومخرجاً».

ثمّ نهض فدخل الطواف، فقمنا لقيامه حين انصرف، وأُنسينا أن نقول له من هو؟ فلمّا كان من الغد في ذلك الوقت خرج علينا من الطواف، فقمنا كقيامنا الأوّل بالأمس، ثمّ جلس في مجلسه متوسّطاً، ثمّ نظر يميناً وشمالاً قال: «أتدرون ما كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول بعد صلاة الفريضة؟» قلنا: وما كان يقول؟ قال: «كان يقول:

اللّهمّ إليك رفعت الأصوات [ودعيت الدعوات]، ولك عنت الوجوه، ولك خضعت الرقاب، وإليك التحاكم في الأعمال، يا خير مسؤول، وخير من أعطى، يا صادق، يا بارئ، يا من لا يخلف الميعاد، يا من أمر بالدعاء وتكفّل بالإجابة، يا من قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، يا من قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، يا من قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾...»[١].

للحديث تتمّة تأتي.

ثمّ السؤال عن دراية دعاء الإلحاح الذي كان يدعو به الصادق عليه السلام، وكذا عن دراية دعاء أميرالمؤمنين عليه السلام بعد صلاة الفريضة، وهكذا دعاؤه في سجدة الشكر، ودعاء السجّاد عليه السلام في سجوده كما تسمعهما قريباً، ليس إلّا بيان ما عليه الأئمّة الطاهرون والتأسّي بهم، والاهتمام البالغ بمداومة الدعاء الذي هو مخّ العبادة[٢].

قول الراوي: «ولم يكن منهم مخلص علمته غير محمّد بن القاسم العلوي العقيقي»، مَن هذا الممدوح؟

سيأتي ذكره في الكلمة التالية عند ذكر باقي الحديث الذي نحن بصدده، يخبره الإمام المهديّ عليه السلام بأنّه على خير، وكفى بذلك مدحاً، وأمّا بقيّة الرواة المذكورين

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧٢، البحار ٩٤ / ١٨٧ ـ ١٩٠. والآيات الثلاث: غافر ٦٠، البقرة: ١٨٦، الزُّمَر: ٥٤.

(٢) البحار ٩٣ / ٣٠٠: في الحديث النبويّ: «الدعاء مخّ العبادة...» الرقم ٣٧ فيه ذلك.

في سند الحديث، وما جاء فيه من ذكر أسماء عدّة من الرجال فلا مجال لعرض تراجمهم هنا سوى من نشير إليه فيما يلي إن شاء اللّه تعالى: قوله عليه السلام: «أتدرون ما كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول في سجدة الشكر؟». من تتمّة الحديث المتقدّم بعضه مع السند. نذكرها إنجازاً للوعد، من موضع القطع: «ثمّ نظر يميناً وشمالاً...: أتدرون ما كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول في سجدة الشكر؟» قلنا: وما كان يقول؟ قال: «كان يقول: يا من لا يزيده إلحاح الملحّين إلّا جوداً وكرماً. يا من له خزائن السموات والأرض، يا من له خزائن ما دقّ وجلّ، لا تمنعك إساءتي من إحسانك إليَّ، إنّي أسألك أن تفعل بي ما أنت أهله، وأنت أهل الجود والكرم والعفو، يا ربّاه، يا الله افعل بي ما أنت أهله، فأنت قادر على العقوبة وقد استحققتُها، لا حجّة لي ولا عذر لي عندك، أبوء إليك بذنوبي كلّها، وأعترف بها كي تعفو عنّي، وأنت أعلم بها منّي، بُؤتُ إليك بكلّ ذنب أذنبتُه، وبكلّ خطيئة أخطأتُها، وبكلّ سيّئة عملتها، يا ربّ اغفر لي وارحم وتجاوز عمّا تعلم، إنّك أنت الأعزّ الأكرم».

وقام فدخل الطواف، فقمنا لقيامه، وعاد من غدٍ في ذلك الوقت فقمنا لاستقباله كفعلنا فيما مضى[1] فجلس متوسّطاً ونظر يميناً وشمالاً، فقال: «كان عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام يقول في سجوده في هذا الموضع ـ وأشار بيده إلى الحجر نحو الميزاب ـ:

عُبيدك بفنائك [فقيرك بفناك][2]، مسكينك ببابك، أسألك ما لا يقدر عليه سواك».

ثمّ نظر يميناً وشمالاً ونظر إلى محمّد بن القاسم العلوي فقال: «يا محمّد بن القاسم أنت على خير إن شاء اللّه»، وقام فدخل الطواف فما بقي أحدٌ منّا إلّا وقد تعلّم ما ذكر من الدعاء و[اُ]نسينا أن نتذاكر أمره إلّا في آخر يوم.

فقال لنا المحمودي: يا قوم أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا واللّه صاحب

---

(١) في هامش إكمال الدين ٢ / ٤٧١: في بعض النسخ «لإقباله كقيامنا فيما مضى»، البحار ٩٤ / ١٨٨ ـ ١٩٠.

(٢) زيادة من بعض النسخ.

الزمان عليه السلام، قلنا: وكيف ذلك يا أبا عليّ؟ فذكر أنّه مكث يدعو ربّه عزّوجلّ ويسأله أن يريه صاحب الأمر سبع سنين.

قال: فبينا أنا يوماً في عشيّة عرفة، فإذا بهذا الرجل بعينه فدعا بدعاءٍ وعيتُه، فسألته ممّن هو؟ فقال: «من الناس».

فقلت: من أيّ الناس من عربها أو مواليها؟ فقال: «من عربها».

فقلت: من أيّ عربها؟ فقال: «من أشرفها وأشمخها»[١].

فقلت: ومن هم؟ فقال: «بنو هاشم».

فقلت: من أيّ بني هاشم؟ فقال: «من أعلاها ذروةً وأسناها رفعةً».

فقلت: وممّن هم؟ فقال: «ممّن فلق الهام، وأطعم الطعام، وصلّى بالليل والناس نيام».

فقلت[٢]: إنّه علويّ، فأحببته على العلويّة، ثمّ افتقدته من بين يديّ، فلم أدر كيف مضى في السماء أم في الأرض، فسألت القوم الّذين كانوا حوله: أتعرفون هذا العلويّ؟

فقالوا: نعم يحجّ معنا كلّ سنة ماشياً، فقلت سبحان اللّه، واللّه ما أرى به أثر مشي، ثمّ انصرفت إلى المزدلفة كئيباً حزيناً على فراقه، وبتُّ في ليلتي تلك، فإذا أنا برسول اللّه صلى الله عليه وآله[٣] فقال: «يا محمّد رأيتَ طلبتك»، فقلت: ومن ذلك يا سيدي؟ فقال: «الذي رأيته في عشيّتك فهو صاحب زمانكم».

فلمّا سمعنا ذلك منه عاتبناه على ألّا يكون أعلمنا ذلك، فذكر أنّه كان ناسياً أمره إلى وقت ما حدّثنا[٤].

بهذا قد نقلنا الحديث الشريف بكامله، وقد رواه الشيخ الصدوق في المصدر السابق، والطوسي في كتاب الغيبة[٥] بعدّة طرق، وعلى ذلك يحصل الوثوق بصدق القصّة.

---

(١) في هامش إكمال الدين ٢ / ٤٧٢: في بعض النسخ «من أسمحها».

(٢) لعلّ الصحيح (فعلمت أنّه علويّ) كما في الغيبة: ١٥٨.

(٣) في هامش المصدر السابق: في النسخ: «فرأيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

(٤) إكمال الدين ٢ / ٤٧١ ـ ٤٧٢، الباب ٤٣، الحديث ٢٤، البحار ٩٤ / ١٨٨ ـ ١٩٠.

(٥) الغيبة: ١٥٦ ـ ١٥٨.

محمّد بن القاسم العلوي:

قال الأستاذ الخوئي: قال الشيخ: محمّد بن القاسم العلوي ممّن رأى الحجّة سلام الله عليه. وروى أبو نعيم[١] محمّد بن أحمد الأنصاري، أنّه وجماعة فيهم محمّد بن القاسم العلوي، رأوا الحجّة عند المستجار، وعلّمهم الإمام عليه السلام أدعية وقال لمحمّد ابن القاسم العلوي: يا محمّد بن القاسم أنت على خير إن شاء الله تعالى.

وكان محمّد بن القاسم يقول بهذا الأمر، وذكر أبو نعيم أنّه لم يكن من تلك الجماعة مخلص غير محمّد بن القاسم العلوي. الغيبة: فصل فيما روي من الأخبار المتضمّنة لمن رآه عليه السلام وهو لا يعرفه، أو عرفه فيما بعد.

وروى الصدوق قدس سره في إكمال الدين: الجزء ٢ باختلاف يسير الباب ٤٤ فيمن رآه وكلّمه، الحديث ٢٤.

أقول: يحتمل اتّحاده مع محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي المتقدّم[٢].

قوله دام ظلّه: (يحتمل اتّحاده مع محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي المتقدّم) إليك لفظه:

محمّد بن القاسم بن حمزة:

ابن موسى (أبو عبدالله) العلوي، من أصحاب الهادي عليه السلام رجال الشيخ (٤١)[٣].

وتلقيب المترجم بالعقيقي[٤] يبعّد احتمال اتّحاده مع محمّد بن القاسم بن حمزة: لعدم نقل اللقب المذكور له، ومبعّدات أُخرى لا تخفى على المتتبّع. بقيت الإشارة إلى ترجمة بعض من جاء اسمه في سند الحديث أو متنه منهم المحمودي المذكور في القصّة المعدود من المقصّرة[٥] وهو: محمّد بن أحمد بن حماد

---

(١) هو نفس الراوي للقصّة المذكورة.

(٢) معجم رجال الحديث ١٧ / ١٦٥.

(٣) معجم رجال الحديث ١٧ / ١٥٨.

(٤) الملقّب أبو نعيم راوي القصّة.

(٥) كناية عن العمرة في الحجّ سبق.

المحمودى المكنّىٰ بأبي علي. ترجمه جماعة بما يدلّ على أنّه من أصحاب الهادي والعسكري بل الجواد عليهم السلام قال ابن مسعود: قال: حدّثني أبو علي المحمودي قال: كتب أبو جعفر عليه السلام إليّ بعد وفاة أبي: «قد مضى أبوك رضي الله عنه وعنك، وهو عندنا على حال محمودة، ولن تبعد من تلك الحال»[1] ولا ريب في جلالة قدره، وطاعته لله، ولأوليائه[2]، وأنّه كان يحج كثيراً حتى سئل عن عدد حجّاته، وامتنع عن إخباره[3].

* * *

(١) معجم رجال ا لحديث ١٤ / ٣٢٧، ليس هذا الأمر من هيّناً؛ لأنّه المفترض الطاعة عليه السلام.

(٢) نفسه: ٣٢٨.

(٣) نفسه: ٣٢٧.

١٦
اتّق اللّه وتب من كلّ ما أنت عليه

قال الشيخ الصدوق: حدّثنا محمّد بن الحسن رضي الله عنه، عن سعد بن عبداللّه، عن عليّ بن محمّد الرازي المعروف بعلّان الكليني، قال: حدّثني محمّد بن جبرئيل، عن إبراهيم ومحمّد ابني الفرج، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار: أنّه ورد العراق شاكّاً مرتاداً فخرج إليه:

«قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيته عن موالينا بناحيتكم فقل لهم: أما سمعتم اللّه عزّوجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وهل أمرٌ إلّا بما هو كائن إلى يوم القيامة... يا محمّد اتّق اللّه وتب من كلّ ما أنت عليه، فقد قلّدت أمراً عظيماً»[1].

وأمّا أمره عليه السلام بالاتّقاء فلا يخصّ محمّداً المهزياري وهكذا التوبة من كلّ ما هو عليه ممّا لا تحمد عقباه.

ويبقى التكلّم عن حقيقة التقوى والتوبة فللأُولى آية ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2] والثانية تأتي[3] في موضعها إن شاء اللّه.

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٨٦ ـ ٤٨٧، البحار ٥١ / ٣٢٦، عن الكافي للشيخ الكليني، والآية: ٥٩ من سورة النساء.
(٢) الزُّمَر: ٣٣.
(٣) عند «إذا استغفرت...» رقمه ٣٤.

١٧
أجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب

قال الشيخ الطوسي: وأمّا ما ظهر من جهته عليه السلام من التوقيعات فكثيرة نذكر طرفاً منها. أخبرني جماعة عن أبي محمّد التلّعكبري عن أحمد بن علي الرازي عن الحسين بن علي القمّي، قال: حدّثني محمّد بن علي بن بنان الطلحي الآبي عن عليّ ابن محمّد عبده النيسابوري، قال حدّثني علي بن إبراهيم الرازي، قال: حدّثني الشيخ الموثوق به بمدينة السلام، قال: تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف، فذكر ابن أبي غانم أنّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولا خَلَفَ له.

ثمّ إنّهم كتبوا في ذلك كتاباً، وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بماتشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطّه عليه وعلى آبائه السلام:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، عافانا اللّه وإيّاكم من الضلالة والفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب. إنّه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشكّ والحيرة في ولاة أمرهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا؛ لأنّ اللّه معنا ولا فاقة بنا إلى غير...»[١].

للتوقيع بقيّة تأتي[٢].

قوله عليه السلام: «عافانا اللّه وإيّاكم...» دعاء بالعافية عمّا يسلب سلامة الدين، وأيّة سالبة لها أسلب من الضلالة والفتن الصمّاء الصيلم، كما نصّ الإمام الرضا عليه السلام على ذلك[٣] وهي: الفتنة الّتي لا سبيل إلى تسكينها، وكالحيّة غير القابلة للرقى المسمّاة

---

(١) كتاب الغيبة: ١٧٢ ـ ١٧٣، الاحتجاج ٢ / ٢٧٨، البحار ٥٣ / ١٧٨، مع اختلاف مّا.

(٢) الأرقام: ٢٤٣، ٣٠٦، ٤٣٢.

(٣) عيون الأخبار ٢ / ٦.

بالصمّاء، والصيلم: الداهية الشديدة. تعرّضنا لذلك عند كلمة «صمّاء صيلم» الرضويّة[1]

قوله عليه السلام: «ووهب لنا ولكم روح اليقين» دعاء ثان للجميع، وقد جاءت كلمة «روح اليقين» في بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الحكميّة: «وباشروا رَوْح اليقين»[2] والروح من الراحة، وإذا وهب اللّٰه عزّ وجلّ الإنسان اليقين وروحه فقد أراحه من الهمّ والغمّ، وسكنت نفسه من كلّ اضطراب، وبرد قلبه واستلان ما شقّ على الآخرين.

قوله عليه السلام: و «أجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب».

هنا سؤال:

هل هذه الكلمات المصرّحة في التوقيع بطلب العافية من الضلالة والفتن، وروح اليقين، والإنقاذ من سوء المنقلب وغيرها تعمّ المعصوم عليه السلام؟ أو لابدّ من التأويل؟ وهل يفقد المعصوم عليه السلام الفضائل حتى يطلبها من اللّٰه عزّ وجلّ؟

والجواب:

قد قيل: إنّ الطلب في نظائر المقام هو طلب الدوام والاستمرار لموهبة وجود الفضائل، واجتناب الرذائل فإنّ الثبات عليها موهبة أُخرى، أوَليس يقول المعصوم عليه السلام في الصلوات كلّها فرائضها ونوافلها في فاتحة الكتاب: ﴿*اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ*﴾؟ وهل كان فاقداً للهداية حتى يطلبها منه تعالى؟ بل وحتّى في غير المعصوم؛ لأنّه لو لم يهتد لما صلّى؛ والدليل عليه كلام أمير المؤمنين عليه السلام يعني: «أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»[3].

ويتّجه على الجواب سؤال:

وهو أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام قد صيغت ذواتهم القدسيّة من معدن اللطف والقدس والجلال، فلا يعقل زوال الفضائل عنهم لكي يقال بإرادة الاستمرار والدوام، فقد خلقهم اللّٰه عزّ وجلّ من نوره الذي لن يطفأ أبداً، ومن رحمته التي لا انقطاع لها

---

(١) رقمه ١٠٦، الجزء ١، ص ٤٢. (٢) شرح نهج البلاغة ١٨ / ٣٤٧، الحكمة ١٤٣.

(٣) تفسير الصافي ١ / ٥٣، وعن الحسن العسكري عليه السلام كما في تفسير البرهان ١ / ٥٠، تفسير نور الثقلين ١ / ١٨، حول الآية ٦ من فاتحة الكتاب.

أبداً، ويشهد لذلك ما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان المرويّة عن الصادق عليه السلام :

«وأشهد أنّك نور اللّه الّذي لم يطفأ ولا يطفأ أبداً، وأنّك وجه اللّه الّذي لم يهلك ولا يهلك أبداً»[1].

ويُخاطب الشيخ الأُزري أميرالمؤمنين عليه السلام في قصيدته الهائيّة:

لكَ نفسٌ من معدن اللطف صيغت جعل اللّه كلّ نفس فداها[2].

وإذا ثبتت فضيلة له، ثبتت لكلّهم إلّا الخصائص.

والجواب الصحيح:

أن يحمل كلّ ما جاء من مثل ذلك على نحو قول القائل:

إيّاك أعني واسمعي يا جارة[3]

أو على تفسير يليق بمقامهم الشامخ عليهم السلام ، كلمة «أجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب»: كلمة دعاء واستجارة أي طلب الجوار (بكسر الجيم): وهو أن تعطي الرجل ذمّة فيكون بها جارك[4]، ومصدره الإجارة: بمعنى الإنقاذ، وفي الدعاء: «يا من يُجير ولا يجار عليه» أي ينقذ من هرب إليه، ولا ينقذه أحد ممّن هرب منه. وكلاهما من الإجارة وليس الثاني من الجور، و «أجاره اللّه من العذاب» أنقذه، واستجاره: طلب منه أن يحفظه[5].

وأمّا سوء المنقلب، فسوء العاقبة والخاتمة الّتي تختم صيحة الأعمال في آخر أيّام حياة الإنسان، وأوّل أيّام آخرته، ومن سوء المنقلب أن يموت ولم يعرف إمام

---

(١) البلد الأمين: ٢٨٤، مكتبة الصدوق، طهران، الأفسيت ١٣٨٣ هـ. البحار ١٠١ / ٣٤٢.

(٢) كشكول البحراني ٣ / ٤٢١، بَدَأَ بها من ص ٤٤٠ ـ ٤٢٥، مدائحهم عليهم السلام .

توفي الحاجّ كاظم الأُزري رحمه الله في جمادي الأُولى، عام ١٢١١ هـ، وقبره ببغداد الكنى والألقاب ٢ / ٢٣.

(٣) مجمع الأمثال ١ / ٤٩ الرقم ١٨٧، موسوعة أمثال العرب ٣/٢٨٥.

(٤) مجمع البحرين ٣ / ٢٥٢ ـ جور ـ.

(٥) المجمع الآنف. ومنه ﴿وهو يُجير ولا يُجار عليه﴾ المؤمنون: ٨٨.

زمانه؛ فإنّها ميتة سوء، بل من أسوئها، وميتة جاهليّة وضلال، كما في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ومنها:

حديث «إنّ الأرض لا تخلو من حجّةٍ لله على خلقه، وإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة، فقال: إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»[١].

والمراد بالإمام في مثل هذه الأحاديث: الأئمّة الاثنا عشر المعصومون لا غيرهم وهكذا أحاديث أنّ «الأئمّة اثنا عشر كلّهم من قريش»[٢] وهم خلفاء الرسول صلّى الله عليهم أجمعين المطهّرون من الرجس، كما قال تعالى: ﴿*إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا*﴾[٣].

فمن عرفهم ونهج نهجهم، كان مؤمناً، ومن لم ينهج نهجهم كان ضالاً جاهلاً قد خسر الدارين، ومنهم جعفر المدّعي ما ليس له[٤].

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٠٩، الوسائل ١١ / ٤٩٢، الحديث ٢٣، الباب ٢٢ فراجع.

(٢) إعلام الورى: ٣٦١ ـ ٣٦٦.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) إلّا أن يتوب، كما يقال في جعفر: جعفر التوّاب، لم تثبت توبتُهُ بعد عصيانه.

١٨
أجزل اللّٰه لك الثواب

قال الشيخ الصدوق: قال عبداللّٰه بن جعفر الحميري: وخرج التوقيع المبارك إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه رضي اللّٰه عنهما في فصل من الكتاب: ...

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً فرحمه اللّٰه، وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام. فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقرّبه إلى اللّٰه عزّوجلّ وإليهم، نضّر اللّٰه وجهه، وأقاله عثرته». وفي فصل آخر: «أجزل اللّٰه لك الثواب، وأحسن لك العزاء...»[1].

عند «أحسن لك العزاء» وترجمة أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري قدّس سرّه هناك.

تقال الكلمة في تعزية الميّت، ولاستزادة الأجر. و «أجزل اللّٰه...» من الجزل، قال ابن فارس في الجزل: أصلان، فالأوّل الجزل: وهو ما عظم من الحطب، ثمّ استعير فقيل: أجزل في العطاء. وأمّا الأصل الآخر فيقول العرب: جزلت الشيء جزلتين أي قطعته قطعتين. وهذا زمن الجزال أي صرام النخل. قال:

* حتّى إذا ما حان من جزالها *[2]

وابن الأثير: ومنه الحديث «اجمعوا لي حطباً جزلاً» أي غليظاً قويّاً[3] والطريحي: الجزيل: العظيم، وأجزلهم نصيباً: أكثرهم. وأجزل الله قسمه أي وسعه[4].

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٥١٠، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات، الاحتجاج ٢ / ٣٠١، توقيعات الناحية المقدّسة.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١ / ٤٥٣ ـ ٤٥٤، في ـ جزل ـ.

(٣) النهاية ١ / ٢٧٠، في ـ جزل ـ.

(٤) مجمع البحرين ٥ / ٣٣٧ ـ جزل ـ.

إذا دريت فكلمة «أجزل» في التوقيع لا تناسب إلّا الإعظام والإكثار والسعة، أي أعظم اللّٰه لك الأجر، وأكثر اللّٰه لك في العطاء، ووسّعه عليك يا أبا جعفر بفقد أبيك والكلام من أدب التعزية، والإرشاد إليه، للعالم تذكرة، وللجاهل تبصرة، وأنّه يجدر للمؤمن المصاب طلب الأجر من اللّٰه عزّوجلّ له.

وقد ندب صاحب الشرع إلى ذلك وعليه العرف العامّ من الناس، لتقلّ لوعة المصيبة عن صاحبها.

ومن آداب العزاء الاسترجاع، ففي صادقيٍّ: «من أُلهم الاسترجاع عند المصيبة وجبت له الجنّة»[1]؛ ومن ثمّ جاء ذلك في التوقيع المبارك؛ القُدوة لمن اقتدىٰ.

* * *

(١) الوسائل ٢ / ٨٩٧ ـ ٨٩٨، الباب ٧٤ من أبواب الدفن فيه ٣ أحاديث.

١٩
اجعل هذه في نفقتك

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: وحدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن علّان الكليني، قال: حدّثني علي بن قيس...

وحدّثني جماعة، عن محمّد بن محمّد الأشعري، عن غانم، ثمّ قال ـ أي غانم أبي سعيد الهندي ـ : كنت عند ملك الهند في قشمير الداخلة، ونحن أربعون رجلاً نقعد حول كرسيّ الملك، وقد قرأنا التوراة، والإنجيل، والزبور، يُفزع إلينا في العلم. فتذاكرنا يوماً محمّداً صلى الله عليه وآله وقلنا: نجده في كتبنا، فاتّفقنا على أن أخرج في طلبه وأبحث عنه، فخرجت ومعي مال فقطع عليَّ التُرك وشلّحوني[1]، فوقعت إلى كابل، وخرجت من كابل إلى بلخ، والأمير بها ابن أبي شور[2] فأتيته، وعرّفته ما خرجت له، فجمع الفقهاء والعلماء لمناظرتي، فسألتهم عن محمّد صلى الله عليه وآله، فقال[وا]: هو نبيّنا محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وقد مات؛ فقلت: ومن كان خليفته؟ فقالوا: أبو بكر؛ فقلت: انسبوه لي؛ فنسبوه إلى قريش؛ فقلت: ليس هذا بنبيّ، إنّ النبيّ الذي نجده في كتبنا خليفته ابن عمّه، وزوج ابنته، وأبو وُلده؛ فقالوا للأمير: إنّ هذا قد خرج من الشرك إلى الكفر، فَمُرْ بضرب عنقه؛ فقلت لهم: أنا متمسّك بدين، ولا أدعه إلّا ببيان.

فدعا الأمير الحسين بن إسكيب[3]، وقال له: يا حسين ناظر الرجل؛ فقال:

---

(١) التشليح: التعرية.

(٢) في بعض النسخ «أبي سور» وفي الكافي «داود بن العبّاس بن أبي[أ]سود». هامش إكمال الدين ٢ / ٤٣٨.

(٣) (إشكيب) بالشين المعجمة كما في نسخة أُصول الكافي ١ / ٥١٦، وكذا نسخ النجاشي والرجال متفقة على ضبط الكلمة بالشين دون السين، معجم رجال الحديث ٥ / ٢٠٠. ←

العلماء والفقهاء حولك، فمرهم بمناظرته؛ فقال له: ناظره كما أقول لك، واخل به، والطف له.

فقال: فخلا بي الحسين، وسألته عن محمّد صلى الله عليه وآله. فقال: هو كما قالوه لك، غير إنّ خليفته ابن عمّه عليّ بن أبي طالب، وهو زوج ابنته فاطمة، وأبو وُلده الحسن والحسين.

فقلت: أشهد أنّ لا إله إلّا الله، وأنّه رسول الله، وصرت إلى الأمير، فأسلمت، فمضى بي إلى الحسين، ففقّهني، فقلت له: إنّا نجد في كتبنا أنّه لا يمضي خليفة إلّا عن خليفة، فمن كان خليفة عليّ عليه السلام؟

قال: الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ سمّى الأئمّة واحداً واحداً، حتّى بلغ الحسن بن عليّ ـ أي العسكري ـ ثمّ قال لي: تحتاج أن تطلب خليفة الحسن، وتسأل عنه، فخرجت في الطلب.

قال محمّد بن محمّد ـ الأشعري ـ: ووافي معنا بغداد، فذكر أنّه كان معه رفيق قد صحبه على هذا الأمر، فكره بعض أخلاقه، ففارقه.

قال: فبينا أنا يوماً وقد تمسّحت في الصراة[1]، وأنا مفكّر فيما خرجت له، إذ أتاني آتٍ وقال لي: أجب مولاك، فلم يزل يخترق بي المحالّ، حتّى أدخلني داراً وبستاناً، وإذا بمولاي عليه السلام قاعد.

فلمّا نظر إليّ كلّمني بالهنديّة، وسلّم عليَّ، وأخبرني عن اسمي وسألني عن الأربعين رجلاً بأسمائهم عن اسم رجلٍ رجلٍ، ثمّ قال لي: تريد الحجّ مع أهل قم في هذه السنة؟ فلا تحجّ في هذه السنة وانصرف إلى خراسان وحجّ من قابل.

قال: ورمى إليَّ بصرّةٍ، وقال: اجعل هذه في نفقتك، ولا تدخل في بغداد إلى دار

← قال النجاشي: الحسين بن إشكيب شيخ لنا خراساني ثقة مقدم، ذكره أبو عمرو في كتابه الرجال في أصحاب أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام، المصدر ١٩٩.

(١) أي توضّأت: والصراة: نهران ببغداد كبرى وصغرى. وفي بعض النسخ: «الفرات» مكان «الصراة». إكمال الدين ٢ / ٤٣٩.

أحد، ولا تخبر بشيء ممّا رأيت.

قال محمّد: فانصرفنا من العقبة، ولم يقض لنا الحجّ، وخرج غانم إلى خراسان، وانصرف من قابل حاجّاً، فبعث إلينا بألطاف، ولم يدخل قم، وحجّ وانصرف إلى خراسان، فمات ـ رحمه الله ـ بها[1].

قوله عليه السلام: «اجعل هذه في نفقتك».

النفقة المتمّمة بما في الصرّة المعطاة لغانم الهندي كانت قدر أيّام حياته، وكثيراً ما كانت عطيّات الأئمّة المعصومين عليهم السلام على قدر حاجات السائلين. وهكذا إخبارهم تصريحاً أو تلميحاً بما بقي من أعمارهم، منها قصّة حمّاد بن عيسى غريق الجحفة المشهورة[2].

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٣٧ ـ ٤٣٩، و ٤٩٥ ـ ٤٩٧، باب ٤٣ و ٤٥.

(٢) ترجمه جمع منهم الأستاذ الخوئي، وقد ذكر الترجمة والقصّة في معجم رجال الحديث ٦ / ٢٢٤ ـ ٢٢٩، في حمّاد بن عيسى.

٢٠
احجبني عن أعين الباغضين

روى السيّد ابن طاووس رحمه الله حجاب مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «اللّهمّ احجبني عن عيون أعدائي، واجمع بيني وبين أوليائي، وأنجز لي ما وعدتني، واحفظني في غَيْبتي، إلى أن تأذن لي في ظهوري، وأحْي بي ما دَرَسَ من فروضك، وسُننك، وعجّل فرجي وسهّل مخرجي، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح لي فتحاً مبيناً، واهدني صراطاً مستقيماً، وقني جميع ما أُحاذره من الظالمين، واحجبني عن أعين الباغضين الناصبين العداوة لأهل بيت نبيّك، ولا يصل إليَّ منهم أحد بسوءٍ، فإذا أذنت في ظهوري فأيّدني بجنودك، واجعل من يتّبعني لنصرة دينك مؤيّدين، وفي سبيلك مجاهدين، على من أرادني وأرادهم بسوءٍ منصورين، ووفّقني لإقامة حدودك، وانصرني على من تعدّى محدودك، وانصر الحقّ، وأزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً، واردد عليَّ من شيعتي وأنصاري من تقرّبهم العين، ويشدّ بهم الأزر، واجعلهم في حرزك وأمنك، برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

روى بعض السادة حجابه عليه السلام بلفظه الذي قدّمناه سوى الكلمة المختارة، حيث قال: «واحجبني عن أعين الباغين» بدل «الباغضين»[2]. وعلّق على الحجاب بما يلي: قال السيّد ابن طاووس قدس سره بعد نقل هذا الحجاب: وما سبقه إلى نقله قبل ذلك من حُجُب سائر المعصومين عليهم الصلاة والسلام، قال: «وهذه الحُجُب ممّا أُلهمنا أيضاً تلاوتها يوم أحاطت المياه والغرق، وأصعبت السلامة بكثرة المياه، وزادت على إحاطتها بهدم مواضع دخل بها ماء الزيادات، وأمكن المقام بإجابة الدعوات،

(١) مهج الدعوات: ٣٠٢.

(٢) لعلّ نسخته كانت «عن أعين الباغين».

ورفع تلك المحذورات، وسلامتنا من الدخول في تلك الحادثات، والحمد لله»[١].

ومعنى حجاب الداعي عن الأعين الباغضة أو الباغية صرف الله عزوجل قلوبهم عن أن ينالوه بأذىً أو سوء. ويمكن القول في الأدعية المأثورة بأسرها بشمولها لرفع ذلك أو دفعه، على أنّ الدعاء بالذات عبادة ندب إليها، بل جاء على تركها التحذير عنه وخلود صاحبه في جهنّم قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: «هو الدعاء أفضل العبادة الدعاء»[٢].

* * *

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام: ٣٢٢.

(٢) غافر: ٦٠، الكافي ٢ / ٤٦٦، الحديث ١، باب فضل الدعاء، المختار رقمه ٦٨، وهل إلهام السيد ابن طاووس هذه الحُجُب بلا سند استنده رحمه الله؟! والجواب أنّه بعيد من مثله.

٢١
أحسن لك العزاء

سبق عند «أجزل اللّٰه لك الثواب...» التعزية إلى أبي جعفر محمّد النائب الثاني بوفاة أبيه أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي في توقيعه الشريف باختصار وإليك ما يلي قال الصدوق: وجاء في فصل آخر من التوقيع.

«أجزل اللّٰه لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزئت ورُزئنا واوحشك فراقه وأوحشنا، فَسَرَه اللّٰه في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه عزّ وجلّ ولداً مثلك يخلفه من بعده، يقوم مقامه بأمره، ويترحّم عليه، وأقول: الحمد لله، فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك، وما جعله اللّٰه عزّ وجلّ فيك وعندك، أعانك اللّٰه، وقوّاك، وعضدك، ووفّقك، وكان الله لك وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً»[1].

دلّ التوقيع على امتداح الوالد والولد وجدارتهما لمنصب السفارة؛ لأجل فضائلهما المؤهّلة لهذا المقام الرفيع. وكفى قوله عليه السلام: «وأقول: الحمد لله؛ فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك» دليلاً على ذلك؛ إذ المكان كناية عن تمكّنه في منصب السفارة، وطيب النفس به إمضاء له، وفوق الإمضاء: الرضا، خاصّة رضا المعصوم عليه السلام بقيام الولد مقام الوالد، وليس ذلك إلّا النيابة التي كانت للوالد طاب ثراهما، ولولا أنّه من الخُلّص المقرّبين عند اللّٰه عزّ وجلّ، وعند أهل البيت عليهم السلام، لما كانت رزيّة موته رزيّة الإمام المهدي عليه السلام، ويوحشه فراقه كما أوحش ابنه أبا جعفر.

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٥١٠، باب ٤٥، الاحتجاج ٢ / ٣٠١، توقيعات الناحية المقدّسة إنّما لم يذكر اسم الجلالة في المختار؛ لمكان العطف على «أجزل اللّٰه...».

إنجازاً لما واعدناك من الترجمة:

وقد روى أصحابنا فيهما روايات دالّة على ذلك في الوكالة وغيرها.

منها ما رواه الشيخ الطوسي طاب ثراه، بإسناده المتّصل إلى الحسين بن أحمد الخصيبي، قال: حدّثني محمّد بن إسماعيل وعلي بن عبدالله الحسنيّان، قالا: دخلنا على أبي محمّد الحسن عليه السلام بسرّ من رأى، وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتّى دخل عليه بدرٌ، خادمه، فقال: يا مولاي بالباب قوم شُعث غُبر، فقال [لهم]: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن...، إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر: فامض فائتنا بعثمان ابن سعيد العمري، فما لبثنا إلّا يسيراً حتّى دخل عثمان، فقال له سيّدنا أبو محمّد عليه السلام: امض يا عثمان فإنّك الوكيل، والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيّين ما حملوه من المال ـ ثمّ ساق الحديث إلى أن قالا: ـ ثمّ قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله إنّ عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وإنّه وكيلك، وثقتك على مال الله تعالى، قال: نعم واشهدوا على أنّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأنّ ابنه محمّد وكيل ابني مهديّكم[١]. دلّت الرواية على وكالة الوالد والولد معاً، إلّا أنّ الوالد كان وكيلاً عن الهادي والحسن العسكري والمهدي عليهم السلام، ومن رواية أُخرى للشيخ الطوسي كما تأتي قريباً، يظهر أنّ عثمان بقي بعد مضي أبي محمّد عليه السلام وأنّه غسّله[٢].

فقد روى بسنده عن أبي نصر هبة الله بن أحمد الكاتب بن بنت أبي جعفر العمري ـ قدّس الله روحه وأرضاه ـ عن شيوخه أنّه لمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام حضر غسله عثمان بن سعيد ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره، مأموراً بذلك لظاهر من الحال الّتي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلّا بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها، وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمّد بن عثمان إلى شيعته، وخواصّ أبيه أبي محمّد عليه السلام بالأمر والنهي، والأجوبة عمّا يسأل الشيعة عنه إذا

(١) كتاب الغيبة: ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) نفسه: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

احتاجت إلى السؤال فيه، بالخطّ الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن تُوفّي عثمان بن سعيد ـ رحمه الله ورضي عنه ـ وغسّله ابنه أبو جعفر، وتولّى القيام به، وحصل الأمر كلّه مردوداً إليه والشيعة مجتمعة على عدالته، وثقته، وأمانته، لما تقدّم النصّ عليه بالأمانة، والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام، وبعد موته في حياة أبيه عثمان رحمة الله عليه[1].

يريد قدس سره بقوله: «لما تقدّم النصّ عليه بالأمانة...»: روايته الأُولى. وما رواه بإسناده الصحيح إلى أحمد بن إسحاق بن سعد القمّي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمّد صلوات الله عليه في يوم من الأيّام، فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت، فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه. فلمّا مضى أبو الحسن عليه السلام وصلتُ إلى أبي محمّد ابنه الحسن العكسري عليه السلام ذات يوم، فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعنّي يؤدّيه...»[2].

دلّ التوقيع والروايات الثلاث[3] على وكالة أبي عمرو عثمان بن سعيد عن الأئمّة الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام، ووَكالة ابنه أبي جعفر محمّد بن عثمان، كما في الرواية الأُولى: «وأنّ ابنه محمّد وكيل ابني مهديّكم».

وشهادة المعصوم على أمانة رجل أو جعله وكيلاً هي شهادة الله جلّ جلاله، وجعله؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام من أظهر مصاديق قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[4].

قال الشيخ الطوسي:

فأمّا السفراء الممدوحون في زمن الغيبة فأوّلهم من نصبه أبو الحسن علي

---

(١) نفسه، و ٢٢٠ و ٢٢١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢١٥.

(٣) الحسنيّان، وأحمد بن إسحاق، وأبو نصر.

(٤) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

ابن محمّد العسكري، وأبو محمّد الحسن بن عليّ بن محمّد ابنه عليهما السلام، وهو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رحمه الله، وكان أسديّاً. وإنّما سمّي العمري لما رواه أبو نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت أبي جعفر العمري رحمه الله...، وقد قال قوم من الشيعة: إنّ أبا محمّد الحسن بن علي عليه السلام قال: لا يجمع على امرئ بين عثمان وأبي عمر، وأمر بكسر كنيته، فقيل العمري، ويقال له العسكري أيضاً؛ لأنّه كان من عسكر (سرّ من رأى)، ويقال له السمّان؛ لأنّه كان يتّجر في السمن تغطية على الأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمّد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه، ويحمله إلى أبي محمّد عليه السلام تقيّة وخوفاً[1].

تقدّم آنفاً أنّ موت عثمان بن سعيد رحمه الله تعالى، لا يصحّ أن يكون قبل وفاة أبي محمّد عليه السلام ؛ لما روي[2] أنّه قد حضر غسله وتحنيطه، فما في كتاب (تحيّة الزائر وبلغة المجاور)، وهو آخر مؤلّفات الشيخ الميرزا حسين الطبرسي النّوري المتوفّى ١٣٢٠ هـ[3]، من أنّ عام سفارته ٢٥٦، وموته حدود ٢٥٧ هـ غير صحيح، وقد مضى أبو محمّد عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ.[4]

والظاهر أنّ تأريخ موته وسفارته غير معلوم، ولم يذكره المشائخ الثلاثة: الكليني والصدوق والطوسي، ولا الشيخ المفيد، قدّس الله أسرارهم.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢١٤ ـ ٢١٥. (٢) في رواية أبي نصر الكاتب.

(٣) ص ١٩٠، ولم يكمل الكتاب وقد وافاه الأجل، فتصدّى تلميذه الشيخ عباس المحدّث القمّي، المتوفّى ١٣٥٩، لإكماله، وفي الذريعة ٣ / ٤٨٨: وكأنّ الكتاب استدراك لمزار وأدعية كتاب الشيخ المجلسي رحمهم الله تعالى.

(٤) الغالب على الظنّ أنّ نسخة «تحيّة الزائر وبلغة المجاور» مغلوطة، وأنّ موته ـ أي عثمان بن سعيد ـ حدود ٢٥٧ هـ ـ كما ذكره غير صحيح، ولعلّ الصحيح ٢٦٧ هـ ، والله العالم، ولكن يبعّده قول التفريشي: أنّ ابنه تولّى هذا الأمر نحو خمسين سنة؛ لأنّ من ابتداء التولّي من ٢٦٧، إلى موت الابن ٣٠٤، أو ٣٠٥ لا يكون نحو خمسين سنة بل يصير أقلّ من أربعين سنة، فتدبّر جيّداً، ويأتي مزيد توضيح لذلك.

وقد قال بعض السادة في ترجمة العمري رحمه الله: بدأ حياته بخدمة الإمام عليّ الهادي عليه السلام وله إحدى عشرة سنة، وله إليه عهد معروف، ومن بعد الإمام الهادي بقي وفيّاً، فلزم خدمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وبقي على العهد حتّى مضى الإمام العسكري عليه السلام فعيّنه الإمام المهدي عليه السلام نائباً عنه.

صفته: كان سخيّاً جليلاً ويكفي أنّه خدم ثلاثة من الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وأنّهم اختاروه باباً بينهم وبين شيعتهم، وأنّه أدّى الأمانة بدقّة وإخلاص، وهو ابن إحدى عشرة سنة، حتى توفّاه الله، وقبره في الجانب الغربيّ ببغداد، وله مقام معروف[١].

وهذا القول كما ترى تشهد له رواية حضور العمري جثمان أبي محمّد عليه السلام، وتغسيله الظاهر له غير المعارض لما لا يلي تجهيز الإمام إلّا الإمام في الباطن.

وأمّا قبره فكما قال: في الجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان في مسجد الذرب، والقبر في قبلته، قال الشيخ الطوسي:

فكنّا ندخل إليه ونزوره مشاهرة، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة، ثمّ نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمّد بن الفرج، وأبرز القبر إلى برّاً[٢]، وعمل عليه صندوقاً، وهو تحت سقف يدخل إليه من أراده ويزوره، ويتبرّك جيران المحلّة، ويقولون هو رجل صالح، وربّما قالوا هو ابن داية الحسين عليه السلام، ولا يعرفون حقيقة الحال فيه، وهو إلى يومنا هذا ـ وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة ـ على ما هو عليه[٣].

وأمّا رؤية العمري طاب ثراه الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه فهي سؤال عبدالله بن جعفر الحميري قال:

فقلت له: أنت رأيت الخلف من أبي محمّد عليه السلام؟ فقال: إي والله ورقبته مثل ذا، وأومأ بيديه[٤]، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، قلت: فالاسم، قال: محرّم

---

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام: ١٠٧.

(٢) أي الخارج، ولعلّ ألف (برّا) زيادة من النسّاخ كما في هامش غيبة الشيخ الطوسي: ٢١٧.

(٣) الغيبة ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) أي إلى رقبته يعني في الغلظة والحسن، ويدلّ عليه قوله الآخر جواباً عن سؤال الحميري: ←

عليكم أن تسألوا عنه عليه السلام...»[١].

موجز ترجمة أبي جعفر محمّد بن عثمان:

أنّه قد نصّ على سفارة محمّد بن عثمان بن سعيد العمري النائب الثاني طاب ثراه، الإمامُ الحسن العسكري وابنه المهدي عليهما السلام؛ إمضاءً لما عيّنه أبوه عثمان رحمهما الله، وإقامة له مقامه، كما في التوقيع المبارك: «ويقوم مقامه بأمره»[٢]. وقد تولّى السفارة ما يقرب من خمسين عاماً كما نصّ على ذلك السيّد التفريشي، قال:

وكان يتولّى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة...[٣]، وتوفّي رحمه اللّه تعالى على ما قاله الشيخ الطوسي طاب ثراه ٣٠٤، أو ٣٠٥ على روايتين رواهما فيه[٤].

من التوقيع المبارك يستفاد استحباب التعزية بهذه الكلمة، ونظائرها، لتقلّل لوعة المصيبة من المصاب، ومن حزنه، ويصبّره عمّا فقده، كيلا يحبط أجره بجزعه، فتجتمع عليه مصيبتان: مصيبة الفقد، وحبط الأجر، بل وحمل الوزر.

ففي حديث فضل بن ميسر، قال: كنّا عند أبي عبداللّه عليه السلام فجاء رجل، فشكى إليه مصيبة أُصيب بها، فقال له أبو عبداللّه عليه السلام: «أما إنّك إن تصبر تؤجر، وإلّا تصبر يمضي عليك قدر اللّه الّذي قدّر عليك وأنت مأزور»[٥].

وقد جاء في الأحاديث ما يهوّن مصيبة المصاب مهما كان نوعها ففي صادقيّ: «إذا أُصبت بمصيبة، فاذكر مصابك برسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ فإنّ الخلق لم يصابوا بمثله قطّ»[٦] قال القائل:

← قد رأيته عليه السلام وعنقه هكذا ـ يريد أنّه أغلظ الرقاب حسناً وتماماً ـ كتاب الغيبة: ٢١٥.

(١) الغيبة: ٢١٩.

(٢) انظر صدر التوقيع.

(٣) نقد الرجال: ٣١٩ إن فسّر النحو بخمس وأربعين سنة كان موت الأب ٢٦٠، أو بعدها فيكون ذلك ابتداء سفارة الولد، أو فسّر بأكثر من ٢٦٠ فموته بعد أبي محمّد عليه السلام وقد سبق توضيحه.

(٤) الغيبة: ٢٢٣.

(٥) الوسائل ٢ / ٩١٣.

(٦) نفسه / ٩١١.

وفي بعض رواياته الثمان: «إذا أصاب أحدكم بمصيبة، فليذكر مصيبته بي؛ فإنّها ستهون». المصدر نفسه: ٩١٢.

اصبر لكلّ مصيبةٍ وتجلّدِ　　واعلم بأنّ الدهر غير مخلّدِ
أوَما ترى أنّ الحوادِثَ جمّةٌ　　وترىَ المنيّة للعبادِ بمرصدِ
وإذا أَتَتْك مصيبةٌ تُشجىٰ بها　　فاذكرْ مصابَك بالنبيّ محمّدِ[١]

وفي مصائب أهل البيت، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام ومن قتل معه من ولده وصحبه في حادثة كربلاء المُمضّة موضعَ تعزٍ وتجلّد.

وكلمة الإمام المهديّ عليه السلام تُقال في التعزية نحو «في اللّٰه عزاء من كلّ هالك، ودَرك من كلّ مصيبة»[٢]. إنّما قهر جلّ جلاله عباده بالموت والفنا؛ ليعرفوا أنّه تعالى لا يموت ولا يفنىٰ وجميع الحوادث الكونيّة والحركة والسكون وكلّ شيءٍ خلقه اللّٰه بصفاته وسماته الدالة على حدوثها، وزوالها دليل على أنّ خالقها قديم باقٍ حيٌّ غنّيّ قادر أزليّ سرمديّ قيّوم أحدٌ صمدٌ قاهر له الأسماء الحُسْنىٰ لا يُحصى ثناءَه إلّا هو ولا يعرف ما هو إلّا هو لا إله إلّا هو اللّٰه الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو على كلّ شيءٍ قدير.

* * *

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣ / ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) انظر هذه الكلمة عند «إذا أهمّك أمرٌ أو غمّ...» الرقم ٣٦.

٢٢
احمدِ اللّٰه

كلمة منتزعة عن رواية الشيخ الكليني يخاطب بها الإمام المهدي عليه السلام محمّد ابن إبراهيم بن مهزيار، وإليك الرواية: عليّ بن محمّد، عن محمّد بن حمويه السويدي، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، قال: شككت عند مضيّ أبي محمّد عليه السلام واجتمع عند أبي مال جليلٌ فحمله، وركب السفينة، وخرجتُ معه مشيّعاً فوَعَك[1] وَعْكاً شديداً، فقال: يا بنيّ ردّني فهو الموت، وقال لي: اتّق اللّٰه في هذا المال، وأوصىٰ إليَّ، فمات، فقلت في نفسي: لم يكن أبي ليُوصي بشيء غير صحيح، أحملُ هذا المال إلى العراق، وأكتري داراً على الشطّ ولا أخبر أحداً بشيءٍ، وإن [فإن] وضح لي شيء كوضوحه [في] أيّام أبي محمّد عليه السلام أنفذتُه، وإلّا قصفتُ به.

فقدمت العراق، واكتريت داراً على الشطّ، وبقيت أيّاماً، فإذا أنا برقعة مع رسول فيها: «يا محمّد، معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا»، حتّى قصّ عليّ جميع ما معي ممّا لم أُحِطْ به علماً؛ فسلّمته إلى الرسول، وبقيت لا يرفع لي رأس، واغتممت، فخرج إليّ «قد أقمناك مكان أبيك فأحمد اللّٰه»[2] بعد حُسن الحال الّتي لها العُلقة بالسفارة.

* * *

---

(١) الحمّى وأذاها.

(٢) أُصول الكافي ١ / ٥١٨، وغيبة الشيخ الطوسي: ١٧٠ ـ ١٧١، إكمال الدين ٢ / ٤٧٨.

٢٣
أَخرج حقّ ولد عمّك

قال الشيخ الكليني رحمه الله: علي بن محمّد قال: أوصل رجل من أهل السواد مالاً، فرّد عليه ـ أي المعصوم عليه السلام ـ وقيل له: «أَخرِج حقّ ولد عمّك منه وهو أربع مائة درهم» وكان الرجل في يده ضيعة لولد عمّه فيها شركة قد حبسها عليهم، فنظر، فإذا الذي لولد عمّه من ذلك المال أربع مائة درهم، فأخرجها وأنفذ الباقي فقبل[1].

لم تمسّ اليد الطاهرة المال غير الطاهر الّذي فيه حقّ الناس، ولد العمّ كان صاحبه أو غيره، ويشهد له كلام الإمام المهدي عليه السلام عندما قال له أبوه: «يا بنيّ فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك، فقال: يا مولاي أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة، قد شيب أحلّها بأحرمها»[2]. قوله: وقيل له: «أخرج حقّ ولد عمّك» لعلّ القائل له هو الإمام المهدي عجّل اللّه تعالى فرجه، ومن أجله ذكرناه في المختار، فتأمّل جيّداً تعرفه إذا أَعطبنَه حقّه الأحقّ بالقبول.

* * *

(١) أُصول الكافي ١ / ٥١٩، كتاب الحجّة، باب مولد الصاحب عليه السلام، الحديث ٨.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٥٧ ـ ٤٥٨، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٨١/٥٢. ويأتي المختار: «أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة...» رقمه ١٢٧.

٢٤
أَخْرِج رحمك اللّٰه الدنانير

كلمة انتزعت عن التوقيع الشريف لمحمّد بن إبراهيم بن مهزيار، في عصر نيابة أبي جعفر محمّد بن عثمان العَمْري رحمه الله، رواه الصدوق، والكليني والطوسي، مع اختلاف بين الروايتين، برواية الصدوق:

«يا محمّد بن إبراهيم لا يُدخلك الشكّ فيما قدمتَ له؛ فإنّ اللّٰه عزّ وجلّ لا يُخلي الأرض من حجّة، أليس قال لك أبوك قبل وفاته: أحضر الساعة من يُعيّر هذه الدنانير الّتي عندي، فلمّا أبطأ ذلك عليه، وخاف الشيخ على نفسه الوحاء[1]، قال لك: عيّرها على نفسك، وأخرج إليك كيساً كبيراً، وعندك بالحضرة ثلاثة أكياس، أَو صُرَّة فيها دنانير مختلفة النقد، فعيّرتها، وختم الشيخ بخاتمه، وقال لك: اختم مع خاتمي؛ فإن أعش فأنا أحقّ بها، وإن أمت فاتّق اللّٰه في نفسك أوّلاً، ثمّ فيَّ، فخلّصني وكن عند ظنّي بك. أخرج رحمك اللّٰه الدنانير التي استفضلتها من بين النقدين من حسابنا، وهي بضعة عشر ديناراً من قِبلك؛ فإنّ الزمان أصعب ممّا كان، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل»[2].

* * *

---

(١) السرعة والبدار، وهنا الموت.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٨٧، باب ٤٥ ذكر التوقيعات.

ويأتي شرح بعض كلمات التوقيع عند «إنّ الزمان أصعب ممّا كان» رقمه ١١٠.

٢٥
أُخْرجنا من ديارنا وأَهالينا وقُهرنا

العيّاشي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل فيه كيفيّة خروجه عجّل الله فرجه وبعض كلماته الآتي ذكرها عند «إنّا قد ظُلمنا وطُردنا»[1]، و«سيروا إلى هذه الطاغية»[2] المتنوّع المعاني المُوزّع في هذا الكتاب لا تعلم إلّا بذكره، أو ما ينتهي إلى المختار يقول[3]: «الزم الأرض لا تُحركنّ يدك ولا رجلك أبداً حتّى ترى علامات أذكرها لك في سنةٍ، وترى منادياً ينادي بدمشق، وخسف بقريةٍ من قُراها ويسقط طائفةٌ من مسجدها. فإذا رأيت الترك جازوها فأقبلت الترك حتّى نزلت الجزيرة. وأقبلت الروم حتّى نزلت الرملة وهي سنة اختلاف في كلّ أرض من أرض العرب وإنّ أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسُفياني مع بني ذنب الحمار مُضر ومع السفياني أخواله من كلب. فيظهر السفياني ومن معه على بني ذنب الحمار حتّى يقتلوا قتلاً لم يقتله شيءٌ قطّ ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلاً لم يقتله شيءٌ قطّ وهو من بني ذنب الحمار وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿*فَاخْتَلَفَ الأحزاب من بينهم فَوَيْلٌ للّذين كَفروا مِن مَشْهَدِ يَوم عَظيم*﴾[4] ويظهر السفياني ومن معه حتّى لا يكون له همّة إلّا آل محمّد صلى الله عليه وآله وشيعتهم، فيبعث بعثاً إلى الكوفة فيُصاب بأناس من شيعة آل محمّد بالكوفة قتلاً وصلباً. وتقبل راية من خراسان حتّى تنزل ساحل الدجلة يخرج رجل من الموالي ضعيف ومن تبعه فيصاب بظهر الكوفة، ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها

---

(١) رقمه ١٠٨، ٥١، ٩٩، ١٤٧، ١٨٠ حسب الحديث الموزّع.
(٢) رقمه ٢١٥.
(٣) القائل الباقر عليه السلام الحاكي جابر الجعفي راوي الحديث.
(٤) مريم: ٣٧.

رجلاً ويهرب المهدي والمنصور منها ويُؤخذ آل محمّد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحد إلّا حبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين ويخرج المهدي على سنّة موسى خائفاً يترقب حتّى يقدم مكّة وتقبل الجيش حتّى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهملات[1] خَسَفَ بهم فلا يفلت منهم إلّا مخبرٌ، فيقوم القائم بين الركن والمقام فيُصلّي وينصرف ومعه وزيره، فيقول: يا أيّها الناس إنّا نَسْتنصرُ اللّه على من ظلمنا وسلب حَقّنا، مَن يحاجّنا في اللّه فأنا أَوْلىٰ باللّه...[2] إنّا نشهد وكلّ مسلمٍ اليوم إنّا قد ظُلمنا وطُردنا[3] وبُغي علينا، وأُخرجنا من ديارنا وأهلينا وقُهرنا...»[4].

قوله عليه السلام: «أخرجنا من ديارنا...» يمكن تفسيره بأحد وجهين ١ ـ المراد بالديار المدينة أخرج آباؤه منها الحسين وعلي ابنه، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، الجواد، الهادي، العسكري عليهم السلام. ٢ ـ أو المراد إخراج نفسه المقدّسة بالتبع، لأنه عجّل الله فرجه ولد في (سُرّ من رأى) بعد وفاة المولى الوالد قهر الولد وأَمَرَ السلطان أن يُفتّشوا داره وحجرها والختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه، ينظرن إليهنّ، فذكر بعضهنّ أنّ هناك جارية بها حمل[5] فَجُعلت في حُجرة ووكّل بها نحرير الخادم[6] وأصحابه، ونسوة معهم، ثمّ أخذوا بعد ذلك في تهيئته، وعطّلت الأسواق، وركبت بنو هاشم، والقوّاد، وأبي[7]، وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سرّمن رأى يومئذٍ شبيهاً بالقيامة.

فلمّا فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكّل فأمره بالصلاة عليه، فلمّا وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه، فكشف عن وجهه، فعرضه على بني هاشم من العلويّة والعبّاسيّة، والقوّاد والكُتّاب والقُضاة والمعدّلين،

---

(١) هامش المصدر نسخة: الهلاك. (٢) رقمه ٤٢٧، الآتي ذكره.

(٣) تفسير العيّاشي ١ / ٦٤ ـ ٦٥، الحديث ١١٧، وانتظر التتمّة في موضع مرُصد.

(٤) رقم المختار ٢٥. (٥) في بعض النسخ «لها حبل».

(٦) كان من خواصّ خدم الخليفة، وكان شقيّاً من الأشقياء.

(٧) هو أحمد بن عبيداللّه بن خاقان، وأبوه عبيد الله وزير المعتمد العبّاسي.

وقال: هذا الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه، حضره من حضره من خدم أميرالمؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن القُضاة فلان وفلان، ومن المتطّببين فلان وفلان، ثمّ غطّى وجهه وأمر بحمله، فحمل من وسط داره، ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه، فلمّا دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الّذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّم عليها الحمل لازمين، حتّى تبيّن بطلان الحمل، فلمّا بطل الحمل عنهنّ قسّم ميراثه بين أُمّه وأخيه جعفر، وادّعت أُمّه وصيّته، وثبتذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك، يطلب أثر ولده، فجاء جعفر بعد ذلك إلى أبي[1]، فقال: اجعل لي مرتبة أخي، وأُوصلُ إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي، وأسمعه، وقال له: يا أحمق! السلطان جرّد سيفه في الّذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمّة، ليردّهم عن ذلك، فلم يتهيّأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك أو أخيك إماماً فلاحاجة بك إلى السلطان [أن] يرتّبك مراتبهما، ولا غير السلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا، واستقلّه أبي عند ذلك، واستضعفه، وأمر أن يُحجب عنه، فلم يأذن له في الدخول عليه، حتى مات أبي وخرجنا على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن عليّ عليهما السلام[2]، صرّح الحديث عن الطرد القهري، والإخراج عن الديار والأهل والأموال، وقد سبق في كلمة إهداء الكتاب كلام الإمام العسكري مخاطباً لولده المهديّ عليهما السلام: «فعليك يا بني بلزوم خوافي الأرض وتتبّع أقاصيها؛ فإنّ لكلّ وليّ لأولياء اللّه عزّوجلّ عدوّاً مقارعاً، وضدّاً منازعاً...»[3].

فهو مأمور بالاختفاء عن أعين الظالمين؛ لأنّهم إن ظفروا به قتلوه، وهذا أحد أسباب الغيبة، حتى يأذن اللّه تعالى له بالخروج.

* * *

---

(١) تقدّم المراد به.

(٢) أُصول الكافي ١ / ٥٠٥.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٤٨، الباب الثالث والأربعون، من شاهد القائم عليه السلام.

٢٦
أَخطأتَ بردّكَ بِرّنا

قال الشيخ الصدوق: حدّثني أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن علّان الكليني، عن الحسن بن الفضل اليماني، قال: قصدت سُرّ من رأى، فخرجت إليّ صرّةٌ فيها دنانير، وثوبان، فرددتها وقلت في نفسي: أنا عندهم بهذه المنزلة، فأخذتني الغِرّة[1]، ثمّ ندمت بعد ذلك، فكتبت رقعة أعتذر من ذلك، وأستغفر، ودخلت الخلاء وأنا أُحدّث نفسي، وأقول: والله لئن ردّت إليَّ الصرّة لم أحلّها، ولم أنفقها، حتّى أحملها إلى والدي، فهو أعلم بها منّي، قال: ولم يشر عليَّ من قبضها منّي بشيءٍ ولم ينهني عن ذلك.

فخرج إليه: «أخطأت، إذ لم تعلمه أنّا ربّما فعلنا ذلك بموالينا، وربّما يسألونا ذلك يتبركون به».

وخرج إليَّ: «أخطأت بِردّك بِرّنا، فإذا استغفرت الله عزّوجلّ فالله يغفر لك، فأمّا إذا كانت عزيمتك، وعقد نيّتك أن لا تُحدث فيها حدثاً، ولا تنفقها في طريقك، فقد صرفناها عنك، وأمّا الثوبان، فلابدّ منهما لتُحرم فيهما»[2].

اشتملت القصّة على أسئلة للحسن بن الفضل اليماني وأجوبتها عن الناحية المقدّسة، وإعطائه صرّة فيها دنانير وثوبان له للإحرام فيهما في عصر نيابة أبي جعفر محمّد بن عثمان العَمري، وقد حصل له عشر دلالات على إمامة الإمام المهدي عليه السلام[3].

---

(١) في بعض النسخ «العزّة»، وفي بعضها «الغيرة». هامش إكمال الدين ٢ / ٤٩٠.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٩٠، الباب ٤٥ في التوقيعات، أُصول الكافي ١ / ٥٢٠ ـ ٥٢١، مع اختلاف مّا، وغيبة الشيخ الطوسي: ١٧٠، على سبيل الاختصار.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٩١، البحار ٥١ / ٣٢٩.

قوله عليه السلام:

«أخطأت بردّك برّنا» وجه الخطأ أمور:

الأوّل: مسّ كرامة البارّ كائناً من كان، فضلاً عن بِرّ الإمام المعصوم عليه السلام وعطيّته.

الثاني: عدم التبرّك بعطيّة أهل البيت عليهم السلام، وقد صرّح به عليه السلام في جواب الكتاب: «وربّما يسألونا ذلك يتبرّكون به». فعطيّتهم بركة للمعطى له، لا كما توهّمه الرجل من التنقيص عن منزلته عندهم عليهم السلام حيث قال الرجل: وقلت في نفسي أنا عندهم بهذه المنزلة فأخذتني الغرّة وهذا من قلّة المعرفة. أو فقدها بالإمام المعصوم الذي هو غوث للعباد، ومن هنا أتىٰ خطأه بردّ إحسانه عليه السلام. وصدر التوقيع من أجله.

الثالث: أنّ الإمام المعصوم عليه السلام عالم بما يحتاج إليه الحسن بن الفضل في سفرته هذه إلى الحجّ، وهو جاهل بذلك، وكان عليه أن لا يردّ الدنانير والثوبين، وأن يقول في نفسه: إنّه عالم وأنا جاهل بحقيقة الحال، وهو كذلك؛ إذ لو كان عاقلاً لما وسوست نفسه، ولما أخذته الغِرّة. ولكن تداركته رحمة اللّه عزّ وجلّ، بأن ندم على فعلته الممقوتة، وعرّض نفسه للتوبة والاستغفار والاعتذار، حتى خرج التوقيع:

«فإذا استغفرت اللّه عزّ وجلّ فاللّه يغفر لك» كما يأتي[1].

ويُعلم من القصّة أنّ الرجل لم يعرف من الإمامة شيء، إلى أن حصلت له الدلالات العشر عليها، على ما صرّح في آخرها: أنّه وقف على عشر دلالات، والحمد لله ربّ العالمين[2].

تُعطي القصّة دروساً جديرة بأخذها، والسير على ضوئها والأحرى بالقبول قبول العطاء والبرّ وعدم ردّه؛ إذ لا يفعله إلّا الحمار، كما جاء في المثل: «لا يأبىٰ الكرامة إلّا حمار»[3] خاصّة كرامة الكريم.

والتوبة، بتدارك ما فات من الخير، والمسارعة إليه قبل الفوت والبدار إلى

---

(١) رقمه ٣٤. (٢) إكمال الدين ٢ / ٤٩١، البحار ٥١ / ٣٢٩.

(٣) مجمع الأمثال ٢/٢٢٥، الرقم ٣٥٤٧، الفاخر ٢٩٠، والمثل العلوي الكافي ٦/٥١٣، الحديث، باب كراهية ردّ الطيب، والرضوي المطبوع والنبوي «الأمثال النبويّة» ٢/٢٤٠، رقم المثل ١٥٨، بلفظ «إنّما يردّ الكرامة الحمار».

تحصيل المعرفة الكافية، معرفة الإمام المفترض الطاعة التي تجب على كلّ مؤمن عقلاً ونقلاً المحرّرة في مظانّها.

ترجمة الحسن بن الفضل اليماني:

تعرّض لها جمع منهم الأُستاذ الخوئي بعد العنوان ورواية الصدوق المُسبق الذكر، وحكاية حصول عشر دلالات على إمامة الإمام المهديّ عليه السلام، ورواية الكليني والشيخ الطوسي في الغيبة، بقوله:

أقول: هذه الروايات لا يمكن الاستدلال بها على وثاقة الرجل، ولا على حسنه؛ فإنّ الرواية الأُولى وإن كانت صحيحة ودالّة على حسنه وكونه مورداً للطف الإمام عليه السلام، إلّا أنّ الرواية بما أنّها من نفس الحسن لا يمكن الاعتماد عليها، وأمّا الرواية الثانية فهي ضعيفة دلالةً وسنداً، وبما ذكرنا يظهر الجواب عن رواية الكافي والشيخ، فلا حاجة إلى الإعادة[1].

وبما أنّا ذهبنا في مسألة وثاقة الرواة والرواية مذهب القدماء الواسع النطاق الذي لا مجال لبيانه، فليس كلّ رواية ضعيفة ضعيفة بعد اهتمام القدماء بنقلها والاعتماد عليها، وعدم ردّها، على أنّ موضوع القوّة والضعف في الرواية لا أثر لهما إلّا في انتسابها إلى المعصوم عليه السلام وعدمه، وأمّا الحجّيّة فلا تنحصر في ذلك خصوصاً عند وجود القرائن المعتبرة، وللكلام تتمة مرصدة في موضعها.

والحصيلة أنّ المشائخ الإماميّة القدامىٰ قدس اللّه أسرارهم اهتمّوا بضبطها في كتبهم المعتبرة لولاها لكانت الأجيال القادمة من بعدهم قد فقدت كلّ شيء فجزى اللّه علمائنا المتقدمين المتقارب عصورهم عصر الأئمّة سادات الأمّة عليهم السلام خير الجزاء، ونسأل المولى جلّ وعلا من علومهم وبركاتهم والحشر معهم بحرمة محمّد وآله الأخيار الأبرار عليهم السلام.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ٥ / ٨٠ ـ ٨١.

٢٧
أ دارُك هي؟!

قال الصدوق: حدّثنا المظفّر بن جعفر بن المظفّر العلوي العمري رضي الله عنه، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن مسعود، عن أبيه، قال: حدّثنا جعفر بن معروف، عن أبي عبدالله البلخي، عن محمّد بن صالح بن علي بن محمّد بن قنبر الكبير مولى الرضا عليه السلام، قال: خرج صاحب الزمان على جعفر الكذّاب من موضع لم يعلم به، عندما نازع في الميراث، بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام، فقال له: يا جعفر ما لك تعرض في حقوقي؟! فتحيّر جعفر وبهت، ثمّ غاب عنه، فطلبه جعفر بعد ذلك في الناس فلم يره، فلمّا ماتت الجدّة أُمّ الحسن عليه السلام، أمرت أن تُدفن في الدار، فنازعهم، وقال: هي داري، لا تُدفن فيها، فخرج عليه السلام، فقال: «يا جعفر أدارُك هي؟!» ثمّ غاب عنه فلم يره بعد ذلك[1].

دلّ الحديث على أنّ الرؤية لا تخصّ المؤمن الصادق، فتعمّ غيره أيضاً إلّا أن يقال إنّه لا كرامة للفاسق؛ لما تسمعه قريباً، وإنّما أراه جعفراً، لردعه عما ادّعاه من إرث الدار، لوجود الطبقة الأولىٰ.

فقد روى الصدوق عدداً من الوكلاء وغيرهم الّذين رأوه عليه السلام ولا ينافي ذلك قول أبي محمّد عليه السلام لأحمد بن إسحاق القمّي: «لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ، وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا...»[2]؛ لأنّ الضرورة الدينيّة قد تقتضي في مقام إحقاق الحقّ أن يشاهد الخصم العنود الحجّة عليه السلام، أو لجهة أُخرى، وجعفر من هذا

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٤٢، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٣٨٤، ويأتي تمام الحديث عند «أنا بقيّة الله في أرضه» رقمه ٨٧.

النمط.. وإليك العدد المشاهد له روحي فداه من الوكلاء وغيرهم ممن لهم الكرامة.

قال الشيخ الصدوق طاب ثراه: حدّثنا محمّد بن محمّد الخزاعي رضي الله عنه، قال: حدّثنا أبو عليّ الأسدي، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، أنّه ذكر عدد من انتهى إليه ممّن وقف على معجزات صاحب الزمان عليه السلام. ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، وحاجز، والبلالي[1] والعطّار. ومن الكوفة: العاصمي.

ومن أهل الأهواز: محمّد بن إبراهيم بن مهزيار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق. ومن أهل همدان: محمّد بن صالح. ومن أهل الريّ: البسّامي، والأسدي ـ يعني نفسه ـ. ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء. ومن أهل نيسابور: محمّد بن شاذان. ومن غير الوكلاء من أهل بغداد: أبوالقاسم ابن أبي حليس، وأبو عبدالله الكندي، وأبو عبدالله الجنيدي، وهارون القزّاز، والنيلي، وأبو القاسم بن دبيس، وأبو عبدالله بن فرّوخ، ومسرور الطبّاخ مولى أبي الحسن عليه السلام، وأحمد ومحمّد ابنا الحسن، وإسحاق الكاتب من بني نيبخت ـ نوبخت ـ، وصاحب النواء، وصاحب الصرّة المختومة.

ومن همدان: محمّد بن كشمرد، وجعفر بن حمدان، ومحمّد بن هارون بن عمران.

ومن الدينور: حسن بن هارون، وأحمد بن أُخيّة، وأبو الحسن.

ومن أصفهان: ابن باذشالة.

ومن الصيمرة: زيدان.

ومن قم: الحسن بن النضر، ومحمّد بن محمّد وعليّ بن محمّد بن إسحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب.

ومن أهل الريّ: القاسم بن موسى، وابنه، وأبو محمّد بن هارون، وصاحب الحصاة، وعلي بن محمّد، ومحمّد بن محمّد الكليني، وأبو جعفر الرفّاء. ومن قزوين:

---

(١) صدر لعنه ولعن جماعة، أُنظر «أطال الله بقاك» رقمه ٥٣. وفي عدّه من الوكلاء نظر.

مرداس، وعلى بن أحمد. ومن فاقتر ـ قائن ـ: رجلان.

ومن شهرزور: ابن الخال. ومن فارس: المحروج. ومنِ مـرو: صـاحب الألف دينار، وصاحب المال والرقعة البيضاء، وأبو ثابت ومن نيسابور: محمّد بن شعيب ابن صالح، ومن اليمن الفضل بن يزيد والحسن ابـنه والجـعفري وابـن الأعـجمي والشمشاطي ومن مصر صاحب المولودين وصاحب المال بمكّة وأبو رجاء، ومن نصيبين: أبو محمّد بن الوجناء، ومن الأهواز الحصيني...[1].

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام من ص ٤٣٤ ـ ٤٧٩.

٢٨
أدام اللّٰه إعزازه

من الرسالة الأولى المرويّة عنه عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله الآتي ذكرها عند «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهلية...»[١] دعوات المعصومين عليهم السلام مستجابة؛ من ثمّ كان البغدادي قدس سره عزيزاً بعزّة اللّٰه وإنّ العزّة لله ورسوله وللمؤمنين قال ابن فارس: العين والزّاي أصل صحيح واحد. يدلّ على شدّة وقوّة وما ضاهاها من غلبةٍ وقهرٍ، قال الخليل: العزّة لله جلّ ثناؤه ويقال: «عزّ الشيء حتّى يكاد لا يُوجد، أو لايكاد يقدر عليه، يُقال عَزَّ الرجل بعد ضعف... أعزَزْته قَوّيتَه قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾... وفي المثل إنّما فلانٌ عَنْزٌ عَزوزٌ لها درٌّجَمٌّ يضرب للموسر البخيل[٢]. وفي الكتاب العزيز، والروايات بكثرة قد جاءت اسماً وصفة وسمة والأصل في كلّ ﴿إِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾ ﴿وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾[٣] وفي العلوي: «من أراد عزّاً بلا عشيرة، وهيبة من غير سلطان، وغنىً من غير مال وطاعة من غير بذلٍ فليتحوّل من ذلّ معصية اللّٰه إلى عزّ طاعته؛ فإنّه يجد ذلك كُلّه» والصادقي: «شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّ المؤمن كفّه عن أعراض الناس»[٤].

---

(١) رقمه ٥٩، الاحتجاج ٢ / ٣١٨ ـ ٣٢٤، البحار ٥٣ / ١٧٤ ـ ١٧٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨ ـ ٣٩ محصّلاً يسّ: ١٤، موسوعة أمثال العرب ٣ / ١٨٨ وص ١٨٩ مجمع الأمثال ١ /٢٥، الرقم ٨٣، وعليه فاللفظ مشترك لفظي أومعنوي، عليه المعجم.

(٣) الترتيب النساء: ١٣٩، التوبة: ١٢٨، يوسف: ٨٨.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ٥٢٤، التسلسل ١١٦١ / ٦٨، المجلس ١٨، قم مؤسسة البعثة، وص ١٣٧، الجزء الثامن عشر ج ٢ طبعة النجف، الكافي ٣ / ٤٨٨، صحيح عبداللّه ←

الكفعمي: العزيز: الغالب، القاهر، أو ما يمتنع الوصول إليه قاله الشهيد في قواعده وقال الشيخ علي... في كتابه منتهى السؤول في شرح الفصول: العزيز هو الخطير الذي يقلّ وجود مثله وتشتدّ الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه، فليس العزيز المطلق إلّا هو تعالى، وقال صاحب العدّة: العزيز المنيع الذي لا يغلب ويقال: من عزَّ بَزَّ أي مَن غَلَبَ سَلَبَ...[1].

* * *

← ابن سنان الصادقي ٩، باب النوادر كتاب الصلاة لا يشك المؤمن أنّ التقوى تُورث عزّاً لأهلها.

(١) البلد الأمين ٥٧٦ ـ ٥٧٧، الأسماء الحسنى وشرحها وانظر المثل: الفاخر ٨٩ الرقم ١٥٤ فيه أشعار هامة مجمع الأمثال ٢ / ٣٠٧، الرقم ٤٠٤٥، موسوعة أمثال العرب ٥ / ٤٥٦ في هامشه عدّة مصادر، وإنّما أوردنا ذلك تبعاً للحجّة الكفعمي المتوفّي ٩٠٠ هـ رحمه اللّٰه تعالى.

٢٩
أدام اللّٰه توفيقك

من الرسالة المُسبق الذكر قد سأل المولى جلّ وعلا دوام إعزاز المفيد، وهنا التوفيق لغةً وكتاباً وحديثاً باختصار:

وهو من الوَفق، وكلّ شيءٍ متّسق متّفق فهو الوَفق، تقول: وافقت، فلاناً في موضع كذا، أو على أمر كذا اتّفقا عليه معاً، وتقول: لا يتوفّق عبدٌ حتى يُوفّقه الله تعالى فهو مُوفّق قاله الخليل محصّلاً التوفيق من اللّٰه توجيه الأسباب نحو مطلوب الخير، والوفق من الموافقة كالالتحام قاله غيره[١].

لم يأت في القرآن الكريم إلّا ﴿*إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا*﴾ و ﴿*جَزَاء وِفَاقاً*﴾ و ﴿*إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً*﴾ و ﴿*وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ*﴾[٢].

الثمالي سمعتُه يقول: «أَنتم أهل تحيّةِ اللّٰه وسلامه، وأهل أَثرة اللّٰه برحمته وأهل توفيق اللّٰه بعصمته...».

ومنه دعاؤه المروي، المسمّى سهم الليل: «اللّهمّ ارزُقنا توفيق الطاعة...» الآتي عند «املأ قلوبنا بالعلم والمعرفة»[٣].

* * *

---

(١) العين ٣ / ١٩٧١ ـ وفق ـ ، مجمع البحرين ٥ / ٢٤٦ فيه تفسير الاتفاقات.

(٢) النساء: ٣٥، النبأ: ٢٦، هود: ٨٨ بالترتيب.

(٣) روضة الكافي ٣١٦، الصادقي المطوّل رقمه ٣٥٥، والأثرة بالضمّ المكرمة المتواترة، قصيرة من طويلة موسوعة أمثال العرب ٤ / ٥٣٢: يضرب لاختصار الكلام وانظر المختار رقمه ٧٨.

٣٠
أدام الله سعادتهم

من التوقيع الآتي بكامله عند «أطال الله بقاك» سائلاً عليه السلام المولى عزوجل دوام إسعاد نائِبِهِ عجل الله فرجه في دور ثالث سفرائه[١].

قال ابن منظور: السَّعد اليُمن وهو نقيض النّحس... والسعادة خلاف الشقاوة، يقال: يوم سَعدٍ ويوم نَحسٍ، وفي المثل في الباطل «دُهْدُرَّين سَعدُ القَين» ومعناهما عندهم الباطل[٢].

في الكتاب العزيز لم يجيء إلّا ﴿*شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ... * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ*﴾[٣] هي كافية، وعِظة شافية للعالمين.

روى العلّامة المجلسي رحمه الله عن كنز الكراجكي قال: قال الصادق عليه السلام: «ما كلّ من نَوىٰ شيئاً قَدَرَ عليه، ولا كلّ من قَدَرَ على شيءٍ وُفّق له، ولا كلّ مَن وُفّقَ لشيءٍ أصاب له، فإذا اجتمعت النيّة والقُدرة والتّوفيق والإصابة فهنالك تمّت السعادة»[٤] اللّهمّ اكتبنا في ديوان السعداء واحشرنا مع أئمّة الأتقياء وشفاعتهم يوم الجزاء.

* * *

(١) رقمه ٥٣، الشيخ أبو القاسم حسين بن روح بن بحر النوبختي المتوفي ٣٢٦ هـ.

(٢) اللسان ٣/٢١٣ ـ سعد ـ، مجمع الأمثال ١/٢٦٦، الرقم ١٤٠٠، موسوعة أمثال العرب ٤/٢٩.

(٣) هود: ١٠٥ ـ ١٠٨، تفسير الصافي ١ / ٨١٤ رواية الخير والشر والخلود.

(٤) البحار ٥ / ٢١٠، رقمه ٥٠، باب ٧ من التمحيص، يُرجى الملاحظة بكلّ جدٍّ ونشاط.

٣١
أديروه

روى الشيخ المجلسي، عن النعماني، عن ابن عقدة، عن عليّ بن الحسن التيملي، عن سعدان بن مسلم، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «بينا الرجل على رأس القائم عليه السلام يأمره وينهاه، إذ قال: أديروه، فيديرونه إلى قدّامه، فيأمر بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيءٌ إلّا خافه»[١].

وبسند متّصل إلى البرقي، عن أبيه، عن سعدان بن مسلم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، مثله[٢].

للإمام المهديّ عجّل اللّه تعالى فرجه سيرة تمتاز عن سير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كلّهم، استعرضها علماؤنا الأبرار، والمشائخ: الكليني والصدوق والطوسي وغيرهم وأجمع حديث وجدته مبيّناً لسيرة الإمام المهديّ روحي فداه حديث الإمام الباقر عليه السلام، قد ذكرنا بعضه عند «اسكت يا فلان»[٣]، وكلّه عند «انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم»[٤].

قوله عليه السلام[٥]: «أديروه، فيديرونه» مَن المراد بالرجل على رأس القائم عجّل اللّه تعالى فرجه؟

الجواب: إمّا من طغاة زمانه عليه السلام الذي يأمر وينهى بما ليس له، فيأمر الإمام المهديّ أصحابه بإدارته قدّامه، وضرب عنقه، ويشهد لهذا التفسير: «فلا يبقى في

---

(١) البحار ٥٢ / ٣٥٥، الحديث ١١٧، الباب ٢٧ في سيرته عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) رقمه ٥١.

(٤) رقمه ٩٩.

(٥) على تقدير إخراج الحديث كما لا يبعد.

الخافقين شيء إلّا خافه» لمكان سُلطته عليه السلام السماويّة، ولا يصنع ذلك إلّا بالجبابرة والطغاة.

وإمّا المراد به بعض وُلاته وعُمّاله، وعليه يراد بقوله عليه السلام: «يأمره وينهاه» بالامر والناهي الإمام المهديّ روحي فداه، وإنّما يأمر أصحابه بإدارته قدّامه وضرب عنقه؛ لتمرّده، وتخلّفه عمّا أمره ونهاه[1] ويحتمل الشمول لكلّ ذلك. ولكنّه بعيد، فتدبّر تعرفه إن شاء اللّٰه، إنّ سيرته الطيّبة عيانها أعظم من بيانها ادّخرها اللّٰه تعالى؛ ليُظهر دينه على الدين كله؛ وليكون يومئذٍ كلّه لله، لم يبق على وجه الأرض من الكافرين ديّاراً، ولا يُعبد إلّا اللّٰه جهاراً.

* * *

---

(١) قال السيّد الجزائري: بسبب أنّه أضمر في قلبه شيئاً قبيحاً. الأنوار النعمانيّة ٢ / ٩٥ وعليه يقوى التفسير الثاني للرجل، ومنه يعلم أنّه عليه السلام يحكم بين الناس كحكم داود النبيّ عليه السلام على طبق الواقع المعلوم لديه.

٣٢
إذا أذن اللّٰه لنا في القول ظهر الحقّ

هذا بعض جواب الإمام المهديّ عليه السلام عن كتاب أحمد بن إسحاق الأشعري، وعمّا في درجه، الذي وجّهه إلى الناحية المقدّسة على يد أبي جعفر العمري ومنه ما يلي:

«وقد أبى اللّٰه عزّ وجلّ أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، وإذا أذن اللّٰه لنا في القول ظهر الحقّ، واضمحلّ الباطل، وانحسر عنكم، وإلى اللّٰه أرغب في الكفاية، وجميل الصنع والولاية، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل، وصلّى اللّٰه على محمّد وآل محمّد»[١]. تراه روحي فداه عمّ الخطاب سواءً أكان جعفر الكذاب أو غيره.

يأتي التكلّم عليه أيضاً عند «أمّا سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف»[٢]؛ لا قرابة بين اللّٰه جلّ وعزّ وبين غيره. يريد عليه السلام بالكلام إبطال دعوى جعفر القيمومة بعد أخيه الحسن العسكري عليه السلام، ودلّل على فسادها بأنّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، وأنّ اللّٰه تعالى أبىٰ ذلك في غيرهما، وجعفر شارب الخمور كما في التوقيع السابق[٣]، والمذكور بعضه في المختار، وحتى لو قيل بجوازها في الأخوين لم تصلح له، لأنّه يفقد شروطها: «إذا

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٦، فصل التوقيعات الكثيرة، والكلمة تماثلها الأخرى المأثورة: «إذا أذن لنا في الكلام لزال الشكّ» إكمال الدين ٢ / ٤٣٠.

(٢) رقمه ٨١.

(٣) عند: «آثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة» رقمه ٥.

أذن الله لنا في القول ظهر الحق للجميع» والإذن في القول كناية عن الخروج، والقيام لإحياء معالم الإسلام بعد اندراسها. ونظيره ما جاء في التوقيع الصادر للعمريّين النائبين الأوّل والثاني ـ رحمهما الله تعالى ـ :

«ولو قد أذن الله عزّوجلّ فيما قد منعه عنه، وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه، لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة...»[1] على كشف الحقائق يراها الناس بعين العيان، لا يفتقر إلى إقامة البرهان؛ جاء العيان فألوىٰ بالأسانيد.[2]. ولا شيء أبين منه. ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[3].

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٥١١، باب ٤٥ ذكر التوقيعات.

(٢) مجمع الأمثال ١ / ٢٩٠، المولد موسوعة أمثال العرب ٣ / ٤٦٠.

(٣) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧ فيها قصّة عجيبة، الخرائج ١ / ١٧٢ تأتي للمختار ٣٨.

٣٣
إذا أردتم التوجّه بنا إلى اللّه تعالى وإلينا فقولوا:

من كلمات الإمام المهديّ عجّل الله فرجه رواها الشيخ الطوسي، وزيارته الصادرة عنه المُصَدَّر بـ «سلام على آل يّس...»[١] روى أبو منصور أحمد بن علي ابن أبي طالب الطبرسي[٢] المتوفي في ٦٢٠ هـ، قائلاً: وعن محمّد بن عبدالله ابن جعفر الحميري أنّه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدّسة ـ حرسها اللّه ـ بعد المسائل:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[٣] عن قوم لا يؤمنون، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين، إذا أردتم التوجّه بنا إلى اللّه تعالى وإلينا فقولوا: سلام على آل يّس...»[٤].

لسنا بصدد سرد الزيارة المذكورة المأثورة[٥]، والمناسب الإشارة إلى بيان الارتباط بين التوجّه إلى اللّه عزّوجلّ بهم وإليهم عليهم السلام في الدعوات كلّها.

قد دلّ الكتاب والسُنّة على استلزام طاعة الرسول لطاعة اللّه عزّوجلّ، واتّباعه صلى الله عليه وآله، لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[٦]، و﴿قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ

---

(١) الصافّات: ١٣٠ ﴿سَلٰمٌ على إل ياسين﴾.

(٢) نسبة إلى طبرستان وهي الّتي تعرف بـ مازندران، بل قد يقال: طبرستان على جميع تلك البلاد... وهي واقعة على طرف بحر الخزر، وتعرف ببحيرة طبرستان. مقدّمة الاحتجاج ١ / هـ. وانظر معجم البلدان ٤ / ١٣ ـ ١٦، للحموي فيه تفصيلها المرصد.

(٣) القمر: ٥.

(٤) الاحتجاج ٢ / ٣١٥ ـ ٣١٦، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ١٠٢ / ٨١ ـ ٨٣.

(٥) المصدران المتقدّمان. من شاء الزيارة بألفاظها نظر إليهما.

(٦) النساء: ٨٠.

اللّٰه فَاتَّبِعُونى يُحبِبْكُمُ اللّٰه وَيَغفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللّٰهُ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ [١].

وبما أنّ الملازمة بينهما حقيقيّة، بل ليس هنا إلّا طاعة واحدة، وهي طاعة اللّٰه جلّ جلاله وحده لا سواه، كانت طاعة الرسول مطلوبة من جميع الناس، ولئن كان قصور أو تقصير في معرفة هذه الملازمة؛ لعدم إدراكها إدراكاً حقيقيّاً علميّاً بل قصارىَ الإدراك إدراكاً فطريّاً ﴿*فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا*﴾ [٢]. كان مغفوراً لهم، ولعلّ آخر الآية: ﴿*وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*﴾ ناظر إلى ذلك أو شامل له.

وكما تصحّ طاعة الرسول أن تكون هي طاعة اللّٰه، كذلك طاعة أهل البيت المعصومين، كما صرّح الأمر بها في قوله تعالى ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّٰهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ*﴾ [٣]. وهم المعصومون عليهم السلام على مسلك الإماميّة، فلو لم تكن طاعة أُولي الأمر طاعة اللّٰه والرسول لم يؤمر المؤمنون بطاعتهم.

بل لولا أنّ العصمة مسلوبة عن غير أهلها لقلنا بصحّة طاعة كلّ مؤمن باللّٰه ورسوله؛ ومن ثمّ ساغ الاتّباع في مواطن خاصّة بمن يوثق بدينه وأمانته، وليس ذلك إلّا لغاية الملازمة.

ثمّ إنّ الدعاء والزيارة من شعب الإيمان باللّٰه ورسوله والأئمّة المعصومين وطاعتهم، ومصدر الجميع الحبّ في اللّٰه والبغض في اللّٰه، الذي هو حقيقة الإيمان، كما صرّح في أحاديث مرويّة عنهم عليهم السلام، منها:

الصادقي: «من أحبّ لله وأبغض لله وأعطى لله فهو ممّن كمل إيمانه».

والباقري: «ودّ المؤمن [للمؤمن خ] في اللّٰه من أعظم شعب الايمان،...» [٤].

والصادقي: «وهل الإيمان إلّا الحب والبغض...».

والباقري: «يا زياد ويحك وهل الدين إلّا الحبّ... الدين هو الحبّ والحبّ هو الدين» [٥].

---

(١) آل عمران: ٣١. (٢) الروم: ٣٠. (٣) النساء: ٥٩.

(٤) الوسائل ١١ / ٤٣١، الحديث ٣، الباب ١٥ من أبواب الأمر بالمعروف.

(٥) نفسه ٤٣٥، الحديث ١٦.

تجد الملازمة مصرّحة بين ذلك، وهكذا من طرف البغض أو وضع الحبّ في غير موضعه، كما في الصادقي: «من وضع حبّه في غير موضع فقد تعرّض للقطيعة»[(١)].

ثمّ قول الإمام المهديّ عليه السلام: «إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا...» فقد دلّ عليه ما في زيارة الجامعة: «من أراد الله بدأ بكم، ومن وحدّه قَبِل عنكم، ومن قصده توجّه بكم»[(٢)].

والسرّ في ذلك أنّهم أبواب الله ووجهه تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[(٣)] قد مرّ غير مرّة؛ لأنّ الحديث عنه عليه السلام[(٤)]

كالمسك ما كرّرته يتضوّعُ

* * *

---

(١) الوسائل ١١ / ٤٣٦، الحديث ٢١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٨١، في زيارة الجامعة من الهادي عليه السلام.

(٣) الأنبياء: ٢٧، لا يَدْعونَ إلّا إلى الله: إذ هم الأدلّاء الهداة المهديون.

(٤) صدره * أَعِدْ ذِكر نُعمانٍ إنّ ذكره * تاج العروس في ـ ضوع ـ.

٣٤
إذا استغفرت الله عزّوجلّ فالله يغفر لك

سبقت رواية المشائخ الكليني الصدوق والطوسي ـ طاب ثراهم ـ المسندة، عن الحسن بن الفضل اليماني، عند المختار: «أخطأت بردّك برّنا»[1]: وفيها الكلمة: «إذا استغفرت الله عزّوجلّ فالله يغفر لك»[2] من الجدير المتابعة لأمر الإمامة، سواء في الحضر أم السفر إلى سرّ من رأى، أم غيرها مهما كلّف الأمر؛ ذلك بأنّها من أهم المسائل الاعتقادية الإمامة الّتي هي كالجزء من النُبوّة لا يتجزء ولا تتمّ إلّا بها والمقصود استمرارها بعد حدوثها عليها بالذّات؛ من أجل ذلك كان من المُحتّم على المؤمن بالله ورسوله الفحص بحكم العقل عن القائم من بعده المنصوص عليه من قبلهما ولا ثالث لزاماً شجرة النبوّة المثمرة التي تأتي أكُلُها كل حين بإذن ربّها، لولاها لما كان لها ثبات ولا نبات.

قال ـ أي اليماني: ـ وكتبت في معنيين وأردت أن أكتب في معنى ثالث في نفسي: لعلّه يكره ذلك، فخرج إليّ الجواب للمعنيين، والمعنى الثالث الّذي طويته ولم أكتبه.

قال: وسألت طيباً فبعث إليّ بطيب في خرقة بيضاء فكانت معي في المحمل، فنفرت ناقتي بعُسفان[3]، وسقط محملي، وتبدّد ما كان فيه، فجمعت المتاع وافتقدت

---

(١) رقمه ٢٦.   (٢) إكمال الدين ٢ / ٤٩٠، الباب الخامس والأربعون التوقيعات.

(٣) كعثمان موضع على مرحلتين من مكّة. هامش إكمال الدين ٢ / ٤٩٠.

قال الحموي: قاب أبو منصور: (عُسفان) منهلة من مناهل الطريق بين الحجفة ومكّة، وقال غيره عسفان بين المسجدين وهي من مكّة على مرحلتين، وقيل: عسفان قرية جامعة بها... ونخيل ومزارع على ستّة وثلاثين ميلاً من مكّة، وهي حد تهامة... معجم البلدان ٤/١٢١ ـ ١٢٢.

الصرّة، واجتهدت في طلبها، حتى قال لي بعض من معنا ما تطلب؟ فقلت: صرّة كانت معي، قال: وماكان فيها؟ قلت: نفقتي، قال: قد رأيت من حلمها، فلمأزل أسأل عنها حتى أيست منها، فلمّا وافيت مكّة حللت عيبتي وفتحتها فإذا أوّل ما بدر عليّ منها الصرّة، وإنّما كانت خارجاً [جة خ] في المحمل فسقطت حين تبدّد المتاع.

قال: وضاق صدري ببغداد في مقامي، وقلت في نفسي: أخاف أن لا أحُجّ في هذه السنة ولا أنصرف إلى منزلي، وقصدت أبا جعفر ـ يعني العمري ـ أقتضيه جواب رقعة كنت كتبتها، فقال لي: صر إلى المسجد الّذي في مكان كذا وكذا، فإنه يجيئك رجلٌ يُخبرك بما تحتاج إليه، فقصدت المسجد وأنا فيه إذ دخل عليّ رجلٌ فلمّا نظر إليَّ سلّم وضحك، وقال لي: أبشر فإنّك ستحجّ في هذه السنة وتنصرف إلى أهلك سالماً إن شاء الله تعالى.

قال: وقصدت ابن وجناء أسأله أن يكتري لي، ويرتاد عديلاً، فرأيته كارهاً، ثمّ لقيته بعد أيّام، فقال لي: أنا في طلبك منذ أيّام، قد كتب إليَّ وأمرني أن أكتري لك، وأرتاد لك عديلاً ابتداءً، فحدّثني الحسن أنّه وقف في هذه السنة على عشر دلالات والحمد لله ربّ العالمين[1].

سبق أن مسألة الإمامة من أهمّ الأمور التي يجب العلم بها والبناء عليها. كرّرناها، لمكان شدة الاهتمام بها. جئنا عن آخر القصّة؛ لإكمال النفع، وفيها دروس ذكرنا بعضها عند المختار: «أخطأت بردّك برّنا» حريّة بالقبول، وعمدتها: اليقين بأنّ الإمام المهديّ عليه السلام مطّلع على ما عليه الطالبون ممّا يرتادون، ولا تخفى عليه حالهم حيث ما كانوا، بل إنّ أعمال المؤمنين وغيرهم تعرض عليه، كما جاء في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2]. والمؤمنون الأئمّة كما في الصادقي قال: «هم الأئمّة»[3]. والرضوي: «إنّ الأعمال تُعرض على رسول الله أبرارها وفجّارها»[4]. والباقري: «إنّ الأعمال تُعرض على نبيّكم كلّ عشيّة

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٩٠ ـ ٤٩١، البحار ٥١ / ٣٢٩.
(٢) التوبة: ١٠٥.
(٣) تفسير البرهان ٢ / ١٥٧، الرقم ٢.
(٤) نفسه، الرقم ٦.

الخميس فليستحي أحدكم أن تُعرض على نبيّه العمل القبيح»[١]. وفي الصادقي: «ولكن رسول اللّه تعرض عليه أعمال أمّته كلّ صباح أبرارها وفجّارها فاحذروا...»[٢].

قوله عليه السلام: «إذا استغفرت اللّه...».

أي طلبت من اللّه عزّوجلّ غفران ذنوبك خاصّة ردّك برّنا وقرنته بقول: أستغفر اللّه؛ إذ لم يرد به مجرّد اللفظة، ولعلّه يراد به الندم والعزم على عدم العود لمثله، نعم للاستغفار تفسيره الجامع أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام لمن قال بحضرته: «أستغفر اللّه». قال عليه السلام: ثكلتك أمّك ! أتدري ما الاستغفار؟! للاستغفار درجة العلّيين وهو واقع على ستّة معان: أوّلها الندم على ما مضى...»[٣].

لولا إطالة الكلام لذكرناه كَمَلاً. ومن حديث التوبة الباقريّ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»[٤]، والصادقيّ: «إنّ اللّه عزّوجلّ يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالّته إذا وجدها»[٥]. والمثل يرمي إلى مستو رفيع لو درى التائب به لمات شوقاً، و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[٦] كما أحبّ تعالى طوائف أُخرى لا يسع المقام ذكرهم.

قال الحرّ: «واللّه لو علمت أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت، وأنا تائب إلى اللّه ممّا صنعت فترى لي من ذلك توبة؟ فقال له الحسين عليه السلام: نعم يتوب عليك فانزل...»[٧] والمهدي ابن الحسين عليهما السلام يتوب على اليماني؛ واللّه يقبل التوبة الصادقة وينتظرها في كلّ آن، وأوان ومن كلّ إنسان والباب مفتوح بمصراعيه.

* * *

(١) نفسه: ١٥٨، الرقم ١٢، تفسير نور الثقلين ٢ / ٢٦٢ ـ ٢٦٤، الرقم ٣١٦ ـ ٣٣٢.

(٢) نفسه: ٢٦٢، الرقم ٣١٨، في الباب ٣٢ حديثاً. وانظر: بصائر الدرجات: ٤٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٥٦، الحكمة ٤٢٥.

(٤) أُصول الكافي ٢ / ٤٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ٤٣٦.

(٦) البقرة: ٢٢٢.

(٧) البحار ٤٥ / ١١.

٣٥
إذا أَفَلَ نجمٌ طَلَعَ نجمٌ

جاءت الكلمة في التوقيع الصادر عن الناحية جواباً عن كتاب جماعة من الشيعة تشاجروا مع ابن أبي غانم القزويني في (الخلف عليه السلام) ولربطها نذكر شيئاً من التوقيع الشريف:

«إنّه أُنهي إليَّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشكّ والحيرة في ولاة أُمورهم، فغمّنا ذلك لكم، لا لنا، وساءنا فيكم، لا فينا؛ لأنّ اللّه معنا فلن يُوحشنا من قَعَدَ عنّا، ونحن صنائع ربّنا، والخلق بعدُ صنائعنا. يا هؤلاء، ما لكم في الريب تتردّدون، وفي الحيرة تنعكسون، أوَما سمعتم اللّه عزّوجلّ يقول: ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ*﴾[1] أوَما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمّتكم عن الماضين والباقين منهم عليهم السلام؟ أوَما رأيتم كيف جعل اللّه لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام، كلّما غاب علَمٌ بدا عَلَمٌ وإذا أَفَلَ نجمٌ طَلَعَ نجم؟!...»[2].

وهي الكلمة المثليّة كما جاءت برواية الشيخ الطوسي في التوقيع ردعاً عن المشاجرة في (الخلف عليه السلام)، وكذا برواية الشيخ الصدوق في التوقيع الخارج لمحمّد ابن إبراهيم بن مهزيار.

قال رحمه الله: حدّثنا محمّد بن الحسين رضي الله عنه، عن سعد بن عبداللّه، عن علي بن محمّد الرازي المعروف بعلّان الكليني، قال: حدّثني محمّد بن جبرئيل الأهوازي، عن إبراهيم ومحمّد ابني الفرج، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، أنّه ورد العراق

(١) النساء: ٥٩. (٢) كتاب الغيبة: ١٧٣، طبعة النجفية، ٢٨٥ ـ ٢٨٧ طبعة إيران قم المحروسة.

شاكّاً مرتاداً[١] فخرج إليه:

«قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيته عن موالينا بناحيتكم، فقل لهم: أما سمعتم الله عزّوجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢].

هل أمر إلّا بما هو كائن إلى يوم القيامة؟ أو لم ترو أنّ الله عزّوجلّ جعل لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي صلوات الله عليه؟ كلّما غاب عَلَمٌ بدا عَلَمٌ، وإذا أفَلَ نجمٌ طَلَع نَجمٌ...»[٣].

وللروايتين بقيّة تأتي عند المثل: «كلّما غاب عَلَم بدا علم»[٤]، وعند «حذو النعل بالنعل»[٥]، وغيرهما من الكلمات المستخرجة المختارة منهما.

ويضاهي المثل الجاري حديث الباقر عليه السلام: «كلّما غاب نجم طلع نجم» أوّله: «إنّما نحن كنجوم السماء... فإذا طلع نجم فاحمدوا ربكم»[٦].

وأُفول النجم غيبوبته، ومنه أُفول القمر والشمس كما اختصّ الله عزّوجلّ من استدلال إبراهيم عليه السلام لقومه بأُفول الكوكب، والقمر والشمس، على عدم صحّة ربوبيّتها؛ لأجل تغيّرها الدالّ على حدوثها وإمكانها؛ قال تعالى في قصّة خليله إبراهيم عليه السلام:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ... قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٧].

وكلّ شيء غاب فهو آفل قال القائل:

فدع عنك سعدى إنّما تُسعف النَوى ... قرانَ الثّريّا مرّةً ثمّ تأفلُ[٨]

والغرض من المثل بأُفول النجم وطلوعه، بيان امتداد الإمامة الحقّة الّتي لولاها

---

(١) من الارتياد: أي الطلب وفي التوقيع ما يدلّ عليه، فراجع.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٨٦ ـ ٤٨٧، الباب ٤٥.
(٤) رقمه ٣٠٦.
(٥) رقمه ١٦٨.
(٦) أُصول الكافي ١ / ٣٣٨، الحديث ٨، باب في الغيبة.
(٧) الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨.
(٨) معجم مقاييس اللغة ١ / ١١٩، في (أفل).

لساخت الأرض بأهلها، كما عن الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[١]، والآخر: «لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة»[٢]، وعن الباقر عليه السلام: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»[٣]؛ لما قال عزّوجلّ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٤] و﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾[٥].

والشبه بين الإمام والنجوم أُمور: منها الرفعة والعلوّ الذاتي. ومنها: الإضاءة فكما أنّ النجوم تضيء لأهل الأرض، كذلك الإمام المعصوم ضياء لأهل العالم كلّه بنوره ودستوره.

ومنها: الاهتداء قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٦]. كذلك الإمام عليه السلام هدىً لمن استهداه، وهذه الظاهرة شأن كلّ عالم فضلاً عن الإمام، وفي الديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام:

ما الفضل إلّا لأهل العلم إنّهم ... على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ[٧]

ومنها: الزينة قال عزّوجلّ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[٨]. والإمام زينة العباد والبلاد. ومنها: النجوم مصابيح السماء، ورجوماً للشياطين: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾[٩]. كذلك المعصومون عليهم السلام مصابيح العالمين وسُرُجها، ورجوم الأبالسة والشياطين الإنسيّة والجنّيّة، في سبيل الوصول إلى الحقائق، وغيرها من وجوه الشبه بين النجوم وأهل البيت عليهم السلام.

والحجّة عليه السلام ـ كما سبق ـ يريد بالمثل المذكور: الامتداد الوجودي للإمامة، واستمرار وجود الإمام المعصوم عليه السلام، تلحقه وجوه الشبه الأُخرى من الاهتداء، والزينة، والإضاءة، ورجم الشياطين، كما كان كلّ ذلك للنجوم لا تنفكّ تلك الخصال عنها. والمثل قبل أن يكون مثلاً مهدويّاً مثل علويّ، تكلّمنا عنه عند «مثل آل محمّد

---

(١) أُصول الكافي ١/١٧٩، الحديث ١٠. (٢و٣) نفسه الحديث ١١ـ١٢ معنىً. (٤) النساء: ١٦٥.
(٥) طه: ١٣٤، تفسير نور الثقلين ٣ / ٤١١. (٦) النحل: ١٦. (٧) ص ٧.
(٨) الصافّات: ٦. (٩) الملك: ٥.

كمثل النجوم، إذا خوى نجم، طلع نجم»[١]، بل ونبويّ رواه الصدوق عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ومثلكم مثل النجوم، كلّما غاب نجم، طلع نجم إلى يوم القيامة» في الصحيح: سُئل الرضا عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، وعن قوله عليه السلام: «دعوا لي أصحابي» فقال عليه السلام: هذا صحيح يريد من لم يُغيّر بعده ولم يُبدّل. قيل: وكيف يعلم أنّهم قد غيّروا أو بدّلوا؟ قال: لما يروونه من أنّه صلى الله عليه وآله قال: ليُذادنّ برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تُذاد غرائب الإبل عن الماء فأقول: ياربّ أصحابي أصحابي؟ فيُقال لي: إنّك لا تعلم ما أحدثوا بعدك؟ فيُؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: بُعداً لهم وسحقاً لهم أفترى هذا لمن لم يُغيّر ولم يُبدلّ»[٢].

* * *

(١) شرح النهج ٧ / ٨٤ الخطبة ٩٩، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: ٤٤٩، رقم المثل ١٥٢.

(٢) الأمالي: ٢٣٨، الأمثال النبويّة ٢ / ٢٠٤، الرقم ٥٠٩. عيون أخبار الرضا ٢/٨٥ ـ ٨٦، باب ما جاء عنه في العلل، الحديث ٣٣.

٣٦
إذا أهمّك أمرٌ أو غمٌّ فامسح بهذا المنديل

روى الشيخ الطوسي بإسناده إلى ابن أخي طاهر، ببغداد، طرف سوق القطن في داره، قال: قدم أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عليّ العقيقي بغداد إلى عليّ بن عيسى ابن الجرّاح، ـ وهو يومئذٍ وزير ـ في أمر ضيعة له، فسأله فقال له: إنّ أهل بيتك في هذا البلد كثير، فإن ذهبنا نعطي كلّما سألونا، طال ذلك، أو كما قال:

فقال له العقيقي: فإنّي أسأل من في يده قضاء حاجتي؛ فقال له عليّ بن عيسى: من هو ذلك؟ فقال: اللّٰه جلّ ذكره، فخرج وهو مغضب.

قال: فخرجت وأنا أقول: في اللّٰه عزاء من كلّ هالك، ودرك من كلّ مصيبة، قال: فانصرفت فجاءني الرسول من عند الحسين بن روح رضي الله عنه، فشكوت إليه، فذهب من عندي فأبلغه، فجاءني الرسول بمائة درهم عدد، ووزن مائة درهم، ومنديل، وشيءٍ من حنوط وأكفان، وقال لي: مولاك يقرؤك السلام، ويقول: «إذا أهمّك أمرٌ أو غمٌّ فامسح بهذا المنديل وجهك؛ فإنّ هذا منديل مولاك. وخذ هذه الدراهم، وهذا الحنوط، وهذه الأكفان، وستقضى حاجتك في هذه الليلة، فإذا قدمت إلى مصر مات محمّد بن إسماعيل من قبلك بعشرة أيّام، ثمّ متّ بعده فيكون هذا كفنك وهذا حنوطك، وهذا جهازك...» وسَبَقَ الأشعار من عيون الأخبار لابن قتيبة[1].

* * *

---

(١) كتاب الغيبة: ١٩٣، وللحديث بقيّة يطول المقام لذكرها فراجع المختار رقمه ٢١.

٣٧
إذا بدت لك أمارات الظهور والتمكّن فلا تبطىء بإخوانك عنّا

من كلام طويل للإمام المهديّ عليه السلام مع إبراهيم بن مهزيار المكنّى بأبي إسحاق، عند لقائه وتشرّفه به، عجّل الله فرجه، في جبال الطائف، في قصّة له، وهو الّذي يصف الإمام عليه السلام فيها ويقول:

وهو غلام، أمرد، ناصع اللون، واضح الجبين، أبلج الحاجب، مسنون الخدّين، أقنى الأنف، أشمّ، أروع، كأنّه غصن بانٍ، وكأنّ صفحة غرّته كوكب درّيّ، بخدّه الأيمن خالٌ، كأنّه فتات مسك على بياض الفضّة، وإذا برأسه وفرة سمحاء[1]، سبطة[2]، تطالع شحمة أذنه، له سمتٌ ما رأت العيون أقصد منه، ولا أعرف حسناً، وسكينة، وحياءً... ـ إلى أن يقول عليه السلام: ـ «إذا بدت لك أمارات الظهور والتمكّن فلا تبطئ بإخوانك عنّا»[3].

ووصفه أخوه عليّ بن مهزيار، عندما علا ذروة الطائف، قال الدليل للمهزياري: (هل ترى شيئاً؟ قلت: نعم أرى كثيب رمل، عليه بيت شعر، يتوقّد البيت نوراً، فلمّا أن رأيته طابت نفسي؛ ثمّ قال لي: هناك الأمل والرجاء ـ إلى أن قال: ـ وسار وسرتُ معه، إلى أن دنا من باب الخباء، فسبقني بالدخول، وأمرني أن أقف، حتّى يخرج إليَّ، ثم قال لي: ادخل، هناك السلامة؛ فدخلت، فإذا أنا به جالس، قد اتّشح ببُردة وأتّزر بأخرى، وقد كسر بُردته على عاتقه، وهو كأقحوانة أرجوان[4]. وقد

---

(١) أي السواد. (٢) غير مجعّد.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٤٦ و ٤٥١، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

(٤) والأُقْحُوان: نبت معروف تشبّه به الأسنان، وهو نبت طيّب الريح ووزنه: أُفْعُلان. النهاية ١ / ٥٧ ـ أقحوان ـ والأُرْجُوان، بضمّ الهمزة والجيم شجر له نور أحمر، أحسن ما يكون. ←

تكاثف عليها الندى، وأصابها ألم الهوى، وإذا هو كغصنٍ بانٍ، أو قضيب ريحانٍ، سمحٌ سخيّ، نقيّ، تقيّ، ليس بالطويل الشامخ، ولا بالقصير اللازق، بل مربوع القامة، مدوّر الهامة، صلت الجبين، أزجّ الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدّين، على خدّه الأيمن خال، كأنّه فتات مسك على رضراضة عنبر...)[١].

قال المعلّق على مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري طاب ثراه عند قوله قدس سره: (وفي عدّ وشم الخدود من جملة التدليس تأمّل).

وكم للشعراء من أهل الذوق والمعرفة غزليّات حول هذه الوشمة، إذا كانت موجودة في الإنسان؛ قال شاعرنا الكبير المرحوم السيّد رضا الهندي، أعلى اللّه مقامه، في قصيدته الرائيّة الشهيرة بـ (الكوثريّة) في مدح الإمام أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام:

أمفلّج ثغرك أم جوهرْ	ورحيق رضابك أم سُكّرْ
قد قال لثغرك صانعه	إنّا أعطيناك الكوثرْ
والخال بخدّك أم مسك	نقّطت به الورد الأحمرْ
أم ذاك الخال بذاك الخدّ	فتيت الندّ على مجمرْ
عجباً من جمرته تذكو	وبها لا يحترق العنبرْ[٢]

موضوع الخال في الخدّ الأيمن تناوله الشعراء منهم من سمعت صاحب الكوثريّة رحمه الله، والمأثور إنّما هو خدّ الإمام المهدي روحي فداه كما يلي عن سعد بن عبدالله القمّيّ، حين دخل مع أحمد بن إسحاق القميّ على أبي محمّد العسكري عليه السلام، قال سعد:

← مجمع البحرين ـ رجا ـ

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦٠ ـ ١٦١، فصل وأمّا ما روي في الأخبار...، البحار ٥٢ / ١١ ـ ١٢، الباب ١٨.

(٢) ديوان السيد رضا الهندي: ٢٠، المكاسب ٢ / ١٦١، للمعلّق السيّد محمّد كلانتر، المطبوع بمطبعة الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأُولى ١٣٩٣ هـ. ولم يكن الديوان لديّ حاضراً حتّى أرويها منه.

(فما شبّهت وجه مولانا أبي محمّدعليه السلام حين غَشِيَنا نور وجهه إلّا ببدر قد استوفي من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، على رأسه فَرقٌ بَيْن وَفْرتَين، كأنّه ألف بين واوين...)[١].

وما رواه الصدوق بإسناده إلى يعقوب بن منقوش، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام وهو جالس على دكّان في الدار، وعن يمينه بيت وعليه ستر مُسبل، فقلت له: يا سيدي، من صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر» فرفعته، فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، درّيّ المقلتين، شثن الكفّين، معطوف الركبتين، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبي محمّدعليه السلام، ثم قال لي: «هذا هو صاحبكم ثمّ وثب فقال له: «يا بُنيّ، ادخل إلى الوقت المعلوم» فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: «يا يعقوب، انظر إلى من في البيت»! فدخلت فما رأيت أحداً»[٢].

نعود إلى ربط المختار بالقصّة، وبيان موضع الحاجة منها.

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل، رضي اللّٰه عنه، قال: حدّثنا عبداللّٰه بن جعفر الحميري، عن إبراهيم بن مهزيار ـ وساق الحديث، إلى قول الإمام المهدي عليه السلام: ـ

«... يا أبا إسحاق ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً، إلّا عن أهل التصديق، والأُخوّة الصادقة في الدين، إذا بدت لك أمارات الظهور، والتمكّن، فلا تبطئ بإخوانك عنّا، وباهر المسارعة إلى منار اليقين، وضياء مصابيح الدين، تلق رشداً إن شاء اللّٰه...»[٣].

لعلّ المراد بـ «أمارات الظهور والتمكّن»: العلامات المذكورة في كلام

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٥٧، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام. وقول أبي هارون: «رأيت صاحب الزمان ووجهه يضيء، كأنّه القمر ليلة البدر» غيبة الشيخ الطوسي: ١٥١.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٣٦ ـ ٤٣٧، الباب ٤٣.

(٣) نفسه، ص ٤٤٥ ـ ٤٥١.

الصادق عليه السلام: «خمس قبل قيام القائم من العلامات: الصيحة، والسفياني، والخسف بالبيداء، وخروج اليماني، وقتل النفس الزكية»[١].

قال المعلّق على «إذا بدت لك أمارات الظهور...»:

ثمّ اعلم أنّ هذه الجملة تتضمّن بقاء إبراهيم بن مهزيار إلى يوم خروجه، ولا يخفى ما فيه[٢]. لا تلازم فيه فمن المحتمل إحياؤه.

والجواب:إنّ العبرة بعموم الخطاب المنتزع منه، لا خصوص المخاطب؛ إذ الحكم عامّ لعامّة المؤمنين، على أنّه من الممكن إرادة الخصوص أيضاً؛ لأحاديث دالّة على رجوع بعض الأموات في عصر الظهور، أو علامته.

منها العلوىٰ: «العجب كلّ العجب بين جُمادىٰ ورجب»، فقام رجل فقال: ياأميرالمؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه؟ فقال: «ثكلتك أُمّك، وأيّ عجب أعجب من أموات يضربون كلّ عدوّ لله، ولرسوله، ولأهل بيته!... فإذا اشتدّ القتل، قلتم: مات، أو هلك، أو أي واد سلك؟ وذلك تأويل هذه الآية: ﴿*ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ*﴾»[٣].

ومنها الآخر: «ألا صوتات بينهنّ موتات، حصد نباتٍ، ونشر أمواتٍ»[٤].

ومنها الصادقي: «والله لا تذهب الأيّام والليالي، حتّى يُحيي اللّه الموتىٰ، ويميت الأحياء، ويردّ الحقّ إلى أهله، ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه»[٥].

* * *

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٦٧.

(٢) هامش إكمال الدين ٢ / ٤٥١.

(٣) الإسراء: ٦، البحار ٥٣ / ٦٠.

(٤) البحار ٥٣ / ٨١. ولا يخفى المثل العلوي: «العجب كلّ العجب...» قد ذكرناه في كتاب الأمثال والحكم العلويّة مخطوط وهو من الأمثال السائرة، جاء ذلك في مجمع الأمثال ٢/ ٢٤ رقم المثل ٢٤٦٩، موسوعة أمثال العرب ٤ / ٣٤٦، الفاخر: ٢٥٤، رقم المثل ٣٨٦.

(٥) البحار ٥٣ / ١٠٢، وفيه روايات أُخرى.

٣٨

إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام لعليّ بن مهزيار عند لقائه إيّاه، في قصّة له تقدّمت نظيرتها عن إبراهيم بن مهزيار[١] نذكرها بكاملها.

روى الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى عليّ بن مهزيار يقول: كنت نائماً في مرقدي، إذ رأيت في ما يرى النائم قائلاً يقول لي: حجّ؛ فإنّك تلقى صاحب زمانك.

قال عليّ بن إبراهيم: فانتبهت وأنا فرح مسرور[٢]، فما زلت في الصلاة، حتّى انفجر عمود الصبح، وفرغت من صلاتي، وخرجت أسأل عن الحاجّ، فوجدت فرقة تُريد الخروج، فبادرت مع أوّل من خرج، فما زلت كذلك، حتّى خرجوا وخرجت بخروجهم أُريد الكوفة، فلمّا وافيتها نزلت عن راحلتي، وسلّمت متاعي إلى ثقات إخواني، وخرجت أسأل عن آل أبي محمّد عليه السلام، فما زلت كذلك، فلم أجد أثراً، ولا سمعت خبراً.

وخرجت في أوّل من خرج، أُريد المدينة، فلمّا دخلتها لم أتمالك أن نزلت عن راحلتي، وسلّمت رحلي إلى ثقات إخواني، وخرجت أسال عن الخبر، وأقفو الأثر، فلا خبراً سمعت ولا أثراً وجدت.

فلم أزل كذلك إلى أن نفر الناس إلى مكّة، وخرجت مع من خرج، حتّى وافيت مكّة، ونزلت فاستوثقت من رحلي، وخرجت أسأل عن آل أبي محمّد عليه السلام، فلم أسمع خبراً، ولا وجدت أثراً.

---

(١) رقمه ٣٧.

(٢) في بعض النسخ كما في هامش إكمال الدين ٢ / ٤٦٦: (فانتبهت فرحاً مسروراً).

فما زلت بين الإياس، والرجاء، متفكّراً في أمري، وعائباً على نفسي، وقد جنّ الليل، فقلت: أرقب إلى أن يخلو لي وجه الكعبة، لأطوف بها، وأسأل الله عزّوجلّ أن يعرّفني أملي فيها، فبينما أنا كذلك وقد خلا لي وجه الكعبة، إذ قمت إلى الطواف، فإذا أنا بفتى، مليح الوجه، طيّب الرائحة، متّزر ببُردة، متّشح بأُخرى، وقد عطف بردائه على عاتقه، فَرُعْتُهُ[١] فالتفت إليّ فقال: ممّن الرجل؟ فقلت: من الأهواز.

فقال: أتعرف بها ابن الخصيب؟ فقلت: رحمه الله دُعي فأجاب.

فقال: رحمه‌الله، لقد كان بالنهار صائماً، وبالليل قائماً، وللقرآن تالياً، ولنا موالياً.

فقال: أتعرف بها عليّ بن مهزيار؟ فقلت: أنا عليّ.

فقال: أهلاً وسهلاً بك يا أباالحسن ـ إلى أن قال: ـ ثمّ قال: ما فعلت العلامة الّتي بينك وبين أبي محمّد عليه السلام؟ فقلت: معي.

فقال: أخرجها إليّ؛ فأخرجتها إليه خاتماً حَسَناً، على فصّه: «محمّد وعليّ»، فلمّا رأى ذلك بكى [مليّاً ورنّ شجيّاً، فأقبل يبكي بكاءً خ] طويلاً، وهو يقول: رحمك الله يا أبا محمّد، فلقد كنت إماماً عادلاً، ابن أئمّة وأبا إمام، أسكنك الله الفردوس الأعلى مع آبائك عليهم السلام.

ثمّ قال: يا أباالحسن، صر إلى رحلك، وكن على أُهبة من كفايتك[٢] حتى إذا ذهب الثلث من الليل وبقي الثلثان فالحق بنا، فإنّك ترى مُناك [إن شاء الله].

قال ابن مهزيار: فصرت إلى رحلي أُطيل التفكّر، حتّى إذا هجم الوقت، فقمت إلى رحلي، وأصلحته، وقدّمت راحلتي، وحملتها وصرت في متنها، حتّى لحقت الشعب، فإذا أنا بالفتى هناك يقول: أهلاً وسهلاً بك يا أبا الحسن، طوبى لك فقد أُذن لك.

فسار وسرت بسيره، حتّى جاز بي عرفات ومنى، وصرت في أسفل ذروة جبل الطائف، فقال لي: يا أبا الحسن انزل، وخذ في أُهبة الصلاة؛ فنزل ونزلت، حتّى فرغ

---

(١) أي خفته، وفي بعض النسخ «فحرّكته» هامش إكمال الدين ٢ / ٤٦٧، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام.

(٢) في نسخة «أُهبة السفر من لقائنا».

وفرغت، ثمّ قال لي: خذ في صلاة الفجر وأوجز؛ فأوجزت فيها، وسلّم وعفّر وجهه في التراب.

ثمّ ركب وأمرني بالركوب، فركبت، ثمّ سار وسرتُ بسيره، حتّى علا الذروة، فقال: المح هل ترى شيئاً؟ فلمحتُ فرأيت بقعة نزهة كثيرة العشب والكلاء، فقلت: يا سيّدي أرى بقعةً نزهة، كثيرة العشب والكلاء؛ فقال لي: هل ترى في أعلاها شيئاً؟ فلمحت فإذا أنا بكثيب من رمل فوقه بيت من شعر يتوقّد نوراً؛ فقال لي: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: نعم، أرى كذا وكذا؛ فقال لي: يا ابن مهزيار طب نفساً، وقرّ عيناً؛ فإنّ هناك أمل كلّ مؤمّل.

ثمّ قال لي: انطلق بنا؛ فسار وسرتُ، حتى صار في أسفل الذروة ثمّ قال: انزل فهاهنا يذلّ كل صعب، فنزل ونزلت، حتّى قال لي: يا ابن مهزيار، خلّ زمام الراحلة؛ فقلت: على من أُخلّفها وليس هنا أحدٌ؟! فقال: إنّ هذا حرم لا يدخله إلّا وليّ، ولا يخرج منه إلّا وليّ، فخلّيت عن الراحلة، فسار وسرت، فلمّا دنا من الخباء سبقني، وقال لي: قف هناك إلى أن يؤذن لك؛ فما كان إلّا هنيئة، فخرج إليَّ وهو يقول: طوبى لك قد أُعطيت سؤلك.

قال: فدخلت عليه، صلوات الله عليه، وهو جالس على نمط عليه نطع أديم[١]، أحمر متّكئ على مسورة أديم، فسلّمت عليه وردّ عليَّ السلام، ولمحته فرأيت وجهه مثل فلقة قمر، لا بالخرق ولا بالبزق، ولا بالطويل الشامخ، ولا بالقصير اللاصق، ممدود [مربوع خ] القامة[٢]، صلت الجبين، أزجّ الحاجبين[٣]، أدعج العينين[٤]، أقنى الأنف[٥]، سهل الخدّين، على خدّه الأيمن خال، فلمّا أن بصرت به

---

(١) النّمط: ضرب من البُسط ويمكن أن يكون معرّب نمد. والمسورة: متّكأ من أدم.

(٢) بعد لحاظ الفقرتين «ولا بالطويل الشامخ، ولا بالقصير اللاصق» يتّضح المراد بكلمة «القامة» وأنّه معتدل غير منيح، ويحتمل «مربوع».

(٣) الأزجّ: الأدقّ، تقويس في الحاجبين مع طول في طرفه، وامتداده (البحار ٥٢ / ١٣).

(٤) الدعج: سواد العين، وقيل شدّة سواد العين في شدّة بياضها.

(٥) طوله مع حدب في وسطه. والمراد أحدبه.

حار عقلي في نعته وصفته.

فقال لي: يا ابن مهزيار، «كيف خلّفت إخوانك في العراق؟».

قلت: في ضنْك عيشٍ، وهناةٍ، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان[١].

فقال: «قاتلهم اللّٰه أنّىٰ يؤفكون، كأنّي بالقوم قد قُتلوا في ديارهم، وأخذهم أمر ربّهم ليلاً ونهاراً».

فقلت: متى يكون ذلك ابن رسول اللّٰه؟

قال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم...»[٢] من اليهود والنصارى ومن سار سيرتهم من المسلمين اسماً وما أكثرهم فيما بين الناس دفع اللّٰه شرهم.

عود إلى ما كنّا فيه، في رواية الشيخ الطوسي عن حكيمة بنت الجواد عليه السلام قالت: فلمّا كان بعد أربعين يوماً دخلت على أبي محمّد عليه السلام فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار، فلم أرَ وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته[٣]. وسبق وصفه عليه السلام عند «إذا بدت لك أمارات الظهور...»[٤].

قوله عليه السلام: «إذا حيل بينكم، وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم». جواب لسؤال المهزياري، يريد بالحيلولة أنّها من العلامات، ولكنّها ليست من الخمس السابقة الذكر[٥]، التي يعقبها الظهور عند تحقّقها، ومنها: السفياني، وهي التي لا يُخلف اللّٰه فيها الميعاد.

والحجّ من شرائع اللّٰه، ومن أهم أحكام الإسلام، حتى جعل المنع، والحيلولة دون الوصول إليه بما سمعت، من أمارات الظهور، وعليه يجب على المسلمين انتهاز

---

(١) أي بنو الشيطان وهم بنو العبّاس الّذين هم شرك شيطان.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٦٥ ـ ٤٦٩، البحار ٥٢ / ٤٢ ـ ٤٥، مع اختلاف في السند والمتن.

(٣) كتاب الغيبة: ١٤٤.

(٤) رقمه ٣٧.

(٥) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٦٧ رقمه ٤٠٥ وص ١٢، التهميد (فيهما ذكر الكذّابين).

الفرصة والبدار. كما في النبويّ الذي رواه السيد رضي الدين طاب ثراه قال: قال صلى الله عليه وآله: «حُجّوا قبل ألّا تَحجّوا، حُجّوا قبل أن يمنعكم البرجانبه»[١].

ولعلّ الحديث المشهور «حجّوا قبل أن يمنعكم البرجانيّة» أي المفسّر بالبريطانيّة؛ أصله النبويّ المذكور؛ لأنّ معنى «قبل أن يمنعكم البرجانبه» كناية عمّن يسيطر عليه من السلطة الجائرة على العباد، والبلاد، برّاً وبحراً، وأذنابهم وهم طواغيت الأرض وأعوانهم، في جميع الأدوار والأعصار.

قوله عليه السلام: «بأقوام لا خلاق لهم» من أظهر مظاهر الحديث النبويّ ومصداقه، كهذه الأزمنة، يَحجُّ الحاجّ تحت ضغوط السلطة التي لا خلاق لها.

ولولا رعاية الإمام المهديّ عليه السلام في تسيير الحاجّ لما حجّ حاجٌّ واحد منّا، يأتي التصريح به في كتابه إلى الشيخ المفيد[٢].

ثمّ المختار جواب لسؤال الراوي، عن إبادة الظالمين، وغلبة الحقّ على الباطل، وذلك عند الظهور، وللحديث بقيّة باقية تسمعها عند «أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً»[٣].

والقصّة المذكور فيها الفوز بلقاء الحجّة عليه السلام، هل هي لعليّ بن مهزيار؟ أو هي لإبراهيم بنسخة إكمال الدين[٤].

والجواب أنّ كنية المهزياري بأبي الحسن المذكور في القصّة تشهد بأنّها لعليّ ابن مهزيار؛ لأنّ كنية أخيه إبراهيم أبو إسحاق. والمجلسي طاب ثراه كما في نسخة البحار يذهب إلى الأوّل. وقد تعرّض لهذه الناحية من البحث بعض المعلّقين على الحديث فراجع[٥] قصّة المهزياري داعية التفكير، وهل لأمر خاص به دون غيره؟ وما الوسيلة الّتي نُحظى بها؟ والجواب عن الأوّل بعدم الدليل عليه، والثاني العمل

---

(١) المجازات النبويّة: ٣٠٥، الرقم ٣٣٩.
(٢) الاحتجاج ٢ / ٣٢٣.
(٣) رقمه ٥٩.
(٤) ٢ / ٤٦٥ ـ ٤٦٩ فيه منشأ الخلاف فلاحظ.
(٥) هامش البحار ٥٢ / ٤٢ ـ ٤٧.

بالكتاب والسنّة والولاية روى السيّد الراوندي أنّه اختصم رجل وامرأة إليه ـ فعلاً صوت الرجل على المرأة، فقال له عليٌّ عليه السلام «إخْسَأ» وكان خارجيّاً، فإذا رأسه رأس كلب، فقال رجل؛ يا أميرالمؤمنين صِحْتَ بهذا الخارجي فصار رأسه رأس كلب، فما يمنعك عن معاوية؟ فقال: «ويحك لو أشاء أن اتي بمعاوي إلى هاهنا على سريره لدعوتُ اللّٰه حتى فَعَل ولكنّا للّٰه [ولكن لله] خُزّان لا على ذهب، ولا فضّة ولكن[1] على أسرار تدبير اللّٰه أما تقرأ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾»[2].

ويأتي ما يناسبه عند «إذا شاء شئنا»[3]. لعمره أنّ القصّة من أهمّ القَصَصِ.

* * *

(١) في الأصل «ولا إنكار» صحّحناه بما في المتن.

(٢) الخرائج والجرائح ١ / ١٧٢، الرقم ٣ في معجزات أميرالمؤمنين علي عليه السلام. عنه تفسير الصافي ٢ / ٨٩، الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) رقمه ٤١.

٣٩
إذا ذكر الحسين خنقته العبرة

من بعض جوابات الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، عن مسائل سعد بن عبدالله القميّ أنّه دخل مع أحمد بن إسحاق على أبي محمّد عليه السلام ، والحجّة عليه السلام حين ذاك صبيّ رباعيّ أو خماسيّ الذي جماله يمثّل جمال المصطفى محمّد إسماً وكُنيَةً، صورة وسيرةً وسمتاً وفيه بعض مناسبات تسمعها.

روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى سعد بن عبدالله القميّ، قال: كنت امرءاً لهجاً بجمع الكتب، المشتملة على غوامض العلوم، ودقائقها، كلفاً باستظهار ما يصحّ لي من حقائقها، مغرماً بحفظ مشتبهها، ومستغلقها، شحيحاً على ما أظفر به من معضلاتها، ومشكلاتها، متعصّباً لمذهب الإماميّة ـ والحديث طويل، وإليك بعضه الآخر المقتطف ـ.

قال سعد: وكنت قد اتّخذت طوماراً، وأثبتُّ فيه نيّفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل، لم أجد لها مجيباً، على أن أسأل عنها خبير أهل بلدي أحمد بن إسحاق، صاحب مولانا أبي محمّد عليه السلام ، فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بسرّ من رأى، فلحقته، فلمّا تصافحنا، قال: بخير لحاقك بي؟

قلت: الشوق، ثمّ العادة في الأسئلة.

قال: قد تكافينا على هذه الخطّة الواحدة، فقد برّح بي القَرَمُ[1]، إلى لقاء مولانا

---

(١) محرّكة: شدّة شهوة اللحم، وكثرة استعمالها حتّى قيل في الشوق إلى الحبيب. قال ابن الأثير: وفيه: «إنّه كان يتعوّذ من القَرَم» وهي شدّة شهوة اللحم، حتّى لا يصبر عنه (النهاية ٤ / ٤٩ ـ قَرَم ـ).

أبي محمّد عليه السلام، وأنا أُريد أن أسأله عن معاضل في التأويل، ومشاكل في التنزيل، فدونكها الصحبة المباركة؛ فإنّها على ضفّة بحر لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، وهو إمامنا، فوردنا سرّ من رأى، فانتهينا إلى باب سيّدنا، فاستأذنا، فخرج علينا الاذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب، قد غطّاه بكساء طبريّ، فيه مائة وستّون صرّة من الدنانير، على كلّ صرّة منها ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبّهتُ وجه مولانا أبي محمّد عليه السلام، حين غَشِينا نورُ وجهه، إلّا ببدر قد استوفي من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام، يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين، كأنّه ألفٌ بين واوين ـ إلى أن قال سعد سائلاً الحجّة روحي فداه: ـ

قلت: فأخبرني يا ابن رسول اللّه عن تأويل ﴿كهيعص﴾.

قال: «هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع اللّه عليها عبده زكريّا، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئل، فعلّمه إيّاها، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً، وعليّاً، وفاطمة، والحسن، سرى عنه همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العَبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني، وتثور زفرتي؟

فأنبأه اللّه تعالى عن قصّته، وقال: ﴿كهيعص﴾ فالكاف: اسم كربلاء. والهاء: هلاك العترة. والياء: يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام. والعين: عطشه. والصاد: صبره.

فلمّا سمع ذلك زكريّا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: «إلهي أتفجع خير خلقك بولده؟ إلٰهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلٰهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتها؟»».

ثمّ كان يقول: «اللّهمّ ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر، واجعله وارثاً [و] وصيّاً، واجعل محلّه مني محلّ الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ فجّعني به، كما تفجّع محمّداً حبيبك بولده».

فرزقه الله يحيى وفجّعه، وكان حمل يحيى ستّة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك، وله قصّة طويلة[(١)].

قوله عليه السلام: «خنقته العَبرة» من الخنق: تضييق مجرى النَفَس، ومطلق التضييق، ومنه: «... يؤخّرون الصلاة عن ميقاتها، ويخنقونها إلى شَرَق الموتى»، أي يضيّقون وقتها بتأخيرها[(٢)]. والبَهرة: تتابع النَفَس، وانقطاعه، كم يحصل بعد الإعياء، والعدو الشديد[(٣)]، وبمعنى الغلبة، والعرب تقول:«الأزواج:زوج بَهرٍ،وزوج دَهْرٍ،وزوج مَهرٍ»[(٤)].

تتابع النَفَس نوع من غلبة التنفّس، وتفسير البهر بالغلبة لا ينافي التفسير الأوّل.

والعَبرة بالفتح: تحلّب الدمع، وجَرْيه، من العبور؛ لأنّ الدمع يَعبُرُ، أي ينفذُ، ويجري، ومنه قال امرؤ القيس:

وإنّ شفائي عَبْرة إن سفحتها   فهل عند رسمٍ دارسٍ من معوّل[(٥)]

هذا المعنى الأوّل من هذه المادة وعليه فهي مشترك.

والعِبرة بالكسر وجمعها العِبَر كالسِّدرة والسِّدَر، كما أنّ جمع الأُولى العَبرات ـ كالكَسَرة والكَسَرات ـ هي: كالموعظة ممّا يتّعظ به الإنسان[(٦)].

قال الطريحي بعد قوله تعالى: ﴿عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[(٧)]: والعِبرة بالكسر اسم من الاعتبار وهو: ما يفيد الفكر إلى ما هو الحقّ من وجوب ترك الدنيا، والعمل للآخرة.

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٧ و ٤٦١، الاحتجاج ٢ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣، البحار ٤٤ / ٢٢٣، باب ٣٠، إخبار الله تعالى أنبياءه، ونبيّنا صلى الله عليه وآله وعليهم بشهادته عوالم العلوم للبحراني ١٧/١٠٧ ـ ١٠٨.

أقول: يجدر بنا أن نزوره بما ذكرناها زيارة عاشوراء المفصّلة أو المختصرة في القسم الثاني من الصَّدف المشحون لمحمّد الشيرواني المتصل سندها إلى الإمام الهادي عليه السلام متنها الكامل ثم اللعن مرة كاملة و ٩٩ مرّة اللهم العنهم جميعاً، وكذا السلام بكامله مرّة واحدة و ٩٩ مرّة السلام على الحسين وعلى عليّ بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين كذلك ـ ٩٩ مرّة ـ الذريعة ١٥ / ٢٩.

(٢) نهاية ابن الأثير ٢ / ٨٥ ـ خَنَق ـ.

(٣) هامش الإكمال ٢ / ٤٦١.

(٤) معجم مقاييس اللغة ١ / ٣٠٨ ـ بهر ـ.

(٥) نفسه ٤ / ٢٠٨ ـ عَبَر ـ.

(٦) النهاية ٣ / ١٧١ ـ عبر ـ.

(٧) يوسف: ١١١.

واشتقاقها من العبور؛ لأنّ الإنسان ينتقل فيها من أمر إلى أمر[١].

سبق أنّه مشترك لفظيٌّ والمعجم يراه معنويّاً.

لم يبك زكريّا على الحسين عليه السلام وحده، بل بكته الأنبياء من آدم إلى خاتمهم صلى الله عليه وآله وعليهم، وأوصياؤهم، والسبع الشداد، والأرض، ومن فيهنّ. وقد روى ابن طاووس عن جدّه الشيخ الطوسي بإسناده إلى القاسم بن العلا الهمداني، وكيل أبي محمّد العسكري عليه السلام دعاء اليوم الثالث من شعبان، يوم ولادة الحسين عليه السلام أنّه قال: وادع فيه بهذا الدعاء:

«اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ هذا المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله، وولادته، بكته ملائكة السّماء ومن فيها، والأرض ومن عليها، ولمّا يطأ لابتيها[٢]، قتيل العَبرة[٣]، وسيّد الأُسرة، الممدود بالنُصرة يوم الكرّة، المعوَّض مِن قتله أنّ الأئمّة من نسله، والشفاء في تربته، والفوز معه في أوبته، والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغَيْبته، حتّى يُدركوا الأوتار، ويثأروا الثار، ويرضوا الجبّار...»[٤].

ولابدّ من مجال أوسع حتّى نأتي على شرح هذا الدعاء بعد ذكره كَمَلاً، وقد روي أنّ الصادق عليه السلام قد دعا به[٥]، وليس يستطيع أحدٌ بيان عُظم المصيبة بعد بيان اللّه جلّ جلاله لآدم كارثة كربلاء التي هي كارثة الدهر، وما جرى على الكبير والصغير في يوم عاشوراء، وجبرئيل والنبيّ والأئمّة عليهم السلام: «ولو تراه يا آدم وهو يقول واعطشاه...»[٦].

* * *

---

(١) مجمع البحرين ٣ / ٣٩٣ ـ عبر ـ.

(٢) اللابة: الأرض الحرّة، وفي نبوي: «وإنّ المدينة حرمي ما بين لابتيها» الكافي ٤ / ٥٦٤. أي طرفاها المكتنفان بالأرض، والمراد قبل مشيه عليها.

(٣) أي يحقّ البكاء عليه.

(٤) الإقبال: ٦٨٩.

(٥) نفس المصدر.

(٦) البحار ٤٤ / ٢٤٥، و ٢٢٤ ـ ٢٧٢.

٤٠

إذا سها في حالة... قضى ما فاته في الحالة التي ذكر

من مسائل محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري، السؤال: عن صلاة جعفر إذا سها في التسبيح، أو قيام، أو قعود، أو ركوع، أو سجود وذكر في حالة أُخرى قد صار فيها من هذه الصلاة هل يُعيد ما فاته من ذلك التسبيح في الحالة التي ذكرها، أم يتجاوز في صلاته؟

التوقيع:

«إذا سها في حالة من ذلك، ثمّ ذكر في حالة أُخرى، قضى ما فاته في الحالة التي ذكر»[١].

هل يقضي ما فات من الصلاة، فيها وهو فيها؟ وهل يقاس بقضاء ما فات في صلاة جعفر عليه السلام عليها غيرها من ندب وفرض؟

الجواب: منع القياس، والأخذ بالقواعد الفقهيّة فيما ثبت له القضاء، ولعلّ مضمر زرارة: «يقضي ما فاته كما فاته»[٢] دليل المماثلة مطلقاً أو في الجملة، والتوقيع مشعر بصحّة ذلك.

أمّا ترجمة السائل فهو أبو جعفر محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري وثّقه جمع منهم النجاشي وأنّه كاتب صاحب الأمر عليه السلام، إلى اخر ما ذكره[٣]، تأتي الترجمة المُبسّطة إن شاء الله، فلا نُطيل فليراجع المظانّ الذي يروم التفصيل.

* * *

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٣٠، الاحتجاج ٢ / ٣٠٢.

(٢) الوسائل ٥ / ٢٠٣، الباب ٩ من أبواب صلاة جعفر، الحديث ١.

(٣) معجم رجال الحديث ١٦ / ٢٣٣.

٤١
إذا شاء شئنا

قال الشيخ الطوسي: جعفر بن محمّد بن مالك، قال: حدثني محمّد بن جعفر بن عبدالله، عن أبي نعيم محمّد بن أحمد الأنصاري، قال:

وجّه قوم من المفوّضة والمقصّرة كامل بن إبراهيم المدني إلىٰ أبي محمّد عليه السلام، قال كامل: فقلت في نفسي: أسأله: لا يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتي، وقال بمقالتي؟

قال: فلمّا دخلت على سيّدي أبي محمّد، نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه، فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وينهانا عن لبس مثله!

فقال متبسّماً: «يا كامل»؛ وحسر عن ذراعيه، فإذا مسحٌ أسودُ خشنٌ على جلده، فقال: «هذا لله وهذا لكم»؛ فسلّمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخىً فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر[1] من أبناء أربع سنين، أو مثلها.

فقال لي: «يا كامل بن إبراهيم».

فاقشعررتُ من ذلك، وأُلهمتُ أن قلتُ: لبّيك يا سيّدي.

فقال: «جئتَ إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟».

فقلت: إي والله.

قال: «إذن والله يقلّ داخلها، والله إنّه ليدخلها قوم يقال لهم الحقّيّة».

---

(١) جمالاً، وتقدّم في «إذا ذكر الحسين خنقته العبرة» رقمه ٣٩ ملامح الوالد والولد، وهكذا في «إذا بدت لك...» رقمه ٣٧.

قلت: يا سيّدي ومن هم؟

قال: «قومٌ من حبّهم لعليّ يحلفون بحقّه، ولا يدرون ما حقّه وفضله».

ثمّ سكت صلوات اللّه عليه عنّي ساعة. ثمّ قال: «وجئتَ تسأله عن مقالة المفوِّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيّة اللّه، فإذا شاء شئنا واللّه يقول: ﴿وَما تشاءُونَ إلّا أن يَشاء اللّهُ﴾»[1].

ثمّ رجع الستر إلى حالته، فلم أستطع كشفه، فنظر إليَّ أبو محمّدعليه السلام متبسّماً فقال: «يا كامل ما جلوسك؟ وقد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي»، فقمت، وخرجت ولم أُعاينه بعد ذلك.

قال أبو نُعَيْم: فلقيت كاملاً، فسألت عن هذا الحديث فحدّثني به[2].

ولشرح مشيئة الأئمّةعليهم السلام الناشئة عن مشيئة اللّه عزّوجلّ نذكر حديث الإمام الكاظمعليه السلام، قال: «إنّ اللّه جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قوله: ﴿وَما تشاءُونَ إلّا أن يَشاء اللّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾»[3].

والرضوي: «يا يونس، لا تقل بقول القدريّة؛ فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس؛ فإنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾[4] ولم يقولوا بقول أهل النار؛ فإنّ أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[5] وقال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾»[6].

فقلت: يا سيّدي: واللّه ما أقول بقولهم، ولكنّي أقول: لا يكون إلّا ما شاء اللّه وقضى وقدّر.

فقال: «ليس هكذا يا يونس، ولكن لا يكون إلّا ما شاء وأراد وقدّر وقضى. أتدري ما المشيئة يا يونس؟»

---

(١) التكوير: ٢٩.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٨ ـ ١٤٩، البحار ٥٢ / ٥٠ ـ ٥١، نفسه، ص ١١٤ قريباً منه.

(٣) التكوير: ٢٩.

(٤) الأعراف: ٤٣.

(٥) المؤمنون: ١٠٦.

(٦) الحجر: ٣٩.

قلت: لا.

قال: «هو الذكر الأوّل. وتدري ما الإرادة؟» قلت: لا، قال: «العزيمة على ما شاء وتدري ما التقدير؟». قلت: لا.

قال: «هو وضع الحدود من الآجال، والأرزاق، والبقاء، والفناء وتدري ما القضاء؟» قلت: لا.

قال: «هو إقامة العين، ولا يكون إلّا ما شاء اللّٰه في الذكر الأوّل»[1].

هذا من غرر الأحاديث، وله شرح مرهون، مُرصد.

قال المجلسي: الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول: إنّ فعال العباد ووجودها ليست بقدرة اللّٰه وبِقَدَرِه، بل باستقلال إرادة العبد به، واستواء نسبة الإرادتين إليه، وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة، كما ذهب إليه بعض المعتزلة...[2].

ولا يسع المجال سرد الأقوال حول بيان الفرق: ومنها المفوِّضة، والمقصِّرة، ولعلّهم القائلون بأنّ الأئمّة ليس لهم من ولاية اللّٰه شيءٌ، ولا من إقدار اللّٰه بقرينة المفوِّضة أي فوّض اللّٰه أمر الخلق بعد الخلق إليهم.

علّق بعض السادة الأجلّة على الحديث المذكور: ذلك أنّ أولياء اللّٰه المعصومين حيث عرفوا مقاييس الكون، واستوعبوا حكمتها، وترفّعوا عن العاطفة، والأنانيّة، جسدوا إرادة اللّٰه، فلا يحبّون إلّا ما يحبّه اللّٰه، ولا يكرهون إلّا ما يكرهه اللّٰه؛ ولذلك أحال اللّٰه أمر العباد عليهم، فقال في شأن كلّ من نصبه اللّٰه حجّة على خلقه: ﴿*وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا*﴾ سورة الحشر، آية ٧. ﴿*وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ*﴾. ورد في موضعين من القرآن، في سورة الإنسان، آية ٢٠.

---

(١) البحار ٥ / ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) نفسه، ١١٧.

وفي سورة التكوير، آية ٢٩[١].

وقال حول المفوّضة: فرقة من المسلمين قالوا: إنّ اللّه خلق الخلق، ثمّ ترك للأئمّة إرادته، فهم يتصرّفون كما يشاؤون. وهؤلاء سمعوا بالولاية الكونيّة، ولم يعرفوا أنّ اللّه لا يولّي أحداً من أوليائه ولاية إلّا بقدر قدرته على تنفيذ إرادته تعالى. فأعظم أصحاب الولاية الكونيّة هو النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله الذى قال اللّه عنه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ سورة الحاقة، آية ٤٤ ـ ٤٧ والطريحي: (المفوّضة) قوم قالوا إن الله خلق محمّداً وفوّضَ إليه خلق الدنيا فهو الخلّاق لما فيها وقيل: فوّض ذلك إلى علي عليه السلام[٢].

وللإشاءة تفسيرها في الكاظمي المتقدّم، و «إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم...»[٣].

قد مرّ ويمرّ في غضون الكتاب، نظائره، لا تخفى على أهل النظر والفكر، ومن رزق معرفتهم عليهم السلام، وإلّا فالواجب عليه السؤال منه تعالى وعزّ ما ينتفع به هنا وفي البرزخ والقيامة إن شاء اللّه.

* * *

---

(١) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠١، مجمع البحرين ٤ / ٢٢٣ ـ فوض ـ.

(٣) من إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام أوّلها: «السلام عليك يا حجّة اللّه وابن حجّته... ـ إلى قوله: ـ وتصدر من بيوتكم والصادر عمّا فصّل من أحكام العباد...». كامل الزيارات: ١٩٩ ـ ٢٠٠، باب ٧٩، لابن قولويه، المتوفي سنة ٣٦٧ هـ. طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه عند «ائتوني طائعين» رقمه ١، في ختامه، لا شكّ أنهم أوعية المشيئة.

٤٢

إذا كانت حاجة لم يكن لها من ينظر فيها خَرَجَتْ

سبق قريباً أن وجّه الحميرى مسائل يسأل عنها الإمام المهديّ عليه السلام.

وهنا السؤال عن امرأة مات زوجها: وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حقّ يلزمها، أم لا تبرح من بيتها وهي في عدّتها؟

التوقيع:

«إذا كان حقّ خرجت وقضته، وإذا كانت حاجة لم يكن لها من ينظر فيها خرجت لها، حتّى تقضي، ولا تبيت عن منزلها»(١).

في صادقي قلت: أرأيت إن أرادت أن تخرج إلى حقّ كيف تصنع؟ قال: «تخرج بعد نصف الليل وترجع عشاءً»(٢). وعليها الاعتداد بأربعة أشهر وعشراً ولا تخرج من بيتها، ولا تبيت عنه كما يأتي.

وفي صادقي نبويّ: «أُفّ لكنّ... وأنّ المرأة منكنّ إذا توفّي عنها زوجها أخذت بعرةً فرمت بها خلف ظهرها، ثمّ قالت: لا أمتنشط، ولا أكتحل، ولا أختضب حولاً كاملاً، وإنّما أمرتُكنّ بأربعة أشهر وعشراً...»(٣) جاء الشرع الأغرّ؛ لانقاذ البشر من النار، وإخراجه من الظلمات إلى النور، ومن زمرة الفجرة إلى البررة والنعيم الدائم.

* * *

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) الوسائل ١٥ / ٤٥٠.

(٣) نفسه، ص ٤٥١، الباب ٣٠ من أبواب العدد، الحديث ١. و ٤٥٣، وكتاب الجواهر ٣٢ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

٤٣
إذا كان طلاقهنّ وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله... فَلِم لا يحلّ لهنّ الأزواج

من جوابات الإمام عليه السلام المُسبق عن مسائل سعد وأحمد بن إسحاق، وكان مع أحمد جراب فيه هدايا وصُرر دنانير وغيرها لأربابها قد جاء بها، وأراد من الإمام عليه السلام الجواب، والحديث مطوّل يأتي بعضه عند المختار: «أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة...»[١]، وعند: «الرِّجْم خِزيٌ»[٢]، وعند «أنزع حبّ أهلك من قلبك»[٣]، وعند: «إن كانت مقدّسة مطهّرة، فليست بأقدس وأطهر من الصلاة»[٤].

«فلمّا انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب[٥] نظر إليَّ مولانا أبو محمّد عليه السلام، فقال: «ما جاء بك يا سعد؟»

فقلت: شوّقني أحمد بن إسحاق على لقاء مولانا.

قال: «والمسائل التي أردت أن تسأله عنها؟»

قلت: على حالها يا مولاي.

قال: «فسل قرّة عيني ـ وأومأ إلى الغلام ـ فقال لي الغلام: سل عمّا بدا لك منها».

فقلت له: مولاى وابن مولاي، إنّا رُوينا عنكم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه بِيَد أميرالمؤمنين عليه السلام، حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة: «إنّك قد أرهجتِ[٦] على الإسلام وأهله بفتنتكِ، وأوردت بنيكِ حياض الهلاك بجهلكِ، فإنّ كففتِ عنّي

---

(١) رقمه ١٢٧. (٢) رقمه ١٨٩. (٣) رقمه ٩٧.

(٤) رقمه ١٠١. قصّة أحمد وسعد الأشعريين ومسائلهما الّتي أجاب عنها الوالد والولد المعصومان عليهما السلام لمن أحسن القصص بعد القرآن الكريم.

(٥) وقد طالبه الإمام العسكري عليه السلام، انظر: إكمال الدين ٢/٤٥٨، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

(٦) الإرهاج: إثارة الغبار، وهنا الحرب المبيدة.

غَرْبَكِ[١]، وإلّا طلّقتك» ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن وفاته.

قال: «ما الطلاق؟» قلت: تخلية السبيل.

قال: «فإذا كان طلاقهنّ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قد[٢] خلّيت لهنّ السبيل، فلم لا يحلّ لهنّ الأزواج؟» قلت: لأنّ الله تبارك وتعالى حرّم الأزواج عليهنّ. قال: «كيف وقد خلّى الموتُ سبيلهنّ؟» قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنى الطلاق الذي فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام. قال: «إنّ الله تقدّس اسمه عظّم شأن نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، فخصّهنّ، بشرف الأُمّهات، فقال رسول الله: يا أباالحسن، إنّ هذاا لشرف باقٍ لهنّ ما دُمنَ لله على الطاعة، فأيّتهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك، فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من شرف أُمومة المؤمنين»[٣]. إذا كان التصرّفات في الأحكام الشرعيّة بإذن من صاحب الشريعة لا بأس بها وهو كذلك؛ لأنّه قد صدر الإذن عنه صلى الله عليه وآله هذا على ظاهر الأمر، على أنّه عليه السلام نفس الرسول بنزول الوحي في قضيّة المباهلة ولقد أشبع الكلام حول آية ﴿أَنْفُسَنا﴾ في موضعه. قالت العلماء عنىٰ به نفسه فقال أبوالحسن عليه السلام: «لقد غلطتم؛ إنّما عَنىٰ بها عليّ بن أبي طالب عليه السلام وممّا يدلّ على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله حين قال: «لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثنّ رجلاً كنفسي يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٤].

* * *

---

(١) أي الحدّة.

(٢) الظاهر «فقد».

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٥٩، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

(٤) المختار من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام.. ٢ / ٣٩٨، الرقم ٣٩٦، آل عمران: ٦١، عيون أخبار الرضا ١/١٨٢، الباب ٢٣، الحديث ١، الأمثال النبويّة ٢/١٢٦، الرقم ٤٤٠.

٤٤
إذَن واللّه يقلّ داخِلُها

من كلام الإمام المهديّ عليه السلام، رواه الشيخ الطوسي، وتقدّم ذكره عند: «إذا شاء شئنا»[١] بكامله في ردّ كامل بن إبراهيم، الداخل على الإمام أبي محمّد والده عليهما السلام للسؤال عن المقصِّرة والمفوِّضة، وأجاب عنه وهو من أبناء أربع سنين قاله السائل عند رؤيته له «جئتَ إلى وليّ اللّه وحجّته وبابه تسأله: هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟» فقلتُ[٢]: إي واللّه؛ قال: «إذن والله يقلّ داخلها...»[٣].

ووجه قلّة داخلها حصر الدخول على مقالة كامل بن إبراهيم وقومه، والمعذور القاصر من المقصِّرة الّذين كامل بن إبراهيم منهم. ومنع غيرهم، ثمّ قال عليه السلام: «جئت تسأله عن مقالة المفوِّضة، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيّة اللّه، فإذا شاء شئنا...». فلا معنى للتفويض إليهم. وكيف لا، وهم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٤]. والمفوّضة القائلون بأنّ اللّه خَلَقَ الخَلْقَ، وفوّض أمرهم إلى أهل البيت عليهم السلام. ولها تفسير آخر ينطبق على اليهود القائلين بأنّه تعالى خَلَقَ الخلَقَ، وفوّض الأمر إليهم، وهذه المقالة كسابقتها باطلة. قال الصادق عليه السلام «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين، قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مَثل ذلك: رجل رأيته على معصية فنهيته، فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية»[٥].

---

(١) رقمه ٤١.
(٢) القائل هو كامل بن إبراهيم.
(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٨ ـ ١٤٩.
(٤) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧، سبقت الآية رقمه ٣٩ مع رواية الخرائج وانظر تفسير الصافي ٢ / ٨٤ مع تغيير يسير.
(٥) أُصول الكافي ١ / ١٦٠.

وأبين كلام وجدته في الأمر بين الأمرين، وإبطال الجبر والتفويض ما جاء في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الجبر والتفويض، رواها ابن شعبة الحرّاني[1]، وعنوانه رسالته عليه السلام: في الردّ على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، ورواها الطبرسي قال: وممّا أجاب به أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال: «اجتمعت الأُمّة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أنّ القرآن حقّ...»[2] فراجع.

يريد عليه السلام أن القرآن الكريم دالّ على المنزلة بين المنزلتين منه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3].

قد جمع عزّ وجلّ في الأولى بين مشيئة العباد وخالقهم وهو معنى المنزلتين؛ لأن الأولى بمفردها تفويض محض والثانية جبرٌ، والجمع بينهما الأمر بين الأمرين.

وفي الثانية إضافة الروح المنفوخ فيه إلى الله المختار دلالة على نوع اختيار في المنفوخ الذي هو خليفته في الأرض، وإلّا لما صحّت. الخلافة للتباين بينهما كليّاً ومن المعلوم عقلاً وجود العُلقة بين الخليفة ومُخلفها؛ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4] وإلّا انتفت العلقة بين الخليفة وتخلفها.

* * *

---

(١) تحف العقول: ٤٥٨ ـ ٤٧٥.

(٢) الاحتجاج ٢/٢٥١ ـ ٢٥٦.

(٣) التكوير: ٢٧ ـ ٢٩، الحجر: ٢٩، صٓ: ٧٢. فافهم؛ فإنّه أمرٌ عقليٌّ دقيق.

(٤) البقرة: ٣٠.

٤٥
إرادته لا تردّ

كلمة من التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة للسفيرين: عثمان بن سعيد وابنه محمّد بن عثمان العَمْريّين رضي الله عنهما، يأتي كلّه عند «أعوذ بالله من العمى»[١].

ونذكر منه ما يربطها، قال عليه السلام: «ولو أذن الله عزّ وجلّ فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه، لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه، وقام بحجّته، ولكنّ أقدار الله عزّ وجلّ لا تغالب، وإرادته لا تُردّ، وتوفيقه لا يُسبق...»[٢]، يأتي شرح «أقدار الله عزّ وجلّ لا تغلب»[٣]، لولا أنّه سبحانه أراد أن يُطاع باختيار لجعل الناس كالملائكة يعبدونه لا يشركون به شيئاً، ولكنّه عزّ وجلّ شاء أن يخلق خلقاً ما هو بمَلَك ولا بهيمة بل ركّب فيه العقل والشهوة فمن غلب عقله على شهوته فهو أعلى من المَلَك، ومن غلبت شهوته على عقله فهو أدنى من البهيمة كما في العلوي[٤]؛ لأنّ الأوليين لم يكن في اقتضائهما ما للقسم الثالث، المُلهَم فجوره وتقواه: ﴿***وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا***﴾[٥].

* * *

---

(١) رقمه ٦٠.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٥١١، رقمه ٤٢.

(٣) رقمه ٦٥.

(٤) الوسائل ١١ / ١٦٤، الباب ٩ من أبواب جهاد النفس التسلسل ٢٠٣٠٠ / ٢.

(٥) الشمس: ١ ـ ١٠.

٤٦
أرشدَك اللّٰه وثبّتك

كلمة دعاء من الإمام المهديّ عجّل الله فرجه لإسحاق بن يعقوب عند منح الأجوبة عن مسائله الّتي أشكلت عليه، فوجّه بها في كتاب له على يد محمّد بن عثمان العمري رحم الله الوالد والولد إلى الناحية، وكانت سبعة عشر سؤالاً، وأجاب عليه السلام عنها، ويأتي بيانها عند الكلمات المختارة منها[1] تذكر من التوقيع ما يلي:

«أمّا ما سألت عنه ـ أرشدك اللّٰه وثبّتك[2] ـ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا فاعلم أنّه ليس بين اللّٰه عزّ وجلّ وبين أحد قرابة[3]، ومن أنكرني فليس منّي، وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام...»[4].

لسنا هنا بصدد محتوى الجواب؛ فإنّه يأتي بيانه عند «سبيله سبيل ابن نوح عليه السلام»[5].

قوله روحي فداه: «أرشدك اللّٰه وثبّتك» فيه دلالة على أنّه أهل له ومستجاب فيه لا محالة، ودلالة على الحثّ على أمثاله[6] ممّن هو موضع رعاية وعناية له.

* * *

---

(١) الأرقام: ٦٢، ٦٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣.

(٢) وفي نسخة الاحتجاج «... ووقاك» ٢ / ٢٨١.

(٣) رقمه ٣٧٦.

(٤) إكمال الدين ٢ / ٤٨٣ ـ ٤٨٤، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٦، البحار ٥٢ / ١٨٠.

(٥) رقمه ١٩٩.

(٦) ممّن هو بصدد تعلّم الأحكام والحلال والحرام. والعمل بذلك.

٤٧
استرح واجلس مربّعاً

قال الشيخ محمّد تقي المجلسي الأوّل والد صاحب البحار طاب ثراهما:

لمّا وفّقني اللّه تعالى لزيارة أميرالمؤمنين عليه السلام، وشرعت في حوالي الروضة المقدّسة في المجاهدات، وفتح اللّه تعالى عليَّ ببركة مولانا صلوات اللّه عليه أبواب المكاشفات التي لا تحتملها[1] العقول الضعيفة، رأيت في ذلك العالم ـ وإن شئت قلت: بين النوم واليقظة ـ عندما كنت في رواق عمران جالساً أنّي بسرّ من رأى، ورأيت مشهدهما في نهاية الارتفاع والزينة، ورأيت على قبرهما لباساً أخضر من لباس الجنّة؛ لأنّه لم أر مثله في الدنيا، ورأيت مولانا ومولى الأنام صاحب العصر والزمان عليه السلام جالساً، ظهره على القبر [إلى القبر]، ووجهه إلى الباب. فلمّا رأيته شرعت في الزيارة، ـ أي الجامعة ـ بالصوت المرتفع كالمدّاحين، فلمّا أتممتها قال صلوات اللّه عليه: «نعمت الزيارة».

قلت: مولاي روحي فداك زيارة جدّك ـ وأشرت إلى نحو القبر ـ فقال: «نعم، ادخل».

فلمّا دخلت، وقفت قريباً من الباب، فقال صلوات اللّه عليه: «تقدّم».

فقلت: مولاي أخاف أن أصير كافراً بترك الأدب.

فقال صلوات اللّه عليه: «لا بأس إذا كان بإذننا».

فتقدمّت قليلاً وكنت خائفاً مرتعشاً.

فقال: «تقدّم تقدّم»، حتى صرت قريباً منه صلوات اللّه عليه قال: «اجلس».

---

(١) في الأصل: «لا يحتملها».

قلت: أخاف مولاي.

قال صلوات الله عليه: «لا تخف».

فلمّا جلست جلسة العبيد بين يدي المولى الجليل، قال صلوات اللّه عليه: «استرح واجلس مربّعاً؛ فإنّك تعبت جئت ماشياً حافياً». والحاصل: إنّه وقع منه صلوات الله عليه بالنسبة إلى عبده ألطاف عظيمة، ومكالمات لطيفة لا يمكن عدّها...[١]. مَن هو المجلسي الأوّل؟ قال المحدّث القميّ: محمّد تقي المجلسي كان وحيد عصره، وفريد دهره، أورع أهل زمانه، وأزهدهم، وأعبدهم، قال صاحب حدائق المقرّبين في كلام له: وكان مؤيّداً من عند اللّه ومسدّداً، وأكثر العلماء من تلامذته، مثل الأقا حسين الخونساري، وأُستاذنا المولى محمّد باقر...، ومصنّفاته، كثيرة منها: شرحاه العربي والفارسي على كتاب من لا يحضره الفقيه، وكلّ منهما يزيد على مائة ألف بيت، وارتحل إلى جوار رحمة اللّه تعالى في سنة ١٠٧٠[٢]. في سفرته إلى النجف الأشرف اشتغل على حدّ تعبيره بالرياضات فشملته العنايات والألطاف الربّانية التي رأى أميرالمؤمنين عليه السلام بين اليقظة والنوم وطلب منه البقاء في هذه البلدة وأبىٰ عليه السلام إلّا رجوعه إلى أصبهان وقال: إنّ الملك شاه عبّاس يموت ويقوم مقامه الشاه صفي، وتحدث فتنة لابدّ أن تكون هناك، لهداية الناس وأشياء أُخر[٣].

* * *

---

(١) روضة المتقين ٥ / ٤٥١ ـ ٤٥٢، لعلّ تسمية المجلسي به لكلمة «اجلس».

(٢) الكنى والألقاب ٣ / ١٥٠ ـ ١٥١، ملخّصاً.

(٣) لوامع صاحبقراني ١ / ب ـ ز، ورقم المختار ١٩٠.

٤٨
استولدها ويفعل اللّه ما يشاء

قال الصدوق: حدّثنا أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبداللّه، عن محمّد بن صالح، قال: كتبت أسأله الدعاء لباداشاله[١] وقد حبسه ابن عبدالعزيز، وأستأذن في جارية لي أستولدها، فخرج:

«استولدها ويفعل اللّه ما يشاء، والمحبوس يخلّصه اللّه» فاستولدت الجارية فولدت فماتت، وخلّي عن المحبوس يوم خرج إليَّ التوقيع[٢].

جعل عليه السلام الجواب عن أحد السؤالين منجّزاً وهو خلاص المحبوس من الحبس، والآخر وهو استيلاد الجارية موقوفاً على المشيئة الربّانيّة؛ للعلم بالأمرين: موت الجارية بعد الولادة، والخلاص من الحبس، وعلم الإمام المعصوم عليه السلام من علم اللّه عزّوجلّ، وهل هو: إن شاء علم، وإن لم يشأ لم يعلم؟ أو ينظر إلى عمود النور؟ أو حقيقة أُخرى، وللكلام في ذلك مجال آخر، كما أنّ كلمة «يفعل اللّه ما يشاء» يأتي شرحها في محلّ يناسبها، وتماثلها الكلمة الرضويّة: «الأُمور بيد اللّه عزّوجلّ»[٣].

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٤].

---

(١) في هامش إكمال الدين ٢ / ٤٨٩: كأنّه اسم رجل مركّب من فارسي هو «بادا» ومن «شاء اللّه» فإنّ أهل الفرس كثيراً ما يستعملونها «شاله».

(٢) المصدر السابق.

(٣) «الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا عليه السلام» ١٠٣ طبعة الأستانة الرضوية في مجلّد ١ / ١٣٨، رقم الكلمة ٣٣ طبعة دارالزهراء، بيروت، جزآن مع تبديل عنوان، وإضافة. وانظر رقم المختار ٤٩٧.

(٤) إبراهيم: ٢٧ الفرق بين الفعل والعمل أن الثاني لم يستعمل ومشتقّاته في القرآن في الله.

٤٩
استيقظوا من رقدتكم

انتزعت عن رسالة الإمام المهديّ عليه السلام الأُولى للشيخ المفيد قدس سره، نذكرها عن آخرها عند: «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهلية...»[١]: «إذا حل جمادى الأُولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم، لما يكون من الّذي يليه، ستظهر لكم من السماء آية جليّة، و من الأرض مثلها بالسويّة...»[٢].

ما هذه الحادثة الّتي حدثت في جمادى الأُولى من سنة ٤١٠ هـ. تاريخ صدور الرسالة عن الناحية المقدّسة؟

ليس في أيدينا ما يكشف عنها، إلّا أُمور لا تطابقها، و سنذكرها، نقلاً عن بعض السادة الأجلّة. **الاستيقاظ من الرقدة**: هي طلب اليقظة من النوم، وكثيراً ما يُراد بها الانتباه عن الغفلة عمّا يجب القيام به، كما في خطبة علويّة: فأفق أيّها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك...»[٣]. والمراد أن لا تدخل الشيعة في الفتن بتاتاً، ولا ممّن أوقد نارها او أحجّها؛ فإنّها الّذي كان أكُلها؛ بل فلنكن كما قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللُبون، لا ظهرٌ فيُركب، ولا ضرعٌ فيُحلب»[٤].

* * *

---

(١) رقمه ٥٤، الاحتجاج ٢ / ٣١٨ ـ ٣٢٤.

(٢) نفسه، ص ٣٣٢، البحار ٥٣ / ١٧٥.

(٣) شرح النهج ٩ / ١٥٨ الخطبة ١٥٣، مصادر النهج ٢ / ٣٤٥، رقمها ١٥١.

(٤) مصادر النهج ٤/٧، الحكمة ١، في هامشه، ابن اللبون ـ بضم اللام، وفتح الباء: ابن الناقة إذا استكمل سنتين، شرح النهج ١٨/٨٢، الرقم ١، الطبعة بفتح اللام ولعلّة الأصح.

٥٠
الأسدي نِعْم العديل

روى الكليني، عن عليّ، عمّن حدّثه قال: ولد لي ولد، فكتبت أستأذن في طهره يوم السابع، فورد: «لا تفعل» فمات يوم السابع، أو الثامن، ثمّ كتبت بموته؛ فورد: «ستخلّف غيره، وغيره، تُسمّيه أحمد، ومن بعد أحمد جعفراً» فجاء كما قال. قال: وتهيّأت للحجّ، وودّعت الناس، وكنت على الخروج.

فورد: «نحن لذلك كارهون، والأمر إليك» قال: فضاق صدري. واغتممت. و كتبت: أنا مقيم على السمع و الطاعة، غير إنّي مغتمّ بتخلّفي عن الحجّ.

فوقّع: «لا يضيقنّ صدرك؛ فإنّك ستحجّ من قابل إن شاء اللّه».

قال: ولمّا كان من قابل كتبت أستأذن، فورد الإذن، فكتبت: إنّي عادلت محمّد ابن العبّاس، وأنا واثق بديانته و صيانته.

فورد: «الأسديّ نِعْم العديل، فإن قدم فلانختر عليه»، فقدمالأسدي وعادلته[1].

ورواه الشيخ الطوسي مع عدم التعرّض إلى صدر التوقيع[2] وبسند له ـ أي الشيخ طاب ثراه ـ إلى أحمد بن يوسف الساسي قال: قال لي محمّد بن الحسن الكاتب المروزي: وجّهت إلى حاجز الوشّاء مائتي دينار، وكتبت إلى الغريم[3] بذلك. فخرج الوصول، وذكر أنّه كان قِبَلي ألف دينار، وإنّي وجّهت إليه مائتي دينار. وقال: «إن أردت أن تعامل أحداً، فعليك بأبي الحسن الأسدي بالريّ».

(١) أُصول الكافي ١ / ٥٢٢ ـ ٥٢٣، الحديث ١٧، باب مولد الصاحب...

(٢) الغيبة: ٢٥٧، البحار ٥١ / ٣٦٣، إثبات الهداة ٣ / ٦٦٣.

(٣) هو المهدي عليه السلام كنّى عنه به، هل التسمية به؛ لعلقه الخالق أو المخلوق؟!.

فورد الخبر بوفاة حاجز رضي الله عنه بعد يومين أو ثلاثة، فأعلمته بموته، فاغتمّ، فقلت: لا تغتمّ، فإنّ لك في التوقيع إليك دلالتين: إحداهما إعلامه إيّاك أنّ المال ألف دينار. والثانية أمره إيّاك بمعاملة أبي الحسن الأسدي؛ لعلمه بموت حاجز[١].

ترجمة الأسدي:

قد ترجمه جمع منهم الأُستاذ الخوئي، قال: أبو الحسين هو محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدي الكوفي الرازي.

قال النجاشي: أبو الحسين الكوفي ساكن الريّ يقال له محمّد بن أبي عبدالله كان ثقة صحيح الحديث... توفّي ليلة الخميس لعشر خلون من جمادي الأولى سنة اثنتي عشر وثلاثمائة[٢].

وهل كان يعتقد الجبر والتشبيه كما يقوله النجاشي؟ وقد قوّى الأُستاذ الخوئي العدم، وردّ القائل به[٣].

قال: فلو كان محمّد بن جعفر الأسدي قائلاً بالجبر والتشبيه، لكان تلميذه محمّد بن يعقوب ـ الكليني ـ أولى بمعرفته ذلك وتركه الرواية عنه.

وأوضح من جميع ذلك: أنّ محمّد بن يعقوب روى عدّة روايات في بطلان القول بالتشبيه وبطلان القول بالجبر[٤] عن محمّد بن أبي عبدالله الذي عرفت اتّحاده مع محمّد بن جعفر الأسدي....

ثمّ إنّ النجاشي قال عن الأسدي المترجم له أنّه يقال له محمّد بن أبي عبدالله. وادّعى الأستاذ الخوئي اتّحاده مع محمّد بن جعفر الأسدي، **ترجمة حاجز:**

قال السيد التفريشي: حاجز من وكلاء الناحية كذا في ربيع الشيعة[٥].

قال المفيد طاب ثراه: عليّ بن محمّد عن الحسن بن عبدالحميد، قال: شككت في أمر حاجز، فجمعت شيئاً، ثمّ صرت إلى العسكر، فخرج إليَّ:

---

(١) الغيبة: ٢٥٧.
(٢) معجم رجال الحديث ١٥ / ١٦٥.
(٣) نفسه، ص ١٦٧ ـ ١٦٨.
(٤) نفسه، ص ١٦٨.
(٥) نقد الرجال: ٧٨.

«ليس فينا شكّ، ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، تردّ ما معك إلى حاجز بن يزيد»[١].

قوله عليه السلام: «الأسدي نِعْم العديل» معناه أنّه باب الناحية المقدّسة يرجع إليه، وعدل من الأعدال، ولا ريب أنّه هو وحاجز بن يزيد وغيرهما، ممّن نصّ على كونهم من الوكلاء، وقد قال الشيخ الطوسي: وقد كان في زمن السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليه التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل[٢].

(١) الإرشاد: ٣٥٨.

(٢) الغيبة: ٢٥٧. وانظر تمهيد الكتاب رقم ٣ منابع الخمسة ص ١٠.

٥١
اسكت يا فلان

روى المجلسي عن العيّاشي حديث الإمام الباقر عليه السلام المطوّل في كيفيّة خروج الحجّة عجّل الله فرجه من بيت اللّه الحرام، وما يكون منه فيه، وفي المدينة من الوقائع....

«حتى إذا بلغ إلى الثعلبيّة، قام إليه رجل[١] من صلب أبيه وهو من أشدّ الناس ببدنه، وأشجعهم بقلبه، ما خلا صاحب هذا الأمر فيقول: يا هذا ما تصنع؟! فواللّه إنّك لتُجفل الناس إجفال النعم[٢]، أفبعهد من رسول اللّه صلى الله عليه وآله ؟! أم بماذا؟!

فيقول المولى الّذي وُليّ البيعة: واللّه لتسكتنّ أو لأضربنّ الّذي فيه عيناك.

فيقول [له] القائم: اسكت يا فلان، إي واللّه إنّ معي عهداً من رسول اللّه، هات لي [يا] فلان العَيْبة أو الزنفيلجة[٣] فيأتيه بها فيقرؤه العهد من رسول اللّه.

فيقول: جعلني اللّه فداك، أعطني رأسك أُقبّله؛ فيعطيه رأسه، فيقبّل بين عينيه ثمّ يقول: جعلني اللّه فداك، جدّد لنا بيعة؛ فيجدّد لهم بيعة».

قال أبو جعفر عليه السلام: «لكأنّي أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً. أمدّه اللّه بخمسة آلاف من الملائكة

---

(١) لم يعلم من هو من بني هاشم؟ قال الحموي: الثعلبيّة منسوب بفتح أوّله: من منازل طريق مكّة من الكوفة بعد الشقوق، وقيل: الخزيسيّة، وهي ثلثا الطريق... (معجم البلدان ٢ / ٧٨)

(٢) أجفل به أذهب به مسرعاً

(٣) أي القفّة وهي مع العيبة والطيبة كلمات متقاربة... هامش البحار ٥٢ / ٣٤٣ / مع تصرف ما وأمّا المولى الّذي وُلّي البيعة فهو غير الحجّة عليه السلام.

مسوّمين. حتّى إذا صعد النجف قال لأصحابه: تعبّدوا ليلتكم هذه؛ فيبيتون بين راكع وساجد، يتضرّعون إلى اللّه. حتّى إذا أصبح قال: خذوا بنا طريق النخيلة؛ وعلى الكوفة خندق مخندق. قلت[١]: خندق مخندق؟![٢]

قال: إي واللّه حتّى ينتهي إلى مسجد إبراهيم بالنخيلة[٣]، فيصلّي فيه ركعتين، فيخرج إليه من كان بالكوفة، من مرجئها، وغيرهم من جيش السفياني فيقول لأصحابه: استطردوا لهم، ثمّ يقول: كرّوا عليهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: [و] لا يجوز واللّه الخندق منهم مخبر...»[٤].

ولولا طول الحديث لذكرناه عن آخره، وتأتي البقيّة في المختارات الآتية، وأمّا صدره فراجعه[٥].

قوله عليه السلام: «اسكت يا فلان» كلمة زجر وكسر، لا تقال إلّا في موضع النهي عن الكلام الباطل. ولولا زجر الرجل المتجاسر على الإمام المهديّ عليه السلام لتاه في غيّه وباطله، ولكنّ رحمة اللّه شملته، واهتدى إلى الحقّ.

وكيف كان فالحديث الباقري تناول الوقائع الواقعة عند خروجه عليه السلام، ويا لها من وقائع، لله عزّ وجلّ فيها شؤون، يجب على القائل بإمامة المهديّ عجّل الله فرجه إكثار الدعاء للفرج، كما جاء منه روحي فداه الأمر به بقوله: «وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج»[٦].

إنّ قيام الإمام المهدي عليه السلام وخروجه من المحتم الذي لا بداء فيه كالقيامة الأصل الأصيل لا يتأتى فيه التبديل، وكذا من المحتم عند القيام خروج السُفياني الذي لا يتخلّف، كما قرّر في محلّه، وغضون هذا الكتاب لعله أكثر من موضع.

* *

---

(١) القائل هو عبدالأعلى الحلبي راوي الحديث.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ٥٩، الحديث ٤٩ ـ ٦١، المطول المنتزع منه المختار رقمه ١٤٧، ١٨٠ في هامش البحار ٥٢ / ٣٤٤: اختلفت النسخ هاهنا «خندق مخندق»، و «جند مجند».

(٣) لعله كان في النُخلية الواقعة في طريق كربلاء والنجف مسجدٌ. واللّه العالم

(٤) البحار ٥٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٥) البحار ٥٢ / ٣٤١ ـ ٣٤٣.

(٦) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، رقم المختار ٦٨.

٥٢
اصعد يا حَسن

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدّثنا عليّ بن أحمد الكوفي المعروف بأبي القاسم الخديجي، قال: حدّثنا سليمان بن إبراهيم الرقي، قال حدّثنا أبو محمّد الحسن بن وجناء النصيبي، قال:

كنت ساجداً تحت الميزاب ـ في البيت الحرام ـ في رابع أربع وخمسين حجّة بعد العتمة وأنا أتضرّع في الدعاء، إذ حرّكني محرّكٌ فقال: قم يا حسن بن وجناء، قال: فقمت فإذا جارية صفراء، نحيفة البدن، أقول: إنّها من أبناء أربعين فما فوقها، فمشت بين يديّ وأنا لا أسألها عن شيءٍ، حتّى أتت بي إلى دار خديجة عليها السلام وفيها بيت بابه في وسط الحائِط، وله درج ساج يُرتقى.

فصعدت الجارية، وجاءني النداء: اصعد يا حسن.

فصعدتُ فوقفت بالباب، فقال لي صاحب الزمان عليه السلام: «يا حسن، أتراك خفيت عليّ[1]، واللّٰه ما من وقت في حجّك إلّا وأنا معك فيه» ثمّ جعل يعدّ عليَّ أوقاتي، فوقعت [مغشيّاً خ] على وجهي، فحسست بيدٍ قد وقعت عليَّ فقمت.

فقال لي: «يا حسن، الزم دار جعفر بن محمّد عليهما السلام ولا يهمّنّك طعامك، ولا شرابك، ولا ما يستر عورتك، ثمّ دفع إليَّ دفتراً فيه دعاء الفرج، وصلاة عليه، فقال: بهذا فادع، وهكذا صلّ عليَّ، ولا تعطه إلّا محقي أوليائي. فإنّ اللّٰه جلّ جلاله موفّقك، فقلت: يا مولاي لا أرك بعدها؟ فقال: يا حسن إذا شاء اللّٰه».

قال: فانصرفت من حجّتي، ولزمت دار جعفر بن محمّد عليهما السلام. فأنا أخرج منها

---

(١) يأتي بعنوان «ياحسن، أتراك خفيت عليّ»، رقمه ٤٧٣.

فلا أعود إليها إلّا لثلاث خصال: لتجديد وضوء، أو لنوم، أو لوقت الإفطار، وأدخل بيتي وقت الإفطار فأُصيب رباعيّاً مملوءاً ماءً، ورغيفاً على رأسه، وعليه ما تشتهي نفسي بالنهار، فآكل ذلك فهو كفاية لي، وكسوة الشتاء في وقت الشتاء، وكسوة الصيف في وقت الصيف، وإنّي لأُدخل الماء بالنهار فأرشّ البيت، وأدَعُ الكوز فارغاً، فأُوتي بالطعام، ولا حاجة لي إليه فأصدّق به ليلاً، كيلا يعلم بي من معي»[1].

قال الأُستاذ الخوئي: الحسن بن محمّد بن الوجناء أبو محمّد النصيبي روى عن أبي محمّد عليه السلام، وروى عنه الصفواني، ذكره النجاشي... عدّه الصدوق ممّن لقي الحجّة ـ سلام اللّه عليه ـ كمال الدين، الباب ٤٧ في ذكر من شاهد القائم ورآه وكلّمه. الحديث ١٧ ـ ١٨ ـ ٢٦... ـ إلى أن قال ـ : والظاهر أنّه متّحد مع من ذكره النجاشي، وفي الرواية دلالة على قوّة إيمانه[2].

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤، باب ٤٣، ذكر من شاهد القائم عليه السلام. وفي معجم رجال الحديث ٥ / ١٣١: الغيبة في التوقيعات، الحديث ٢٥.

(٢) معجم رجال الحديث ٥ / ١٣٠ ـ ١٣١.

٥٣
أطال اللّٰه بقاك

كلمة دعاء من الإمام المهديّ عليه السلام للشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، النائب الثالث المنصوب من قبله روحي فداه بوصيّة أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري، في سنة ٣٠٤، أو ٣٠٥ هـ.

ولربطها نذكر بعض التوقيع الصادر على يده في لعن جماعة منهم الشلمغاني، والشّريعي، والنميري، والهلالي، والبلالي، وغيرهم، وإليك نسخته:

«عَرِّفْ ـ أطال اللّٰه بقاك، وعرّفك الخير كلّه، وختم به عملك ـ مَن تثق بدينه، وتسكن إلى نيّته من إخواننا أدام اللّٰه سعادتهم بأنّ محمّد بن عليّ المعروف بالشلمغاني، عجّل اللّٰه له النقمة ولا أمهله. قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين اللّٰه، وأدّعى ما كفر بالخالق جلّ وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون باللّٰه وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً. وإنّا برئنا إلى اللّٰه تعالى وإلى رسوله صلوات اللّٰه عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه؛ ولعنّاه، عليه لعائن اللّٰه تترى في الظاهر منّا والباطن، في السر والجهر، وفي كلّ وقت...»[1].

* * *

(١) الاحتجاج ٢ / ٢٩٠، معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة: ٢٨٥، رقم التوقيع ٢٠٠. وإن كرّر هنابعض ما سبق ولكن المسك يتضوّع به.

٥٤
اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهليّة يحشّشها عصب أُمويّة

هذه كلمة من كتاب الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الأوّل للشيخ المفيد رحمه الله، وإليك النصّ الكامل برواية الطبرسي ولفظه: ذكر كتاب ورد من الناحية المقدّسة ـ حرسها الله ورعاها ـ في أيّام بقيت من صفر، سنة عشر وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه.

ذكر موصله أنّه يحمله من ناحية متّصلة بالحجاز نسخته:

«للأخ السديد، والوليّ الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه، من مستودع العهد المأخوذ على العباد:

«بسم الله الرحمن الرّحيم

أمّا بعد، سلام عليك أيّها الوليّ، المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنّا نحمد الله الّذي لا إله إلّا هو، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمّد وآله الطاهرين، ونُعلمك ـ أدام الله توفيقك لنصرة الحقّ، وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق ـ أنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك، أعزّهم الله بطاعته وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته، فقف ـ أيّدك [أمدّك. البحار] الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه ـ على ما أذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله.

ونحن وإن كنّا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، مادامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا

نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيءٌ من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ الّذي أصابكم، قد جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم، كأنّهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك، لنزل بكم اللأواء[١]، واصطلمكم الأعداء[٢]، فاتّقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم[٣] من فتنة قد أنافت[٤] عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويُحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف[٥] حركتنا، ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، والله متّم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهليّة، يُحشّشها عصبٌ أمويّة، يهول بها فرقة مهديّة، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن الخفيّة، وسلك في الظعن منها السبل المرضيّة.

إذا حلّ جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون من الّذي يليه، ستظهر لكم من السماء آيةٌ جليّة، ومن الأرض مثلها بالسويّة، ويحدث في أرض المشرق ما يُحزن، ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق، تضيق بسوء أفعالهم على أهله الأرزاق، ثم تنفرج الغمّة من بعد ببوار طاغوت من الأشرار، ثمّ يستّر [يسرّ / خ] بهلاكه المتّقون الأخيار، ويتّفق لمريدي الحجّ من الآفاق ما يؤمّلونه منه، على توفير عليه منه واتّفاق، ولنا في تيسير حجّهم على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتّساق، فليعمل كلّ امرئٍ منكم بما يقرب به من محبّتنا، ويتجنّب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا؛ فإنّ أمرنا بغتة فجأة، حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة (وفي نسخة فإنّ امرءاً يبغته فجأة...)[٦].

والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته.

---

(١) اللأواء: الشدّة وضيق المعيشة.
(٢) أي استأصلكم وأهلككم.
(٣) الانتياش: الإنقاذ.
(٤) الإنافة: الارتفاع.
(٥) الأزوف: الاقتراب.
(٦) البحار ٥٣ / ١٧٦.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام: هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الوليّ، والمخلص في ودّنا الصفيّ، والناصر لنا الوفيّ، حرسك اللّه بعينه الّتي لا تنام، فاحتفظ به، ولا تظهر على خطّنا الذي سطرناه بما له ضمّنّاه أحداً، وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء اللّه، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطاهرين»[١].

وإنّما جئنا عن آخر التوقيع، لاشتماله على الكلمة المختارة، والّتي مرّت أو ستمرّ في مظانّها من كلمات استخرجناها منه[٢].

شرح بعض كلمات الكتاب: إذا أردنا شرحها كما يجدر بشأنها فلسنا لذلك أهلاً، ولا للكتاب الّذي بين يديك مجالاً إلّا أن نقتطف من أقوال بعض، أو نذكر ما هو بقدرنا، لا بقدره كما في الدعاء السجّادي «... على أنّ دعائي بقدري لابقدرك»[٣].

قال بعض السادة الأجلّة: في إعطاء المفيد هذه الأوصاف: «الأخ السديد والوليّ الرشيد». والأوصاف التالية في الرسالة، والدعاء له بالدعوات المتعدّدة في غضون الرسالة، ثمّ تقديم اسمه على اسم الإمام المهديّ عليه السلام تكريم ما فوقه تكريم.

العهد والميثاق: في مجموعة من آيات القرآن إشارة إلى (العهد والميثاق) والإهابة بالالتزام بهما، والتأنيب على نقض ذلك العهد، كقوله تعالى: ﴿*الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ*﴾ سورة الرعد، آية ٢٠ ﴿*وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً*﴾ سورة النمل، آية ٩٥، ولقد أخذ اللّه العهد والميثاق من الناس في عالم سابق على هذا العالم... لعلّه عالم الذرّ الذي تحدّث عنه القرآن بقوله: ﴿*وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ*﴾[٤]. ـ إلى أن قال: ـ

---

(١) الاحتجاج ٢ / ٣١٨ ـ ٣٢٤، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٥٣ / ١٧٤ ـ ١٧٦، باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام.

(٢) الأرقام: ٢٨، ٤٩، ١٠٤، ١٣١.

(٣) البحار ٩٤ / ١٥١، مناجاة الذاكرين.

(٤) سوة الأعراف: ١٧٢.

كلّما ورد في القرآن فهو العهد الّذي سبق خلق الأجساد، وهذا العهد وإن لم يدخل في ذاكرة الجسد، إلّا أنّه مخزون في ذاكرة الروح الّتي قد يصحّ التعبير عنها بالعقل الباطن. ونتيجة لتفاعل الروح والجسد ينعكس هذا العهد عليهما، وقد يعبّر عن نفسه فيما يسمّى بالضمير.

والّذين يجسّدون على الأرض هذا العهد ـ نيابة عن اللّه ـ هم الأنبياء والأوصياء كلّ منهم في دوره، وهذا الدور الّذي نعيشه دور الإمام المهديّ عليه السلام، فهو الّذي يجسّد ذلك العهد، فقوله: «مستودع العهد المأخوذ على العباد» يعني نفسه....

يظهر من النصّ ما يلي:

أ ـ إنّ قرارات الإمام المهديّ، باعتباره وصيّاً معصوماً، ليست قراراته الشخصيّة، وإنّما هي قرارات السماء، فهو لم يراسل الشيخ المفيد إلّا بإذن من مصدر القرار، وليس معنى إذنه نزول الوحي إليه بمراسلة المفيد، لأنّ إذن اللّه هو الاستمرار في السماح باستخدام الصلاحيّات المخوّلة بعدم وضع حدّ لها، بينما أمر اللّه هو التأسيس عن طريق التكوين في المجال الكوني، وعن طريق الطلب في المجال الشرعي ـ الآيات ـ.

ب ـ إنّ هذه الرسالة فاتحة رسائل عديدة تلقّاها المفيد من قبل الإمام المهدي عليه السلام، وإن لم يصل إلينا منها إلّا هذه الرسالة وتاليتها.

فقوله عليه السلام: «أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا... واعمل في تأديته إلى من تسكن بما نرسمه» يدلّ على أنّ الإمام المهديّ عليه السلام اختار المفيد للقيام بدور معيّن مدى ما تبقّى من حياة الثاني.

ج ـ إنّ غيبة الإمام المهدي عليه السلام تدرّجت في ثلاث مراحل:

الأُولى: مرحلة القيادة بالوسائط....

الثانية: مرحلة السفراء الأربعة حيث يتّصل بالشيعة غيرهم، فيكتب الجواب على رسائلهم بخطّه وتوقيعه ـ روحي فداه ـ وقد يستقبل بعض الشيعة بوساطتهم وذلك خلال ثلاثة أرباع قرن تقريباً.

الثالثة: مرحلة المراسلة حيث حصر اتّصالاته في مراسلة شخص معيّن هو الشيخ المفيد وهي مرحلة وسطى بين النيابة الخاصّة التي تولّاها النوّاب الأربعة، ومرحلة النيابة العامّة الّتي يتولّاها الفقهاء المراجع.

وبعدها أصبحت الغيبة الكبرى حيث لا اتّصال بعامّة الشيعة، وإنّما يتّصل ببعض خواصّ الشيعة عبر لقاءات سريعة... إلى قوله عند شرح كلمة «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهلية...»:

أي اتّقوا من إشعال نار الجاهليّة، فإنّكم إن أشعلتموها تستغلّها عصابات أُمويّة إن لم تكن أُمويّة النسب، فأُمويّة المسلك، وترعب بالنار ذاتها فرقة مهديّة هي أنتم، فتكونون أنتم الّذين أشعلتم النار على غيركم ثمّ لا تخمد إلّا وتكونوا أنتم الّذين احترقتم، بها، وقال عليه السلام: «اعتصموا بالتقيّة» بدلاً من الاعتصام بالمسبقات الموروثة الّتي تتجمّع في المذهب، والمراد من التقيّة هنا ليس كتمان العقيدة[1] الّتي يحاربها المجتمع، وإنّما الهروب من الفتنة الّتي يشجّعها المجتمع وعبّر بـ «نار الجاهليّة» عن الحرب الطائفيّة تشديداً في استنكارها...[2].

ليس الغرض كما سبق نقل شرح الرسالة بكاملها، ولبعض السادة الأجلّة ذكر نقاط منها ما جاء في شرح قوله عليه السلام:

«إذا حلّ جمادى الأولى من سنتكم هذه...» وما بعده.

قال: أمر الإمام المهدي عليه السلام شيعته بالاعتبار بالحوادث الّتي أخبر عنها مسبقاً، ولا أراني بحاجة إلى تكرار التحدّث عن علم الإمام عليه السلام، وإخباره عن المستقبل....

«ستظهر لكم من السماء آية جليّة، ومن الأرض مثلها بالسويّة».

مع كلّ أسف أنّ التاريخ أهمل ذكر الحوادث الّتي حدثت في تلك السنة، ونجد في كتب التاريخ حوادث تتّفق مع تلك السنة تاريخيّاً، لأنّ تاريخ هذه الرسالة سنة ٤١٠ هـ. وقد حدثت حوادث في سنين متأخّرة عن تاريخ هذه الرسالة، ولا ينطبق

---

(١) بل التقيّة هي كتمان العقيدة وغيرها.

(٢) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ١٤٥، و ١٤٩ ـ ١٥٣.

عليها إخبار الإمام المهدي عليه السلام مثلاً «.....» الآية السماوية الّتي حدثت هو سقوط كوكب (أي قذيفة منفصلة عن الكواكب) عظيم استنارت منه الأرض، وسمع له دويّ عظيم، ولكن كان ذلك في ٤١٧ هـ، وحدث مثل هذا الحدث سنة ٤٠١ هـ. وارتفع ماء دجلة بسبب الفيضان مقدار إحدى وعشرين ذراعاً، وغرق جانب كبير من بغداد، وأراضي العراق... ولا محيص لنا من أن نقول: إنّ حوادث سماويّة وأرضيّة حدثت في تلك السنة، ولكن التاريخ أهمل ذكرها، أو لم يصل إلينا خبرها، بسبب تطاول الزمان.

«ويغلب من بعدُ على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق».

مرّاق جمع مارق: يقال مرق عن الدين: أي خرج منه. أخبر الإمام المهديّ عليه السلام عن غلبة طوائف خارجة عن الإسلام، أو خارجة عن تعاليم الإسلام، على العراق.

يقال: إنّ (طغرل بك) أوّل ملوك السلاجقة استولى على العراق بعد حروب دامية، وشمل شرّه العباد والبلاد، وذلك في سنة ٤٤٧، فدخل جيشه بغداد، وضيّق على الناس في المساكن والأرزاق، فوقع القحط والغلاء في المواد الغذائيّة، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً جنونيّاً، وكثر الموت وحدث وباء عظيم، واشتدّ الأمر، وتطوّر من سوء إلى أسوأ، حتّى عجز الناس عن دفن الموتى.

فلعلّ المقصود من الطوائف المرّاق عن الإسلام، هم: (طغرل بك) وعساكره الّذين أفسدوا في البلاد العراقيّة، وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة، وأهلكوا الحرث والنسل، وهتكوا الحُرمات بعد أن أراقوا الدماء، وارتكبوا أبشع الجرائم، وأفظع الفجائع، وجعلوا الحياة الاقتصاديّة في تدهور وتأزّم، والله العالم.

«ثمّ تنفرج الغمّة من بعدُ ببوار طاغوت من الأشرار، ثمّ يسرّ بهلاكه المتّقون الأخيار»، وأخيراً مات الطاغوت طغرل بك، وانفرجت الغمّة والأزمة، وفرح المتّقون الأخيار بهلاكه وموته، وانحلّت المشاكل، وزال الغلاء، وتحسنّت الأوضاع، وتبدّلت الحياة إلى الّتي هي أحسن...[1].

---

(١) الإمام المهديّ عليه السلام من المهد إلى الظهور: ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

في آخر الرسالة الّتي في ذيلها: «نسخة التوقيع بـاليد العـليا عـلى صـاحبها السلام». هذه الفقرة قيل إنّها للشيخ المفيد طاب ثراه، قد وصف يد الإمام المهدي عليه السلام بالعليا، وبعد الفقرة ليست للمفيد، بل للحجّة روحي فداه وهي:

«هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الوليّ، والمخلص في ودّنا الصفيّ، والناصر لنا الوفيّ، حرسك اللّٰه بعينه الّتي لا تنام، فاحتفظ به، ولا تظهر على خطّنا الّذي سطرناه بما له ضمّنّاه أحداً، وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء اللّٰه، وصلى اللّٰه على محمّد وآله الطاهرين».

كلمة المعصوم عليه السلام حكمة وهي لأهلها، قال الإمام الكاظم عليه السلام.

«يا هشام، لا تمنحوا الجهّال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»، «يا هشام، كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا»[١].

إذ لو عملوا بالحكمة، لما كانوا من أهل الدنيا، كما أنّ الجاهل لو لم يـظلمها لكان عالماً عاملاً؛ لأنّ الحكمة علم، ومن هنا جـاء الجـاهل فـي النـصّ ظـالماً والحكمة مظلومة. في هذا الكتاب جاء ذكرها إجمالاً وتفصيلاً وانظر «حكمة بالغة فما تُغني النُذُرُ»[٢] فيها ذكر آيات اشتملت على هذه المادة فـي القـرآن الكـريم والعلوي المتكرر الذي أورده السيّد الخطيب[٣].

* * *

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٠٣، الباب ٣٥، الهشاميّة الكاظميّة رقمها ٤١٨.

(٢) رقمها ١٧٢.

(٣) مؤلّف مصادر النهج راجعه تجده.

٥٥
أعزّهم اللّٰه بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته

كلمة دعاء الإمام المهديّ عليه السلام لمواليه في كتابه الأوّل للشيخ المفيد طاب ثراه، ذكرناه عن آخره عند «اعتصموا بالتقيّة...»(١).

منه ما يربط الكلمة:

«ونُعلمك ـ أدام اللّٰه توفيقك لنصرة الحقّ، وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق ـ أنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك أعزّهم اللّٰه بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته...»(٢)

طاعة اللّٰه عزّ وجلّ توجب عزّة الطائع، وتمنحه الهيبة الربّانيّة، قال الإمام الحسن عليه السلام: «وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية اللّٰه إلى عزّ طاعة اللّٰه عزّ وجلّ»(٣).

والكلمة المختارة تقال في طلب العزّة وهي نظيرة الأخرى له عليه السلام: «أدام اللّٰه إعزازه»(٤). من العزّة: الغلبة السّارية في مشتقّاتها؛ شأن الأصل وتفريعاته ابن فارس: صحيح واحد يدلّ على شدّة وقوّة وماضاهاهما من غلبة وقهر...(٥).

* * *

---

(١) رقمه ٥٤.

(٢) الاحتجاج ٢ / ٣٢٢، البحار ٥٣ / ١٧٥، باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام.

(٣) البحار ٤٤ / ١٣٩ و ٧٨ / ١٩٢ عن الصادق عليه السلام.

(٤) رقمه ٢٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٤/٣٨ ـ ٤٢ ـ عزّ ـ، ولعلّنا نأتي أو مرّ في غضون الكتاب.

٥٦
أُعطي ثواب ما قرأ، وثواب السورة الّتي ترك

كلمة من جواب مسائل الحميري الّتي سأل الإمام المهديّ عليه السلام عنها، وخرج التوقيع لأجوبتها قال:

قال الحميري: روي في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها: أنّ العالم عليه السلام [١] قال: «عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ كيف لا تقبل صلاته!».

وروي «ما زكت صلاة لم يقرأ فيها بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

روي «أنّ من قرأ في فرائضه ﴿الْهُمَزَة﴾ [٢] أعطي من الدنيا».

فهل يجوز أن يقرأ ﴿الْهُمَزَة﴾ ويدع هذه السور الّتي ذكرناها مع ما قد رُوي أنّه «لا تقبل صلاة، ولا تزكوا إلّا بهما؟» التوقيع:

«الثواب في السور على ما قد روي، وإذا ترك سورة ممّا فيها الثواب وقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ لفضلهما، أُعطي ثواب ما قرأ وثواب السورة الّتي ترك، ويجوز أن يقرأ غيرهاتين السورتين وتكون صلاته تامّة، ولكن يكون قد ترك الفضل» [٣].

الحميري هو أبو العبّاس عبدالله بن جعفر، ترجمه السيّد الأُستاذ الخوئي رحمه الله [٤].

* * *

(١) قد يُعبّر عن الإمام الكاظم أو غيره من الأئمّة عليهم السلام، بالعالم.

(٢) سورة ﴿ويل لكلّ همزة لمزة﴾.

(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٣١، طبعة النجف، الثانية، النعمان، وانظر طبعة مؤسّسة المعارف الإسلامية، المحققة، قم، ١٤١١، ص ٣٧٧. الاحتجاج ٢ / ٣٠٣.

(٤) معجم رجال الحديث ١١ / ١٤٨ ـ ١٥١، الرقم ٦٧٦٦، الطبعة الخامسة، إيران، تأتي الترجمة عند المختار، رقمه ٥٨.

٥٧
أعظم اللّٰه أجر إخوانك فيك

كلمة التعزية لإخوان السمري لوفاته بإخبار الإمام المهديّ عجّل اللّٰه فرجه به، وإليك ما رواه الشيخ الطوسي عن الصدوق، قال: حدّثني أبو محمّد أحمد بن الحسن المكتّب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة الّتي توفّي فيها الشيخ أبوالحسن عليّ ابن محمّد السمري قدّس سرّه فحضرته قبل وفاته بأيّام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته:

«بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم: يا عليّ بن محمّد السمريّ، أعظم اللّٰه أجر إخوانك فيك؛ فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا تُوص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغَيْبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن اللّٰه تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّٰه العليّ العظيم»[١].

قوله عليه السلام: «أعظم اللّٰه أجر إخوانك فيك» كلمة تقال في تعزية المصاب كما ذكرناها في صدر الموضوع.

وأمّا ترجمة السمريّ فهو النائب الرابع المُوصى إليه من قبل النوبختي، المُوصى إليه من قبل أبي جعفر، الموصى إليه من قبل أبيه عثمان العمري.

قال الشيخ الطوسي بسنده إلى عتاب[٢] قال: وُلد الخلف المهديّ صلوات اللّٰه عليه يوم الجمعة، وأُمّه ريحانة، ويقال لها نرجس، ويقال لها صيقل، ويقال لها

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، الاحتجاج ٢ / ٢٩٧، البحار ٥١ / ٣٦١.

(٢) من ولد عتاب بن أُسيد.

سوسن، إلّا أنّه قيل بسبب الحمل صيقل[١] ـ إلى أن قال ـ: ووكيله عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمان بن سعيد أوصى إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان رحمه الله، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد السمري رضي الله عنه فلمّا حضرت السمري الوفاة سُئل أن يوصي فقال: (لله أمرٌ هُوَ بالِغُهُ).

فالغَيبة التامّة هي الّتي وقعت بعد مضيّ السمريّ رضي الله عنه[٢]. وقال عنه أيضاً: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عُدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: (لله أمرٌ هُوَ بالِغُهُ) وقضى، فهذا آخر كلام سُمع منه رضي الله عنه وأرضاه[٣] توفّي السمري طاب ثراه في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة[٤] وقبره ببغداد بالقرب من الشيخ الكليني قريب من النهر في الشارع الخلنجي[٥].

* * *

(١) لما اعتراها من النور والجلاء.

(٢) الغيبة: ٢٤٢.

(٣) نفسه: ٢٤٣.

(٤) الغيبة: ٢٤٢.

(٥) نفسه: ٢٤٣. تشرّف بالنيابة عام وفاة النوبختي ٣٢٦ إلى ٣٢٩، ومدّة النيابة ثلاث سنين.

٥٨
أعظم اللّٰه أجرك في نفسك

هذه من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام وهي إخبار بموت من ستعرفه وهو أبوالعبّاس محمّد بن جعفر الحميري القمي وتعزية له في مصيبة نفسه بالموت، وإليك ما يكشف عن ذلك بتفصيل.

روى الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى أبي الحسن عليّ بن سنان الموصلي، قال: حدّثني أبي، قال:

لمّا قبض سيّدنا أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ صلوات اللّٰه عليهما وَفَدَ من قم والجبال وُفُودٌ بالأموال الّتي كانت تحمل على الرسم والعادة، لم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام. فلمّا وصلوا إلى سرّ من رأى سألوا عن سيّدنا الحسن بن عليّ عليهما السلام، فقيل لهم: إنّه فُقد، فقالوا: ومن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن عليّ؛ فسألوا عنه فقيل لهم: إنّه خرج متنزّهاً، وركب زورقاً في الدجلة يشرب ومعه المغنّون.

قال: فتشاور القوم، فقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتّى نردّ هذه الأموال على أصحابها.

فقال أبو العبّاس محمّد بن جعفر الحميري القميّ: قفوا بنا حتّى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحّة:

قال: فلمّا انصرف دخلوا عليه، فسلّموا عليه، وقالوا: يا سيّدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها، وكنّا نحمل إلى سيّدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ الأموال.

فقال: وأين هي؟

قالوا: معنا.

قال: احملوها إليَّ.

قالوا: لا، إنّ لهذه الأموال خبراً طريفاً.

فقال: وما هو؟

قالوا: إنّ هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامّة الشيعة الدينار والديناران، ثمّ يجعلونها في كيس، ويختمون عليه، وكنّا إذا وردنا بالمال على سيّدنا أبي محمّد عليه السلام يقول: جملة المال كذا وكذا ديناراً، من عند فلان كذا، ومن عند فلان كذا، حتّى يأتي على أسماء الناس كلّهم، ويقول ما على الخواتيم من نقش.

فقال جعفر: كذبتم، تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب، ولا يعلمه إلّا الله.

قال: فلمّا سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلى بعض فقال لهم: احملوا هذا المال إليّ!

قالوا: إنّا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال، ولا نسلّم المال إلّا بالعلامات الّتي كنّا نعرفها من سيّدنا الحسن بن عليّ عليهما السلام. فإن كنتَ الإمام فبرهن لنا، وإلّا رددناها إلى أصحابها، يرون فيها رأيهم.

قال فدخل جعفر على الخليفة ـ وكان بسرّ من رأى ـ فاستعدى عليهم، فلمّا أحضروا، قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر!

قالوا: أصلح الله أميرالمؤمنين، إنّا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال، وهي وداعة لجماعة، وأمرونا بأن لا نسلّمها إلّا بعلامة ودلالة وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام.

فقال الخليفة: فما كانت العلامة الّتي كانت مع أبي محمّد؟

قال القوم: كان يصف لنا الدنانير، وأصحابها، والأموال، وكم هي، فإذا فعل ذلك سلّمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً، فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليُقم لنا ما كان يُقيمه لنا أخوه، وإلّا رددناها إلى أصحابها.

فقال جعفر: يا أميرالمؤمنين، إنّ هؤلاء قوم كذّابون يكذبون على أخي، وهذا علم الغيب.

فقال الخليفة: القوم رُسُلٌ وما على الرسول إلّا البلاغ المُبين.

قال: فبهت جعفر ولم يردّ جواباً.

فقال القوم: يتطوّل أميرالمؤمنين بإخراج أمره إلى من يُبدرقنا [من البدرقة] حتّى نخرج من هذه البلدة.

قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها، فلمّا أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجهاً، كأنّه خادم، فنادى: يا فلان بن فلان، ويا فلانِ بن فلان أجيبوا مولاكم.

قال: فقالوا: أنت مولانا.

قال: معاذ اللّه، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه.

قالوا: فسرنا [إليه] معه حتّى دخلنا دار مولانا الحسن بن عليّ عليهما السلام، فإذا ولده القائم سيّدنا عليه السلام قاعد على سرير، كأنّه فلقة قمر، عليه ثياب خضر، فسلّمنا عليه، فرّد علينا السلام، ثمّ قال: جملة المال كذا وكذا دينار، حمل فلان كذا، [وحمل] فلان كذا؛ ولم يزل يصف حتّى وصف الجميع.

ثمّ وصف ثيابنا ورحالنا، وما كان معنا من الدوابّ، فخررنا سُجّداً لله عزّوجلّ، شكراً لِما عرّفنا، وقبّلنا الأرض بين يديه، وسألناه عمّا أردنا، فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام بأن لا نحمل إلى سرّ من رأى بعدها شيئاً من المال، فإنّه ينصب لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الأموال، ويخرج من عنده التوقيعات. قالوا: فانصرفنا من عنده، ودفع إلى أبي العبّاس محمّد بن جعفر القمّي الحميري شيئاً من الحنوط والكفن، فقال له: «أعظم اللّه أجرك في نفسك».

قال: فما بلغ أبو العبّاس عقبة همدان حتّى توفّي رحمه الله، وكان بعد ذلك نحمل الأموال إلى بغداد إلى النوّاب المنصوبين بها، ويخرج من عندهم التوقيعات.

قال مصنّف هذا الكتاب رضي الله عنه[١]: هذا الخبر يدلّ على أنّ الخليفة كان يعرف هذا الأمر كيف هو، [وأين هو] وأين موضعه، فلهذا كفّ عن القوم عمّا معهم من الأموال، ودفع جعفراً الكذّاب عن مطالبتهم ولم يأمرهم بتسليمها إليه، إلّا أنّه كان يحبّ أن يخفى هذا الأمر ولا ينشر لئلّا يهتدي إليه الناس فيعرفونه، وقد كان جعفر الكذّاب حمل إلى الخليفة عشرين ألف دينار لمّا توفّي الحسن بن عليّ عليهما السلام، وقال: يا أميرالمؤمنين، تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته؟

فقال الخليفة: اعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن بنا، إنّما كانت بالله عزّوجلّ، ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله عزّوجلّ يأبى إلّا أن يزيده كلّ يوم رفعة، لما كان فيه من الصيانة وحسن السمت، والعلم والعبادة، فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته، ولم يكن فيك ما كان في أخيك، لم نغن عنك في ذلك شيئاً[٢].

ترجمة أبي العبّاس الحميري:

قال السيّد الأستاذ الخوئي: قال النجاشي: عبدالله بن جعفر بن الحسن بن مالك ابن جامع الحميري أبو العبّاس القميّ شيخ القميّين، ووجههم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، وسمع أهلها منه فأكثروا، وصنّف كتباً كثيرة يعرف منها كتاب الإمامة، كتاب الدلائل، كتاب العظمة والتوحيد، كتاب الغَيبة والحيرة، كتاب فضل العرب، كتاب التوحيد والبداء والإرادة والاستطاعة والمعرفة، كتاب قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام، كتاب قرب الإسناد إلى أبي جعفر بن الرضا عليه السلام، كتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم والقياس (العبّاس) والأرواح والجنّة والنار والحديثين المختلفين، مسائل الرجال ومكاتباتهم أبا الحسن الثالث عليه السلام، مسائل لأبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام على يد محمّد بن عثمان العمري، كتاب قرب الإسناد إلى صاحب الأمر عليه السلام، مسائل أبي محمّد وتوقيعاته، كتاب الطبّ.

---

(١) أي الصدوق.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٧٦ ـ ٤٧٩، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام.

أخبرنا عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار عنه بجميع كتبه[١].

ثمّ إنّ السيّد الأستاذ الخوئي بعد نقل قول الشيخ الطوسي من أنّ المترجم من أصحاب الرضا عليه السلام أو الهادي عليه السلام وثالثة العسكري عليه السلام [٢] بعد قوله:

بقي هنا شيء: وهو أنّ الشيخ ذكر أبا العبّاس الحميري من أصحاب الرضا عليه السلام، كما أنّ الكشّي ذكره في عداد أصحاب الرضا عليه السلام، وقد صرح الكشّي بأنّ اسمه: عبدالله بن جعفر[٣].

قال: وهذا بعيد جدّاً؛ فإنّ عبدالله بن جعفر قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، وسمع أهلها منه فأكثروا، ومع ذلك كيف يمكن أن يكون من أصحاب الرضا عليه السلام المتوفّى سنة ثلاث ومائتين[٤]؟!

ولأدنىٰ علقة ذكرنا الترجمة، ولا ندفع احتمال تصحيف الكنية، كما لا ندفعه عن صحّة المكنّى بأبي العبّاس هو محمّد بن جعفر الحميري نفس راوي التوقيع ونحن نجهله.

قوله عليه السلام: «أعظم اللّٰه أجرك في نفسك» كلمة تعزية المصاب، كما تقدّمت الإشارة إليها، وإلى نظائرها: «أعظم اللّٰه أجر إخوانك فيك»[٥]. و «آجرك اللّٰه في صاحبك»[٦]. و «أحسن اللّٰه لك العزاء»[٧].

تنبيه:

بعد ما روى الصدوق طاب ثراه التوقيع علّق عليه كلاماً عبّر عن جعفر بن عليّ

---

(١) معجم رجال الحديث ١٠ / ١٣٩ ـ ١٤٠.

لا يخفى عليك أنّ المذكور في القصّة أبو العبّاس محمّد بن جعفر الحميري ولعلّه اشتباه، لأنّ محمّد بن جعفر مكنّى بأبي جعفر، وأبو العبّاس كنية لعبد اللّٰه بن جعفر الحميري ولذا ترجمناه.

(٢) معجم رجال الحديث ١٠ / ١٤٠.

(٣ و ٤) نفسه: ١٤١.

(٥) رقمه ٥٧.

(٦) رقمه ٦.

(٧) رقمه ٢١.

بالكذّاب مرّتين[١]؛ لادّعائه الإمامة كذباً وللتمييز بينه وبين الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وربّما يقال بالمنع عنه وأن يقال جعفر التوّاب؛ لما في التوقيع الصادر في جواب السؤال عنه من جملة أسئلة إسحاق بن يعقوب، وفيه:

«أمّا سبيل عمّي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف عليه السلام»[٢].

وبما أنّ إخوة يوسف عليه السلام تابوا فالتشبيه بهم يدل على أنّ جعفر وولده كذلك قد تابوا، أو أنّ المراد من التشبيه أنّ أمر أولاد الأنبياء والأئمّة عليهم السلام يعود إليهم، وليس لسواهم الحكم والتكلّم، كما يأتي بيانه[٣].

وانظر هنا أيضاً عبّر عنه بالكذّاب بقوله: ودفع جعفر الكذّاب عن مطالبتهم... لاحظه رجاءً ولا شك أنّه دعواه الإمامة بعد أخيه كذب وافتراء وجرأة على اللّه وعلى المعصوم المفترض الطاعة وشارب الخمر المصرّح به في كلام له عليه السلام: «وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة» عزيزي القارئ الكريم دقّق النظر في التعليق، بعد الرجوع إليه.

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٧٩، الباب الثالث والأربعون.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٦، إكمال الدين ٢ / ٤٨٤.

(٣) رقمه ٨١.

٥٩
أعمدة كأعمدة اللجين

ملحمة من ملاحم الإمام المهديّ عليه السلام، قالها عند ملاقاة عليّ بن إبراهيم بن مهزيار في سفح جبال الطائف في قصّة رواها الشيخ الصدوق مطوّلة قد ذكرنا أكثرها عند «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم»[١].

ولربط الكلمة إليك بعضها الآخر، قال عليّ بن إبراهيم بن مهزيار:

فلمّا أن بصرت به، حار عقلي في نعته وصفته، فقال لي: «يا ابن مهزيار كيف خلّفت إخوانك في العراق؟»

قلت: في ضنك عيش وهناة، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان.

فقال: «قاتلهم الله أنّى يؤفكون، كأنّي بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمر ربّهم ليلاً ونهاراً».

فقلت: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم، والله ورسوله منهم برآء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً، ويخرج السروسي من أرمنية وأذربيجان يريد وراء الريّ الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبل طالقان، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانيّة، يشيب فيها الصغير، ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقّعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتّى يوافي باهات[٢].

---

(١) رقمه ٣٨.

(٢) في البحار ٥٢ / ٤٥ «ماهان»: الدينور ونهاوند اللجَيْن: الفضّة العين ٣ / ١٦٢٣.

ثمّ يوافي واسط العراق، فيُقيم بها سنة أو دونها، ثمّ يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغريّ، وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها بوار الفئتين، وعلى الله حصاد الباقين».

ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرّحيم أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَـهَارًا فَـجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [1].

فقلت: سيّدي يا ابن رسول الله، ما الأمر؟

قال: «نحن أمر الله وجنوده».

قلت: سيّدي يا ابن رسول الله، حان الوقت؟

قال: «[و] ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [2]».

قوله عليه السلام: «وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً».

ما هذه الحمرة الظاهرة في السماء؟ ففي صادقي: «يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنارٍ تظهر في السماء، وحمرة تجلّل السماء...» [3]، وآخر «إذا رأيتم في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليال فعندها فرج الناس وهي قدّام القائم بقليل» [4]، وآخر: «إذا رأيتم ناراً من المشرق كهيئة المراد العظيم [الهروي العظيم] تطلع ثلاثة أيّام أو سبعة ـ الشكّ من العلاء الراوي ـ فتوقّعوا فرج آل محمّد، إنّ الله عزيز كريم» [5]. والعصا الطويل ينطبق على العمود، واحد الأعمدة، كأعمدة اللجين، أي الفضّة كناية عن تلألئه نوراً ولمعاناً؛ لأنّ لهيب النار له بريق كبريق الفضّة، وللشرح بقيّة.

---

(١) يونس: ٢٤.

(٢) القمر: ١. ليس الواو من الآية، إكمال الدين ٢/٤٦٩ ـ ٤٧٠، باب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٥٢/٤٥ ـ ٤٦، وأوّله ص ٤٢.

(٣) إرشاد المفيد: ٣٦١.

(٤) إلزام الناصب: ١٨٩.

(٥) اعلام الورى: ٤٢٨.

٦٠
أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدى

كلمة الإمام المهديّ من توقيع له عليه السلام إلى نائبيه الأوّل والثاني: عثمان بن سعيد العَمري وابنه محمّد طاب ثراهما. وإليك رواية الشيخ الصدوق رحمه الله. وهذا لفظه:

توقيع من صاحب الزمان عليه السلام خرج إلى العَمري وابنه رضي الله عنهما رواه سعد بن عبدالله.

قال الشيخ أبو عبدالله جعفر رضي الله عنه: وجدته مثبتاً عنه:

«وفّقكما الله لطاعته، وثبّتكما على دينه، وأسعدكما بمرضاته. انتهى إلينا ما ذكرتما أنّ الميثمي[1] أخبركما عن المختار ومناظراته من لقي واحتجاجه بأنّه لا خلف غير جعفر بن عليّ وتصديقه إيّاه، وفهمت جميع ما كتبتما به ممّا قال أصحابكما عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال، ومُرديات الفتن[2]، فإنّه عزّ وجلّ يقول: ﴿***الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ***﴾[3].

كيف يتساقطون في الفتنة، ويتردّدون في الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالاً، فارقوا دينهم، أم ارتابوا، أم عاندوا الحقّ أم جهلوا[4] ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون؟! إنّ الأرض لا تخلو من حجّة إمّا ظاهراً وإمّا مغموراً.

---

(١) في هامش إكمال الدين ٢ / ٥١٠ ـ ٥١١ الباب ٤٥: في النسخ «الهيثمي».

(٢) أي مهلكاتها. أوبقه: أهلكه. المصدر السابق.

(٣) العنكبوت: ١ ـ ٢.

(٤) رقمه ٢٥٩.

أو لم يعلموا انتظام أئمّتهم بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله، واحداً بعد واحد، إلى أن أُفضي الأمر بأمر اللّه عزّوجلّ إلى الماضي ـ يعني الحسن بن علي عليهما السلام ـ، فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم؟! كانوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً[١].

ثمّ اختار اللّه عزّوجلّ له ما عنده فمضى على منهاج آبائه عليهم السلام، حذو النعل بالنعل[٢]، على عهد عهده، ووصيّة أوصى بها إلى وصيّ، ستره اللّه عزّوجلّ بأمره إلى غاية، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق، والقدر النافذ، وفينا موضعه، ولنا فضله.

ولو قد أذن اللّه عزّوجلّ فيما قد منعه عنه، وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه، لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه، وقام بحجّته.

ولكنّ أقدار اللّه عزّوجلّ لا تغالب، وإرادته لا تردّ، وتوفيقه لا يسبق، فليدعوا عنهم أتّباع الهوى، وليُقيموا على أصلهم الّذي كانوا عليه، ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا، ولا يكشفوا ستر اللّه عزّوجلّ فيندموا، وليعلموا أنّ الحقّ معنا وفينا، لا يقول ذلك سوانا إلّا كذّاب مفترٍ، ولا يدّعيه غيرنا إلّا ضالّ غويّ، فليقصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير ويقنعوامن ذلك بالتعريض دو التصريح إن شاء اللّه»[٣].

شرح بعض كلمات التوقيع:

منها قوله عليه السلام: «أعوذ باللّه من العمى بعد الجلاء».

قال ابن فارس في معنى العوذ: هو الالتجاء إلى الشيء، ثمّ يحمل عليه كلّ شيء لصق بشيءٍ أو لازمه.

قال الخليل: تقول أعوذ باللّه جل ثناؤه، أي ألجأ إليه تبارك وتعالى، عوذاً أو عياذاً، ذكر أنّهم يقولون: فلان عياذ لك، أي ملجأ. وقولهم معاذ اللّه، معناه أعوذ

---

(١) رقمه ٢٩٧. (٢) رقمه ١٦٨، فيه المثل وبيانه.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٥١٠ ـ ٥١١، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات وللتوقيع المبارك بيان مرهون.

بالله. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله. وسلّم للّتي استعاذت منه «لقد عُذتِ بِمعاذٍ»...[١]

وعليه المعنى: ألتجئ إليه تعالى إلى آخره.

ولا تتحقّق حقيقة «العوذ» بما لهذه الكلمة من المعنى إلّا في الإمام المعصوم عليه السلام، وكيف لا وهو العالم بأن لا ملجأ إلّا الله جلّ جلاله، الّذي خضعت له الجبابرة، وجعل نير المذلّة في أعناقهم.

وبقدر المعرفة بالقدرة والعظمة، يعرف عظم الالتجاء، ولا سيّما في حالة حاجة الملتجئ واضطراره، كما كان شأن الثلاثة الّذين حكاهم الله عزّ وجلّ بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[٢].

وكانت الأنبياء والأوصياء والمؤمنون لم ينفكّوا عن الالتجاء إلى الله تعالى ويعوذون به ممّا يُستعاذ منه.

وقد جاء النصّ على المستعاذ منه في الكتاب العزيز والسنّة النبويّة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

فمن الأوّل: من الشيطان عند قراءة الكتاب العزيز، لئلّا يصدّ عن التدبّر فيه، وقد أمر الله عزّ وجلّ قارئ القرآن الكريم أن يلتجئ إليه تعالى ويستعيذ به منه. قال الفيض: وفي تفسير الإمام عليه السلام: والاستعاذة هي: ما قد أمر الله بها عباده عند قراءتهم القرآن، فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣] ـ قال الفيض: ـ

أقول: الاستعاذة تطهير اللسان عمّا جرى عليه من غير ذكر الله، ليستعدّ لذكر

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ عوذ ـ.

(٢) التوبة: ١١٨.

والثلاثة هم: كعب بن مالك الشاعر، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة الواقفي، تخلّفوا عن غزوة تبوك بلا عذر شرعيّ، ثمّ تابوا والتجأوا إلى الله تعالى فقبلهم.

(٣) النحل: ٩٨.

اللّه، والتلاوة، والتنظيف للقلب من تلوّث الوسوسة، ليتهيّأ للحضور لدى المذكور، ويجد الحلاوة[١].

ومنه ما في سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. وقد نصّ على المستعاذ منه في الأولى من شرور الخلق، والسحر والحسد وصاحبهما. وفي الثانية من وسوسة الخنّاس في الصدور من الجنّة والناس.

وجاء في القرآن الكريم من مشتقّات «العوذ» في سبعة عشر موطناً: سبع منها بلفظة «أعوذ» وبسواها سواها[٢] فليراجع في ذلك التفاسير.

وأمّا من الأحاديث فحدّث ولا حرج.

منها تعوّذات النبيّ صلّى الله عليه وآله من كلّ ما لا يلائم طبعه اللطيف، ويكدّر خاطره الشريف، فضلاً عن الشرور والآفات وغيرها، منها «أعوذ باللّه من الأيهمين» هما السيل والحريق...»[٣].

ومنها تعوّذ أميرالمؤمنين عليه السلام: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من أن تحسُنَ في لامعة العيون علانيتي، وتقبُحَ فيما أُبطن لك سريرتي»[٤].

ومنها «تعوّذوا باللّه من غلبة الدين، وغلبة الرجال، وبوار الأيم»[٥].

والحديث الأخير مرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام، وكذلك لبقيّة أهل البيت عليهم السلام تعويذات، ولا سيّما بقيّة اللّه عجّل الله فرجه، ولولا في لزوم التعرّض لذلك الخروج عمّا نحن في صدده لجئنا بكلّ تعوّذ مرويّ عنهم عليهم السلام، وإنّما قدّمنا منه ما سمعت لأدنى علقة الكلام حول قول الإمام المهديّ روحي فداه:

---

(١) تفسير الصافي ١ / ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) البقرة: ٦٧، هود: ٤٧، مريم: ١٨، المؤمنون: ٩٧ و ٩٨، الفلق: ١، الناس وسواها: الدخان: ٢٠، غافر: ٢٧، الجنّ: ٦، آل عمران: ٣٦، الأعراف: ٢٠٠، النحل: ٩٨، غافر: ٥٦، فصّلت: ٣٦، يوسف: ٢٣ و ٧٩.

(٣) الأمثال النبويّة ١ / ١٣٤، رقم المثل ٨٢.

(٤) شرح النهج ١٩ / ١٦٧، رقم الحكمة ٢٨٢.

(٥) الكافي ٥ / ٩٢.

«وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدى، ومن موبقات الأعمال، ومرديات الفتن».

يريد عليه السلام بذلك عمى جعفر الكذّاب أو التوّاب، وضلالته، وموبقات، أعماله، ومرديات فتنه، وكذلك حال أصحابه الغواة، ومن لفّ لفّهم من المنحرفين عن نهج أهل البيت عليهم السلام ومهديّهم عجّل الله فرجه في كلّ الأزمان؛ إذ لا تخصّ الضلالة والهدى بالجيل الموجود في عصر صدور التوقيع، بل تعمّ الأجيال في كلّ العصور إلى الأبد.

من هو الميثمي، ومَن المختار، وما هي مناظرته؟؟؟

قال بعض السادة الأجلّة:

الميثمي: لعلّه (محمّد بن الحسن بن زياد الميثمي) الذي قالوا عنه: ثقة عين، ومن أصحاب الرضا عليه السلام.

أو (أحمد بن الحسن الميثمي) الذي قال النجاشي عنه: إنّه كان واقفاً، وقد روى عن الرضا عليه السلام، وهو على كلّ حال ثقة صحيح الحديث معتمَد عليه ـ إلى آخره ـ، وتوقّف آخرون في نسبة الوقف إليه؛ ولعلّه (عليّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار) من وجوه المتكلّمين من أصحابنا؛ ولعلّه غيرهم.

يطلب تفاصيل هذه المعلومات وغيرها في: جامع الرواة / ج ٢ / ص ٤٥٢، وفي ص ٩٢ أيضاً. و ج ١ / ص ٥٥٨، وفي ص ٤٦ أيضاً. وفي الوسائل ج ٢٠/ ص ٣٩٠. وفي مستدرك الوسائل ج ٣ / ص ٥٥٣.

وأمّا (المختار) فهو عَلَمٌ لجماعة لم أثبت ـ في هذه العجالة ـ أحدهم بالخصوص، وقد ذكر عدّة أسماء منها صاحبُ جامع الرواة في ج ١ / ص ٢٢١ ـ ٢٢٢[1].

وأمّا مناظرات المختار واحتجاجه من لقي بأنّه لا خلف غير جعفر بن عليّ وتصديقه إيّاه، فلم أعثر عليها، غير أنّ مشاجراته نظيرة مشاجرة ابن أبي غانم القزويني مع جماعة من الشيعة في الخلف عليه السلام، وقد وجّهوا كتاباً إلى الناحية

---

(١) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام / هامشها: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

المباركة، وجاء التوقيع بخطّ يد الإمام المهديّ عليه السلام في ردّ المشاجرة المذكورة[١].

وقد استخرجنا من التوقيعين كبقيّة التوقيعات المرويّة كلمات حكميّة ومثليّة ذكرناها في محالّها[٢].

ومن كلمات التوقيع الذي نحن في صدده: «ومن الضلالة بعد الهدى».

كلمة الضلالة قد تقال في قبال الحقّ الّذي هو الهدى: ومنها قوله تعالى: ﴿*فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ*﴾[٣] ولا واسطة بينهما، كالنور والظلمة، ومن هنا يصحّ أن يقال الحقّ نور، والضلالة ظلمة، وقد جاء في الكتاب وأحاديث أهل البيت عليهم السلام من ذلك، بل في الأدعية والزيارات المأثورة ما لا مجال لذكره، والغرض الإشارة. بكثرة كاثرة لا تخفى على من له ذاكرة.

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٨٧، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٣.

(٢) منها «إذا أفل نجم طلع نجم» رقمه ٣٥.

(٣) يونس: ٣٢.

٦١
أغدو مكظوماً

كلمة مختارة من دعاء العبرات الذي علّمه الإمام المهديّ عليه السلام السيّد رضيّ الدين الآوي، فَنُجّي من المهلكة والذي تعرّضنا لقصّته عند «انظره تجده»[١].

وهي قصّة عجيبة فلابدّ من النظر إليها ولربط الكلمة ما يلي: «... مولاي لئن كنتُ لا أشقّ على نفسي في التقى، ولا أبلغ في حمل أعباء الطاعة مبلغ الرضا، ولا أنتظمُ في سلك قوم رفضوا الدنيا، فهم خُمص البطون، عُمش العيون من البكاء، بل أتيتك يا ربّ بضعف من العمل، وظهر ثقيل بالخطأ والزلل، ونفس للراحة معتادة، ولدواعي التسويف منقادة، أما يكفيك [يكفيني] ياربّ وسيلة إليك وذريعة لديك أنّي لأوليائك موالٍ، وفي محبتك مغالٍ، أما يكفيني أن أروح فيهم مظلوماً، وأغدو مكظوماً، وأقضي بعد هموم هموماً، وبعد رجوم رجوماً...»[٢].

أقول: أي أُمسي مظلوم الحقّ وأُصبح مكظوم الغيظ.

الغدوّ والرواح:

قد قلنا: إنّ لكل فقرة فقرة، من هذا الدعاء شرحاً لا أستطيع أن أذكره في الكتاب دون أن أضع له كتاباً على حدة. وكلمة «أغدو» من الغدوّ: الصباح المكنّى به عن المجيء في قبال الرواح: الذهاب والكظم: الهظم[٣].

قال ابن فارس: الغين والدال والحرف المعتلّ:... يدلّ على زمان، من ذلك الغدوّ

---

(١) رقمه ١٠٠.

(٢) البحار ٥٣ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤، مهج الدعوات ٣٤٠.

(٣) ومنه ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ آل عمران: ١٣٤، أي الحابسين غيظهم المتجرّعين له. والمكظوم المملوّ كرباً. مجمع البحرين ـ كظم ـ مع تصرّف ما.

يقال: غدا يغدو... وجمع الغدوة غُدىً، وجمع الغداة غدوات، والغادية: سحابة تنشأ صباحاً وأفعل ذلك غداً، والأصل غدواً قال:

وما الناس إلّا كـالديار وأهـلها بها حيث حلّوا وغدواً بلاقع[1]

ويقابله الرواح: العشيّ وسمّي بذلك لروح الريح؛ فإنّها في الأغلب تهبّ بـعد الزوال[2]، ومنه آية ﴿**لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾[3] أي سخّرنا له الريح جريها بالغداة شهر وبالعشي كذلك، عن القمي، قال: كانت الريح تحمل كرسيّ سليمان فتسير به بالغداة مسيرة شهر، وبالعشيّ مسيرة شهر[4]. والحديث الصادقي الصحيح: «اغدُ عالماً أو متعلّماً أو أحبّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك»[5] وآية ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ**﴾[6] أي حين تردّون الإبل عشيّة إلى مراحها.

إنّما دعاني على دعـاء العـبرات أن أُذكـره فـيما روى مـن كـلمات الإمـام المهدي عليه السلام تصريح الكفعمي رحمه الله: دعاء العبرات عظيم مروي عن القائم عليه السلام يُدعىٰ به في المهمّات العظام... وما قاله السيّد ابن طاووس طاب ثراه: دعاء حدّثني بـه صديقي والمؤاخى لي محمّد بن محمّد القـاضي الآوي ضـاعف الله جـلّ جـلاله سعادته... ويُسمّىٰ دعاء العبرات...[7].

* * *

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤١٥، وهامشه ـ غدو ـ.
(٢) المصدر ٢ / ٤٥٥ ـ روح ـ.
(٣) سبأ: ١٢.
(٤) تفسيره ٢ / ١٩٩، تفسير الصافي ٢ / ٣٧٣.
(٥) أُصول الكافي ١ / ٣٤، الحديث ٣، باب صفة العلم وفضله....
(٦) النحل: ٦.
(٧) بلد الأمين ٣٣٣، مهج الدعوات ٣٣٧ ـ ٣٣٨، جاء ذكره في غضون الكتاب.

٦٢

أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم

سبعة عشر سؤالاً سألها إسحاق بن يعقوب قد أشكلت عليه، وخرج التوقيع عنها.

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن محمّد بن عصام الكليني رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يُوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ. فورد [ت في] التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام....

وذكر الأسئلة مع أجوبتها السبعة عشر، ونحن نذكر منها الجواب السادس عشر الذي فيه الكلمة المختارة، قال الإمام المهديّ عليه السلام:

«وأمّا وجه الانتفاع في غَيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب. وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء. فأغلقوا باب [أبواب] السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كُفيتم. وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج؛ فإنّ ذلك فرجكم. والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب، وعلى من اتّبع الهدى»[١].

اشتمل التوقيع على عدّة كلمات منها: «أمّا وجه الانتفاع في غيبتي...»[٢]، و«إنّي لأمان لأهل الأرض...»[٣]، و «لا تتكلّفوا...»[٤]، و«أكثروا الدعاء...»[٥]

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، الاحتجاج ٢ / ٢٨٤، ٥٣ / ١٨١.

(٢) رقمه ٨٣.

(٣) رقمه ١٢٠.

(٤) رقمه ٣١٦.

(٥) رقمه ٦٨.

وغيرها، ويأتي التكلّم عن جميعها في مواضعها.

والغرض من إغلاق باب السؤال النهي عن البحث عن غيبة الإمام المهديّ عليه السلام، لعدم علم السائل بالمصالح الواقعيّة ومفاسدها، بل لابُدّ من الإيمان بذلك والكفّ عن السؤال. وقبل هذا الكلام قد جاء التصريح به:

«وأمّا علّة ما وقع من الغَيْبة؛ فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾»[1].

ولكن قد بيّن عليه السلام بعض عللها، ولا ينافي المنع عن السؤال؛ لأنّه قد يكون سؤالنا عن أمر فيه الهلاك؛ لعدم الإحاطة بالمصالح إلّا أن يبيّنوه لنا لعلمهم بمواقع الصواب دوننا، ومنه قوله عجّل الله فرجه:

«إنّه لم يكن لأحد من آبائي عليهم السلام إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»[2].

هذه إحدى علل استتار الإمام المهديّ عجّل الله فرجه.

ومنها نحن كنّا السبب له، لأنّه كما قال المحقّق نصير الدين الطوسي: وجوده لطف، وتصرّفه لطف آخر، وعدمه منّا[3].

ومنها أنّه يخرج حين يخرج عليه السلام لم يبق في الأصلاب والأرحام مؤمن إلّا وقد خرج إلى الدنيا، حتّى إذا عمّ عذاب الله الكافرين امتاز المؤمنون عنهم، وهو قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] ففي صادقي: «... إنّه كان لله عزّوجلّ ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع فلمّا أخرج الودائع ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت...»[5].

---

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، الباب ٤٥.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٢٨٥.

(٤) الفتح: ٢٥.

(٥) تفسير البرهان ٤/١٩٨.

هذه الميزة هي التي دعته عليه السلام يترك الودائع الّتي في الأصلاب والأرحام التي لم يخلقوا وقد تقدّم أنّهم لو امتازوا أي ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ المصرّح به في الآية لَصَبَّ اللّٰه نقمته على كل كافر على وجه الأرض وسيأتي ذلك اليوم المشهود الذي لو لم يَبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّٰه ذلك اليوم حتى يخرج الإمام عليه السلام [1] وينتشر الأمن والسلام في أرجاء القطر المعمورة ويُعبد اللّٰه حقّ عبادته وتعود أحلام الناس إليهم بوضع يمينه على رؤوسهم وكلتا يديه عليه السلام يمين.

* * *

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ١/٥٧٦ ـ ٥٥٧، وما في معناه.

٦٣
أفأنت أعلم بما ينفعك ويضرّك؟!

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام قالها لأبي محمّد عيسى بن مهدي الجوهري، في قصّة له رواها الشيخ المجلسي طاب ثراه، وقد ذكرناها عن آخرها عند «امض بنجحك راشداً»(١).

ونذكر منها ما يربط الكلمة المختارة، وللإحاطة بها كَمَلاً لابدّ من الرجوع إلى المختار(٢)، قال عيسى:

خرجت في سنة ثمان وستّين ومائتين إلى الحجّ، وكان قصدي المدينة، حيث صحّ عندنا إنّ صاحب الزمان، قد ظهر، فاعتللت(٣)، وقد خرجنا من فيد(٤)، فتعلّقت نفسي بشهوة السمك والتمر، فلمّا وردت المدينة، ولقيت بها إخواننا، بشّروني بظهوره عليه السلام بصابر(٥)، فصرتُ إلى صابر، فلمّا أشرفت على الوادي رأيت عُنيزاتٍ عجافاً، فَدَخَلَتِ القصر، فوقفتُ أرقب الأمر إلى أن صلّيت العشاءين وأنا أدعو وأتضرّع وأسألُ، فإذا أنا ببدر الخادم يصيح بي: يا عيسى بن مهدي الجوهري ادخل؛ فكبّرت وهلّلت وأكثرت من حمد الله عزّوجلّ والثناء عليه.

فلمّا صرت في صحن القصر رأيت مائدة منصوبة، فمرّ بي الخادم إليها فأجلسني عليها، وقال لي: مولاك يأمرك أن تأكل ما اشتهيت في علّتك وأنت خارج

---

(١) رقمه ٧٦. (٢) المصدر نفسه. (٣) أي مرضت.

(٤) في الحديث «ماتت ابنةٌ له بفَيْد» هو على وزن بيع: منزل بطريق مكّة، ويقال: بليدة بنجد على طريق الحاجّ العراقي، أو بطريق مكّة على طريق الشام. مجمع البحرين ـ فيد ـ.

(٥) سكّة بمرو معروفة من محلّة سلمة بأعلى البلد. معجم البلدان ٣ / ٣٨٧.

من فيد.

فقلت: حسبي بهذا برهاناً، فكيف آكل ولم أرَ سيّدي ومولاي؟

فصاح: يا عيسى، كُل من طعامك؛ فإنّك تراني.

فجلست على المائدة فنظرت فإذا عليها سمكٌ حارٌّ يفورُ، وتمرٌ إلى جانبه أشبه التمور بتمورنا، وبجانب التمر لبنٌ، فقلت في نفسي: عليلٌ وسمكٌ وتمرٌ ولبنٌ.

فصاح بي. «يا عيسى، أتشكّ في أمرنا؟! أفأنت أعلم بما ينفعك ويضرّك؟!...»[1]

أيعلم عيسى بالغيب؛ لئلا يمسّه السّوء واستكثار الخير. قال تعالى: ﴿*لَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*﴾[2].

أي الفقر؛ لأنّه كاد أن يكون كفراً واختار الصحّة والسلامة مهما بلغ ما بلغ الإنسان لم يبلغ الغاية المنشودة الّتي خُلق الإنسان من أجلها والخالق تعالى هو المُحيط به ﴿*أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ*﴾[3].

* * *

---

(١) البحار ٥٢ / ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) الملك: ١٤.

٦٤
اقبض الحوانيت من محمّد بن هارون

روى الكليني عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن هارون بن عمران الهمداني، قال: كان للناحية عليَّ خمسمائة دينار فضقتُ بها ذرعاً، ثمّ قلت في نفسي لي حوانيت اشتريتها بخمسمائة وثلاثين ديناراً، قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار، ولم أنطق بها فكتب إليَّ محمّد بن جعفر:

«أقبض الحوانيت من محمّد بن هارون بالخمسمائة دينار الّتي لنا عليه»[١].

الحوانيت جمع الحانوت، قال ابن الأثير: كانت العرب تسمّي بيوت الخمّارين الحوانيت، وأهل العراق يسمّونها المواخير، واحدها حانوت وماخور، وقيل: إنّهما من أصل واحد وإن اختلف بناؤهما[٢]، ولكن عند العرف العام بمعنى الدكّان والمحلّ الّذي يتّخذ للبيع والشراء إطلاقاً.

الإخبار عن الضمير هو من شأن المؤمن، لأنّه ينظر بوجه اللّه؛ ومن ثمّ جاء «اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور اللّه»[٣] فكيف بالإمام المعصوم المنصوب لهداية العباد، فلا غرو بإخبار صاحب الناحية عليه آلاف التحيّة والثناء بما نواه محمّد بن هارون، من جعل الحوانيت عوضاً عن الخمسمائة دينار. ولو رمنا ضبط مواضع إخبارات أهل البيت عليهم السلام عن النيّات لخرجنا إلى تأليف كتاب خاصّ بذلك.

ثمّ محمّد بن هارون عدّوه ممّن رأى المهديّ عليه السلام وقد ترجمه الأستاذ الخوئي بعد نقل الحديث الجاري، فراجع[٤].

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١ / ٥٢٤، باب مولد الصاحب عليه السلام الحديث ٢٨، البحار ٥١ / ٢٩٤ نقلاً عن الخرائج.

(٢) النهاية ١ / ٤٤٨ ـ حنت ـ.

(٣) الوسائل ٨ / ٤٢٤، الأمثال النبويّة ١ / ٤٩ رقم ٢٥، ومرويّ عن الكاظم عليه السلام.

(٤) معجم رجال الحديث ١٧ / ٣١٧ ـ ٣١٨.

٦٥
أقدار اللّٰه عزّوجلّ لا تغالب

من كلمات الإمام المهديّ عليه‌السلام في التوقيع الصادر للسفيرين عثمان بن سعيد وابنه محمّد العمريّين رحمهما‌الله، ذكرناه عند: «أعوذ باللّٰه من العمى بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدى»[1]، ونذكر منه «... ولو قد أذن اللّٰه عزّوجلّ فيما قد منعه عنه، وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه، لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه، وقام بحجّته، ولكنّ أقدار اللّٰه عزّوجلّ لا تغالب، وإرادته لا تردّ، وتوفيقه لا يسبق...»[2].

الأقدار:

واحدها القدر، وإنّما جمع بها باعتبار المحلّ الّذي يحلّ فيه، كما أنّ المقادير جمع المقدار كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[3] والقدر قبل القضاء وبعد المشيئة، وقد سبق ما يدلّ عليه عند كلمة «إذا شاء شئنا»[4]، الحديث الرضوي الذي هو من غرر الأحاديث، وإليك ما يخصّ المقام منه رداً على يونس النافي لقول القدريّة الباطلة:

فقلت: يا سيّدي... إلى آخره[5] برواية المجلسي من تفسير القمي، ونعيد الحديث هنا برواية الكليني عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرّار عن يونس بن عبدالرحمن، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه‌السلام: «يا يونس لا تقل بقول القدريّة، فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول

---

(١) رقمه ٦٠.
(٢) إكمال الدين ٢ / ٥١١، باب ٤٥، ذكر التوقيعات.
(٣) الرعد: ٨.
(٤) رقمه ٤١.
(٥) البحار ٥ / ١١٦ ـ ١١٧.

إبليس، فإنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[١].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾[٢].

وقال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[٣].

فقلت: واللّٰه ما أقول بقولهم، ولكنّي أقول: لا يكون إلّا بما شاء اللّٰه وأراد وقدّر وقضى.

فقال، يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلّا ما شاء اللّٰه وأراد وقدّر وقضى، يا يونس تعلم ما المشيئة؟

قلت: لا.

قال: هي الذكر الأوّل، فتعلم ما الإرادة؟

قلت: لا.

قال: العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟

قلت: لا.

قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء.

قال: ثمّ قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أُقبّل رأسه[٤] وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة[٥]

هذه أمور يجهل أكثر الناس حقائقها سبقاً ولحوقاً، تجده عليه السلام بين المشيئة ما يخالف معناه الإرادة المتأخرة عنها مدرجة.

قول يونس: «ولكنّي أقول: لا يكون إلّا بما شاء اللّٰه وأراد وقَدّر وقضى» كما في نسخة الكافي الموجودة عندي لعلّ الصحيح «وأراد وقضى وقَدّر» بتقديم «وقضى» على «وقَدَّرَ» حتّى يقع ردّ الإمام الرضا عليه السلام على يونس موقعه،

---

(١) الأعراف: ٤٣. (٢) المؤمنون: ١٠٦. (٣) الحجر: ٣٩.

(٤) في بعض النسخ فسألته أن يأذن لي كما في هامش أُصول الكافي ١ / ١٥٨.

(٥) أصول الكافي ١ / ١٥٧ ـ ١٥٨، الحديث ٤، باب الجبر والقدر...

كما في نسخة البحار المتقدّمة عند «إذا شاء شئنا» بتقديم «وقضى» على «قَدَّرَ» ويشهد لذلك كلّه تعليق الشيخ المجلسي على الحديث الرضوي وبيانه وإليك لفظه :

الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول: إنّ أفعال العباد ووجودها ليست بقدرة اللّٰه وقَدَره، بل باستقلال إرادة العبد واستواء الإرادتين إليه، وصدور أحدهما عنه، لا بموجب غير الإرادة، كما ذهب إليه بعض المعتزلة، لا بقول أهل الجنّة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه.

والفرق بين كلامه عليه السلام، وكلام يونس، إنّما هو في الترتيب؛ فإنّ في كلامه عليه السلام التقدير مقدّم على القضاء كما هو الواقع، وفي كلام يونس بالعكس.

والذكر هو الكتابة مجملاً في لوح المحو والإثبات، أو العلم القديم[1].

فتدبّر كلامه طاب ثراه: «والفرق...»؛ فإنّه نصّ على ما ذكرناه هنا.

والمستفاد من الرضوي أنّ المشيئة وهي الذكر الأوّل أوّل ما يكتب في لوح المحو والإثبات، مقدّمة على الإرادة بمعنى العزم، والقدر أي الهندسة، والقضاء وهي إقامة العين ووجودها الخارجي، والإرادة مقدّمة على القدر والقضاء، والقدر مقدّم على القضاء.

ولعلّ كلمة «أقدار اللّٰه عزّ وجلّ لا تغالب» لا تراد بها الهندسة فحسب، فتشمل الأعمّ منها والمراتب الأربع كلّها، إلّا أنّ قوله عليه السلام: «إرادته لا تردّ»[2] ـ وعدم الردّ ليس إلّا عدم المغلوبية ـ يشهد لتفسيرها الخاصّ.

بقي شيء: وهو أنّ المدبِّر كالمقدِّر من أسماء اللّٰه جلّ جلاله، فكما لا مقدّر إلّا اللّٰه كذلك لا مدبّر إلّا اللّٰه، فالمثل السائر: (العبد يدبّر واللّٰه يقدّر)[3] معناه: لا أثر لتدبيره إن لم يقدّره اللّٰه له، والكلام ليس إلّا كلاماً ظاهريّاً لا واقع له، ففي القرآن

---

(١) البحار ٥ / ١١٧.

(٢) حرف الهمزة مع الراء، رقمه ٤٥. وفي دعاء الإمام الكاظم عليه السلام: «فلك الحمد يا ربّ من مقتدر لا يغلب» مهج الدعوات: ٢٢١.

(٣) أمثال وحكم ١ / ٢٥٨.

الكريم آيٌ تنصّ عليه منها قوله عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[١]، و ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ﴾[٢]، و ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[٣].

نعم، قد أسند عزّوجلّ التدبير إلى الملائكة في مثل آية: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[٤]، ولولا أمر اللّه عزّوجلّ لما كانت مدبّرة أمراً، كما وقد جاء الإسناد إلى غير الملائكة كقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «لا عقل كالتدبير»[٥]، وقد قيل: إنّ التدبير هو أفضل العقل؛ لأنّ العيش كلّه في التدبير[٦].

التدبير: هو النظر فيما تؤول إليه العاقبة. هذا في الخلق؛ وأمّا الخالق جلّ جلاله، فلا ينفكّ تدبيره عن تقديره.

قال الطريحي: وفي حديث رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّ اللّه تعالى قدّر التقادير، ودبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام»[٧].

وفي دعاء الجوشن: «يا مقدِّر يا مدبِّر»[٨]، يقدّر الأُمور ويدبّرها حسب حكمته تعالى وإرادته وقدرته وعلمه السابق، ولا تدرك العقول كنه تقديره وتدبيره.

* * *

(١ و ٢) يونس: ٣، ٣١.

(٣) السجدة: ٥.

(٤) النازعات: ٥.

(٥) شرح النهج ١٨ / ٢٧٦، الحكمة ١٠٩.

(٦) نفسه.

(٧) مجمع البحرين ـ قدر ـ.

(٨) البلد الأمين ـ للكفعمي ٤٠٤.

٦٦

أقلنا من استقال

هذا بعض ما جاء في الجواب الرابع عشر عن مسائل إسحاق بن يعقوب السبعة عشر في التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة، ولربط المختار ما يلي من التـوقيع، قال عليه السلام:

«وأمّا ندامة قوم قد شكّوا في دين اللّه عزّ وجلّ على ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال، ولا حاجة في صلة الشاكّين»(١).

من الجواب عُلم السؤال، كبقيّة المسائل المعلومة مـن جـوابـاتها، حـيث إنّ المذكور في التوقيع الجوابات دون المسائل، لعدم التصريح بها فـي الكـتاب الذي أرسله إسحاق بن يعقوب إلى الناحية المقدّسة.

من الجواب يحتمل أمران:

الأوّل: السؤال عن قوم وصلوا الإمام عليه السلام بالأموال وغيرها، ثمّ شكّوا فيه عجّل الله فرجه الّذي هو شكّ في الدين؛ لأنّه عليه السلام حقيقة الدين الخالص، ويكون «فقد أقلنا من استقال» كناية عن ردّ الأموال، وتشهد له كلمة «ولا حاجة في صلة الشاكّين».

الثاني: السؤال عن قوم شاكّين في الدين في بداية الأمر، وقد ندموا، وطـلبوا الإقالة لعثرتهم، فأقالهم عليه السلام.

ولعل الأوّل هو الظاهر لظهور كلمة «على ما وصلونا به» المتعلّقة بندامة القوم المسبّبة عنها لتكون ندامتهم سبباً للشكّ في الدين، لا أنّ شكّهم كان سابقاً، ثمّ ندموا وتابوا فحسنت حالهم.

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، الباب الخامس والأربعون ذكر التوقيعات، الرقم ٤.

فالندم على الوجه الأوّل كفر وعلى الثاني إيمان. فاختر ما شئت من الوجهين، أو وجهاً ثالثاً كان أشمل منهما، والله العالم.

في التوقيع دروس:

الأوّل: الوصل والإيصال للأموال وغيرها إلى أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: أن لا يشوب الوصل شكّ فلابدّ من اليقين وأنّ ما يقدّمه الواصل من صلات مصحوبة باليقين والإخلاص ومشفوعة بالصدق والوفاء؛ فإنّ صلة الشاكّ والكاذب المخادع مردودة.

الثالث: التوبة الّتي تقيل العثرة إن صدرت عن جهل وغفلة. والندم على العمل المذموم غير المرضيّ للإمام المعصوم؛ لأنّ رضاه رضى اللّه وسخطه سخطه، كما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام «رضى اللّه رضانا أهل البيت»[١].

الرابع: الإقالة لمن استقال، وهي من كرائم الخصال، ومن أجمل سجايا ذوي الكرم والنفوس الزكيّة الأصيلة التي هي معادن الخيرات والبركات. وقد جاء في زيارة الجامعة الكبيرة: «إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»[٢]. إنّهم صلوات الله عليهم الأُسوة المشتقّة عنه صلى الله عليه وآله.

* * *

---

(١) البحار ٤٤ / ٣٦٧، من خطبة له عليه السلام خطبها عند الخروج إلى العراق، تبدأ من ص ٣٦٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٨١، تبدأ الزيارة من ص ٢٧٧، الفقيه ٢ / ٦٠٩.

٦٧
اكتبها لأكتب لك الجواب؛ فإنّه أبعد من النسيان

قال الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة[١] في إحدى رؤاه الإمام المهديّ عليه السلام الستّ: منها ـ وهي ثالثها ـ:

إنّي رأيته عليه السلام في النوم، كأنّه جالس في مجلس الدرس الذي أجلس فيه في المشهد المقدّس في البقعة الكبيرة الشرقيّة، وإنّي جئت إليه فسلّمت عليه، وقبّلت يده، وقلت: يا مولاي عندي مسائل، أتأذن أن أسألك عنها؟ فقال: «اكتبها لأكتب لك الجواب؛ فإنّه أبعد من النسيان...»[٢].

قال الحرّ بعد قصّة رؤاه الستّ:

وقد روي في عدّة أحاديث ما يدلّ على أنّ ما رآهم عليهم السلام في النوم فقد رآهم حقّاً؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل بصورهم[٣].

الكتابة وأثرها:

يشهد العيان قبل البيان أنّ الكتابة أبعد من النسيان؛ ومن ثمّ قيل: «ما حُفظ فَرَّ وما كُتِبَ قرّ»[٤] يضرب لترغيب الكتابة، ومن فوائدها بقاء ما حوته من العلوم للأجيال القادمة، ولولاها لما جاءت الأنبياء عليهم السلام بالكتب والصحف والألواح

---

(١) المتوفّى ١١٠٤ هـ، ووسائله من أهمّ جوامع الحديث لفقه الشيعة، الحاوي لمُعظمه.

(٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٣ / ٧١١، الباب الثالث والثلاثون، رقم الرؤيا ١٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٧١٢، أمالي الشيخ الصدوق: ٥٨، الأصح أنّ من رآهم طبقاً للرواية.

(٤) أمثال وحكم ٣ / ١٢٢٨، الغارات ١٣ / ١ للثقفي تعليق السيد الارموي تمثل به مع اختلاف ما.

المكتوبة فيها بالعلوم، ولما كان لهم مصدّق وسند على صدق دعواهم النبوّة والمعجزة، ومن أعظمها القرآن الكريم الهادي بنوره ودستوره، وكذا كلّ كتاب نزل من السماء، وقد تناول الكتاب العزيز الكتابة ومشتقّاتها في ٣١٧ موضعاً، أكثرها بلفظة (الكتاب)، وبعضها بكلمة (كتب) بمعنى وجب. وكيف كان فقد اهتمّ القرآن الكريم بذلك اهتماماً يظهر لمن تدبّر آياته، وهي من النعم التي أكرم بها اللّٰه تعالى على الإنسان بتعليمها له بالقلم الذي له العلقة بالكتابة والقراءة، قال عزّوجلّ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١]. وأمّا ما دلّ من الحديث على ترغيب الكتابة، فحدّث ولا حرج، منه النبويّ: «قيّدوا العلم؛ قيل: وما تقييده؟ قال صلّى الله عليه وآله: كتابته»[٢]. والصادقي: «اكتبوا، فإنّكم لا تحفظوا حتّى تكتبوا»[٣].

والآخر: «القلب يتّكل على الكتابة»[٤].

وعن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «اكتب وبثّ علمك في إخوانك فإن متّ، فورّث كتبك بنيك؛ فإنّه يأتي على الناس زمان هرج، ما يأنسون فيه إلّا بكتبهم»[٥]. لولاها لضاع العلم وذهب من بين الناس وإنّه صيد هي قيده.

لطيفة:

وكم من أمرٍ لطيفٍ يغيب عن الأذهان الوقّادة الدقيقة تجده في الكتاب مسطوراً، ويا رُبَّ جوهر علمٍ لم تختزنه إلّا الكتب، وفي خلالها المعارف والعلوم، ولولا الكتابة لكانت دفينة في الصدور أو القبور.

وقد حكي أنّ يوم وفاة الشيخ صاحب الجواهر طاب ثراه كان يوم عزاء الشيعة، خاصّة النجف الأشرف فقد خرجت لتشييع جثمانه الطاهر يردّدون المستهلّات المحلّية (الحسجة) سنة ١٢٦٦ هـ:

---

(١) العلق: ٣ ـ ٥. (٢) أُصول الكافي ١/٥١ ـ ٥٣،البحار ٢/١٥١ ـ ١٥٢. (٣) نفسه: ١٥٣.
(٤) نفسه: ١٥٢. (٥) المصدر نفسه: ١٥٠.

إلُطُفْ مِنْ شأنَ يْغيبْ والجَواهِرْ تِنْخِزِن[١]

وفي صادقي صحيح آخر «احتفظوا بكتبكم، فإنّكم سوف تحتاجون إليها»[٢].

ونبوي: «إنّه قال صلى الله عليه وآله لبعض كتّابه: ألق الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرّق السين، ولا تعوّر الميم، وحسّن (اللّه)، ومدّ (الرحمن)، وجوّد (الرحيم)، وضع قلمك على أُذنك اليُسرى؛ فإنّه أذكر لك»[٣].

الكتابة بماء الذهب:

وقد جاء الأمر بها في بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام وكلّها حريّ بذلك.

منها: الصادقيّ: «نَفَس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل اللّه؛ ثمّ قال أبو عبداللّه عليه السلام: يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب»[٤].

ومنها: الصادقيّ الآخر: «وقد ذكر أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا ابن مارد من زار جدّي عارفاً بحقّه، كتب اللّه له بكلّ خطوة حجّة مقبولة، وعمرة مبرورة. يا ابن مارد واللّه ما يطعم اللّه النار قَدماً تغبّرت في زيارة أميرالمؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً، يا ابن مارد اكتب هذا الحديث بماء الذهب»[٥].

ومنها: الحديث المعروف عند أهل الحديث بحديث سلسلة الذهب الّذي حدّث به الإمام الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء عند وصوله إلى بلدة نيشابور في مجيئه إلى خراسان، وقد اجتمع الخلق الكثير وفيهم الحافظان المحدّثان أبو زرعة، ومحمّد ابن أسلم الطوسي، وقد كتبوا ما حدّث عليه عليه السلام بماء الذهب. وهناك غير ذلك ممّا

---

(١) سمعتُه من السيّد عبدالكريم الكشميري. (٢) الكافي ١/٥٢، الرقم ١٠، البحار ٢/١٥٢.

(٣) المصدر الأخير.

المراد به كتابة البسملة وقد كتبناها مع الحمد لة باسم «الاسم الأعظم أو معارف البسملة والحمدلة» المطبوع عام ١٤٠٢ هـ

(٤) البحار ٢ / ١٤٧، نقلاً من مجالس المفيد. (٥) المصدر نفسه نقلاً من فرحة الغريّ.

يكتب بماء الذهب نقله المحدّث في السفينة في ـ ذهب ـ.

وأمّا ما أشار الشيخ الحرّ إلى حديث الرؤية من أنّه من رآهم فقد رأى الحقّ، فإليك بعض ما روي في ذلك:

منها: ما رواه المجلسي بسند الشيخ الصدوق في العيون والمجالس إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ـ في حديث ـ: ولقد حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عليهم السلام «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزءٌ من سبعين جزء من النبوّة»[١].

قال المجلسي طاب ثراه:

تبيان: يدلّ الخبر على عدم تمثّل الشيطان في المنام بصورة النبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمّة، بل بصورة شيعتهم أيضاً، ولعلّه محمول على خلّص شيعتهم، كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وأضرابهم[٢].

أقول:

ثمّ نقل عن الجمهور ما رووه عنه صلى الله عليه وآله بألفاظ مختلفة:

منها: «من رآني في المنام فكأنّما رآني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي»[٣].

ومنها: «من رآني فقد رأى الحقّ؛ فإنّ الشيطان لا يتراءى بي»[٤] ولابن الأثير تعليق عليه فراجع[٥].

(١ و٢) البحار ٦١ / ٢٣٤.

(٣ و٤) نفس المصدر. ٢٣٥.

(٥) النهاية ١ / ٤١٣ ـ حقق ـ.

وفي البحار ٦١ / ٢٣٤ ـ ٢٤٤ ما يمسّ الموضوع بالذات، كما أنّ الباب ٤٤، ص ١٥١ ـ ٢٣٣، خاصّ بحقيقة الرؤيا وتعبيرها وفضل الرؤيا الصادقة.

٦٨

أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج

من التوقيع الصادر عن الناحية المباركة لجواب المسائل السَّبع عشر الّتي سألها إسحاق بن يعقوب. تقدّم بعضها عند كلمة «أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»[1]. مع سند التوقيع، والجواب بكلمة «أمّا» وجاء المختار في أثناء ذلك حيث قال الإمام المهديّ عليه السلام:

«فأغلقوا باب [أبواب] السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كُفِيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج؛ فإنّ ذلك فرجكم، والسلام، عليك يا إسحاق بن يعقوب، وعلى من اتّبع الهدى»[2].

خروج الحجّة عجّل الله تعالى فرجه تفريج عن جميع أهل العالم، ولكن بما أنّ الشيعة الاثني عشريّة هم المنتفعون به دون غيرهم، خُصّوا بذلك؛ ومن ثمّ قال روحي فداه: «فإنّ ذلك فرجكم» مخاطباً لتمام الشيعة[3]. وأمّا سائر الناس، فإمّا أن يلتحقوا بهم فلهم ما لهم، وإمّا أن يكفروا به وهم الأكثر، فيقتلهم الإمام عليه السلام بعد عرض دعوة الحقّ والامتناع عن قبولها. وفي الروايات وبعض الزيارات أنّ باب التوبة بعد الخروج مُغلق.

منها: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿*هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ*

---

(١) رقمه ٦٢.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، الاحتجاج ٢ / ٢٨٤.

(٣) في الدعاء الصادقي «وأن تأذن من بفرجه فرج أوليائك وأصفيائك» البحار ٩٨ / ١٥٨.

﴿آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[١]. صحيح علي بن رئاب عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال في قول الله عزّوجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ قال: الآيات: الأئمة، والآية المنتظرة: القائم عليه السلام، فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت [به ظ] من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدّم من آبائه عليهم السلام[٢].

والصادقي: عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ الناس يوشكون أن ينقطع بهم العمل، ويسدّ عليهم باب التوبة ﴿فَلَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾»[٣].

والباقري بعد ذكر الآية قال: «إذا طلعت الشمس من مغربها فكلّ من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه»[٤].

أقول: ظاهر هذه الأحاديث أنّ باب التوبة بعد الخروج مسدود، ويشهد له ما في الزيارة المصدّرة بـ «سلام على آل يٓس... وأنّ رجعتكم حقّ لا ريب فيها، يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[٥].

ولكن تخصيص ذلك بزمان الرجعة كما صرّح به في الزيارة المذكورة غير بعيد، أو بالأربعين يوماً قبل يوم القيامة على ما جاء في عدّة من الروايات.

منها: الصادقي: «... ولا تنقطع الحجّة من الأرض إلّا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجّة وأُغلق باب التوبة، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجّة، وأولئك من شرار من خَلَقَ الله، وهم الّذين تقوم عليهم القيامة»[٦].

ومنها الصادقي الآخر[٧].

بقي أمران:

الأوّل: الدعاء وأثره، والثاني: الدعاء بتعجيل الفرج.

---

(١) الأنعام: ١٥٨. (٢) تفسير البرهان ١ / ٥٦٤. (٣) في المصدر الأوّل: ﴿لا ينفع﴾.
(٤) المصدر نفسه. (٥) الاحتجاج ٢ / ٣١٧، توقيعات الناحية المقدّسة.
(٦) تفسير البرهان ١ / ٥٦٤. (٧) المصدر نفسه: ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

الدعاء وأثره:

لو لم يكن إلّا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١]. لكفى ترغيباً للدعاء؛ لأنّه جعل نفسه المتعالية ضماناً للإجابة المطلقة، ولم يقيّدها عزّوجلّ بقيد أو شرط عند دعاء الداعي المعبّر عنه بالاستيجاب له تعالى، والإيمان بأنّه مجيب الدعوات فيصيب الداعون رشدهم الموهوب لهم.

ثمّ قُربه جلّ جلاله وبُعده ليس إلّا ما فسّرهما أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: «لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق...»[٢] وفي ثلاث خطب أخرى له عليه السلام ما يقرّره بألفاظ ذكرناها كلّها عند جواب الإمام الرضا عليه السلام: «أخبرني عن المرآة أنت كنت فيها أم هي فيك؟» عن سؤال عمران الصابي: «يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه؟»[٣]. والمراد بالألفاظ المعيّة الحقيقية والقيموميّة المطلقة غير المحدودة بحدّ زمانيّ أو مكانيّ، أو غيرهما.

قال الفيض الكاشاني:

قربه تعالى عبارة عن معيّته عزّوجلّ كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٤] فكما أنّ معيّته للأشياء ليست بممازجة ومداخلة، ومفارقته عنها ليست بمباينة ومزايلة. فكذلك قُربه ليس باجتماعٍ وأينٍ، وبُعده ليس بافتراق وبينٍ، بل بنحوٍ آخر أقرب من هذا القُرب وأبعد من هذا البُعد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[٦]، وفي مناجاة سيّد الشهداء عليه الصلاة والسلام: «إلهي ما أقربك منّي وأبعدني عنك، وما أرأفك بي فما الّذي يحجبني عنك»[٧].

وإنّما يَجدُ قربه مَن عبده كأنّه يراه، كما قال نبيّنا صلى الله عليه وآله: «اعبد الله كأنّك تراه،

---

(١) البقرة: ١٨٦.
(٢) شرح النهج ٩ / ٢٥٢، الخطبة ١٦٤.
(٣) الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا عليه السلام ١ / ٢١ ـ ٢٩، رقمه ١.
(٤) الحديد: ٤.
(٥) قٓ: ١٦.
(٦) الواقعة: ٨٥.
(٧) الإقبال: ٣٤٨ من دعاء يوم عرفة.

فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[١].

إن قيل: كيف يكون الشيء قريباً من الآخر ويكون ذلك الآخر بعيداً عنه؟

قلنا: مثال ذلك كالإنسان الحاضر عندك وأنت عنه في عمىً لا تراه ولا تشعر بحضوره؛ فإنّه قريب منك وأنت بعيد عنه[٢].

أقول:

بُعده تعالى عنّا ليس إلّا محجوبيّتنا عنه، كما قال عزّوجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٣].

فلنعد إلى ما جاء من روايات أهل البيت عليهم السلام في الدعاء وهي كثيرة تجدر بتأليف الكتب فيه، ومن أهمّها كتاب الصحيفة السجّاديّة: زبور آل محمّد التي توارثها صاغر عن كابر من مواريث إمامة الإمام الباقر إلى الحجّة المنتظر عليهم السلام.

وإليك روايات الدعاء المرويّة، منها:

الباقريّ: «أفضل العبادة الدعاء»[٤]، والصادقيّ: «وكان أميرالمؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاء»[٥]، والعلويّ: «الدعاء ترس المؤمن، ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك»[٦]، والصادقيّ: «الدعاء كهف الإجابة كما أنّ السحاب كف المطر»[٧]، والآخر: «إذا دعوت فظنّ أنّ حاجتك بالباب»[٨]، والعلويّ: «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء، فوالّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة للبلاء أسرع إلى المؤمن من انحدار السيل من أعلى التلعة إلى أسفلها، ومن ركض البراذين»[٩].

الدعاء بتعجيل الفرج نوعان مختلفان ذاتاً وصفةً

النوع الأوّل:

دعاء يدعو به المؤمنون للإمام المهديّ عجّل الله فرجه، كما يدعون بما يريدون من الحوائج يطلبون قضاءها من الله فيدعونه تعالى أن يقرّب ظهوره ويُنير القلوب

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢ / ١٣٨، الأمثال النبويّة ١ / ١١٩، الرقم ٧٥.

(٢) تفسير الصافي ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨ بالمعنى.

(٣) المطفّفين: ١٥.

(٤) أصول الكافي ٢ / ٤٦٦.

(٥ و٦) نفسه: ٤٦٨.

(٧) نفسه: ٤٧١.

(٨) نفسه: ٤٧٣.

(٩) البحار ١٠ / ٩٩.

بنوره، ويحيي الشرع والعباد والبلاد، وأن يكون الدعاء لله والطلب إلى اللّه بأن يصرف الفتن والبلايا الدينيّة والدنيويّة والأخرويّة عن الناس كافّة بقيامه، ويعبد اللّه جلّ جلاله وحده ولا يشرك به، وتظهر المعارف والعلوم والخيرات والبركات كلّها. تمتاز عمّا سواها بالعلم بها.

النوع الثاني:

دعاء موظّف مرويّ عن أهل البيت عليهم السلام فلابدّ أن يدعو الداعي وفق الرواية راجياً من اللّه الإجابة مع رعاية الآداب التي تأتي الإشارة إليها التي بفقدها لم يتأتّ على وجه المطلوب بالذات.

آداب الدعاء وشرائطه:

احفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو، وكيف تدعو، ولماذا تدعو؟ وتفكّر ماذا تسأل، وكم تسأل، ولماذا تسأل؟ والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الربّ، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأمور كلّها ظاهراً وباطناً إلى اللّه. فإن لم تأت بشرط الدعاء، فلا تنتظر الإجابة؛ فإنّه يعلم السرّ وأخفى، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من سرّك خلاف ذلك. قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء، وأنا أنتظر الحجر.

واعلم أنّه لو لم يكن اللّه قد أمرنا بالدعاء لكنّا إذا أخلصنا الدعاء، تفضّل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء[1] والآداب أمور:

الأوّل: الابتداء بالبسملة، ففي نبويّ: «لا يردّ دعاء أوّله بسم اللّه الرحمن الرحيم»[2].

الثاني: التحميد، ففي الصادقيّ: «كلّ دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر»[3]، وأخر «إنّ في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، إنّ المدحة قبل المسألة فإذا دعوت الله عزّ وجلّ

---

(١) أُصول الكافي ٢ / ٤٦٦ ـ ٥٩٥، البحار ٩٣ / ٣٢٢.

(٢ و٣) نفسه ٣١٣، بل كلّه، ٩٤، ٩٥ كذلك.

فمجّده، قال: قلت: كيف أُمجّده؟ قال: تقول: يا من أقرب إليَّ من حبل الوريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يامن هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء»[١].

الثالث: الصلاة على محمّد وآله، ففي نبويّ: «صلاتكم عليَّ إجابة لدعـائكم، وزكاة لأعمالكم»[٢] والصادقيّ: «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلّى على محمّد وآل محمّد»[٣]، وآخر: «من كانت له إلى اللّه عزّوجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد وآله، ثمّ يسأل حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد؛ فإنّ اللّه أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط؛ إذا كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لا تحجب عنه»[٤].

الرابع: الاستشفاع، ففي كاظميّ: «إذا كانت لك حاجة إلى اللّه فقل: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وعليّ فإنّ لهما عندك شأناً من الشأن، وقدراً من القدر، فبحقّ ذلك الشأن وبحقّ ذلك القدر أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تفعل بي كذا وكذا...»[٥].

ولابدّ من تقديم الوسيلة إلى اللّه عزّوجلّ، لنجح الحاجات وقد أمرنا تعالى بذلك بقوله جلّ جلاله: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٦]، ولا وسيلة أقرب من محمّد وآل محمّد صلّى اللّه عليهم وسلّم وهي الشفاعة، وقد جاء في زيارة الجامعة الكبيرة: «اللّهمّ إنّي لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمّد وأهـل بـيته الأخـيار الأئـمّة الأبـرار لجعلتهم شفعائي...»[٧] ودلّ النصّ على أنّ الأئمّة عليهم السلام هـم الوسـيلة، ولا يـنافي تفسيرها بالمرقاة أو غيرها، ففي نبويّ: «هم العروة الوثقى والوسيلة إلى اللّه»[٨].

ثم الآية هكذا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

ولعلّ صفة الإيمان والتقوى شرط لابتغاء الوسيلة إليه تعالى، كما أنّ الابتغاء بدونهما غير نافع، فإذا اجتمعت نفعت؛ إذ لا ولاية إلّا مع الإيمان والتقوى.

الخامس: الاعتراف بالذنب، ففي صادقي: إنّما هي المدحة، ثمّ الإقرار بالذنب،

---

(١) البحار ٩٣ / ٣١٣. (٢) البحار ٩٤ / ٥٤. (٣) نفسه ٩٣ / ٣١١.
(٤) البحار ١٣ / ٣١٦. (٥) نفسه ٩٤ / ٢٢. (٦) المائدة: ٣٥.
(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٨٢. (٨) تفسير الصافي ١ / ٤٤١.

ثم المسألة[١].

السادس: أن لا يكون الدعاء عن قلب لاهٍ ساهٍ، بل بالإقبال والتوجّه، كما في صادقي: «إنّ اللّٰه لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك، ثمّ استقين الإجابة»[٢]، لأنّ الساهي غير داع، ولا دعاء إلّا بإقبال القلب إلى المدعوّ.

السابع: طيب المطعم والمشرب والملبس؛ لأنّ الدعاء الصالح من العمل الصالح، وكيف يجتمع الصلاح مع الحرام والخبيث، وفي قوله تعالى: ﴿*يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً*﴾[٣] دلالة على الملازمة بين العمل الصالح وأكل الطيّب، ففي نبويّ: «من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطيّب مطعمه ومكسبه»[٤]، وآخر: «طهّر مأكلك، ولا تدخل في بطنك الحرام»[٥]، وآخر: «أطب كسبك تستجاب دعوتك؛ فإنّ الرجل يرفع اللقمة إلى فيه حراماً فما تستجاب له أربعين يوماً»[٦]، وحديث قدسيّ: «فمنك الدعاء وعليّ الإجابة فلا تحجب عنّي دعوة إلّا دعوة آكل الحرام»[٧]، وصادقي: «من سرّه أن يستجاب دعاؤه فليطيّب كسبه»[٨]، وآخر: إذا أراد أحدكم أن يستجاب له فليطيّب كسبه، وليخرج من مظالم الناس، وإنّ اللّٰه لا يرفع دعاء عبد وفي بطنه حرام، أو عنده مظلمة لأحد من خلقه»[٩].

الثامن: «مظلمة العباد، ففي الصادقي: «إنّ اللّٰه عزّوجلّ يقول: وعزّتي وجلالي لا أُجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ظلمها ولأحد عنده مثل تلك المظلمة»[١٠]، وعلويّ «إنّ اللّٰه أوحى إلى عيسى بن مريم: قل للملاء من بني إسرائيل... إنّي غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة»[١١].

التاسع: الذنب يمنع قضاء الحاجة، ففي باقريّ: «إنّ العبد يسأل الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء فيذنب العبد ذنباً، فيقول اللّٰه

---

(١) البحار ٩٣ / ٣١٨. (٢) نفسه ٣٢٣. (٣) المؤمنون: ٥١.
(٤) البحار ٩٣ / ٣٧٢. (٥) نفسه ٣٧٣. (٦) نفسه ٣٥٨.
(٧ و٨) نفسه ٣٧٣. (٩) البحار ٩٣ / ٣٢١.
(١٠) نفسه ٣٢٠. (١١) نفسه ٧٥ / ٣١١، البحار ٩٣ / ٣١٩.

تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته وأحرمه إيّاها؛ فإنّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان منّي»[١].

العاشر: حسن الظنّ بالإجابة المعبّر به عن الاستيقان؛ لعدم تخلّف الوعد منه تعالى؛ لأنّه أمر بالدعاء وضمن الاستجابة بقوله عزّ من قائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢] فلا يخلف وعده، كما نصّ عزّوجلّ بذلك في آي من القرآن الكريم منها: ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

وكيف يخلف الوعد وهو الغنيّ القادر الحنّان الرحيم الكريم، نعم لا يمنع العقل في خلف الوعيد بأن يعفو عزّوجلّ عن المذنبين المستحقّين للعقاب؛ فإنّ العفو عن الذنب من شأن الكريم وإنّ ذلك من الكرم، كما أنّ إنجاز الوعد من الكرم، بخلاف خلف الوعد؛ فإنّه لا يليق بالعبد فضلاً عن المولى الكريم تعالى. وعليه فلابدّ من الاستيقان بالإجابة المعبّر عنه بحسن الظنّ، وإنّما جاز القول به في قبال سوء الظنّ الّذي ذمّه تعالى بقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾[٤].

وقد جاء: «حسن الظنّ بالله ثمن الجنّة»[٥] كما سبق الحديث: «فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن الإجابة»[٦].

هذه نبذة من آداب الدعاء وشرائطه، والغرض الإشارة إليها لا ذكر كلّ ماللدعاء من آداب وشروط، التي منها الطهارة من الحدث والخبث ولعلّها من أهمّها، والتهيّؤ لإكثار الدعاء للفرج.

ولعلّ المراد من الأمر بالإكثار عدم ترك الدعاء في كلّ يوم من أيّام حياة المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى، شأن كلّ عبد انقطع عن سيّده، وابتعد منه لأسباب أوجبت انقطاعه وابتعاده والحرمان من النظر إلى محيّاه ويُمن لقياه وعطفه وحنانه،

---

(١) نفسه ٧٣ / ٣١٩.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) الروم: ٦.

(٤) الفتح: ٦.

(٥) الوسائل ٢ / ٦٥٩، الأمثال النبويّة ١ / ٣٦٧، الرقم ٢٣٤.

(٦) البحار ٣٢٣/٩٣، تقدّم في الأدب السادس.

لسوء الأدب وعدم القيام بوظيفة العبودية، والظلم الموجب لاستتاره. لأنّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه مستتر عن أعين الظالمين، وليس الاستتار مسبّباً إلّا عن عدم إمكان اجتماع الطاهر مع الخبيث الرجس، لأنّه عليه السلام طُهرٌ طاهر مُطهَّرٌ من طُهرٍ طاهرٍ مُطَهَّرٍ، فلا يقارن ضدّه، كما قال روحي فداه عند ما أتته الهدايا وأمره أبوه الحسن العسكري عليه السلام بفضّها: «أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايانجسةوأموالرجسة»(١).

فعلى المؤمنين النوح والبكاء والدعاء طول الحياة ما دام الإمام المهدي غائباً مستتراً ليمنّ الله علينا بظهوره والفرج له، ولولاه لم تكن للجميع النجاة من المهالك، ولا الأماكن من شرور الزمان، فلو كنّا كما قال عليه السلام في كتابه الثاني إلى الشيخ المفيد: «ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا»(٢).

لتحقّقت آمالنا وحسنت أحوالنا بمشاهدته ولقائه، عجّل الله فرجه.

إذا دريت ذلك، فإليك بعض أدعية الفرج، والصلوات المأثورة.

من الأدعية الدعاء في غيبة القائم عليه السلام:

قال الصدوق: حدّثنا أبو محمّد الحسين بن أحمد المكتّب، قال: حدّثنا أبو عليّ ابن همّام بهذا الدعاء، وذكر أنّ الشيخ العمري قدّس الله روحه أملاه عليه، وأمره أن يدعو به، وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام:

«اللّهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك [رسولك] اللّهمعرّفني نبيّك، فإنّك إن لم تعرّفني نبيّك لم أعرف حجّتك اللّهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لمتعرّفني حجّتك ضللت عن ديني اللّهمّ لا تمتني ميتة جاهليّة، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني اللّهمّ فكما هديتني بولاية من فرضت طاعته عليَّ من ولاة أمرك بعد رسولك صلواتك عليه وآله حتّى واليت ولاة أمرك: أميرالمؤمنين والحسن

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٥٨، رقم المختار ١٢٧.

(٢) الاحتجاج ٢ / ٣٢٥، نفسه ٣٧٠.

والحسين وعليّاً ومحمّداً وجعفراً وموسى وعليّاً ومحمّداً وعليّاً والحسن والحجّة القائم المهديّ صلوات الله عليهم أجمعين.

اللّهمّ فثبّتني على دينك واستعملني بطاعتك، وليّن قلبي لوليّ أمرك، وعافني ممّا امتحنت به خلقك، وثبّتني على طاعة وليّ أمرك الّذي سترته عن خلقك، فبإذنك غاب عن بريّتك، وأمرك ينتظر، وأنت العالم غير معلّم بالوقت الّذي فيه صلاح أمر وليّك في الإذن له بإظهاره أمره وكشف ستره، فصبّرني على ذلك، حتّى لا أُحبّ تعجيل ما أخّرت ولا تأخير ما عجّلت، ولا أكشف عمّا سترته، ولا أبحث عمّا كتمته، ولا أُنازعك في تدبيرك، ولا أقول: لِمَ وكيف؟ وما بال وليّ الأمر لا يظهر؟ وقد امتلأت الأرض من الجور! وأُفوّض أُموري كلّها إليك.

اللّهمّ إنّي أسألك أن تريني وليّ أمرك ظاهراً نافذاً لأمرك مع علمي بأنّ لك السلطان والقدرة والبرهان، والحجّة والمشيئة والإرادة والحول والقوّة، فافعل ذلك بي وبجميع المؤمنين، حتّى ننظر إلى وليّك صلواتك عليه وآله ظاهر المقالة، واضح الدلالة، هادياً من الضلالة، شافياً من الجهالة، أبرز يا ربّ مشاهده، وثبّت قواعده، واجعلنا ممّن تقرّعينه برؤيته، وأقمنا بخدمته، وتوفّنا على ملّته، واحشرنا في زمرته.

اللّهمّ أعذه من شرّ جميع ما خلقت وبرأت وذرأت وأنشأت وصوّرت واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته بحفظك الّذي لا يضيع من حفظته، واحفظ فيه رسولك ووصيّ رسولك.

اللّهمّ ومدّ في عمره، وزد في أجَله، وأعنه على ما أوليته واستر عينه، وزد في كرامتك له، فإنّه الهادي والمهتدي والقائم المهديّ، الطاهر التقيّ النقيّ الزكيّ الرضيّ المرضيّ، الصابر المجتهد الشكور.

اللّهمّ ولا تسلبنا اليقين لطول الأمد في غيبته، وانقطاع خبره عنّا، ولا تنسنا ذكره وانتظاره والإيمان، وقوّة اليقين في ظهوره، والدعاء له والصلاة عليه، حتّى لا يقنّطنا طول غيبته من ظهوره وقيامه، ويكون يقيننا في ذلك كيقيننا في قيام رسولك صلواتك عليه وآله، وما جاء به من وحيك وتنزيلك، وقوّ قلوبنا على

الإيمان به، حتّى تسلك بنا على يديه منهاج الهدى والحجّة العظمى، والطريقة الوسطى، وقوّنا على طاعته، وثبّتنا على متابعته، واجعلنا في حزبه واعوانه وأنصاره، والراضين بفعاله، ولا تسلبنا ذلك في حياتنا ولا عند وفاتنا، حتّى تتوفّانا ونحن على ذلك غير شاكّين، ولا ناكثين، ولا مرتابين، ولا مكذّبين.

اللّهمّ عجّل فرجه، وأيّده بالنصر، وانصر ناصريه، واخذل خاذليه، ودمّر على من نصب له وكذّب به، وأظهر به الحقّ، وأمت به الباطل واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذلّ، وأنعش به البلاد، واقتل به جبابرة الكفر، واقصم به رؤوس الضلالة، وذلّل به الجبّارين والكافرين، وأبر به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين والملحدين في مشارق الأرض ومغاربها، وبرّها وبحرها، وسهلها وجبلها، حتّى لا تدع منهم ديّاراً، ولا تبقي لهم آثاراً، وتطهّر منهم بلادك، واشف منهم صدور عبادك، وجدّد به ما امتحى من دينك، واصلح به ما بدّل من حكمك، وغيّر من سنّتك، حتى يعود دينك به وعلى يديه غضّاً جديداً صحيحاً لا عوج فيه ولا بدعة معه، حتى تطفئ بعدله نيران الكافرين؛ فإنّه عبدك الّذي استخلصته لنفسك، وارتضيته لنصرة نبيّك، واصطفيته بعلمك، وعصمته من الذنوب، وبرّأته من العيوب، وأطلعته على الغيوب، وأنعمت عليه، وطهّرته من الرجس، ونقّيته من الدنس.

اللّهمّ فصلّ عليه وعلى آبائه، الأئمّة الطاهرين، وعلى شيعتهم المنتجبين، وبلّغهم من آمالهم أفضل ما يأملون، واجعل ذلك منّا خالصاً من كلّ شكّ وشبهة ورياء وسُمعة، حتّى لا نريد به غيرك، ولا نطلب به إلّا وجهك.

اللّهمّ إنّا نشكو إليك فقد نبيّنا، وغيبة وليّنا، وشدّة الزمان علينا، ووقوع الفتن [بنا]، وتظاهر الأعداء [علينا]، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا.

اللّهمّ فافرج ذلك بفتح منك تعجّله، ونصر منك تعزّه، وإمام عدل تظهره، إله الحقّ ربّ العالمين.

اللّهمّ إنّا نسألك أن تأذن لوليّك في إظهار عدلك في عبادك، وقتل أعدائك في بلادك، حتّى لا تدع للجور يا ربّ دعامة إلّا قصمتها، ولا بنيّة إلّا أفنيتها، ولا قوّة إلّا

أوهنتها، ولا ركناً إلّا هددته، ولا حدّاً إلّا فللته، ولا سلاحاً إلّا أكللته، ولا راية إلّا نكستها، ولا شجاعاً إلّا قتلته، ولا جيشاً إلّا خذلته، وارمهم ياربّ بحجرك الدامغ، واضربهم بسيفك القاطع، وببأسك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين، وعذّب أعداءك، وأعداء دينك وأعداء رسولك بيد وليّك وأيدي عبادك المؤمنين.

اللّهمّ اكف وليّك وحجّتك في أرضك هول عدوّه، وكد من كاده، وامكر من مكر به، واجعل دائرة السوء على من أراد به سوءاً، واقطع عنه مادّتهم، وارعب له قلوبهم، وزلزل له أقدامهم، وخذهم جهرة وبغتة، وشدّد عليهم عقابك، واخزهم في عبادك، والعنهم في بلادك، وأسكنهم أسفل نارك، وأحط بهم أشدّ عذابك، وأصلهم ناراً، واحش قبور موتاهم ناراً، وأصلهم حرّ نارك، فإنّهم أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات، وأذلّوا عبادك.

اللّهمّ وأحي بوليّك القرآن، وأرنا نوره سرمداً لا ظلمة فيه، وأحي به القلوب الميتة، واشف به الصدور الوغرة، واجمع به الأهواء المختلفة على الحقّ، وأقم به الحدود المعطّلة والأحكام المهملة، حتى لا يبقى حقّ إلّا ظهر، ولا عدل إلّا زهر، واجعلنا ياربّ من أعوانه ومقوّي سلطانه، والمؤتمرين لامره، والراضين بفعله، والمسلّمين لأحكامه، وممّن لا حاجة له به إلى التقيّة من خلقك، أنت يا ربّ الّذي تكشف السوء وتجيب المضطرّ إذا دعاك، وتنجي من الكرب العظيم، فاكشف يا ربّ الضر عن وليّك، واجعله خليفة في أرضك كما ضمنت له.

اللّهمّ ولا تجعلني من خصماء آل محمّد، ولا تجعلني من أعداء آل محمّد، ولا تجعلني من أهل الحنق والغيظ على آل محمّد، فإنّي أعوذ بك من ذلك فأعذني وأستجير بك فأجرني.

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني بهم فائزاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين»[١].

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٥١٢ ـ ٥١٥، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات، الدعاء في غيبة القائم عليه السلام، جمال الأسبوع: ٥٢٢ ـ ٥٢٩، و ٣٠٦ ـ ٣٠٩، البحار ٩٥ / ٣٢٧ ـ ٣٣٠.

ومن الأدعية:

دعاء مرويّ عن الأئمّة عليهم السلام في ضمن أدعية الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان:

«اللّهمّ كن لوليّك الحجّة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً، حتّى تسكنه أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً»[1].

ومن الأدعية: دعاء مطوّل مرويّ عن الإمام الرضا عليه السلام أوّله: «اللّهمّ ادفع عن وليّك وخليفتك، وحجّتك على خلقك، ولسانك المعبّر عنك بإذنك، الناطق بحكمك، وعينك الناظرة على بريّتك، وشاهدك على عبادك، الجحجاح المجاهد، العائذ بك...»[2].

ومن الأدعية:

دعاء في قصّة الليثي التي رواها الشيخ النوريّ في الحكاية الأربعين من «جنّة المأوى»[3] قال طاب ثراه:

الشيخ الجليل أمين الإسلام فضل بن الحسن الطبرسي صاحب التفسير في كتاب كنوز النجاح قال: دعاء علّمه صاحب الزمان عليه سلام الله الملك المنّان، أباالحسن محمّد بن أحمد بن أبي الليث، رحمه الله تعالى في بلدة بغداد، في مقابر قريش، وكان أبو الحسن قد هرب إلى مقابر قريش، والتجأ إليه من خوف القتل، فنجّي منه ببركة هذا الدعاء.

قال أبو الحسن المذكور: إنّه علّمنّي أن أقول:

«اللّهمّ عظم البلاء، وبرح الخفاء، وانقطع الرجاء، وانكشف الغطاء، وضاقت الأرض ومنعت السماء، وإليك يا ربّ المشتكى، وعليك المعوّل في الشدّة والرخاء،

---

(١) البحار ٩٧ / ٣٤٩ الباب ٦٩...

(٢) البلد الأمين: ٨١ ـ ٨٢، جمال الأسبوع: ٥٠٦ ـ ٥١١.

(٣) المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٧٥.

اللّهمّ فصلّ على محمّد وآل محمّد أولي الأمر الّذين فرضت علينا طاعتهم، فعرّفنا بذلك منزلتهم ففرّج عنّا بحقّهم فرجاً عاجلاً كلمح البصر أو هو أقرب، يا محمّد يا عليّ، اكفياني، فإنّكما كافياي وانصراني، فإنّكما ناصراي، يا مولاي يا صاحب الزمان الغوث الغوث [الغوث] أدركني أدركني أدركني».

قال الراوي: إنّه عليه السلام عند قوله: «يا صاحب الزمان» كان يشير إلى صدره الشريف، وذكره العلّامة المجلسي في مزار البحار. قال: ثم تدعو بعدها بالدعاء المرويّ عنه عليه السلام وهو: «اللّهمّ عظم البلاء...»[1].

قال ابن طاووس: إنّ الدّعاء له من مهمّات أهل الإسلام والإيمان... وذكر دعاء الصادق والكاظم عليهما السلام له بأبلغ من الدعاء لنفسهما في تعقيب صلاة الظهر والعصر فراجع[2]، والأمر فوق ذلك، كانوا عليهم السلام يبكون لطول غيبته.

عن سدير قال: دخلت أنا والمفضّل بن عمر، وأبو بصير، وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبدالله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح خيبريّ مطوّق بلا جيب، ومقصّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحرّى، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه، وهو يقول: «سيّدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليَّ مهادي، وابتزّت منّي راحة فؤادي، سيّدي غيبتك أوصلت مصابي بنجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يُفني الجمع والعدد، فما أحسّ بدمعة ترقي من عيني، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلّا مُثّل بعيني عن غوابر أعظمها وأفظعها، وبواقي أشدّها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك...»[3].

ترجمة إسحاق بن يعقوب: وهو السائل للمسائل السبع عشر، وقد ترجمه جمع منهم السيّد الأستاذ الخوئي قال: إسحاق بن يعقوب: روى عن محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه وروى عنه محمّد بن يعقوب الكليني، كمال الدين: باب ٤٩، في ذكر

---

(١) البحار ٩٥ / ٣٣٠ مع تغيير مّا. (٢) جمال الأسبوع: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٣٥٢ ـ ٣٥٦، باب ٣٣، ح ٥٠ فراجع.

التوقيعات الواردة عن القائم (عجّل الله فرجه)، الحديث ٤[١].

أقول: أمّا إسحاق بن يعقوب، فقد قيل إنّه مجهول، ولكنّ المرحوم المامقاني عند عرض ترجمته قال: ويستفاد من توقيعه عليه السلام هذا جلالة الرجل وعلوّ رتبته، وكونه هو الراوي غير ضائر بعد تسالم المشائخ على نقله[٢]. يريد طاب ثراه بالنقل: التوقيع الّذي ذكرناه في المقام، وبالمشائخ: الكليني والصدوق والشيخ الطوسي رحمهم الله، وقد أشرنا إلى بعض مصادر التوقيع في التعليق فراجع. ثمّ نعود إلى الأمر الصادر عن صاحب الأمر عليه السلام بإكثار الدعاء الفرج بتعجيل الفرج، وبه انتشار العدل في أقطار المعمورة، والأمن والأمان، وشياع التراحم والتبار والإحسان والتزاور والتواصل، وكسح الظلم والجور، وسحق الحقوق والحقائق عن وجه البسيطة وقلعها عن جذورها الخبيثة الملعونة وبالكسح المزبور ظهور النور، والسرور وصيرور دار الفاسقين إلى دار المؤمنين، واستبدال جهنّم الدنيا بالجنّة ودار السلام.

* * *

(١) معجم رجال الحديث ٣ / ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) تنقيح المقال ١ / ١٢٢.

٦٩
ألا أُبشِّرُكِ في العطاس؟

روى الشيخ الصدوق روايتين بإسناده عن نسيم خادمة أبي محمّد العسكري عليه السلام، لا بأس بذكرهما.

الأولى: قال طاب ثراه: حدّثنا محمّد بن عليّ ما جيلويه، وأحمد بن محمّد بن يحيى العطّار رضي الله عنهما، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا الحسين بن عليّ النيسابوري، عن إبراهيم بن محمّد بن عبدالله بن موسى بن جعفر عليهما السلام، عن السيّاري، قال: حدّثتني نسيم ومارية قالتا: إنّه لمّا سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمّه جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه إلى السماء، ثمّ عطس، فقال:

«الحمد لله ربّ العالمين وصلّى على محمّد وآله. زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة. لو أُذن لنا في الكلام لزال الشكّ»[1].

والثانية: قال: قال إبراهيم بن محمّد بن عبدالله: وحدّثتني نسيم خادم [ة] أبي محمّد عليه السلام، قالت: قال لي صاحب الزّمان عليه السلام وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة، فعطست عنده، فقال لي: «يرحمك الله»[2]. قالت نسيم: ففرحت بذلك. فقال لي عليه السلام: «ألا أُبَشرك في العطاس؟» فقلت: بلى [يا مولاي]. فقال: «هو أمان من الموت ثلاثة أيّام»[3].

وإنّما ذكرنا الرواية الأولى؛ لأنّها اشتملت على بعض آداب العطاس من

---

(١) «لو أُذن لنا في الكلام لزال الشكّ» رقمه ٣٦٩. كما أنّ «زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة» رقمه ١٩٦.

(٢) «يرحمك الله» رقمه ٤٩٥.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٣٠، الباب ٤٢ ما روي في ميلاد القائم عليه السلام، غيبة الشيخ الطوسي: ١٣٩، الكلام في ولادة صاحب الزمان عليه السلام، البحار ٥١ / ٥.

التحميد والصلاة على محمّد وآله عنده، إذ قول المعصوم كفعله وتقريره حجّة للآخرين.

وأمّا الثانية فقد حوت على أدب التسميت إذا سمع العطاس أن يقول لصاحبه: «يرحمك اللّه»، كما قال عليه السلام لنسيم الخادمة ذلك، على تقدير الصدور. والبشارة بالأمان من الموت ثلاثة أيّام على أقلّ تقدير منها.

ففي الصادقيّ: «للمسلم على أخيه من الحقّ أن يسلّم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمّته[1] إذا عطس، يقول: (الحمد لله رب العالمين لا شريك له)، ويقول له: (يرحمك اللّه)، فيجيبه فيقول له: (يهديكم اللّه ويصلح بالكم)، ويجيبه إذا دعاه...»[2].

والنبويّ: «إذا عطس الرجل فسمّتوه، ولو كان من وراء جزيرة، ـ وفي رواية أخرى ـ: ولو من وراء البحر»[3].

والعلويّ: «من قال إذا عطس: الحمد لله رب العالمين على كلّ حال، لم يجد وجع الأذنين والأضراس»[4].

والصادقيّ: «العطاس ينفع في البدن كلّه ما لم يزد على الثلاث، فإذا زاد فهو داء وسقم»[5].

والآخر: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[6]؟ قال: العطسة القبيحة[7].

العطاس شاهد حقّ:

ففي نبويّ: «إذا كان الرجل يتحدّث بحديث فعطس عاطس فهو شاهد حقّ»[8].

وآخر: «تصديق الحديث عند العطاس»[9].

---

(١) تسميت العاطس وتشميته: الدعاء له هامش أُصول الكافي ٢ / ٦٥٣، الحديث الأوّل.

(٢ و٣) نفس الأخير، ح الجزيرة والبحر رقم٢.

(٤ و٥) الكافي ٢ / ٦٥٥ ـ ٦٥٦.

(٦) لقمان: ١٩.

(٧ و٨) الأسبق ٦٥٧.

(٩) نفسه المصدر أحاديث ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، الجميع ٢٧ حديثاً.

هل نسيم خادم أو خادمة؟

قال الأستاذ الخوئي: قال الشيخ قدس سره: روى محمّد بن يعقوب رفعه عن نسيم الخادم ـ خادم أبي محمّد عليه السلام ـ قال: دخلت على صاحب الزمان بعد مولده بعشر ليال، فعطست عنده، فقال: يرحمك اللّٰه، وفرحت بذلك، فقال: أُبشّرك في العطاس، هو أمان من الموت ثلاثة أيّام. الغَيْبة: في الكلام في ولادة صاحب الزمان عجّل اللّٰه تعالى فرجه الشريف. ولكنّ الذي صرّح به في رواية الصدوق قدس سره أنّها كانت امرأة[١] وساق الرواية المتقدّمة الذكر الدالّة على أنّها أُنثى لا ذكر. والله العالم بكلّ شيءٍ.

* * *

(١) معجم رجال الحديث ١٩ / ١٣١، ٢٠/١٤٣ ـ ١٤٤، الرقم ١٣٠٢٩.

٧٠
إلى اللّٰه أرغب في الكفاية، وجميل الصنع والولاية

انتزع المختار عن التوقيع الصادر في جواب كتاب أحمد بن إسحاق: «بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، أتاني كتابك أبقاك اللّٰه ـ إلى آخره ـ...»[١] تقدّم عند «اتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة»[٢] الرغبة في الدعاء في الكاظمي: «أن تستقبل براحتيك السماء، وتستقبل بهما وجهك.

والرهبة: أن تُكفئ كفّيك فترفعهما إلى الوجه.

والتضرّع: أن تحرّك إصبعيك وتُشير بهما» وفي حديث آخر: «إنّ البصبصة: أن ترفع سبّابتيك إلى السماء وتحرّكهما وتدعو»[٣].

الرغبة في اللغة:

قال ابن فارس: الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلب لشيء. والآخر سعة في شيء. فالأوّل الرغبة في الشيء: الإرادة له: رغبت في الشيء، فإذا لم ترده قلت: رغبت عنه... والآخر الشيء الرغيب: الواسع الجوف... والرغيبة: العطاء الكثير، والجمع رغائب. قال:

وإلى الّذي يُعطي الرغائب فَارغَبِ[٤]

قوله عليه السلام: «وإلى...» متعلّق بـ «أرغب»، وتقديمه يُفيد حصر الرغبة

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٤ ـ ١٧٦، الاحتجاج ٢ / ٢٧٩ ـ ٢٨١، البحار ٥٣ / ١٩٣.

(٢) رقمه ٣.

(٣) معاني الأخبار: ٣٧٠، البحار ٩٣ / ٣٣٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ رغب...

في مدخوله، ومنه يتجلّى المراد من قول الإمام المهدي عجّل الله فرجه: «إلى اللّه أرغب» على حدّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١)، من حصر العبادة والاستعانة في المعبود والمستعان، وهو اللّه تعالى وحده. وهذا هو الدين الخالص من الشرك، الّذي أمر اللّه جلّ جلاله العباد به، وعلى ذلك نزلت كتب السماء وابتعثت الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

قوله عليه السلام: «في الكفاية وجميل الصنع والولاية»:

إذا فسّرت كلمة «إلى اللّه أرغب» بالطلب منه تعالى، فيراد من هذه الأُمور: إعطاؤها للراغب: بأن يهبه الكفاية في الأمور كلّها، وأن يوفّقه للصنع الجميل أي العمل الصالح وكلّ فعل جميل، وأن يعطيه القدرة المعبّر عنها بالولاية بأحد معانيها. وقد يقال: الوَلاية بفتح الواو: النصرة [والمحبّة]... وبكسرها: الإمارة(٢).

وجاء معناها في تفسير ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾(٣).

وبإسناد الكليني طاب ثراه إلى عبدالرحمن بن كثير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾؟ قال: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام(٤).

وفي باقريّ: «هي ولاية عليّ عليه السلام هو خير ثواباً وخيرٌ عقباً»(٥) كلّ الخير فيه. ضمير ﴿هُوَ خَيْرٌ...﴾ مرجعه اللّه عزّوجلّ، لا خير إلّا خيره، لا بقاء إلّا بقاؤه.

* * *

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) نهاية ابن الأثير ٥ / ٢٢٨ ـ ولي ـ.

(٣) الكهف: ٤٤ وهي ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه: ٧٣، لا أعظم منهما.

(٤) تفسير البرهان ٢/٤٦٩.

(٥) المصدر نفسه.

٧١
ألبسك اللّٰه العافية

روى الكليني رحمه الله عن عليّ، عن النضر بن صباح البجليّ، عن محمّد بن يوسف الشاشي (قرية من باكستان)، قال: خرج بي ناصور [ناسور] على مقعدتي، فأريته الأطبّاء وأنفقت عليه مالاً، فقالوا: لا نعرف له دواءً، فكتبت رقعة أسأل الدعاء، فوقّع عليه السلام:

«ألبسك اللّٰه العافية، وجعلك معنا في الدنيا والآخرة».

قال: فما أتت عليّ جُمُعة حتّى عوفيت وصار مثل راحتي، فدعوت طبيباً من أصحابنا، وأريته إيّاه، فقال: ما عرفنا لهذا دواءً[1]. «ألبسك اللّٰه العافية» دعاء للمريض، ونظيره «عافاك اللّٰه ممّا تشكو» كلمة كسابقتها سائرة على الألسن عند طلبها من اللّٰه عزّ وجلّ الشفاء، كما روي عن محمّد بن عُمير بن واقد الرّازي، قال: دخلت على أبي جعفر بن الرضا، ومعي أخي به بُهرٌ [تتابع النَّفس الحاصل من السعي الشديد وغيره]، فشكا إليه ذلك البُهر، فقال: «عافاك اللّٰه ممّا تشكو»، فخرجنا من عنده وقد عوفي، فما عاد إليه ذلك البُهر إلى أن مات[2].

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١ / ٥١٩، البحار ٥١ / ٢٩٧، باب ما ظهر من معجزاته عليه السلام.

(٢) الخرائج ١ / ٣٢٥. أُسوة حسنة.

٧٢
ألّفتَ بين الثلج والنّار

كلمة مستخرجة من دعاء الإمام المنتظر عجّل الله فرجه، وإليك ما ذكره السيّد بن طاووس طاب ثراه، بعد عنوان: (ودَعَا عليه السلام في قنوته بهذا الدعاء) ما لفظه:

«اللّهمّ مالك الملك، تُؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممّن تشاء وتُعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء، بيدك الخير، إنّك على كلّ شيءٍ قدير، يا ماجد يا جواد يا ذا الجلال والإكرام، يا بطّاش يا ذا البطش الشديد، يا فعّالاً لما يريد، ياذا القوّة المتين، يا رؤوف يا رحيم يا لطيف، يا حيّ حين لا حيّ، أسألك باسمك المخزون المكنون الحيّ القيّوم، الّذي استأثرت به في علم الغيب عندك لم يطّلع عليه أحدٌ من خلقك، وأسألك باسمك الّذي تُصوّر به خلقك في الأرحام كيف تشاء، وبه تسوق إليهم أرزاقهم في أطباق الظلمات من بين العروق والعظام، وأسألك باسمك الّذي ألّفت به بين قلوب أوليائك، وألّفت بين الثلج والنّار، لا هذا يذيب هذا، ولاهذا يُطفئ هذا، وأسألك باسمك الذي كوّنت به طعم المياه، وأسألك باسمك الّذي أجريت به الماء في عروق النبات بين أطباق الثرى، وسُقت الماء إلى عروق الأشجار بين الصخرة الصمّاء، وأسألك باسمك الذي كوّنت به طعم الثمار وألوانها، وأسألك باسمك الفرد الواحد المتفرّد بالوحدانيّة المتوحّد بالصمدانيّة، وأسألك باسمك الذي فجّرت به الماء من الصخرة الصمّاء وسقته من حيث شئت، وأسألك باسمك الذي خلقت به خلقك...»[١].

أسماؤه الحُسنى هم محمّد وآل محمّد الذاتيّة وغيرها ممّا شاء تعالى أن

---

(١) مهج الدعوات: ٦٨ ـ ٦٩.

يجمعها ذات تأثير في الايجاد والوجود.

للدعاء تتمّة من أحبّ راجعها والمهمّ بيان قوله عليه السلام المختار: «آلّفت بين الثلج والنار».

ففي حديث المعراج قال صلى الله عليه وآله: «... ثمّ رأيت ملكاً من الملائكة جعل اللّٰه أمره عجيباً، نصف جسده النار، والنصف الآخر ثلج، فلا النار تُذيب الثلج، ولا الثلج يطفئ النّار. وهو ينادي بصوت رفيع، ويقول: سبحان الذي كفّ حرّ هذه النّار فلا تذيب الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يُطفئ حرّ هذه النار. اللّهمّ يا مؤلفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: مَلَك وكّله اللّٰه بأكناف السماء وأطراف الأرضين وهو أنصح ملائكة اللّٰه لأهل الأرض من عباده المؤمنين»[١].

فلو دُقّق النظر في خلق اللّٰه، لوجد في كلّه العَجَب[٢] والصُّنع المُتقِن ﴿وَتَرى الجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهيَ تَمرُّ مَرَّ السَّحاب صُنْعَ اللهِ الّذي أَتقَنَ كُلَّ شَيءٍ إنَّهُ خَبيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾[٣].

* * *

(١) البحار ٥٩ / ١٧٢، والحديث مطوّل. ثمّ لكلمات الدعاء المهدويّ شرح يطول ويضيق بذكره المجال.

(٢) ومنه إن اللّٰه تعالى خلق الماء من مادّتين ناريّتين قابلتين للاشتعال هما: الهيدروجين H والأوكسجين o = H_2O.

(٣) النمل: ٨٨.

٧٣

أما إنّها ستذهب منك بكذبك

روى الصدوق عن محمّد بن محمّد الأشعري، عن غانم في خبر طويل، وفيه قصّة الكابلي ووصوله إلى الحضرة في المدينة، من خبر محمّدبن شاذان بنيسابور، قال:

بلغني أنّه قد وصل[١] فترصّدت له حتى لقيته، فسألته عن خبره، فذكر أنّه لم يزل في الطلب، وأنّه أقام بالمدينة فكان لا يذكره لأحد إلّا زجره، فلقي شيخاً[٢] من بني هاشم وهو يحيى بن محمّد العريضي، فقال له: إنّ الّذي تطلبه بصرياء[٣]، قال: فقصدت صرياء، وجئت إلى دهليزمرشوش، فطرحت نفسي على الدكان، فخرج إليّ غلام أسود، فزجرني وانتهرني، وقال لي: قم من هذا المكان وانصرف، فقلت: لا أفعل، فدخل الدار، ثمّ خرج إليّ، وقال: ادخل، فدخلت فإذا مولاي عليه السلام قاعد وسط الدار، فلمّا نظر إليّ سمّاني باسم لم يعرفه أحد إلّا أهلي بكابل، وأجرى لي أشياء، فقلت له: إنّ نفقتي قد ذهبت فَمُر لي بنفقة، فقال لي: «أما إنّها ستذهب منك بكذبك»، وأعطاني نفقة، فضاع مني ما كان معي، وسلم ما أعطاني، ثمّ انصرفت السنة الثانية ولم أجد في الدار أحداً[٤].

دلّت الكلمة المختارة على أنّ الكذب ذاهب بالمال فضلاً عن غيره، إلّا أن

---

(١) أي إلى الحضرة في المدينة ولعلّها هي سرّ من رأى.

(٢) الشيخ : الطاعن في السنّ.

(٣) الصرياء لعلّها الصراة قيل هي اسم نهر في العراق في بغداد أو في سرّ من رأى، كما في هامش إكمال الدين ٢ / ٤٣٩. ولعلّها كانت اسماً لنهر سرّ من رأى سابقاً، والحديث دالّ على البلدة المذكورة وأنّها اسم مقول عليها، اللّه العالم.

(٤) إكمال الدين ٢ / ٤٩٧، الباب ٤٥ في التوقيعات.

يتوب الكاذب. ولعلّ الكابليّ قد تاب؛ ومن ثمّ حُظي بعطيّة الإمام عليه السلام. وليس الكشف عن كذب الكاذب أو عن أيّة واقعة أُخرى بعيداً من المؤمن المتفرّس الناظر بنور اللّٰه. كما جاء ذلك في النبويّ: «اتّقوا فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور اللّٰه»[1]. فكيف بإمام المؤمنين من الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

والقصّة تُعطي دروساً:

الأوّل: لابدّ من طلب الحقّ مهما كلّف الأمر من ركوب الصعاب.

الثاني: أن لا يرفع اليد عمّا بصدد طلبه بزجر الزاجر أو بالانتهار.

الثالث: أن يكون الطالب صادقاً مخلصاً في الطلب لله عزّ وجلّ.

الرابع: التخلّق بأخلاق المعصومين عليهم السلام من بذل النفقة. ولا يمنعه مانع حتّى مثل عدم رعاية الآداب. إذا علم من حال المبذول له الارتداع عمّا ركبه. وأنّه قابل لأن يهتدي بالبذل والوعظ والتوجيه ونحو ذلك.

الخامس: الاجتناب عن الكذب وغوائله بصورة عامّة. وبنحو خاصّ عند صاحب الشرع. والحافظين له من المعصومين عليهم السلام، بل على الإطلاق؛ لأنّ محارم اللّٰه عزّ وجلّ حمى اللّٰه فلابدّ أن لا يحوم الإنسان حولها. وأنّه بحضرة اللّٰه جلّ جلاله. وأنّ الأحكام أحكامه. والشرع شرعه. والولاية هي الّتي عرضها الله تعالى.

* * *

(١) الوسائل ٨ / ٤٢٤، الأمثال النبويّة: ١ / ٤٩، الرقم ٢٥، ولنا حول الحديث بيان فراجع.

٧٤
الإمام عليه السلام لا يُتقدَّم عليه، ولا يُساوىٰ

من أجوبة المسائل الفقهيّة الّتي سأل عنها محمّد بن عبداللّٰه بن جعفر الحميري الإمام المهديّ عليه السلام، وأرسلها في كتب أربعة إلى الناحية، سبق من مسائله الفقهيّة وبعض جواباتها المدرجة وإليك من الكتاب الرابع السؤال والجواب:

وسأل: عن الرجل يزور قبور الأئمّة عليهم السلام هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز لمن صلّىٰ عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة، ويقوم عند رأسه ورجليه؟ وهل يجوز أن يتقدّم القبر ويصلّي ويجعل القبر خلفه، أم لا؟

فأجاب:

«أمّا السجود على القبر، فلا يجوز في نافلة، ولا فريضة، ولا زيارة، والّذي عليه العمل: أن يضع خدّه الأيمن على القبر.

وأمّا الصلاة فإنّها خلفه، ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه، ولا عن يمينه ولا عن يساره؛ لأنّ الإمام عليه السلام لا يُتقدَّم، ولا يُساوى»[1].

صور الصلاة عند قبر الإمام عليه السلام أربع: أمامه، وخلفه، ويمينه ويساره، ودلّ التوقيع على الجواز خلفه، والمنع عن الصور الباقية: الأمام واليمين واليسار.

إذا وقف المصلّي موقفاً يحاذي الرأس الشريف، أو قدمي الإمام المعصوم عليه السلام، صدق التقدّم عند الركوع والسجود، وعليه يحمل إطلاق قوله عليه السلام: «ولا عن يمينه

(١) الاحتجاج ٢ / ٣١٢، توقيعات الناحية المقدّسة، وكتب الحميري هذا الكتاب الرابع سنة ثمان وثلاثمائة، سأل فيه عن مسائل فقهيّة غير ما سأل في الكتب الأُخرى.

ولا عن يساره».

ولا يخفى أنّ الصلاة المذكورة في التوقيع لا تخصّ الفريضة، فتعمّ النافلة من مثل صلاة الزيارة بعد الفراغ منها.

وفي التوقيع جوابان عن أسئلة ثلاثة تؤول إلى اثنين:

السؤال الأوّل: هل يجوز السجود على القبر أم لا؟

السؤال الثاني: هل يقوم المصلّي خلف القبر، أو أمامه، أو عن يمينه، أو يساره؟

فأجاب عن الأوّل بعدم جواز السجود على القبر وإنّما يتبرّك به بوضع الخدّ عليه، لا السجود؛ لأنّه لا يجوز إلّا لله عزّوجلّ وهل هذا السجود، مطلق السجود أو السجود للصلاة لا لغيرها من التعظيم؟ والجواب المنع مطلقاً إن أُريد السؤال عن مطلق السجود وإلّا فالجواب إنّما هو عن السجود التعظيمي فقط كما هو الظاهر.

وأجاب عليه السلام عن الثاني بما قدّمناه من المنع من الصلاة بصورها الأربع عدا صورة القيام خلف القبر، وقد علّل الإمام المهديّ عجّل الله فرجه المنع بقوله عليه السلام: «لأنّ الإمام عليه السلام لا يُتقدّم، ولا يُساوى».

ومنه يتّجه الكلام في حياة الإمام عليه السلام أيضاً بأنّه لا يتقدّم عليه في كلّ شيءٍ، بل يجب الاتّباع لقوله وفعله وتقريره؛ لأنّ ذلك كلّه حجّة علينا، ولا يجوز عقلاً ولا شرعاً التخلّف عنه قيد شعرة، إلّا عمّا اختصّ به المعصوم النبيّ والأئمّة أرواح العالمين لهم الفداء من خصائص مذكورة في محلّها، وأمّا سواها فالمتابعة واجبة بالاتّفاق؛ ومن ثم جاء «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدّم لهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق...»[1].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «نحن النُمرقة الوُسطى الّتي يلحق بها التالي، وإليها يرجع الغالي»[2].

وإلى ذلك يشير حديث السفينة: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها

(١) الإقبال: ٦٨٧، مصباح الشيخ ٥٧٣ شعبان. (٢) شرح النهج ١٨ / ٢٧٣، الحكمة ١٠٦.

نجى، ومن تخلّف عنها زجّ في النار»[١].

ولبعض السادة الأجلّة على التوقيع المبارك تعليق وهو كما يلي:

ثبت في السُنّة: أنّ الإمام لا يُتقدّم ولا يُساوى. وهذا الحكم عام يشمل إمام الجماعة مطلقاً، سواء أكان معصوماً أو غير معصوم، فلا تجوز الصلاة معه في الخطوط الّتي بينه وبين الكعبة أو في الخطّ المساوي له، وإنّما في الخطوط الّتي خلفه فقط.

وثبت أيضاً عندنا حسب الاستدلال الفقهي عدم جواز الصلاة في حضرة المعصوم مساوياً أو مقدّماً عليه، سواء كان حيّاً أو ميّتاً؛ لأنّ المعصومين جميعاً أحياء عند ربّهم.

وقد حاول بعض المغرضين التشويش على هذا الحكم بأنّه من عبادة القبور، ولم ينتبهوا إلى أنّ عدم التقدّم على شخص في الصلاة لو كان لا يعني [إلّا خ] عبادته، فكلّ مأموم يعبد إمام جماعته، مضافاً إلى أنّ العبادة الّتي تعبّر عن معنى الترتيب لا علاقة لها بالآداب.

وقد يقال: إنّ عدم الجواز هنا محمول على الكراهة، لمعارضة ظاهره، بما ثبت من جواز الصلاة بل استحبابها المؤكّد في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله مع أنّ القسم الجنوبي منه مقدّم على الإمام وهو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[٢]؛ لأنّه لا يَفْقِدُهُ ذاتاً.

أقول: في نبويّ: «إنّما جعل الإمام إماماً ليُؤتمّ به...»[٣].

تمسّك به وبغيره من الأحاديث جمع على المنع من تقدّم المأموم على الإمام[٤]، ووجوب المتابعة في الأفعال.

قال المرحوم السيد اليزدي: «لا يجوز أن يتقدّم المأموم على الإمام في الأفعال

---

(١) الكنى والألقاب ١ / ٢٧٣، ترجمة ابن الخازن، الأمثال النبويّة ٢ / ١٧٩، الرقم ٤٨٨، فراجع مصادر البحث العديدة فيه عن الجمهور.

(٢) كلمة الإمام المهدي عليه السلام: ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٣) عوالي اللآلي ٢ / ٢٢٥.

(٤) مستمسك العروة الوثقى ٧ / ٢٦٤ ـ ٢٦٦، سابع المسائل من أحكام الجماعة.

بل يجب متابعته ـ بمعنى مقارنته ـ أو تأخّره عنه غير فاحش»[١].

هذا في وجوب المتابعة في الأفعال. وأمّا عدم جواز التقدّم في موقف المصلّي وهو المقصود بالكلام الجاري فقد قال طاب ثراه عند ذكر مايشترط في الجماعة من أُمور:

الرابع: «أن لا يتقدّم المأموم على الإمام في الموقف، فلو تقدّم في الابتداء أو الأثناء بطلت صلاته إن بقي على نيّة الائتمام...»[٢].

ولعلّ وجوب متابعة المأموم في صلاته مع الإمام، وعدم جواز تقدّمه عليه في الموقف مستوحى من لزوم اتّباع الإمام المعصوم عليه السلام، ومنع التقدّم عليه أو مساواته إطلاقاً، وليست الإمامة في صلاة الجماعة إلّا فرعاً عن الإمامة الّتي تخصّ الإمام المعصوم روحي فداه.

والتوقيع عامّ شامل لكلا المعنيين: المعصوم الذي هو الأصل، وإمام الجماعة المتفرّع عنه، ولولا الأصل فلا مجال للفرع.

وإنّ الاتّباع يورث محبّة الله عزّ وجلّ، وشاهد صدق على حبّ الرسول وآله صلّى الله عليه وآله؛ قوله تعالى: ﴿*قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*﴾[٣]

من هو الحميري؟:

تقدّمت ترجمته غير مرّة ١ ـ: بشكل موجز عند «إذا سها في حالة قضى مافاته...»[٤] ٢ ـ: بتفصيل عند «أعظم اللّه أجرك في نفسك»[٥] عن معجم رجال الأستاذ رحمه الله، نذكر هنا ما لم نذكره فيهما، وإنّ الرجل ممّن يُهتم به وبمسائله الّتي جائت الجوابات الصادرة عن الناحية المقدّسة عنها، ولولا ذلك لما أذن له بالمكاتبة، ولعلّ الإذن له بها نظير تشريف الشيخ المفيد بها وإن كان بينه وبين الشيخ

---

(١) مستمسك العروة من متن العروة ٧ / ٢٦٤. (٢) متن المستمسك ٧ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(٣) آل عمران: ٣١. (٤) رقمه ٤٠ (٥) رقمه ٥٨.

فرق تجده حيث قال عليه السلام: «إنّه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة»[1] لم يقل روحي فداه أذنت لك، بل قال: أذن لنا، لا من جانب المفيد، ولكن عموم الإذن يعمّ الجانبين معاً؛ للملازمة بينهما في الحقيقة إنّما الأذن لهما اللّٰه عزّوجلّ وهو من الوضوح بمكان، وقد حان ترجمة الحميري كما يلي:

قال بعض المترجمين: محمّد بن عبداللّٰه بن جعفر الحميري من الأفاضل الموثوقين الّذين كان يرجع إليه فقهاء الشيعة، لمعرفتهم بأنّه يُراسل الإمام المهدي عليه السلام، ويتلقّى الجواب.

قال العلّامة الحلّي في كتاب (خلاصة الرجال) ص ٧٥: محمّد بن عبداللّٰه بن جعفر بن الحسين بن جامع بن مالك الحميري أبو جعفر القمي، كان ثقة ووجهاً، كاتب صاحب الأمر عليه السلام، وسأله مسائل في أبواب الشريعة[2].

وهي نصّ النجاشي الذي نقل السيد الأستاذ عنه المتقدّم ذكره، وكيف كان، فللمترجم أربع رسائل، رابعها التي ذكرنا بعض الأجوبة عن مسائله الفقهيّة التي تعطينا اهتمامه بها، وأنّه موضع تقدير الإمام المنتظر عجّل اللّٰه فرجه.

أُولاها جاء فيها الجواب بلفظ (التوقيع).

والثانية بلفظ (الجواب).

والثالثة الّتي أرسلها إليه عليه السلام في سنة سبع وثلاثمائة، بلفظ (فأجاب).

والرسالة الرابعة إلى الناحية في سنة ثمان وثلاثمائة، أيضاً كون جواب الإمام عليه السلام عنها بلفظ (فأجاب)

وقد تناول الفقهاء الرسائل الأربع واهتمّوا بنقلها في كتبهم الفقهيّة وكذا أصحاب مجامع الحديث، كما ونقلها كلّ من اهتمّ بشأن ذكر التوقيعات كالمجلسي والطبرسي[3]، وغيرهما من أرباب الكتب، وتجدها مع توضيح بعض مسائلها في

---

(١) رقمه ٥٤.

(٢) كلمة الإمام المهدي عليه السلام: ١٦٦.

(٣) البحار ٥٣ / ١٥١ ـ ١٧١، الاحتجاج ٢ / ٣٠١ ـ ٣١٧.

بعض كتب المعاصرين[١].

كما ولغير الحميري المترجم طاب ثراه من الرجال المعروفين كالأسدي وأضرابه، لهم أسئلة كتبوها بواسطة السفراء الأربعة أو بغير واسطة، وجاءتهم الأجوبة الشافية عن الإمام المهديّ عليه السلام، وكم سائل في عصر الغيبتين الصغرى والكبرى عن مسائل قد حُظي بالجواب ولا نعلمه.

وإنّه عليه السلام أطول الأئمّة عليهم السلام عمراً، مدّ في حياته ليوم الظهور يوم يُسمع النداء من السماء: ألا يا أهل العالم ظهر المهدي ﴿*وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا*﴾[٢]، فينشر العدل والأمن في أرجاء المعمورة ومن اثاره ينشط المؤمن على العبادة ويُقبل عليها إقبال الغرثىٰ الجائع على الطعام، والظمئان على الماء، وعنده يلتذّ بها لذّة غير موصوفة للواصفين، إلّا الّذي مرّت عليه في حياته أو باشرها وتلذّذ بها بنفسه عياناً، «ليس الخير كالعاينة» كما في النبوي المضروب به المثل الّذي ذكره جمع من الأُدباء وأنّه صلى الله عليه وآله أوّل ما قاله[٣]؛ مفاتيح الحكم وكنوزها.

* * *

(١) منها كتاب: كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ١٦٦ ـ ١٩٩، لمؤلّفه السيد حسن الشيرازي.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) الأمثال النبويّة ٢/١٤١، الرقم ٤٥٤، الفاخر ٢٦٨، رقمه ٤٠٣، لمؤلّفه المتوفّىٰ ٢٩١ هـ، مجمع الأمثال ٢/١٨٢، الرقم ٣٢٧١، موسوعة أمثال العرب ٥/٢٣١.

٧٥
أمدّك الله بعونه على أعدائه المارقين

كلمة من الكتاب الأوّل الصادر عن الناحية المقدّسة للشيخ المفيد في أيّام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة يحمله موصله من ناحية متّصلة بالحجاز. وقد ذكرناه بكامله عند المختار: «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهليّة...»[١] فلا نعيده ومن شاء الإحاطة بمحتواه والمنزلة له عنده عليه السلام نظره بدقة كافية ينكشف له بعض الشيء للشيخ المفيد من المنزلة ولا يختصّ به دون غيره، بل كل من يعمل عمله أدرك ما أمّله، لو لم يكن للشيخ المفيد إلّا هذا الدعاء، لكان كثيراً. وقد حُظي طاب ثراه بشرف المكاتبة من حُجّة الله جلّ جلاله بكتابين، ولعلّ له كتاباً آخر، أو كتباً أُخرى لم نظفر بها.

والكلمة دعاء لمزيد التوفيق للقيام بأداء الرسالة الملقاة على عاتقه، والعمل بما احتواها من أحكام الله تعالى، وقد قام الشيخ المفيد بكلّ ما أمره عليه السلام خير قيام.

* * *

---

(١) رقمه ٥٤، راجعه: إنّه الحريّ به: إنّه المُنى المن تمنىٰ والبُلغة.

٧٦
امض بنجحك راشداً

قال الشيخ المجلسي طاب ثراه: وروي في بعض تأليفات أصحابنا عن الحسين ابن حمدان عن أبي محمّد عيسى بن مهدي الجوهري، قال: خرجت في سنة ثمان وستين ومائتين إلى الحجّ وكان قصدي المدينة حيث صحّ عندنا أنّ صاحب الزمان قد ظهر، فاعتللت وقد خرجنا من فيد[1] فتعلّقت نفسي بشهوة السمك والتمر، فلمّا وردت المدينة، ولقيت بها إخواننا، بشّروني بظهوره عليه السلام بصابر.

فصرت إلى صابر، فلمّا أشرفت على الوادي رأيت عُنيزات عجافاً فدخلت القصر، فوقفت أرقب الأمر إلى أن صلّيت العشاءين وأنا أدعو وأتضرّع وأسأل، فإذا أنا ببدر الخادم يصيح بي: يا عيسى بن مهدي الجوهري ادخل، فكبّرت وهلّلت وأكثرت من حمد الله عزّ وجلّ والثناء عليه فلمّا صرت في صحن القصر رأيت مائدة منصوبة فمرّ بي الخادم إليها فأجلسني عليها، وقال لي: مولاك يأمرك أن تأكل ماشتهيت في علتك وأنت خارج من فيد، فقلت: حسبي بهذا برهاناً، فكيف آكل ولم أرَ سيّدي ومولاي؟ فصاح: «يا عيسى كُل من طعامك؛ فإنّك تراني» فجلست على المائدة فنظرت فإذا عليها سمكٌ حار يفور وتمر إلى جانبه أشبه التمور بتمورنا وبجانب التمر لبن، فقلت في نفسي: عليل وسمك وتمر ولبن، فصاح بي: «يا عيسى أتشكّ في أمرنا؟ أفأنت أعلم بما ينفعك ويضرّك؟» فبكيت واستغفرت الله تعالى وأكلت من الجميع، وكلّما رفعت يدي منه لم يتبيّن موضعها فيه، فوجدته أطيب

---

(١) قلعة قرب مكّة في هامش مجمع البحرين ـ فيد ـ في معجم البلدان ٤ / ٢٤٨، وفيه بليدة في نصف طريق مكّة من الكوفة يودع الحاج فيها أزوادهم، وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم، ووهبوا لمن أودعوها... كرّرناه؛ إنّه المسك الذاتيّ.

ما ذقته في الدنيا، فأكلت منه كثيراً حتى استحييت، فصاح بي: «لا تستحي ياعيسى، فإنّه من طعام الجنّة لم تصنعه يد مخلوق»، فأكلت، فرأيت نفسي لا تنتهي عنه من أكله.

فقلت: يا مولاي حسبي، فصاح بي: أقبل إليَّ، فقلت في نفسي: آتي مولاي ولم أغسل يدي ؟ فصاح بي: «يا عيسى وهل لما أكلت غَمرٌ؟» فشممت يدي وإذا هي أعطر من المسك والكافور، فدنوت منه عليه السّلام، فبدا لي نور غشي بصري، ورهبته، حتّى ظننت أنّ عقلي قد اختلط.

فقال لي: «يا عيسى، ما كان لك أن تراني لولا المكذّبون القائلون: بأين هو؟ ومتى كان؟ وأين وُلد؟ ومن رآه؟ وما الّذى خرج إليكم منه؟ وبأيّ شيء نبّأكم؟ وأيّ معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أميرالمؤمنين مع ما رووه، وقدّموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائي عليهم السلام، ولم يصدّقوهم ونسبوهم إلى السحر، وخدمة الجنّ إلى ما تبيّن.

يا عيسى، فخبّر أولياءنا ما رأيت، وإيّاك أن تخبر عدوّنا فتسلبه».

فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات.

فقال: «لو لم يثبّتك الله ما رأيتني، وامض بنجحك راشداً» فخرجت أكثرُ حمداً لله وشكراً[1].

إيّاك أن تشكّ في شيءٍ يصدر منهم عليهم السلام؛ فإنّ الشكّ يسلب منك الدين، هم الدين ومناره، ومهبط الوحي وقراره، حقائقه وأسراره.

قوله عليه السلام: «لو لم يثبّتك الله ما رأيتني» دلّ على أنّ الثبات على الولاية يمنح صاحبه الرؤية، ويُتحفه الله من الكرامة، والكرامة عند الله عزّوجلّ توجب اللقاء، كما في قصّة أحمد بن إسحاق وسعد الأشعري.

قد روى الصدوق بإسناده إليه، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام، وأنا اُريد أن أسأله عن الخلف [من] بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إنّ الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرض، منذ خلق آدم عليه السلام، ولا يُخليها إلى

---

(١) البحار ٥٢ / ٦٨ ـ ٧٠، باب ذكر من رآه عليه السلام.

أن تقوم الساعة من حجّة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض».

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء الثلاث سنين، فقال: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا...»(١).

ثمّ المختار تماثله الكلمة المذكورة في القصة التالية، ونظائرها، فانْظرها.

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٣٨٤، البحار ٥٢ / ٢٤. ولا تكون الكرامة على الله إلّا بطاعته تعالى.

٧٧
أملأُ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً

قال الشيخ الصدوق: وسمعنا شيخاً من أصحاب الحديث يقال له: أحمد بن فارس الأديب، يقول: سمعت بهمدان حكاية حكيتها كما سمعتها لبعض إخواني، فسألني أن أُثبتها له بخطّي ولم أجد إلى مخالفته سبيلاً وقد كتبتها، وعُهدتها على من حكاها:

وذلك أنّ بهمدان ناساً يعرفون ببني راشد، وهم كلّهم يتشيّعون ومذهبهم مذهب أهل الإمامة. فسألت عن تشيّعهم من بين أهل همدان؟ فقال لي شيخ منهم رأيت فيه صلاحاً وسَمتاً: إنّ سبب ذلك أنّ جدّنا الذي ننتسب إليه خرج حاجّاً، فقال: إنّه لمّا صدر من الحجّ وساروا منازل في البادية، قال: فنشطت في النزول والمشي، فمشيت طويلاً حتّى أعييت ونعست، فقلت في نفسي: أنام نومةً تريحني، فإذا جاء أواخر القافلة قمت، قال: فما انتبهت إلّا بحرّ الشمس ولم أر أحداً فتوحّشت ولم أرَ طريقاً ولا أثراً.

فتوكّلت على اللّٰه عزّوجلّ، وقلت: أسيرُ حيث وجّهني، ومشيت غير طويل فوقعت في أرض خضراء نضراء كأنّها قريبة عهد من غيث، وإذا تربتها أطيب تربة، ونظرت في سواء تلك الأرض ـ أي وسطها ـ إلى قصر يلوح كأنّه سيف، فقلت: ليت شعري ما هذا القصر الذي لم أعهده، ولم أسمع به، فقصدته، فلمّا بلغت الباب رأيت خادمين أبيضين، فسلّمت عليهما فردّا ردّاً جميلاً، وقالا: اجلس فقد أراد اللّٰه بك خيراً، فقام أحدهما ودخل واحتبس غير بعيد، ثمّ خرج، فقال: قم فادخل، فدخلت قصراً لم أر بناءَ أحسن من بنائه، ولا أضوأ منه، فتقدّم الخادم إلى ستر

على بيت فرفعه، ثمّ قال لي: ادخل، فدخلت البيت، فإذا فتىً جالس في وسط البيت وقد عُلّق فوق رأسه سيف طويل تكاد ظُبّته تمسّ رأسه ـ أي طرفه، والفتى [كأنّه خ] بدر يلوح في ظلام، فسلّمت فردّ السلام بألطف كلام وأحسنه، ثمّ قال لي: «أتدري من أنا؟» فقلت: لا واللّه، فقال: «أنا القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله أنا الذي أخرج في آخر الزمان بهذا السيف ـ وأشار إليه ـ فأملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

فسقطت على وجهي، وتعفّرت، فقال: «لا تفعل ارفع رأسك أنت فلان من مدينة بالجبل يقال لها: همدان» فقلت: صدقت يا سيّدي ومولاي، قال: «فتحبّ أن تؤوب إلى أهلك؟» فقلت: نعم يا سيّدي، وأُبشرهم بما أتاح اللّه عزّوجلّ لي. فأومأ إلى الخادم، فأخذ بيدي وناولني صرّة وخرج ومشى معي خطوات، فنظرت إلى طلال وأشجار ومنارة مسجد، فقال: أتعرف هذا البلد؟ فقلت: إنّ بقرب بلدنا بلدة تعرف بأسد آباد وهي تشبهها، قال فقال: هذه أسد آباد، امض راشداً. فالتفتُّ فلم أره، وإذا في الصرّة أربعون أو خمسون ديناراً، فوردت همدان وجمعت أهلي وبشّرتهم بما يسّره اللّه عزّوجلّ لي، ولم نزل بخير ما بقي معنا من تلك الدنانير[1] هذه دنياه فكيف عُقباهُ.

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٥٣ ـ ٤٥٤، الباب ٤٣: من شاهد القائم عليه السلام، يشبهه ما في ص ٤٢٨، الباب ٤٢: «أملأ الأرض قسطاً وعدلا». ٥١ / ١٣، باب ولادته عليه السلام البحار ٥٢ / ٤٠ ـ ٤٢. وكلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

٧٨
املأ قلوبنا بالعلم والمعرفة

انتزعت عن ـ دعاء آخر مرويّ عن المهدي عليه السلام أيضاً ـ على حد تعبير الكفعمي رحمه الله كامله:

«اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبُعْد المعصية، وصدق النيّة، وعِرْفان الحرمة، وأكرمنا بالهُدى والاستقامة، وسدِّد ألسنتنا بالصَّواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهّر بطوننا من الحرام والشّبهة، واكفُف أيدينا عن الظلم والسرِقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة وتفضّل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المُتعلّمين بالجهد والرَّغبة وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرَّحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسَّكينة، وعلى الشّباب بالإنابة والتَّوبة وعلى النساء بالحياء والعفة، وعلى الأغنياء بالتّواضع والسّعة، وعلى الفقراء بالصَّبر والقناعة، وعلى الغُزاة بالنصر والغلبة وعلى الأسراء بالخَلاص والراحة، وعلى الأمراء بالعدل والشّفقة، وعلى الرَّعية بالإنصاف وحُسن السيرة، وبارك للحُجاج والزُّوار بالزّاد والنّفقة واقض ما أوجَبت عليهم من الحجّ والعُمرة بفضلك ورحمتك يا أرحم الرّاحمين»[١].

هل العلم والمعرفة شيءٌ واحدٌ؟ قال الطريحي: وجاء العلم بمعنى المعرفة كما

---

(١) البلد الأمين ٣٤٩ ـ ٣٥٠ المسمّى بسهم الليل، أريد به الدعاء المستجاب، وأيضاً دعاؤه عن العلوى ٣٣٢ ـ ٣٣٥، ٥٧٠ قنوته عليه السلام، قيل الدعاء نفسه في مصباحه أيضاً، لم يحضرني؛ لكي أرصده.

جاءت بمعناه؛ لاشتراكهما في كون كلّ منهما مسبوقاً بالجهل؛ لأنّ العلم حصل عن كسب، فذلك الكسب مسبوق بالجهل وفي التنزيل ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [٥/٨٣] أي علموا. وقال: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [٨ / ٦٠] أي لا تَعرفونهم الله يعرفهم. قال في المصباح: وأطلقت المعرفة على الله؛ لأنّها أحد العلمين. والفرق بينهما اصطلاح وهو تعالى منزّهٌ عن سابقة صفة قديمة ذاتيّة له... والله تعالى عالم بكل معلوم على ما هو عليه من كونه واجباً وممكناً وممتنعاً وكليّاً وجزئياً. لنسبة ذاته إلى جميع الممكنات بالسويّة. وما زعمه الفلاسفة من عدم علمه بالجزئيّات الزمانيّة باطل وشبههم ضعيفة لا تستحق أن تذكر[١]. اشتمال الدعاء المهدوي على ٢٨ فقرة. يستحب افتتاحها واختتامها بالصلاة على محمّد وآل محمّد للنصّ النبوي: «لا تجعلوني كقدح الراكب؛ فإنّ الراكب يملأ قَدَحَه فيشربه إذا شاء. اجعلوني في أوّل الدعاء وفي آخره وفي وسطه»[٢]. فالصلاة عليهم تستجاب وكذا الحاجة؛ للعلوي: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فَابْدأ بمسألة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ سل حاجتك؛ فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى»[٣]؛ فالصلاة عليه صلى الله عليه وآله مستجابة. بها يستجاب الدعاء.

* * *

---

(١) مجمع البحرين ٦ / ١٢١ ـ علم ـ. قيل المعرفة تُقال على الشيء المسبوق بالنسيان بعد العلم به. منه النبوي والعلوي: «مَن عَرف نفسه فقد عرف ربّه» المصباح ص ٤١، الباب ٦٢، عنه البحار ٢ / ٣٢، ح ٢٣، علم اليقين ١ / ٣٠٧، وص ٣٧ في معناه شرح أصول الكافي للمازندراني ٣ / ٢٣، ٤ / ١١٨، ٦ / ٧٥، والجواهر السنية للحر العاملي رحمه الله ص ١١٦، شرح المائة كلمة. لابن ميثم البحراني ٥٧، مطلوب كل طالب لرشيد وطواط ص ٥. المختار من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام وأمثاله وحكمه رقم الكلمة ٣٢، ١٨٢.

(٢) الكافي ٢ / ٤٩٢، الحديث ٥، باب الصلاة على النبي محمّد وأهل بيته عليهم السلام، الأمثال النبويّة ٢/٨٧، الرقم ٤٠٥، عنه موسوعة أمثال العرب ٥/٤٤.

(٣) مصادر النهج ٤/٢٦٦، الحكمة ٣٦١، شرح النهج ١٩/٢٧٩، الرقم ٣٦٧.

٧٩
أمّا أنت يا فلان فآجرك اللّه

قال الصدوق: حدّثنا أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبداللّه، عن علّان الكليني، عن الأعلم المصري [البصري خ] عن أبي رجاء المصري [البصري خ] قال:

خرجتُ في الطلب بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام بسنتين لم أقف فيهما على شيء، فلمّا كان في الثالثة كنت بالمدينة في طلب ولد لأبي محمّد عليه السلام بصرياء وقد سألني أبو غانم أن أتعشّىٰ عنده، وأنا قاعد مفكّر في نفسي، وأقول: لو كان شيء لظهر بعد ثلاث سنين، فإذا هاتف أسمعُ صوته ولا أرىٰ شخصه وهو يقول:

«يا نصر بن عبد ربّه قل لأهل مصر: آمنتم برسول اللّه صلى الله عليه وآله حيث رأيتموه؟!».

قال نصر: ولم أكن أعرف اسم أبي؛ وذلك أنّي ولدتُ بالمدائن فحملني النوفلي وقد مات أبي، فنشأتُ بها، فلمّا سمعت الصوت قمت مبادراً ولم أنصرف إلى أبي غانم وأخذتُ طريق مصر.

قال: وكتب رجلان من أهل مصر في ولدين لهما، فورد:

«أمّا أنت يا فلان فآجرك اللّه» ودعا للآخر، فمات ابن المُعَزّىٰ[1] وبقى الآخر.

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٩١ ـ ٤٩٢، البحار ٥١ / ٣٣٠. ولعلّ صرياء اسم نَهر بسرّ من رأى، أو اسم موضع في المدينة.

٨٠
أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا

خرج التوقيع جواباً عن مسائل إسحاق بن يعقوب السَّبع عشر الموجّهة على يد محمّد بن عثمان العمري إلى الناحية المقدّسة.

وقد تقدّم بعض الأجوبة عنها، وذكر السند الّذي فيه اسم السائل عند «أغلقوا باب السؤال»[١]، وترجمته في آخر شرح «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج»[٢]. وقد أجاب الإمام المهديّ عليه السلام عن جميع تلك المسائل بجواباتها المصدّرة بكلمة (أمّا)، ومنها ما يلي:

«وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة اللّٰه عليهم»[٣].

توضيح:

قيل: لأجل الأمر بإرجاع الناس في زمن الغيبة الكبرى في الحوادث المتجدّدة إلى رواة الحديث المقصود بهم الفقهاء، دلّ التوقيع على ثبوت ولاية الفقيه.

وتوضيح الجواب عن بعض بأنّه ليس بشيءٍ؛ لأنّ المراد من الحوادث الواقعة ما يحتاج فيه ممّا يتّفق للناس من المسائل التي لا يعلمون حكمها، فلابدَّ لهم أن يرجعوا فيها إلى من يستنبطها من الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام، الكتاب العزيز الأصل الأوّل.

---

(١) رقمه ٦٢. (٢) رقمه ٦٨.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٨٤، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، الاحتجاج ٢ / ٢٨٣، البحار ٥٣ / ١٨١.

والمراد برواة الأحاديث الفقهاء الّذين يفقهون الحديث، ويعلمون خاصّه وعامّه، ومحكمه ومتشابهه، ويعرفون صحيحه من سقيمه، ومتّفقه من مختلفه، الّذين لهم طاقة التفكيك بين الصريح منه والدخيل، وتمييز الأصيل من المزيّف الموضوع، لا الّذين يقرؤون الكتب ويحفظون ظاهراً من ألفاظه، ولا يفهمون معناه وليس لهم قوّة الاستنباط وإن زعموا أنّهم حملة الحديث.

والّذي يقول بولاية الفقيه، يُذعن بضرورة قوّة الاستنباط، وأنّه لابدّ من ثبوتها في صاحبها وهذا لا خلاف فيه.

وإنّما الكلام هل التوقيع ونظائره دليل على تلك الناحية أيضاً. أو دليل على جهة خاصّة كما ذهب إليه جمع؟ والمسألة ذات شقوق لكلّ شقّ كلام يخصّه، وفيه بحوث ثبوتيّة وإثباتيّة خارجة عن موضوع هذا الكتاب، فراجع، وقد يُقال أنّ المراد بها الآيات الكونيّة، لا المسائل المستجدّة الّتي يرجعون بها إلى الفقهاء، أو احتمال المراد بالحوادث، علائم الظهور، وعليه تكون الرواية أجنبيّة والقائل الشيخ محمّد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني في حاشيته على مكاسب الشيخ الأنصاري[1].

* * *

---

(١) هامش إكمال الدين ٢ / ٤٨٤، مع تصرّف ما. رحمهما الله ج ١، ص ٢١٤ فلاحظ.

٨١
أمّا سبيل عمّي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف عليه السلام

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن محمّد بن عصام الكليني رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ فورد [ت في خ] التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

«أمّا ما سألت عنه ـ أرشدك الله وثبّتك ـ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس منّي، وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام.

أمّا سبيل عمّي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف عليه السلام...»(١).

تقدّم بعض التوقيع عند «أمّا الحوادث الواقعة...»(٢).

وإنّما كرّرنا السند مع سبق ذكره عند «أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»(٣)؛ للاهتمام بشأن التوقيع وقد أجبنا عمّا أورد على إسحاق بن يعقوب الراوي له هناك فراجع.

ما وجه السؤال عن جعفر وولده المستنبط من جواب الإمام المهديّ عليه السلام؟ وهو كبقيّة مسائل إسحاق بن يعقوب الّتي سأل عنها، لم يكن مذكوراً في الكتاب الموجّه إلى الناحية على يد العمري رضي الله عنه، بل علمناه من الجواب، وهو أحد السبعة عشر سؤالاً.

ومَن هو جعفر؟ فهاهنا جهتان من الكلام، وحيث إنّ الثانية تكشف عن الأُولى نقدّمها فنقول:

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٨٣ ـ ٤٨٤، باب ٤٥ ذكر التوقيعات، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٦.

(٢) رقمه ٨٠. (٣) رقمه ٦٢.

الجهة الثانية في ترجمة جعفر:

وبما أنّ (أهل البيت أدرى بما في البيت)[١]، نذكر المتبقّىٰ من جواب الإمام عليه السلام المذكور عند كلمة «آتاهم من الدلائل الظاهرة...»[٢]، مع سند التوقيع عن كتاب أحمد بن إسحاق الأشعري القمّي وعن كتاب في درجه، وصورته أنّه جاءه بعض أصحابنا يُعلمه أنّ جعفر بن عليّ كتب إليه كتاباً يعرّفه فيه نفسه، ويُعلمه أنّه القيّم بعد أخيه، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه وغير ذلك من العلوم كلّها.

قال أحمد بن إسحاق: فلمّا قرأتُ كتاب جعفر كتبتُ إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيّرتُ كتاب جعفر في درجه، فخرج الجواب إليَّ: «بسم اللّه الرحمن الرحيم أتاني كتابك ـ أبقاك اللّه ـ والكتاب الذي أنفذته درجه...»[٣].

وشرع عليه السلام في بيان أُمور أهمّها بيان خلالات جعفر التي ذكرنا بعضها عند «أبى اللّه عزّوجلّ للحقّ إلّا إتماماً»[٤]، و«إذا أذن اللّه لنا في القول، ظهر الحقّ»[٥].

ونبذة منها عند «آثار عصيانه لله عزّوجلّ مشهورة قائمة»[٦]. وقد أفادت المعلومات من هذه الكلمات أنّ الرجل منحرف غاية الانحراف، ولمزيد الوضوح نذكر من موضع القطع على رواية الشيخ الطوسي:

«فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً، واتّخذه خليلاً، ومنهم من كلّمه تكليماً، وجعل عصاه ثعباناً مبيناً، ومنهم من أحيى الموتى بإذن اللّه، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن اللّه، ومنهم من علّمه منطق الطير، وأُوتي من كلّ شيءٍ، ثمّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، وتمّم به نعمته، وختم به أنبياءه، وأرسله إلى الناس كافّة، وأظهر من صدقه ما أظهر، وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن، ثمّ قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحداً واحداً، أحيى بهم دينه، وأتمّ بهم

---

(١) أمثال وحكم ١ / ٣١٧. (٢) رقمه ٣. (٣) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٤.

(٤) رقمه ١١. (٥) رقمه ٣٢. (٦) رقمه ٥.

نوره، وجعل بينهم وبين إخوانهم وبني عمّهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاناً بيّناً يعرف به الحجّة من المحجوج، والإمام من المأموم، بأن عصمهم من الذنوب، وبرأهم من العيوب، وطهّرهم من الدنس، ونزّههم من اللبس، وجعلهم خزّان علمه ومستودع حكمته، وموضع سرّه، وأيّدهم بالدلائل. ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولا دّعى أمر الله عزّوجلّ كلّ أحد، ولمَا عرف الحقّ من الباطل، ولا العالم من الجاهل.

وقد ادّعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب ما ادّعاه. فلا أدري بأيّة حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه؟!

أبفقه في دين الله؟! فوالله مايعرف حلالاً من حرام، ولا يفرّق بين خطأ وصواب.

أم بعلمٍ؟ فما يعلم حقّاً من باطل، ولا محكماً من متشابه، ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها.

أم بورع؟! فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوماً، يزعم ذلك لطلب الشعوذة[1]، ولعلّ خبره قد تأدّى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عزّوجلّ مشهورة قائمة.

أم بآية؟ ! فليأت بها.

أم بحجةٍ؟! فليقمها.

أم بدلالةٍ؟! فليذكرها، قال الله عزّوجلّ في كتابه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم *حَم* * *تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا*

---

(١) الشعوذة: خفّة في اليد، وأخذٌ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، كما في القاموس ـ شعوذ ـ.

﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[1].

فالتمس ـ تولى اللّٰه توفيقك ـ من هذا الظالم ما ذكرت لك، وامتحنه، وسله عن آية من كتاب اللّٰه يفسّرها؟ أو صلاة فريضة يبيّن حدودها؟ وما يجب فيها؟ لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره[2] ونقصانه، واللّٰه حسيبه، حفظ اللّٰه الحقّ على أهله، وأقرّه في مستقرّه، وقد أبى اللّٰه عزّوجلّ أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، وإذا أذن اللّٰه لنا في القول ظهر الحقّ، واضمحلّ الباطل، وانحسر عنكم، وإلى اللّٰه أرغب في الكفاية، وجميل الصنع والولاية، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل وصلّى اللّٰه على محمّد وآل محمّد»[3].

لو لم يكن لجعفر إلّا هذا الذي قاله الإمام المهديّ عليه السلام فيه لكفى قدحاً وذمّاً صريحاً في ركوبه العظائم، وهل شيء أعظم من ترك صلاة الفرض أربعين يوماً وإدمان الخمر؟ أو هل ادّعاءٌ أكبر من ادّعاء الإمامة والقيمومة مقام المعصوم؟! أو هل أمر أشدّ من إضلال الناس، واستلاب أموالهم غصباً وزوراً؟!!

ولعمري لئن صدر التوقيع عن الناحية، وقد صدر كما نقله شيخ الطائفة الطوسي وغيره، لم يُبق مجالاً للكلام فيه بعد الصدور وأنّه كما اشتهر بجعفر الكذّاب تارك الصلاة شارب الخمور.

وهنا سؤال، وجواب:

هل لنا توصيف جعفر بكلّ ما جاء في التوقيع، ومنه المفتري على اللّٰه الكذب، كما صرّح به الإمام المهديّ عليه السلام فيه ؟ ولعلّه العلّة في معروفيّته بجعفر الكذّاب، ولا يخفى أنّ الشيخ الصدوق وصفه بذلك في كلام له تقدّم عند كلمة «أعظم اللّٰه أجرك في نفسك»[4]، قال: «قال مصنّف هذا الكتاب رضي الله عنه إلى أن قال: ـ ودفع جعفراً الكذّاب عن مطالبتهم... وقد كان جعفر الكذّاب حمل إلى الخليفة عشرين ألف

(١) الأحقاف: ١ ـ ٦. (٢) العَوار ـ بالفتح وقد يضمّ ـ : العيب.
(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٤ ـ ١٧٦، البحار ٥٣ / ١٩٣ ـ ١٩٥، باب ٣١ من توقيعاته عليه السلام.
(٤) رقمه ٥٨.

ديناراً...»[١] وعليه أنّ الجواب عن السؤال مثبت.

وربّما يقال بلزوم التوصيف له بالكذّاب، للفرق بينه وبين جعفر الصادق عليه السلام، ولكن يلزم عليه أن يوصف بجعفر الكاذب في قبال جعفر الصادق عليه السلام لا الكذّاب.

هذا مجمل الكلام في الجهة الثانية في جعفر، ومنه اتّضح وجه السؤال عنه وعن ولده الّذي هو الجهة الأُولى من الكلام للتوقيع الآخر الآنف الذكر لجواب كتاب أحمد بن إسحاق الأشعري الذي اكتفينا به لترجمة جعفر بن عليّ؛ ولأنّ جعفر ابن الإمام عليّ الهادي عليه السلام وأخ الإمام الحسن العسكريّ وعمّ الإمام المهديّ عليهما السلام، فيعظم الخطب في الوقيعة فيه لهذه الأسباب.

ومن ثمّ كانت من مسائل إسحاق بن يعقوب السبع عشر، الّتي أشكلت عليه وأرسلها إلى الناحية على يد العمري النائب الثاني رحمه الله وورد الجواب:

«أما سبيل عمّي جعفر وولده...».

وجوه التشبيه أُمور:

الأوّل: إنّ إخوة يوسف، أولاد يعقوب الذي هو من الأنبياء وجعفر من أولاد الأئمّة المعصومين، فكما يجب الكفّ عن الكلام في الأنبياء وأولادهم، كذلك الأئمّة وأولادهم فحسابهم على آبائهم فيما لهم وعليهم. وهذا الوجه لعلّه أظهر الوجوه.

الثاني: إنّ إخوة يوسف قد تابوا من فعلتهم الّتي فعلوها، ويشهد لتوبتهم القرآن الكريم فيما اقتصّ من قول أبيهم يعقوب بعد اعترافهم بالخطئية: ﴿***قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ***﴾[٢].

كذلك جعفر بن عليّ، ولو لم يكن إلّا التوقيع المذكور وانحصر وجه الشبه في الندم والتوبة، لكان دليلاً لمن يصفه بالتوّاب دون الكذّاب، وكثيراً ما سمع من الفقهاء والمحدّثين يقولون عند ذكره: جعفر التوّاب، ولعلّ سببه التشبيه المذكور في التوقيع، وقد يقال: إنّه تاب عند الصلاة على أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام فجذبه الإمام

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٧٩، الباب الرابع علّة الغيبة.

(٢) يوسف: ٩٧ ـ ٩٨.

المهديّ روحي فداه وصلّى على أبيه، بأبي هما وأُمّي.

لكن الوجه غير منحصر في ذلك، ولا دلالة لإرادة الصلاة أنّه من أهلها، بل قد قال الشيخ الطوسي طاب ثراه ما نصّه: (وله من الأفعال والأقوال الشنيعة أكثر من أن تُحصىٰ نَنزّه كتابناَ عن ذلك)[١].

وأمّا ندم أولاد يعقوب عليه السلام وتوبتهم فقد علمنا ثبوت ذلك بالكتاب العزيز وبعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

أمّا الأوّل فقد دلت الآيتان المتقدّمتان على اعترافهم بالذنب، ووعد يعقوب النبيّ الاستغفار وضمان العفو بالشفاعة لهم.

وأمّا الأحاديث فمنها النبويّ: «خير وقت دعوتم اللّٰه فيه الأسحار، وتلا هذه الآية في قول يعقوب ﴿*سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىَ*﴾، قال: أخَّرهم إلى السحر من ليلة الجمعة»[٢].

والصادقي: «أخَّرهم إلى السحر، وقال: يا ربّ إنّما ذنبهم فيمابيني وبينهم، فأوحى اللّٰه، قد غفرتُ لهم»[٣].

والآخر: «... ويوسف لمّا قالوا له: ﴿*تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ*﴾[٤]. قال: لأنّ قلب الشابّ أرقّ من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف وجنايتهم على يعقوب إنّما كان [نت] بجنايتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقّه، وأخّر يعقوب العفو؛ لأنّ عفوه إنّما كان عن حقّ غيره، فأخرهم إلى السحر ليلة الجمعة»[٥].

والباقريّ: «أنّه سئل: ما كان أولاد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكن يفارقوا الدنيا إلّا سعداء، تابوا وتذكّروا ما صنعوا...»[٦].

---

(١) الغيبة: ١٣٧.
(٢) تفسير البرهان ٢ / ٢٧٠، الحديث الصادقي النبويّ ٨.
(٣) تفسير الصافي ١ / ٨٥٥.
(٤) يوسف: ٩١ ـ ٩٢.
(٥) تفسير الصافي ١ / ٨٥٥.
(٦) المصدر نفسه.

الثالث: إنّ بني يعقوب مذنبون، ولكن لأجل مقام يعقوب عند اللّه ومنزلته وقربه؛ لكونه نبيّاً والنبيّ مقرّب مكرّم قد عُفي عنهم، كذلك جعفر سبيله سبيلهم؛ لأنّه ابن المعصوم وأخوه وعمّه، والمعصوم مقرّب ذو جاه عند اللّه عزّوجلّ، بل لا جاه لأحد بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله أرفع من أهل بيته عليهم السلام، وكما قال القائل:

لأجل عين ألف عين تكرم[1]

الرابع: إنّ التشبيه ناظر لإثبات الخطيئة لجعفر، كما كانت لأولاد يعقوب، فلا يمنع صدورها منه؛ لكونه ولداً للإمام أو أخاً أو عمّاً له، فإنّ أولاد يعقوب ركبوا الذنب العظيم، مع أنّ أباهم من الأنبياء، فالتمثيل يراد به دفع الاستبعاد من صدور الذنب وركوب المعاصي.

بقي سؤال:

وهو أنّه كيف تكوّن جعفر المعلوم الحال من الإمام الهادي عليه السلام وقد قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2]، والطيّب لا يخرج منه إلّا الطيّب.

والجواب: إنّه قد جرت سُنّة اللّه في البشر المخلوق أن لا تنفكّ عنه الفاقة ووصمة النقائص؛ لئلّا تُتوهّم ربوبيّته، فابتلاه بالذنوب، وكساه العيوب، فالمنزّه منها اللّه وحده؛ ومن هنا جاء في الحديث العلوي: «توقّ ما يعيب»[3]، ولا يكون أحد من الخلق سالماً عن العيب، ولو عن وصمة الإمكان والافتقار. فالجميل الذي لا يأتي منه إلّا الجميل بقول مطلق هو اللّه تعالى.

فما كان من تكوّن الولد غير الصالح من الأنبياء كقابيل ابن آدم، وابن نوح ومن الأئمّة كجعفر ابن الإمام الهادي إنّما ذلك للدلالة على ثبوت الفاقة والافتقار، وعدم

---

(١) السهم الثاقب في الردّ على الناصب، للحجّة السيد محمّد باقر، المتوفّى ١٣٣٢ هـ، ص ٢٧ من ديوانه.

(٢) الأعراف: ٥٨.

(٣) الحكمة الخالدة: ١٦٣، الأمثال والحكم العلويّة، حرف التاء مع الواو، مخطوط. وقلنا: هذه الحكمة لو وزنت بأوزان ثقيلة، لرجحت عليها.

انفكاك الآثار الإمكانيّة عن البشر مهما كان نوعه؛ لكيلا تتطرّق الأوهام فيه إلى الربوبيّة؛ ومن ثمّ ابتلوا بالفناء والموت والقتل والمصائب وألف جهة أخرى؛ كلّ ذلك لدفع الكمال المطلق الربوبيّ عن الخلق هذا هو الجواب عن كلّ ما يعرض الأنبياء والأوصياء من المحن والحوادث، ومع ذلك كلّه ادّعوا ربوبيّة أميرالمؤمنين، وبعض أولاده المعصومين عليهم السلام، ومن قبل في الأنبياء كعيسى عليه السلام ومن أجله قال تعالى: ﴿*إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ*﴾[1]. فلو كان عيسى ربّاً من دون اللّه، لما كان مثل آدم المخلوق من تراب المحكوم عليه بالموت والفناء. ويمكن أن يجاب ثانياً بأنّ جعفراً وإن كان ابن الإمام المعصوم، لكنّه لا ضمان له من قبل الأمّهات، أو إن شئت قل: «إنّ العرق دسّاس»[2]. وإنّما المعصوم فقط يجب أن يكون تكوّنه في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، كما جاء ذلك في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجّسك الجاهليّة بأنجاسها، ولم تُلبسك من مدلهمّات ثيابها»[3]، وزيارة أميرالمؤمنين عليه السلام: «أشهد أنّك طُهرٌ طاهرٌ مطهّرٌ من طُهرٍ طاهرٍ مطهّرٍ...»[4]. والأربعة عشر المعصومون النبي وعليّ وفاطمة الزهراء والأحد عشر من أبنائهم الأئمّة الهادين عليهم السلام كلّهم طاهرون مطهّرون، الّذين نزلت فيهم آية التطهير[5].

* * *

---

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) الأمثال النبويّة ١ / ٢١٥، الرقم ١٣٨.

(٣) البحار ١٠١ / ٢٠٠.

(٤) البحار ١٠٠ / ٣٠٦، كتاب المزار.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

٨٢
أمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر

تقدّم التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة جواباً عن مسائل إسحاق بن يعقوب عند «أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم» و «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج» من التوفيق أن تكون همّة الرجل فيما يُسْعده وينجيه عمّا يلحق الأشقياء قوله عليه السلام: «وأمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا ما طاب وطهر، وعن المغنّية حرام»(١).

لماذا لم يقع من الصلات موقع القبول إلّا الطيّب والطاهر منها؟

والوجه فيه أنّه كباقي المعصومين عليهم السلام طاهرون مطهّرون لا يجانسهم الخبيث والقذر والرجس، وفيهم نزلت آية التطهير(٢)، وقد جاء التصريح في زيارة الحسين عليه السلام بذلك، ففي حديث أبي سعيد المدايني، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك آتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: نعم يا أبا سعيد، ائت قبر الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أطيب الأطيبين، وأطهر الطاهرين، وأبرّ الأبرار، فإنّك إذا زرته كتب الله لك به خمسة وعشرين حجّة»(٣).

وقد دلّ على الطهر أيضاً زيارة أمير المؤمنين عليه السلام السادسة وفيها: «أشهد أنّك طهرٌ طاهرٌ مطهَّر من طهرٍ طاهرٍ مطهّرٍ...»(٤)، وأهل البيت كلّهم كذلك، وحديث

---

(١) رقمه ٦٢، ٦٨، إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، غيبة الشيخ: ١٧٦، الاحتجاج ٢ / ٢٨٣، البحار ٥٣ / ١٨٠.

(٢) الأحزاب: ٣٣. قال العلّامة الأميني طاب ثراه: (وقد تسالمت الأمّة الإسلاميّة على نزول آية التطهير في صاحب الرسالة الخاتمة ووصيّه الطاهر وابنيهما الإمامين وأُمهما الصديقية الكبرى، وأخرج الحفّاظ وأئمّة الحديث فيها أحاديث صحيحة متواترة في الصحاح والمسانيد...» الغدير ٥ / ٤١٦ ـ ٤١٧.

(٣) كامل الزيارات: ١٦١ الباب ٦٦، البحار ١٠١ / ٤١ و١٦٦.

(٤) المختار السابق ٨١.

أحمد بن إسحاق الأشعري القمي وقد دخل على أبي محمّد والمهديّ ابنه غلام عليهما السلام وأمره بأخذ هدايا شيعته فامتنع لكونها نجسة رجسة، وإليك من الحديث بعضه، وإن تكرّر منّا ذكره:

«أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيّ كسائه، فوضعه بين يديه فنظر مولاي [الهادي] عليه السلام إلى الغلام، وقال له: يا بنيّ فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك، فقال: يا مولاي أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة، قد شيب أحلّها بأحرمها؟...»[1].

لا يجدر بالمؤمن فضلاً عن المعصوم عليه السلام قبولها، إلّا ما طاب وطهر منها؛ لمكان المجانسة بينهما في ذلك كلّه. الطيّبات للطيّبين وبالعكس العكس.

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٥٧ ـ ٤٥٨، البحار ٥٢ / ٨١ وانظر رقم المختار الآتي ١٢٧. من ألقاب العسكري الهادي على احتمال، وإلّا فتصحيف؛ لأنّه لا يمكن أن يراد به الإمام العاشر عليه السلام المتوفّى مسموماً عام ٢٥٤، وقد وُلد المهديّ عليه السلام ٢٥٥ هجري، أو ٢٥٦ على قول.

٨٣
أمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحابُ

هذا آخر الجوابات عن مسائل إسحاق بن يعقوب مرّت أكثر من مرّة وإنّما كرّرت؛ لتعدّد استخراج الكلمات عن التوقيع الواجب بيان مصدره كما تقدّم[1].

«وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحابُ»[2] جواب على النقاش في انتفاع الناس في عصر الغيبة مع عدم الوصول إليه عليه السلام.

أقول: قد جاء التمثيل في الانتفاع به عجّل الله فرجه في الغيبة الكبرى بالشمس إذا جلّلها السحاب في حديث جابر الجعفي عن جابر الأنصاري أنّه سأل النبي صلى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله:

«إي والّذي بعثني بالنبوّة، إنّهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب»[3].

قال الشيخ المجلسي طاب ثراه بعد الحديث النبويّ: التشبيه بالشمس المجلّلة بالسحاب يومئ إلى أمور:

الأوّل: إنّ نور الوجود والعلم والهداية، يصل إلى الخلق بتوسّطه عليه السلام؛ إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنّهم العلل الغائيّة لإيجاد الخلق، ولولاهم لم يصل نور الوجود

(١) مراراً انظر الرقم ٦٢، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٢ وما نحن فيه.

(٢) إكمال الدين ٢/٤٨٥، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، الاحتجاج ٢/٢٨٤، البحار ٥٣/١٨١.

(٣) إعلام الورى: ٣٧٦، الأمثال النبويّة ٢ / ٢٧، الرقم ٣٥٦، أمالي الصدوق: ١٦٥.

إلى غيرهم، وببركتهم، والاستشفاع بهم، والتوسّل إليهم، تظهر العلوم والمعارف على الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحقّ الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1]. ولقد جرّبنا مراراً لا نُحصيها أنّ عند انغلاق الأمور، وإعضال المسائل، والبُعد عن جناب الحقّ تعالى، وانسداد أبواب الفيض، لمّا استشفعنا بهم وتوسّلنا بأنوارهم فبقدر مايحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت، تنكشف تلك الأمور الصعبة، وهذا معايَن لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان.

الثاني: كما أنّ الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ينتظرون في كلّ آن انكشاف السحاب عنها وظهورها لكون انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيّام غيبته عليه السلام ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كلّ وقت وزمان، ولا ييأسون منه.

الثالث: إنّ منكر وجوده عليه السلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيّبها السحاب عن الأبصار.

الرابع: إنّ الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته عليه السلام أصلح لهم في تلك الأزمان، فلذا غاب عنهم.

الخامس: إنّ الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربّما عمي بالنظر إليها لضعف الباصرة عن الإحاطة بها، فكذلك شمس ذاته المقدّسة ربّما يكون ظهوره أضرّ لبصائرهم، ويكون سبباً لعماهم عن الحقّ وتحتمل بصائرهم الإيمان به في غيبته، كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرّر بذلك.

السادس: إنّ الشمس قد تخرج من السحاب وينظر إليها واحد دون واحد، فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيّام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

السابع: إنّهم عليهم السلام كالشمس في عموم النفع، وإنّما لا ينتفع بهم من كان أعمى

---

(١) الأنفال: ٣٣.

كما فسّر به في الأخبار قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [١].

الثامن: إنّ الشمس كما أنّ شعاعها تدخل البيوت بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك الخلق، إنّما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسّهم ومشاعرهم الّتي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانيّة، والعلائق الجسمانيّة، وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانيّة، إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب...[٢].

الصادقي: «... كما ينتفعون بالشمس إذا ستَرها السّحاب»[٣] تُبرز بزواله.

* * *

---

(١) الأسراء: ٧٢.

(٢) البحار ٥٢ / ٩٣ ـ ٩٤، الرقم ٨ الوجوه الثمانية مثبتة فيه إن شئت نظرت.

(٣) أمالي الصدوق: ١٦٥، المجلس ٣٤ و ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ٢٧٧ / ١٥ طبعة قم.

٨٤

إن أردت أن تعامل أحداً فعليك بأبي الحسين الأسدي

روى الشيخ عن محمّد بن يعقوب الكليني، عن أحمد بن يوسف الساسي، قال: قال لي محمّد بن الحسن الكاتب المروزي: «وجّهت إلى حاجز الوشّاء مائتي دينار وكتبت إلى الغريم[١] بذلك.

فخرج الوصول، وذكر أنّه كان قبلي ألف دينار، وأنّي وجّهت إليه، مائتي دينار، وقال: إن أردت أن تعامل أحداً فعليك بأبي الحسين الأسدي بالريّ، فورد الخبر بوفاة حاجز رضي الله عنه بعد يومين أو ثلاثة، فأعلمته بموته فاغتمّ، فقلت: لا تغتمّ؛ فإنّ لك في التوقيع إليك دلالتين إحداهما إعلامه إيّاك أنّ المال ألف دينار. والثانية أمره إيّاك بمعاملة أبي الحسن الأسدي؛ لعلمه بموت حاجز»[٢] والدلالة له هي الكشف عن أمر لابدّ من تحقّقه في كلّ مؤمن، وبالفقد منه كافر الاعتقاد بالمبدأ والمعاد وما يلزمهما المذكور في الكتب المُدوّنة بهذا الشأن، قدّمنا ترجمة الأسدي وحاجز وبعض الكلام عند «الأسدي نعم العديل»[٣]، وأنّهما من الوكلاء الممدوحين، وإنّما كرّرنا التوقيع لربط المختار، فلاحظ؛ حرصاً على توضيح المراد لمريد الرشاد.

* * *

---

(١) يكنّى بالغريم عن المهديّ عليه السلام.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٥٧، البحار ٥١ / ٣٦٣، باب أحوال السفراء.

(٣) رقمه ٥٠.

٨٥
إن استرشدْتَ أُرشِدْتَ

روى الصدوق بإسناده إلى محمّد بن شاذان بن نعيم الشاذاني حديثه، قال: قال أبو العبّاس الكوفي:

حمل رجل مالاً ليوصله، وأحبّ أن يقف على الدلالة، فوقّع عليه السلام: «إن استرشدتَ أُرشِدتَ، وإن طلبتَ وجدتَ، يقول لك مولاك: احمل ما معك» قال الرجل: فأخرجت ممّا معي ستّة دنانير بلا وزن، وحملت الباقي، فخرج التوقيع: «يا فلان ردّ الستّة دنانير الّتي أخرجتها بلا وزن، ووزنها ستّة دنانير وخمسة دوانيق وحبّة ونصف»، قال الرجل: فوزنت الدنانير، فإذا هي كما قال عليه السلام [1].

كفى الرجل وقوفاً ودلالةً إخباره عليه السلام بوزن الدنانير وقد أصاب الرجل به رشده، والظفر بما أراد من الدلالة والوقوف على الخلف القائم عليه السلام. قوله: «يقول لك مولاك: احمل ما معك» فيه احتمالان: أنّ القائل إمّا الإمام أو أحد سفرائه. وعليه أراد بالمولىٰ نفسه قد يُوجبه المقام، التصريح أو الإبهام كما صَنَعَته عليه السلام.

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٥٠٩، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات، البحار ٥١ / ٣٣٩ ـ ٣٤٠، رقمه ٦٥.

٨٦
إن أشعتُ إليك منه جزءاً أغناك عن الجملة

هذا بعض كلام الإمام المهديّ عجّل الله فرجه لإبراهيم بن مهزيار في جبال الطائف، تقدّم شطر منه عند المختار: «إذا بدت لك أمارات الظهور...»[١].

يحدّث عليه السلام أبا إسحاق إبراهيم بن مهزيار الأهوازي بما عهد إليه أبوه الحسن العسكري عليه السلام والحديث طويل نذكر منه ما يلي:

«إنّ أبي عليه السلام عهد إليَّ أن لا أوطّن من الأرض إلّا أخفاها وأقصاها؛ إسراراً لأمري، وتحصيناً لمحلّي؛ لمكائد أهل الضلال والمردة من أحداث الأمم الضوالّ، فنبذني إلى عالية الرمال، وجُبتُ صرائم الأرض[٢] ينظرني الغالية الّتي عندها يحلّ الأمر، وينجلي الهلع»[٣]، وكان عليه السلام «أنبَطَ لي من خزائن الحِكَم، وكوامن العلوم ما إن أشعتُ إليك منه جزءاً، أغناك عن الجملة...»[٤].

وفي بعض النسخ «أشعب» أي أفرق من الشعب: الفرق، بدل «أشعتُ» من الإشاعة: التجزئة، وعلى أيّ كان، لا ينفكّ أحدهما عن الآخر هنا.

والمعنى: لو أُفرّق، أو أجزّئ جزءاً من تلك الحِكَم والعلوم التي أظهرها أبي لي لك يا أبا إسحاق، لأغناك عن الكلّ والجملة، أي جملة تلك الحكم والعلوم، أو أنّ المراد من «الجملة» إمّا جميع ما عندك من المعارف أو جملة علوم الخلق

---

(١) رقمه ٣٧.

(٢) أي قطعت الأرض المصرومة الزرع. كناية عمّا خلت عن الآثار البشريّة.

(٣) أي الجزع. يأتي الكلام عليه آخر المختارات حرف الياء.

(٤) إكمال الدين ٢ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٥٢ / ٣٥. ويأتي بعض آخر منه عند «أنبط لي من خزائن الحكم» رقمه ٩٣.

ومعارفهم، أي لو أعطيتك شيئاً قليلاً ممّا وهبه اللّه لي من الحِكَم والمعارف وجزءاً من أجزائها، لأغناك عن جميع ما عندك وعند خلائق الأوّلين والآخرين.

والوجه في ذلك أنّ أقلّ قليل علوم أهل البيت عليهم السلام يفوق الكثير بل الكلّ من علوم غيرهم، بل لا علم حقيقة إلّا ما خرج عنهم أرواحنا لهم الفداء، كما جاء النصّ بذلك عن الباقر عليه السلام، قال لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرِّقا وغرِّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت»[١] «وأنّهم يتوارثون العلم كابر عن كابر...»[٢]، والباقري: «يمصّون الثماد ويَدَعُون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول اللّه...»، في موضع النقاط فضيلة علويّة[٣].

* * *

(١) أصول الكافي ١ / ٣٩٩، والوسائل ١٨ / ٤٧.

(٢) بصائر الدرجات، الجزء السادس، ص ٣٢٠، بالمعنى.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٢، انظر الأُصول تجد الفضيلة العلويّة.

٨٧
أنا بقيّة اللّٰه في أرضه

قال الصدوق: حدّثنا عليّ بن عبدالله الورّاق، قال: حدّثنا سعد بن عبداللّٰه، عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف [من خ] بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد ابن إسحاق، إنّ اللّٰه تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزّل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض».

قال: قلت له: يا ابن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين.

فقال: «يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على اللّٰه عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سَمِيُّ رسول اللّٰه صلّى الله عليه وآله وكنيّه، الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

يا أحمد بن إسحاق، مَثَلُه في هذه الأمّة مَثَل الخضر عليه السلام، ومَثَلُه مَثَل ذي القرنين، واللّٰه ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلّا من ثبّته اللّٰه عزّ وجلّ على القول بإمامته، ووفّقه [فيها] للدعاء بتعجيل فرجه».

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئنّ إليها قلبي؟

فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح، فقال: «أنا بقيّة اللّٰه في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين[1] يا أحمد بن إسحاق».

---

(١) انظر الرقم ٣٢٤، وهو من الأمثال السائرة. فيه قصّة سماك بن عمرو.

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلمّا كان من الغد عدت إليه، فقلت له: يا ابن رسول اللّه، لقد عظم سروري بما مننت [به] عليَّ، فما السُنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ فقال: «طول الغيبة يا أحمد»، قلت: يا ابن رسول اللّه، وإنّ غيبته لتطول؟!

قال: «إي وربي، حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلّا من أخذ اللّه عزّ وجلّ عهده لولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه.

يا أحمد بن إسحاق: هذا أمر من أمر اللّه، وسرّ من سرّ اللّه، وغيب من غيب اللّه، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في علّيّين»[١].

ذكرنا الحديث الشريف عن آخره لاشتماله على ما يزيد به الإيمان والثبات على الولاية في غيبة الإمام المهديّ عجّل اللّه فرجه.

قوله عليه السلام: «أنا بقيّة اللّه في أرضه» قد جاءت كلمة (بقيّة) في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

قال الفيض الكاشاني: في الكافي عن الباقر عليه السلام أنّه صعد جبلاً يشرف على أهل مدين حين أُغلق دونه باب مدين، ومنع أن يخرج إليه بالأسواق، فخاطبهم بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها، أنا بقيّة اللّه، يقول اللّه: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ قال: وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال لهم: يا قوم هذه واللّه دعوة شعيب النبي عليه السلام، واللّه لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذنّ من فوقكم ومن تحت أرجلكم، الحديث.

وفي الإكمال عنه عليه السلام: أوّل ما ينطق به القائم عليه السلام حين يخرج هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ثمّ يقول: أنا بقيّة اللّه وحجّته وخليفته عليكم، فلا يسلّم عليه مسلّم إلّا قال: السلام عليك يا بقيّة اللّه في أرضه»[٣].

وسبق في المدخل ذكر الآية المبتدأ بها عليه السلام.

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٣٨٤ ـ ٣٨٥، البحار ٥٢ / ٢٣ ـ ٢٤، باب ذكر من رآه عليه السلام.

(٢) هود: ٨٦.

(٣) تفسر الصافي ١ / ٨٠٩، أُصول الكافي ١ / ٤٧١ ـ ٤٧٢، بالمضمون.

من الحديث الباقري علم أنّ بقيّة اللّٰه، تُطلق على المعصوم إطلاقاً وإن كان تنزيل الآية في شعيب النبيّ عليه السلام.

وأمّا وجه تسمية الإمام المهديّ ببقيّة اللّٰه أو أحد المعصومين عليهم السلام فكما قال المجلسي: المراد ببقيّة اللّٰه حجج اللّٰه في الأرض وخلفائه الّذين يبقيهم اللّٰه في الأرض، ولا تبقى الأرض إلّا ببقائهم ولا يخلو عصر من واحد منهم[١].

وجاءت بمعنى أحكام اللّٰه من حلال وحرام، وقيل: البقيّة الطاعة[٢] وقيل: رحمة اللّٰه[٣].

والّذي أراه أنّ المراد ببقيّة اللّٰه نظير قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[٤]، وبيت اللّٰه، وأمثال ذلك: هو الإنسان الخالص لله عزّوجلّ، ليس لغير اللّٰه فيه مساغ، والمعصوم عليه السلام كذلك هو الإنسان الخالص، ومن ثمّ صحّ إسناد أذنه وعينه ويده إليه تعالى كما في زيارة أميرالمؤمنين عليه السلام: «السلام عليك يا عين اللّٰه الناظرة ويده الباسطة وأُذنه الواعية»[٥].

وأهل البيت كلّهم كذلك بل هذا المعنى الأصيل فيهم، والبديل في غيرهم من المؤمنين المتقرّبين إلى اللّٰه بالنوافل فيكون تعالى سمعهم الّذي يسمعون به، وبصرهم الذي يبصرون به، ويدهم الّتي يبطشون بها؛ ففي الحديث الصحيح الباقري: «إنّ اللّٰه جلّ جلاله قال: ما يقرب إليّ عبد من عبادي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ولسانه الّذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»[٦].

---

(١) مرآة العقول ٦ / ٢٤. (٢) المصدر نفسه: ٢٣.

(٣) مجمع البحرين ١/٥٦ ـ ٥٧ ـ بقي ـ.

(٤) إبراهيم: ٥. يراد بأيّام اللّٰه أيّام الحج أو الولادة أو الموت أو غيرها.

(٥) البحار ١٠٠ / ٣٠٥، الباب ١٤ زياراته صلوات اللّٰه عليه المطلقة.

(٦) الوسائل ٣ / ٥٣، الحديث ٦، الباب ١٧ من أبواب أعداد الفرائض ونوافلها.

وإذا استحكم التمرّد على الله ـ العياذ بالله ـ في العبد بركوب الذنوب، خاصّة شرب الخمر، كان إبليس سمعه وبصره ويده...

قال الباقر عليه السلام في حديث إليك بعضه: «فهل تعرف سفيهاً أسفه من شارب الخمر ـ قال: ثمّ قال: ـ لا يزال العبد في فسحة من الله حتّى يشرب الخمر، فإذا شربها خرق الله عنه سرباله، وكان وليّه وأخوه إبليس، وسمعه وبصره ويده ورجله، يسوقه إلى كلّ شرّ، ويصرفه عن كلّ خير»(١)؛ لأنّه تبرز فيه ظاهرته، فمن أراد رؤية إبليس زاه استحكمت فيه رذائله وهواجسه وتسويلاته، وما يلي يكشف لك السَّبَب:

لماذا كان ذلك؟

لسُنّة المحبّة التي تُثبت آثار الحبيب في المحبّ ـ الحقيقي المعبّر بفرط الحبّ ـ فيكون سمعه وبصره وكلّ قواه وحواسّه قد تجمّعت فيه؛ ومن ثمّ قالوا: (حبّك الشيء يعمي ويصمّ)(٢).

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأُذن غير سميعة...»(٣)، أي بالنظر والسمع غير المتعارف شأن الحبّ، ولكنّ مقام المهديّ عليه السلام أرفع وأسمى من ذلك؛ لأنّ الله خلق محمّداً وآل محمّد من نور عظمته وجلاله وصاغ من اللطف نفوسهم، جعل الله كلّ نفس فداهم فلا يقاس بهم غيرهم.

ولبعض السادة الأجلّة كلام وتعليق حول المختار لا بأس بذكره قال: أصل هذا التعبير ورد على لسان النبيّ شعيب عن نفسه، وأقرّه القرآن نقلاً عنه: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤) وتكرّر هذا التعبير على لسان عدد من المعصومين عليهم السلام.

---

(١) الوسائل ١٧ / ٢٤٩، الحديث ٥، الباب ١١ من أبواب الأشربة المحرمة.

(٢) مجمع الأمثال ١ / ١٣٧، الرقم ١٣، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٢٨، الأمثال النبويّة ١ / ٣٤٨، الرقم ٢٢٣.

(٣) شرح النهج ٧ / ٢٠٠، الخطبة ١٠٨، مصادر النهج ٢ / ٢٣٠، رقمها ١٠٧.

(٤) هود: ٨٦.

وللعرفان في تفسيره جولات، وليس لنا أن نحقّق معناه بالضبط، كلّما نستطيع قوله: إنّ هذا التعبير يرنو إلى أنّ أرواح المعصومين، خلقت من نور اللّه بلا وسائط وليست كسائر الأشياء الّتي خلقها اللّه بالوسائط[1] وله أيضاً تعليق على «فلا تطلب أثراً بعد عين»:

كان الناس قبل أن تتعبّد طرق المواصلات إذا افتقدوا شخصاً تتبّعوا آثار أقدامه في الرمال حتّى يصلوا إلى المكان الذي انتهى إليه فيقصدون (العين) ذلك الشخص المفتقد، وبالأثر أثر أقدامه في الرمل. والناس يطلبون الأثر قبل أن يجدوا الشخص، فإذا وجدوه أهملوا أثره. ثمّ أصبح مثلاً يضرب لكلّ من يتّتبع الدلائل للوصول إلى نتيجةٍ، وكأنّ الإمام المهديّ عليه السلام يقصد: إنّك يا أحمد بن إسحاق، رأيت إمامك الغائب، فأنت في غنىً عن الاستدلال على وجوده[2].

سيأتي الكلام عن هذا المثل[3]؛ وتمثل به الإمام أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام في المأثور عنه قال: «انتهزوا الفرص؛ فإنّها تمرّ مرّ السّحاب ولا تطلبوا أثراً بعد عين»[4]. يأتي المثل المهدوي، وقصّة سماك بن عمرو الباهلي الّذي أوّل من قالها[5].

* * *

---

(١) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٥٤٢. (٢) المصدر نفسه. (٣) رقمه ٣٢٤.

(٤) العقد الفريد ١ / ٤٢، ٩٠، وانظر الكلمة رقمها ٣٢٤، موسوعة أمثال العرب ٥ / ٥٦، مجمع الأمثال ٢ / ٢١٥، الرقم ٣٥١٠، بلفظ (لا أطلب...) ج١ / ١٢٧، الرقم ٦٥٢ بلفظ (لا تطلب...).

(٥) خِزانة الأدب ٠ / ٥٢٩ ـ ٥٣٤، الشاهد ٧٩٣.

٨٨
أنا خاتم الأوصياء

روى الشيخ الطوسي طاب ثراه عن علّان، قال: حدّثني ظريف أبو نصر الخادم، قال: دخلت عليه ـ يعني صاحب الزمان عليه السلام ـ فقال لي: عليَّ بالصندل الأحمر؛ فقال: فأتيته به فقال عليه السلام: «أتعرفني؟» قلت: نعم؛ قال: «من أنا؟» فقلت: أنت سيّدي وابن سيّدي؛ فقال: «ليس عن هذا سألتك»؛ قال ظريف: فقلت: جعلني اللّه فداك فسّر لي؛ فقال: «أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع اللّه البلاء عن أهلي وشيعتي»[1]. بل به ثبتت الأرض والسماء وبه رُزق الورى.

أقول: كما أنّ النبوّة قد ختمت بخاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله كذلك الوصاية قد ختمت بخاتم الأوصياء الإمام المهديّ سميّه وكنيّه عجّل الله فرجه؛ لأنّ بداية النبوّة تحقّقت في آدم، كما تحقّقت الوصاية في ابنه هابيل المقتول، أو شيث، هذا إذا اعتبرت الخاتميّة في الوصاية للإمام المهديّ عليه السلام بالقياس إلى بدايتها المتحقّقة في هابيل، أو شيث، ولنا أن نعتبر بداية الوصاية وخاتمتها في الأئمّة عليهم السلام: بأن تكون البداية بأوّل أوصياء الرسول والنهاية بآخرهم صلّى اللّه عليهم؛ لأنّ أوصياءه سادة الأوصياء كما ستسمع، فالبداية والخاتميّة متحقّقة في اثني عشر إماماً أوّلهم عليّ بن أبي طالب ثمّ الحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن ومحمّد، فيكون المهديّ خاتمهم في الوصاية المخصوصة، وأنّهم كنفس واحدة كما جاء ذلك في زيارة الجامعة: «وأنّ ارواحكم ونوركم وطينتكم

---

(١) كتاب الغيبة: ١٤٨، البحار ٥٢ / ٣٠، نقلاً من إكمال الدين للشيخ الصدوق. وفيه (ظريف). أُنظر الإكمال ٢ / ٤٤١، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام.

واحدة»[١]. وفي حديث «أوّلنا محمّد، وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد، وكلّنا محمّد»[٢] إشارة إلى ذلك. والمراد بـ «وكلّنا محمّد» المحمدة الكائنة فيهم جميعاً؛ ومن ثمّ أمكن القول بأنّ الاسم لا ينافي إرادة الوصف منه نظراً إلى مبدأ الاشتقاق، فهم عليهم السلام مع سيدة نساء العالمين أمّ الأئمّة الأحد عشر، زوجة أبي الأوصياء، بنت خاتم الأنبياء فاطمة الزهراء. محمّدون عند الله والناس أجمعين، ممدوحون في الكتب المنزلة على الأنبياء، والصحف والألواح، وفي نفوس الأوّلين والآخرين وقلوب الأولياء والخلق كلّه.

ومدحهم شرف للمادح؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد أعطى محمّداً وآل محمّد من الشرف الباذخ ما لا يدانيه شرف ولا مطمع لأحد من الخلق فيه، ولئن شئت العلم ببعض مقاماتهم السامية فعليك بالزيارة الجامعة التي قد جمعت من عظيم الفضل ما لا مطمع لسواهم[٣].

إنّ نبيّنا محمّداً سيّد الأنبياء، وإنّ أوصياءه سادة الأوصياء صلّى الله عليهم وسلّم، وإنّ الوصاية متّصلة من آدم عليه السلام، إلى الخاتم الذي ختمت به، وهو الإمام المهديّ عليه السلام على أوّل التفسيرين لمعنى الخاتميّة، ففي نبويّ معتبر رواه الصدوق عن الصادق، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أنا سيّد النبيّين، ووصيّي سيّد الوصيّين، وأوصياؤه سادة الأوصياء، إنّ آدم سأل الله عزّ وجلّ أن يجعل له وصيّاً صالحاً، فأوحى إليه أنّي أكرمت الأنبياء بالنبوّة، ثمّ اخترت خلقي فجعلت خيارهم الأوصياء.

فقال آدم عليه السلام: يا ربّ فاجعل وصيّي خير الأوصياء.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا آدم أوص إلى شيث؛ وهو هبة الله بن آدم.

فأوصى آدم إلى شيث، وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء التي

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٧٩.

(٢) مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار ٢ / ٣٩٩. زيد الشحّام البحار ٢٥ / ٣٦٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٨٣، روضة المتّقين ٥ / ٤٥٠ ـ ٤٩٩، البحار ١٠٢ / ١٢٧ ـ ١٦٢.

أنزلها الله عزّ وجلّ على آدم من الجنّة، فزوّجها شيثاً. وأوصى شبان إلى ابنه مجلث، وأوصى مجلث إلى محوق، وأوصى محوق إلى غثميشا، وأوصى غثميشا إلى أخنوخ وهو إدريس النبيّ عليه السلام، وأوصى إدريس إلى ناخور، ودفعها ناخور إلى نوح عليه السلام، وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر، وأوصى عثامر إلى برعيثاشا، وأوصى برعيثاشا إلى يافث، وأوصى يافث إلى برّة، وأوصى برّة إلى جفيسة، وأوصى جفيسة إلى عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بثرياء، وأوصى بثرياء إلى شعيب، وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران، وأوصى موسى إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع إلى داود، وأوصى داود إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريّا، ودفعها زكريّا إلى عيسى بن مريم عليه السلام، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريّا ـ وفيه كلام ـ وأوصى يحيى بن زكريّا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة.

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ودفعها إليَّ بردة، وأنا أدفعها إليك يا عليّ، وأنت تدفعها إلى وصيّك، ويدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك، واحداً بعد واحد حتّى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرنّ بك الأُمّة، ولتختلفنّ عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذّ عنك في النار، والنار مثوى للكافرين»[(١)].

ونصوص الوصاية على الأئمّة منها:

الكاظمي قد رواه الصدوق بطريق معتبر: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلنّكم أحد عنها...»[(٢)].

وقال الشيخ الحرّ بعد روايته: الخامس من ولد السابع هو الثاني عشر، ففيه نصّ

---

(١) إكمال الدين ١ / ٢١١ ـ ٢١٣، الباب الثاني والعشرون اتّصال الوصيّة.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٣٦٠.

على غيبته وإمامته، وعلى أنّ الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر[١]، ونصوص الشيعة فوق الإحصاء وهكذا السُنّة منها النبويّ المرويّ بطرق كثيرة: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»، و «يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش»[٢].

وإليك التنصيص على الأئمّة الاثني عشر بأسمائهم واحد واحد.

منها صحيفة فاطمة الزهراء عليها السلام فيها الأسماء كلّها برواية جابر بن عبدالله عندما دعاه الباقر عليه السلام حين حضرته الوفاة فقال له: «يا جابر حدّثنا بما عاينت في الصحيفة؟ فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام لأهنّئها بمولود الحسن عليه السلام . فإذا هي صحيفة بيدها من درّة بيضاء، فقلت: يا سيّدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟

قالت: فيها أسماء الأئمّة من ولدي.

فقلت لها: ناوليني لأنظر فيها.

قالت: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل، لكنّه نهي أن يمسّها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ، أو أهل بيت نبيّ، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها.

قال جابر: فقرأت فإذا فيها:

أبو القاسم محمّد بن عبدالله المصطفى، أمّه آمنة بنت وهب.

أبوالحسن عليّ بن أبي طالب المرتضى، أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف.

أبومحمّد الحسن بن عليّ البرّ، أبوعبدالله الحسين بن عليّ التقي، أمّهما فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله .

أبو محمّد عليّ بن الحسين العدل، أمّه شهر بانويه [شاه بانويه] بنت يزدجر ابن شاهنشاه.

أبوجعفر محمّد بن عليّ الباقر، أمّه أمّ عبدالله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

أبوعبدالله جعفر بن محمّد الصادق، أمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة، أمّه جارية اسمها حميدة.

---

(١) إثبات الهداة ١ / ٤٤٥.

(٢) إحقاق الحقّ ١٣ / ١٦ ـ ٤٨.

أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، أمّه جارية اسمها نجمة.

أبو جعفر محمّد بن عليّ الزكيّ، أمّه جارية اسمها خيزران.

أبو الحسن عليّ بن محمّد الأمين، أمّه جارية اسمها سوسن.

أبو محمّد الحسن بن عليّ الرفيق، أمّه جارية اسمها سمانة وتكنّى بأمّ الحسن.

أبو القاسم محمّد بن الحسن هو حجّة اللّه تعالى على خلقه، أمّه جارية اسمها نرجس، صلوات اللّه عليهم أجمعين»[١].

قال الصدوق بعد رواية الصحيفة: جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام، والذي أذهب إليه ما روي في النهي من تسميته...[٢].

ولعلّ التصريح المنهي بالقياس إلى الناس أو خاصّ بزمن التقيّة من مظنّة الأخذ، أو غير ذلك من الوجوه.

والباقري الصحيح: «نحن اثنا عشر إماماً من آل محمّد، كلّهم محدّثون بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وعليّ بن أبي طالب أوّلهم»[٣].

والعلوي: «من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمّة تسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب اللّه ولا يفارقهم، حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله على الحوض»[٤].

وحديث الصحيفة: قال جابر: فرأيت فيها محمّداً محمّداً محمّداً في ثلاثة مواضع وعليّاً وعليّاً وعليّاً وعليّاً في أربع مواضع...[٥] وللكلام تتمّة.

حول بعض كلمات الإمام المهديّ عليه السلام توضيح لبعض السادة الأجلة:

قال: «الصندل الأحمر» صندل: اسم شجر هنديّ طيّب الرائحة، كان يتّخذ عوده للاشتمام بمنزلة العطور، ولعلّه كان في دار الإمام الحسن العسكري عليه السلام قطعة حمراء اللون من عود هذا الشجر، طلبها الإمام المهديّ عليه السلام[٦].

---

(١) إكمال الدين ١ / ٣٠٥ ـ ٣٠٧، الباب ٢٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣٠٧.
(٣) إثبات الهداة ١ / ٤٧٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) إكمال الدين ١ / ٣١١، الباب ٢٨.
(٦) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٥٤٣.

«وبي يرفع اللّه البلاء عن أهلي وشيعتي» قال: البلاء كان ولا يزال معقوداً بنواصي أهل البيت عليهم السلام، وكذلك شيعتهم، ولا يرتفع عنهم إلّا بمن يمحي من بين الناس الظلم كلّه فيقلب الأرض ـ بإذن اللّه تعالى ـ جنّة من العدل والقسط، بعد أن عاش طويلاً في جحيم الظلم والجور، وهو الإمام المهدي عليه السلام عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وأعوانه[1].

وقد تقدّم التصريح بأنّه عليه السلام لولا رعايته لشيعته ودعاؤه الخير لهم لاصطلمهم الأعداء[2]. نعم ببركة الأربعة عشر المعصومين قامت السماوات واستقرّت الأرض، وجرت الأنهار وأثمرت الأشجار ودام الليل والنهار، ولولاهم لم يُرزق الورى ولا ثبتت الأكوان، شاء اللّه ذلك، والمهديّ هو غوث الأنام وحجّة اللّه الّذي لولاه لساخت الأرض بنا، اللّهمّ أرنا الطلعة الرشيدة والغرّة الحميدة وعجّل يا ربّ في ظهوره، متىٰ ترانا ونراك... وأنت تأمُّ المَلأَ وَقَدْ مَلأْتَ الأرض عَدلاً.

* * *

(١) المصدر نفسه.

(٢) في كتابه الأوّل للشيخ المفيد، «اعتصموا بالتقيّة...» رقمه ٥٤.

٨٩
أنا القائم من آل محمّد صلّى الله عليه وآله

من قصّة سلفت بأسرها عند «أملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١]. ومن أجلها لا نعيدها إلّا ما يربط المختار. وقد رواها الشيخ الصدوق طاب ثراه[٢]، والمجلسي[٣]:

قال الرجل المعروف من بني راشد الهمداني عندما رأى الإمام المهديّ عليه السلام:

«ثمّ قال لي: أتدري من أنا؟ فقلت: لا والله؛ فقال: أنا القائم من آل محمّد صلّى الله عليه وآله، أنا الذي أخرج في آخر الزمان بهذا السيف...»[٤].

تفسير القائم من آل محمّد:

روى الصدوق بإسناده إلى الثمالي، قال: سألت الباقر صلوات الله عليه: يا ابن رسول الله ألستم كلّكم قائمين بالحقّ؟ قال «بلى» قلت: فلم سمّي القائم قائماً؟ قال: «لمّا قتل جديّ الحسين صلّى الله عليه، ضجّت الملائكة إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟! فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين؛ ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمّة من الحسين عليه السلام للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم»[٥].

---

(١) رقمه ٧٧.
(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٥٤، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.
(٣) البحار ٥٢ / ٤١.
(٤) المصدران، كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٥٥٣ ـ ٥٥٤.
(٥) أصول الكافي ١ / ٤٦٥ مع اختلاف مّا، البحار ٥١ / ٢٨ ـ ٢٩.

قد يطلق على المتلبّس به بالفعل، وعلى غيره كما هو أحد وجوه التسمية بالقائم، حادثة كربلاء التي أخبر بها اللّه تعالى آدم، وأوّل من سمّاه به لكونه كان في حالة القيام في الصلاة.

ومنها: أنّ المهدي عليه السلام يقوم أي يخرج بعد غيبته الكبرى وقطع الأمل فهو القائم بمعنى الخارج، ولم يخرج من الأئمّة عليهم السلام خروجاً لإصلاح عامّة الناس سواه إلّا جدّه الحسين قد خرج على يزيد، وعليّ على معاوية، ولكنّ المهديّ يخرج على كافّة طغاة العالم وجميع الظالمين؛ لكسح الظلم والجور عن وجه الأرض ويملأها قسطاً وعدلاً، عجّل الله فرجه.

ومنها: ما قاله الإمام محمّد بن عليّ عليه السلام: «القائم هو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمّي رسول الله وكنيّه...»[1].

وعن الريّان بن الصلت، قال: سألت الرضا عليه السلام عن القائم؟ فقال: «لا يُرى جسمه ولا يسمّى باسمه»[2] قد يناقش فيه بالتصريح بها عنهم عليهم السلام؛ لعلة عدم المحو عن القلوب، أو المختص بغيرهم دونهم لأمر مّا:

حتّى يقوم بأمر اللّه قائمهم ... من السماء إذا ما باسمه نودي

من قصيدة داليّة وجدت مكتوبة على سور مدينة بالأندلس من قصّة رواها الشيخ المجلسي طاب ثراه، وإليك نبذة منها الّتي فيها القصيدة المكتوبة على سور المدينة:

من قول موسى بن نصر العبدي عامل عبدالملك المرواني على بلاد المغرب، وقد استعدّ للذهاب إلى المفازة الواقعة في أحد مُدن الأندلس، قال: فلما رجع كتب إلى عبدالملك بحالها، وقال في آخر الكتاب: فلمّا مضت الأيّام وفنيت الأزواد، سرنا نحو بحيرة ذات شجر، وسرت مع سُور المدينة، فصرت إلى مكان من السور فيه كتاب بالعربيّة، فوقفت على قراءته وأمرت بانتساخه، فإذا هو شعر:

ليعلم المرء ذو العزّ المنيع ومن ... يرجو الخلود، وما حيٌّ بمخلود

---

(١) البحار ٥١ / ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣. ولعلّ الأحاديث دالة على الوصف دون التسمية به.

لو أنّ خلقاً ينال الخلد في مَهل ... لنـال ذاك سـليمان بـن داودِ
سالت له القطر عين القطر فائضة ... بالقطر سَنَة[١] عطاءٍ غير مصدودِ
فقال للجنّ: ابنوا لي به أثـراً ... يبقى إلى المحشر لا يبلىٰ ولا يُودي
فـصيّروه صـفاحاً ثـمّ هـيل له ... إلى السـماء بـإحكام وتـجويدِ
وأفرَغ القِطْر فوق السور منصلتاً ... فصار أصلب من صمّاء صيخودِ
وشَبَّ[٢] فيه كنوز الأرض قاطبة ... وسوف يظهر يوماً غير محدودِ
وصار في قعر بطن الأرض مضطجعاً ... مـصمّداً بـطوابـيق الجـلاميدِ
لم يبق من بعده للـملك سـابقة ... حتّى تضمّن رمساً غير أخدودِ
هـذا ليـعلم أنّ المـلك مـنقطع ... إلّا من اللّه ذي النعماء والجودِ
حتّى إذا ولدت عدنان صاحبها ... من هاشم كان منها خير مولودِ
وخـصّه اللّـه بـالآيات مـنبعثاً ... إلى الخيلقة منها البيض والسودِ
له مقاليد أهـل الأرض قـاطبةً ... والأوصـياء له أهـل المـقاليدِ
هم الخلائف اثنا عشرة حججاً ... من بعدها الأوصياء السادة الصيدِ
حتّى يـقوم بأمـر اللّـه قـائمهم ... من السماء إذا ما باسمه نـودي

فلمّا قرأ عبدالملك الكتاب وأخبره طالب بن مدرك، وكان رسوله إليه بما عاين من ذلك، وعنده محمّد بن شهاب الزهري، قال: ما ترى في هذا الأمر العجيب؟

فقال الزهري: أرى وأظنّ أنّ جنّاً كانوا موكّلين بما في تلك المدينة حفظة لها يخيّلون إلى مَن كان صعدها.

قال عبدالملك: فهل علمت من أمر المنادي من السماء شيئاً؟

قال: ألْهُ عن هذا يا أميرالمؤمنين.

قال عبدالملك: كيف ألهو عن ذلك وهو أكبر أو طاري، لتقولّن بأشدّ ما عندك في ذلك، ساءني أم سرّني

فقال الزهري: أخبرني عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّ هذا المهديّ من ولد فاطمة

---

(١) سَنَة أي ربح عطاءٍ. (٢) شب أي نشأ.

بنت رسول اللهﷺ.

فقال عبدالملك: كذبتما، لا تزالان تدحضان في بولكما وتكذبان في قولكما، ذلك رجل منّا ـ يعني المهديّ ـ.

قال الزهري: أمّا أنا فرويته لك عن علي بن الحسينعليه السلام، فإن شئت فاسأله عن ذلك، ولا لوم عليَّ فيما قلته لك، فإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم.

فقال عبدالملك: لا حاجة لي إلى سؤال بني أبي تراب، فخفّض عليك يا زهريّ بعض هذا القول فلا يسمعه منك أحد.

قال الزهري: لك عليَّ ذلك[1].

قال المجلسي: لا يودي: أي لا يهلك...[2]. لا زال الأمر كذلك السُنّة السماوية؛ لما في الحكمة، ونظم العالم مثل عبدالملك الوزغ ابن الوزغ لو لم ينكر المهديّعليه السلام فمن؟! وهل الجاحد له إلّا من جحد الرسول الصادق الأمين، وهو عبدالله الملك المفتري على الله ورسوله المرواني الملحد الأولى بالدحض في البول والكذب في القول، لا الإمام الطاهر زين العباد عليّ بن الحسين السجّاد سلالة النبوّة والوصاية، وإنّ المهديّ من ولد فاطمة لم يترتب فيه أحد إلّا مثل المرواني المفتري ومن لفّ لفّه من المنغمرين في الدنيا المتكالبين عليها، فأعمتهم حتى عن الشمس الضاحية في رابعة النهار.

والأمر كما قال الصادقعليه السلام حين دخل شعاعها الرواشن: أبين من ذلك.

روى الشيخ الكليني طاب ثراه بإسناده إلى المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول: إيّاكم والتنويه، أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحّصنّ حتّى يقال: مات، قتل، هلك، بأيّ واد سلك؟

ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفّأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر،

---

(١) البحار ٥١ / ١٦٤ ـ ١٦٦، باب نادر ١١ فيما أخبر به الكهنة.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٦.

فلا ينجو إلّا من أخذ اللّه ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يُدرى أيٌّ من أيٍّ.

قال: فبكيت، ثمّ قلت: فكيف نصنع؟

فنظر إلى الشمس داخلة في الصفّة، فقال: يا أباعبداللّه ترى هذه الشمس؟

قلت: نعم.

فقال: واللّه لأمرنا أبين من هذه الشمس[1]. هم الشموس الطالعة والأقمار المنيرة والأنجم الزاهرة لم ترها عُمهُ العيون.

أقول: واللّه لتحقّ العيون لأنّ تبكي حتّى تقرّ بالنظر إلى محيّاه المحمّديّ، وخال خدّه كأنّه فتات مسك على رضراضة عنبر... قال السيّد رضا الهندي في قصيدته الرائيّة يمدح بها أميرالمؤمنين عليه السلام:

والخال بخدّك أم مسكٌ	نقّطتَ به الورد الأحمرْ
أم ذاك الخال بذاك الخدّ	فتيت الندّ على مجمر
عجباً من جمرته تذكو	وبها لا يحترق العنبر[2].

* * *

(١) أصول الكافي ١ / ٣٣٦.

(٢) انظر المختار رقمه ٣٧: «إذا بدت لك...» والتنويه: الإذاعة التشهير.

٩٠

أنا مرتاد لكم

روى الشيخ الطوسي بسنده المتّصل إلى أبي جعفر عليه السلام - في حديث طويل - قال:

«يدخل المهديّ الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت بينها فتصفو له، فيدخل حتّى يأتي المنبر ويخطب ولا يدري الناس ما يقول - من البكاء - وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: كأنّي بالحسني والحسيني وقد قاداها[1] فيسلّمها إلى الحسيني فيبايعونه، فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس: يا ابن رسول الله، الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، والمسجد لا يسعنا.

فيقول: أنا مرتاد لكم؛ فيخرج إلى الغريّ فيخطّ مسجداً له ألف باب يسع الناس، عليه أصيص[2]، ويبعث فيحفر من خلف قبر الحسين عليه السلام لهم نهراً يجري إلى الغريّين حتّى ينبذ في النجف، ويعمل على فوهته قناطر وأرحاء في السبيل، وكأنّي بالعجوز وعلى رأسها مكتل فيه بُرّ حتى تطحنه بكربلاء»[3].

* * *

(١) أي الرايات.

(٢) كأمير: البناء المحكم.

(٣) الغيبة: ٢٨٠ - ٢٨١، البحار ٥٢ / ٣٣١.

٩١

أنا المهدي أنا قائم الزمان

تقدم نظيره اللقب الثاني القائم عليه السلام[1] قال الصدوق رحمه الله: حدّثنا محمّد ابن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدّثنا أبو القاسم علي بن أحمد الخديجي الكوفي، قال: حدّثنا الأزدي[2]، قال: بينا أنا في الطواف قد طفت ستّاً وأنا أريد أن أطوف السابع فإذا أنا بحلقة عن يمين الكعبة وشابّ حسن الوجه طيّب الرائحة، هيوب مع هيبته، متقرّب إلى الناس يتكلّم، فلم أر أحسن من كلامه ولا أعذب من نطقه وحسن جلوسه، فذهبتُ أُكلّمه، فزبرني الناس، فسألت بعضهم: من هذا؟ فقالوا: هذا ابن رسول الله يظهر في كلّ سنة يوماً لخواصّه يحدّثهم. فقلت: يا سيّدي مسترشداً أتيتك فأرشدني هداك الله. فناولني عليه السلام حصاة فحوّلت وجهي، فقال لي بعض جلسائه: ما الذي دفع إليك؟ فقلت: حصاة؛ وكشفت عنها فإذا أنا بسبيكة ذهب! فذهبت فإذا أنا به عليه السلام قد لحقني، فقال لي: «ثبتت عليك الحجّة، وظهر لك الحقّ وذهب عنك العمى، أتعرفني؟»

فقلت: لا.

فقال عليه السلام: «أنا المهدي [خ] أنا قائم الزمان، أنا الذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً؛ إنّ الأرض لا تخلو من حجّة، ولا يبقى الناس في فترة، وهذه أمانة لا تحدّث بها إلّا إخوانك من أهل الحقّ»[3].

---

(١) رقمه ٨٩.

(٢) كذا في إكمال الدين ٢ / ٤٤٤، وأمّا الغيبة: ١٥٢، والبحار ٥٢ / ١ فرواة الحديث فيهما غير رواة الصدوق رحمه الله في إكماله. فراجع.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥، الباب ٤٣، غيبة الشيخ الطوسي: ١٥٢، البحار ٥٢ / ١ ـ ٢.

أقول: ظهور المهديّ عليه السلام في كلّ سنة في المسجد الحرام هل كان في الغيبة الصغرى أو الكبرى؟ وهل كان ذلك لجماعة خاصّة؟

فلو صدق الحديث صحّ ظهوره عجّل الله فرجه بظهوره لفرد أو أفراد من الناس، لا لجميعهم، لقوله عليه السلام لنائبه الرابع علي بن محمّد السمري رحمه الله في التوقيع إليه: «فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره...»[1].

وعلى الوجه الذي قدّمناه من الظهور الخاصّ لا الظهور العامّ تحقّق ذلك لجمع أنعم الله تعالى عليهم بموهبة مشاهدته روحي فداه.

ثمّ الأخبار بأن تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بظهوره عجّل الله فرجه بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، متواترة عن أهل البيت الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام. ذكرنا ذلك على سبيل الإشارة والفهرس عند التكلّم عن المثل النبويّ، وتمثيله بأداة «كما»: «يملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً»[2].

وسمّي بالمهديّ؛ لأنّه يهدي لأمرٍ خفيّ، كما في رواية الباقر عليه السلام[3].

أمّا صيرورة الحصاة بيد المعصوم إلى سبيكة ذهب أو ما هو أغلا من الذهب فليس ذلك بعجب بعد إذن الله جلّ جلاله له، فلو أراد أن يصيّر الأرض ذهباً أو فضّة أو غيرها لفعل، وهل المعاجز وخارق العادات الجارية على يد الأنبياء والأوصياء إلّا أمر يمتازون عن سواهم، وخاصّة أهل البيت الّذين خصّهم الله بما فاقوا العالمين جميعاً، وفي مقدّمتهم رسول الله صلّى الله عليهم وسلّم، كيف لا وهم مهبط إرادة الربّ تعالى، وقد أمر الصادق عليه السلام أن يزار الحسين عليه السلام بالزيارات المأثورة، منها: ما رواه ابن قولويه، المتوفّى سنة ٣٦٧ هـ بإسناده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام:

«... إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، والصادر عمّا فصّل من أحكام العباد، لعنت أمّة قتلتكم، وأمّة خالفتكم، وأمّة جحدت ولايتكم،

---

(١) الاحتجاج ٢ / ٢٩٧.

(٢) الأمثال النبويّة ٢ / ٣٦٧، الرقم ٦٥٤.

(٣) البحار ٥١ / ٢٩.

وأمّة ظاهرت عليكم...»[١].

فما أراده الله عزّوجلّ أرادوه ولم يعدلوا عنه أبداً وحاشاهم من العدول، وهم أعدال الكتاب العزيز في حديث الثقلين الذي تصافق على تخريجه الفريقان الشيعة والسُنّة، على أنّهم عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، المنسّر بهم عليهم السلام في رواية القطب الراوندي[٢].

* * *

(١) كامل الزيارات: ٢٠٠، باب ٧٩.

(٢) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧، الخرائج ١ / ١٧٢.

٩٢
أنا وراك

روى الشيخ الطوسي طاب ثراه عن أحمد بن عليّ الرازي، عن أبي ذرّ أحمد بن أبي سورة ـ وهو محمّد بن الحسن بن عبدالله التميمي، وكان زيديّاً ـ قال:

سمعت هذه الحكاية عن جماعة يروونها عن أبي‌رحمه‌الله أنّه خرج إلى الحير ـ أي الحائر الحسيني ـ قال: فلمّا صرت إلى الحير، إذا شابٌّ حسن الوجه يصلّي، ثمّ إنّه ودّع وودّعت وخرجنا، فجئنا إلى المشرعة، فقال لي: «يا [أ] با سورة أين تريد؟» فقلت: الكوفة؛ فقال لي: «مع من؟» قلت: مع الناس؛ قال لي: «لا نريد نحن جميعاً نمضي» قلت: ومن معنا؟ فقال: «ليس نريد معنا أحداً».

قال: فمشينا ليلتنا فإذا نحن على مقابر مسجد السهلة، فقال لي: «هو ذا منزلك، فإن شئت فامض»، ثمّ قال لي: «تمرّ إلى ابن الزراري عليّ بن يحيى فتقول له يعطيك المال الذي عنده».

فقلت له: لا يدفعه إليَّ.

فقال «لي: قل له: بعلامة أنّه كذا وكذا ديناراً، وكذا وكذا درهماً، وهو في موضع كذا وكذا، وعليه كذا وكذا مغطّى».

فقلت له: ومن أنت؟

قال: «أنا محمّد بن الحسن».

قلت: فإن لم يقبل منّي وطولبتُ بالدلالة؟

فقال: «أنا وراك[١]».

---

(١) ويماثلها كلمته عليه‌السلام الأخرى، المذكورة في كتابه الثاني للشيخ المفيد الآتي عند «إنّه من اتّقى...»: «لأنّنا من وراء حفظهم».

قال: فجئتُ إلى ابن الزراري فقلت له، فدفعني، فقلت له: قد قال لي: أنا وراك، فقال: ليس بعد هذا شيء، وقال: لم يعلم بهذا إلّا اللّه تعالى؛ ودفع إليَّ المال[1].

قوله عليه السلام: «أنا وراك» كلمة تقال في العون والنصرة و «وراك» مخفّف «وراءك» وهو من الأضداد: الخلف، والأمام: أي القدّام.

قال ابن فارس: وأمّا قولهم: وراءك فإنّه يكون من خلف، ويكون من قدّام. قال اللّه تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ﴾[2]: أي أمامهم[3].

وتقال للتقوية: أي أنا ظهرك. وتأتي للمعيّة، فتعطي معناها، ولعلّ من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[4]: أي أنا وراكما أُقوّيكما وأدفع عنكما من أراد بكما سوءاً، فتعطيان التقوية، يعني: أنّ الآية تعطي معنى «أنا وراك» كما أنّه بمعنى الآية، ولكنّ بينهما أي بين المعيّة و «أنا وراك» فرقاً، فإنّ الكلمة معناها المعيّة في الخلف أو القدّام، وأمّا هي فتنصّ على المعيّة المطلقة، والجامع القدر المشترك بينهما: العون والتقوية؛ ومن ثمّ صحّ تفسير أحدهما بالآخر كما قدّمناه، لماذا لم تقل له: أنت منزلي ومقصدي؟! أنت نعيمي أنت جنّتي أنت ديني أنت مُناي آخرتي أنت دنياي أفديك روحي يا سيّدي ومولاي.

* * *

---

(١) الغيبة: ١٦٣، فصل فيمن رآه عليه السلام وهو لا يعرفه أو عرفه فيما بعد، البحار ٥٢ / ١٤ ـ ١٥.

(٢) الكهف: ٧٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٦ / ١٠٤ ـ ورى ـ.

(٤) طه: ٤٦.

٩٣
أنبط لي من خزائن الحِكَم وكوامن العلوم

من كلمات الإمام المهديّ لأبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار في جبال الطائف عمّا عهد إليه أبو محمّد عليه السلام، تقدّم شطر منها عند المختار: «إن أشعت إليك منه جزءاً أغناك عن الجملة»[١]، و«إذا بدت لك أمارات الظهور...»[٢]، وعند كلمة إهداء كتابنا الذي بين يديك. وإليك من العهد ما يربط الكلمة الجارية:

«إنّ أبي عليه السلام عهد إليَّ أن لا أوطّن من الأرض إلّا أخفاها وأقصاها إسراراً لأمري، وتحصيناً لمحلّي لمكائد أهل الضلال والمردة من أحداث الأمم الضوال، فنبذني إلى عالية الرمال، وجبت صرائم الأرض، ينظرني الغاية التي عندها يحلّ الأمر، وينجلي الهلع. وكان عليه السلام أنبط لي من خزائن الحِكَم وكوامن العلوم ما إن أشعتُ إليك منه جزءاً أغناك عن الجملة»[٣].

«أنبط» : من الإنباط: الاستخراج، قال ابن فارس: كلمة تدلّ على استخراج شيءٍ، واستنبطت الماء: استخرجته... ويقال: إنّ النبط سمّوا به لاستنباطهم المياه...[٤].

وقال ابن الأثير: فيه ـ أي في الحديث النبويّ ـ: «من غدا من بيته ينبط علماً، فرشت له الملائكة أجنحتها» أي يظهره ويفشيه في الناس. وأصله من نبط ينبط: إذا نبع، وأنبط الحفّار: بلغ الماء في البئر. الاستنباط: الاستخراج. وفي حديث بعضهم، وقد سئل عن رجل، فقال: «ذاك قريب الثرى، بعيد النبط» النبط: الماء الذي يخرج

---

(١) رقمه ٨٦. (٢) رقمه ٣٧.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٥٢ / ٣٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٨١ ـ نبط ـ

من قعر البئر إذا حفرت. يريد أنّه داني الموعد، بعيد إنجاز... والنبط والنبيط: جيل معروف كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين، وحديث ابن عبّاس «نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثي»، قيل: لأنّ إبراهيم الخليل عليه السلام ولد بها. وكان النبطُ سكّانها(١).

يريد المهدي عليه السلام بقوله: «أنبط لي من خزائن الحِكَم، وكوامن العلوم» مواريث الأنبياء والأوصياء منهم أبوه الإمام الحسن العسكريّ وهو يرثها من آبائه وأجداده إلى رسول اللّه صلوات اللّه عليهم من جبرئيل عليه السلام من اللّه جلّ جلاله، وقد نصّت النصوص بذلك:

منها: صحيح الصفّار بإسناده إلى جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصول علم عندنا نتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»(٢).

ومنها الرضوي: «إنّا أهل البيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القُذّة بالقُذّة»(٣).

ومنها صحيح حمّاد عن الصادق عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أميرالمؤمنين، وحديث أميرالمؤمنين حديث رسول اللّه، وحديث رسول اللّه قول اللّه عزّوجلّ»(٤).

والمثل النبويّ: «الحكمة ضالّة المؤمن»(٥).

«وكوامن العلوم»: جمع كامن، وكامنة مثل نواصب جمع ناصب وعواقب جمع عاقبة، من كمِنَ يَكمَنُ: استخفى في مَكْمَن لا يفطن له. وكلّ شيءٍ استتر بشيءٍ فقد

---

(١) النهاية ٥ / ٨ ـ ٩ ـ نبط ـ

(٢) بصائر الدرجات، الجزء السادس: ٣٢٠. وفي بعض النسخ «كابراء».

(٣) بصائر الدرجات: ٣١٦، القُذّة بالضمّ: ريش السهم يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يختلفان، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٧. ورقمه ٥٥٦.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١ / ١٢٧.

(٥) الأمثال النبويّة ١ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧، الرقم ٢٣٩.

كمن فيه كموناً[١].

والمراد: العلوم والحكم المستورة عن الناس المخزونة عند الأئمّة عليهم السلام. يا حبّذا لو يهبوا لنا بعض هذه العلوم والعمل على وفقه، والتمنّي المحض بلا سعي ولا كدّ لا يُثمر ثمراً:

ما لم يغرس شجراً ـ:

يقدر الكدّ تُكتسب المعالي ... ومن طلب العُلىٰ سَهَرَ الليالي

تروم العِزّ ثمّ تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي[٢]

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[٣] أي كما لا يؤاخذ أحدٌ بذنب الغير لا يُثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أنّ الصدقة والحجّ ينفعان الميّت؛ فذلك إنّما هو محبّةٍ زرعها الميّت في قلب الناوى له النائب عنه بإحسان أو إيمان أو قرابة أو غير ذلك فهو من جملة سعيه، وكذا المريض، إنّما يكتب له في مرضه ما كان بفعله في أيّام صحّته؛ لأنّ في نيّته أن لو كان صحيحاً لفعله، فهو إنّما يُثاب بالنيّة...، الجواب الكاظمي عما سأله إسحاق بن عمّار تشريك القرابة في الحجّ[٤]

* * *

(١) اللسان ١٣ / ٣٥٩ ـ كمن ـ.

(٢) كتاب كليلة ودمنة ١٧ من ديباجته.

(٣) النجم: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) تفسير الصافي ٢/٦٢٨، تفسير نورالثقلين ٥ / ١٦٨ ح ٨٧، الكافي ٤: ٣١٥ ـ ٣١٦، ح ٤.

٩٤
أنت على خير إن شاء اللّٰه تعالى

المختار من قصّة رواها الشيخان الصدوق والطوسي طاب ثراهما، وزّعناها على كلمات تقدّم بعضها عند «أتدرون ما كان أبو عبداللّٰه عليه السلام يقول؟» و «أتدرون ما كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول في سجدة الشكر؟»[1].

وقد ذكرناها هناك ومنه «كان عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام يقول في سجوده في هذا الموضع ـ وأشار بيده إلى الحِجر تحت الميزاب ـ: عبيدك بفنائك مسكينك بفناءك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك يسألك ما لا يقدر عليه غيرك».

ثم نظر ـ أي المهديّ عليه السلام ـ يميناً وشمالاً، ونظر إلى محمّد بن القاسم من بيننا، فقال: «يا محمّد بن القاسم، أنت على خير إن شاء اللّٰه تعالى» وكان محمّد بن القاسم يقول بهذا الأمر، ثمّ قام ودخل الطواف...[2].

لو لم يراجع الناظر القصّة بكاملها لم يكن الكلام متّضحاً بذلك الوضوح. وقد اشتملت على بعض أدعية أهل البيت عليهم السلام.

قوله عليه السلام: «أنت على خير إن شاء اللّٰه تعالى». دعاء لمحمّد بن القاسم بالخير، وأيّ دعاء خير من دعاء المعصوم عليه السلام، ولا ينافي كونه دعاء بالخير إخباره عليه السلام معلّقاً على المشيئة، وله نظائر يطول المقام بذكرها.

محمّد بن القاسم من هو؟

قد سبقت ترجمته هناك والمهم هنا الإشارة إلى سبب دعاء الإمام المهديّ عليه السلام

---

(١) رقمه ١٥.

(٢) الغيبة: ١٥٧ ـ ١٥٨، إكمال الدين ٢ / ٤٧١ ـ ٤٧٢، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

لأمثال محمّد بن القاسم العلويّ رحمه الله، وقد أُشير في الرواية إلى وجهة نظره إلى العلويّ وإن لم يصرّح بذلك، ألا وهو ولايته وقوله بهذا الأمر، أي بأنّ عليّاً وأحد عشر من أولاده المعصومين الحسن والحسين والسجّاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكريّ والمهديّ المنتظر عليهم السلام خلفاء الرسول، وهم من ولد فاطمة الزهراء، كلّهم معصومون منصوص عليهم من قبل اللّه عزّ وجلّ مقرّبون، وعباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وأنّ العلويّ من أهل الكرامة عند اللّه؛ ومن ثم حُظي بشرف اللقاء والدعاء الذي لا يردّ، وقد ذكرنا حديث أحمد ابن إسحاق وقول الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام له: «لولا كرامتك على اللّه عزّ وجلّ وعلى حججه، ما عرضتُ عليك ابني هذا»[1]: أي الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، وقلنا: إنّ سبب اليمن بلقائه هو التقرّب عند اللّه تعالى وأهل البيت عليهم السلام: في صحيح زرارة الباقري: «بُني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ـ قال زرارة: فقلت: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال: ـ الولاية أفضل؛ لأنّها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهن ـ قلت: ثمّ الّذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: ـ الصلاة؛ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصلاة عمود دينكم...»[2]، المبدّلة السيّئات... .

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٣٨٤ ـ ٣٨٥، البحار ٥٢ / ٢٣ ـ ٢٤، باب ذكر من رآه عليه السلام.

(٢) أُصول الكافي ٢/١٨ ـ ١٩، باب دعائم الإسلام فيه ١٥ حديثاً، الحديث ٥.

٩٥

أنت كنفي حين تعييني المذاهب

قال المجلسي طاب ثراه: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «كأنّني بالقائم قد عَبَرَ من وادي السلام إلى مسيل السهلة على فرس محجّل له شمراخ[1] يزهر، يدعو ويقول في دعائه: لا إله إلّا اللّه حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً وتصديقاً، لا إله إلّا اللّه تعبّداً ورقّاً، اللّهمّ معزّ كلّ مؤمن وحيد، ومذلّ كلّ جبّار عنيد، أنت كنفي حين تعييني المذاهب، وتضيق عليَّ الأرض بما رحبت، اللّهمّ خلقتني وكنتَ غنيّاً عن خلقي، ولولا نصرك إيّاي لكنتُ من المغلوبين، يا منشر الرحمة من مواضعها، ومخرج البركات من معادنها، ويا من خصّ نفسه بشموخ الرفعة وأولياؤه بعزّه يتعزّزون، يا من وضعت له الملوك نير[2] المذلّة على أعناقها، فهم من سطوته خائفون، أسألك باسمك الذي فطرت به خلقك، فكلّ له مذعنون، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تنجز لي أمري، وتعجّل لي في الفرج وتكفيني وتعافيني وتقضي حوائجي الساعة الساعة، الليلة الليلة، إنّك على كلّ شيءٍ قدير»[3].

قوله عليه السلام: «أنت كنفي»: من الكنف: الجانب، الناحية، الوعاء، ومنه الحديث النبوي: «أنّه توضّأ فأدخل يده في الإناء فكنفها وضرب بالماء وجهه أي جمعها وجعلها كالكنف وهو الوعاء[4]. والستر، قال ابن فارس: من الباب كنفتُ فلاناً وأكنفته. وكنفا الطائر جناحاه لأنّهما يسترانه[5].

«حين تعييني المذاهب»: من الإعياء: الإعجاز والإتعاب، وأصله العيّ: العجز،

---

(١) التحجيل: بياض في قوائم الفرس كلّها، ويكون في رجلين ويدين وفي رجلين فقط وفي رجل فقط. ولا يكون في اليدين خاصّة إلّا مع الرجلين... والشمراخ غرّة الفرس إذا دقّت وسالت وجلّلت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة.

(٢) الخشبة المعترضة في عنقي الثورين بأداتها وبالفارسية «يوغ».

(٣) البحار ٩٤ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦، و ج ٥٢ / ٣٩١.

(٤) النهاية ٤ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ كنف ـ

(٥) معجم مقاييس اللغة ٥ / ١٤٢ ـ كنف ـ.

والجهل، ومنه الحديث: «شفاء العيّ السؤال»، قاله ابن الأثير وقال: ومنه حديث الهدي: «فأزحفت عليه بالطريق فعيّ بشأنها» أي عجز عنها وأشكل عليه أمرها. ومنه حديث عليّ عليه السلام: «فِعْلُهم الداء العياء» هو الذي عيى الأطبّاء ولم ينجع فيه الدواء[١].

و«المذاهب»: المسالك والسُبل. يريد عليه السلام: يا ربّ لا ملجأ ولا منجى لي في الأمور كلّها عند جهلي بسبلها وعجزي في الوصول إلى خيرها وصوابها سواك.

للعبد أن يبثَّ إلى مولاه ما في نفسه ويُناجيه بحرقة قلب وانكسارٍ واضطرار يُوشك أن يُجاب ويكشف ضرّه.

حكى بعض السادة في كتابه دعاء القائم عليه السلام عن البحار[٢] بصورة غير ما نقلنا وفيه بدل «كنفي، كهفي...» وبدل «يزهر» «يزهو»، وبدل «معزّ» «معين»، وغيرها.

عن دلائل الإمامة: محمّد بن جرير بن رستم الطبري، عن محمّد بن هارون بن موسى، عن أبيه، عن محمّد بن همّام، عن جعفر بن محمّد الحميري، عن أحمد بن جعفر، عن عليّ بن محمّد يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القائم قال: «كأنّي به وقد عَبَر من وادي السلام إلى مسجد السهلة على فرس محجّل له شمراخ يزهو ويدعو ويقول في دعائه...».

وادي السلام: هو المقبرة الكبيرة في خارج النجف الأشرف التي تجتمع بها أرواح المؤمنين، ولعلّ الإمام المهديّ عليه الصلاة والسلام يزور ـ في طريقه إلى ظهر الكوفة ـ قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام أوّلاً ثمّ يذهب إلى مقرّ قيادته الكبرى مسجد الكوفة مروراً بمسجد السهلة [وفي بعض النسخ مسيل السهلة ولعلّ المراد به، يعرف اليوم بالخندق القريب من مسجد السهلة][٣] ولعلّ هذه النسخة هي الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام. وعلى أيّ تقدير، في الرواية ترغيب في الدعاء المذكور تأسّياً به عليه السلام.

* * *

---

(١) النهاية: ٣ / ٣٣٤ ـ عيا ـ.

(٢) ج ٥٢ / ٣٩١.

(٣) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٣٣٠، والنسخة هي التي رويناها عن الشيخ المجلسي رحمه الله من البحار ٥٢ / ٣٩١، و ٩٤ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦، وهل كان لديه كتاب آخر فيه النسخة المذكورة؟ لا أدري.

٩٦

أنتم القرى الظاهرة

قال الشيخ الطوسي: قد روى محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن محمّد بن صالح الهمداني، قال: كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام: إنّ أهل بيتي يؤذوني ويقرّعوني بالحديث الذي روي عن آبائك عليهم السلام أنّهم قالوا: «خدّامنا وقوّامنا شرار خلق الله».

فكتب: «ويحكم، ما تقرؤون ما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾[1]. فنحن والله القرى الّتي بارك فيها وأنتم القرى الظاهرة»[2].

وبقيّة الآية: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.

وفي الباقريّ: «فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عزّوجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة، والقرى الظاهرة: الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا وقوله سبحانه: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فالسير مَثَلُ العِلم سير به ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ لما يسير من العلم في الليالي والأيّام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام ﴿آمِنِينَ﴾ فيها إذا أخذوا من معدنها الّذي أمروا أن يأخذوا منه آمنين من الشكّ والضلال والنُقلة من الحرام...»[3].

---

(١) سبأ: ١٨، تفسير الصافي ٢ / ٣٧١.

(٢) الغيبة: ٢٠٩، البحار ٥١ / ٣٤٣، تفسير البرهان ٣ / ٣٤٧. (٣) تفسير البرهان ٣ / ٣٤٩.

والسجّادي: «إنّما عنى بالقرى الرجال، ثمّ تلا آيات في هذا المعنى من القرآن. قيل فمن هم؟».

قال: «نحن هم» وفي حديث في ﴿آمِنِينَ﴾ قال: «مع قائمنا أهل البيت عليهم السلام»[١].

ولا ريب أنّ هذه الآية ككثير من آيات القرآن الكريم يراد بها المثل، بل في صادقي: «إنّما القرآن أمثال لقوم يعلمون...»[٢].

وتقدّم آنفاً الباقري: «فينا ضرب الله الأمثال...»[٣]، بل جاء الحديث الصادقي: «نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة»[٤]. ايّ كريمة منها: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥]. تجد الخطاب المشدّد وَالتهديد المؤكّد إلى الرُسل وخاتمهم صلّى الله عليه وآله وعليهم وإن كان بياناً للملازمة غير المستلزم للوقوع، ولا التحقّق؛ لعظم الأمر؛ لا يُدركه إلّا من له الأمر.

* * *

(١) تفسير البرهان ٣ / ٣٤٧، تفسير الصافي ٢ / ٣٧٩، فيه حديث السجّاد عليه السلام.

(٢) محاسن البرقي ١ / ٢٦٨، الوسائل ١٨ / ١٤١.

(٣) تفسير البرهان ٣ / ٣٤٩.

(٤) أصول الكافي ٢ / ٦٣٠ ـ ٦٣١، موثّق ابن بكير، رقمه ١٤، باب النوادر، كتاب فضل القرآن، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٢٨٥، مجمع الأمثال ١ / ٤٩، الرقم ١٨٧، يضرب لمن يتكلم بكلام ويُريد به شيئاً غيره.

(٥) الزمر: ٦٥ وغيرها غير قليل.

٩٧

انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة

من حديث سعد بن عبدالله القميّ قد رواه الشيخان الصدوق والمجلسي طاب ثراهما، وفيه مسائل له وجواباتها عن الناحية المقدّسة. يطول المقام بنقله عن آخره، فاليك ما يربط المختار:

قال سعد: قلت: فأخبرني يا ابن رسول‌الله عن أمر الله‌لنبيّه موسى عليه‌السلام: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]؛ فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون أنّها كانت من إهاب الميتة[2].

فقال عليه‌السلام: «من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوّته؛ لأنّه ما خلا الأمر من خطيئتين: إمّا أن تكون صلاة موسى فيهما جائزة أو غير جائزة.

فإن كانت صلاته جائزة، جاز له لبسهما في تلك البقعة، وإن كانت مقدّسة مطهّرة، فليست بأقدس وأطهر من الصلاة.

وإن كانت صلاته غير جائزة فيهما، فقد أوجب على موسى أنّه لم يعرف الحلال من الحرام، وما علم ما تجوز فيه الصلاة، وما لم تجز، وهذا كفر».

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما.

قال: «إنّ موسى ناجى ربّه بالواد المقدّس، فقال: يا ربّ إنّي قد أخلصت لك المحبّة منّي، وغسلت قلبي عمّن سواك ـ وكان شديد الحبّ لأهله ـ.

فقال الله تعالى: ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك

---

(١) طه: ١٢، تفسير نور الثقلين ٣ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الحديث ٤٢.

(٢) أي جلدها.

لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً»[١]. الحديث مطوّل فراجع[٢].

ستسمع النقاش ورده بما لا مريد عليه:

أورد على الحديث بعض المعلّقين بصحيح الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: «قال الله عزّوجلّ لموسى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾؛ لأنّها [نّهما خ] من جلد حمار ميّت»[٣].

هذا أوّلاً، وثانياً:

محبّة الله تعالى خالصة لم تكن مخالفة لمحبّة الأهل، وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يحبّ فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام حبّاً شديداً، فتأمّل فيه[٤]؛ فإنّ هذا الحبّ بأمره عزّ وجلّ.

ثمّ يستنتج من الإيرادين بُعد صدور خبر سعد ويحتمل أنّه تقوّل وموضوع على المعصوم عليه السلام.[٥] يجاب عن الأوّل من الإيرادين:

أوّلاً: أنّ صحيح الصدوق لابدّ من تأويله بما لا ينافي مقام النبوّة على فرض جواز لبسه حتى الأنبياء عليهم السلام، أو رده وإبطاله بما فصّله الإمام المهديّ عجّل الله فرجه في جواب سعد.

وثانياً: هب أنّ حبّ الله عزّوجلّ لا يدفع حب الأهل؛ إذ هو منه أو هو هو بالنظر التوحيدي الدقيق، ولكنّ الجهة البشريّة خاصّة لمكان سؤال سعد بن عبدالله تدفع كلّ ما سواه تعالى، وبهذا يندفع الإيراد الثاني وبالكلّ كلّ ما أورده المعلّق على الحديث، (عاد الأمر إلى نصابه) يُضرب لمن يتولّاه أربابه[٦].

(غيثٌ ما أفسد البردُ) يُضرب لمن أصلح ما أفسَدَ غيره[٧] والأمثال بهذا الشأن بكثرة، من رام نظر المظانّ، لا تخفىٰ على من سَبَرَ ثنايا هذا السفر المبارك.

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٦٠، الباب ٤٣، البحار ٥٢ / ٨٣ ـ ٨٤، باب ١٩ خبر سعد بن عبدالله. اقتباسٌ عن الآية المسبق ذكرها.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٦٥، البحار ٥٢ / ٧٨ ـ ٨٨ المسبق الذكر.

(٣) هامش إكمال الدين ٢ / ٤٦٠. (٤) هامش المصدر. (٥) المصدر نفسه.

(٦) موسوعة أمثال العرب ٤ / ٣٣٣، مجمع الأمثال ٢ / ٣٥، الرقم ٢٥٤٦.

(٧) نفس الموسوعة من ٣٣٤، المستقصى ٢ / ١٥٥، الرقم ٥٢١، إذا حويتَ ريتَ.

٩٨

إن طلبتَ وجدت

سبق المختار: «إن استرشدت أُرشدت» من روايةالصدوق بإسناده عن محمّد ابن شاذان بن نعيم الشاذاني، قال: قال أبو العبّاس الكوفي: حمل رجل مالاً ليوصله، وأحبّ أن يقف على الدلالة، فوقّع عليه‌السلام:

«إن استرشدت أُرشدت، وإن طلبتَ وجدتَ، يقول لك مولاك: احمل ما معك».

قال الرجل: فأخرجت ممّا معي ستّة دنانير بلا وزن وحملت الباقي، فخرج التوقيع: «يا فلان ردّ الستّة دنانير الّتي أخرجتها بلا وزن، ووزنها ستّة دنانير وخمسة دوانيق وحبّة ونصف».

قال الرجل: فوزنت الدنانير، فإذا هي كما قال عليه‌السلام [١].

وقد تقدّم شرح وقوف الرجل على الدلالة ومعناها فراجع [٢].

الاسترشاد لا يفارق الطلب، وهل يلزم الوجدان ويوفّق الطالب لمطلوبه، أم قد يتخلّف عنه؟

الجواب:

إذا جدّ الطالب جدّه، وجد المطلوب وفتح له الباب، وقد جاء في أحاديث، وكلمات ما ينصّ على فتح الباب بإدمان قرعه.

وإليك من الأُولى:

«يا ميسر، إنّه ليس من باب يقرع إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه» [٣] وفي المثل

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٥٠٩، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، البحار ٥١ / ٣٣٩.

(٢) رقمه ٨٥ وفي نفس المصدر قلنا: إنّ قائل «احمل ما معك» إما الإمام عليه‌السلام، أو أحد السفراء.

(٣) الوسائل ٤ / ١٠٩٥.

النبويّ: «من يُكثر قرع باب الملك يفتح له»[١].

ومن الثانية:

المثل السائر: (من طلب شيئاً وجده)، قال الميداني أوّل من قال ذلك عامر بن الظّرب، وكان سيّد قومه، فلمّا كبر وخشي عليه قومه أن يموت اجتمعوا إليه، وقالوا: إنّك سيّدنا وقائلنا وشريفنا، فاجعل لنا شريفاً وسيّداً وقائلاً بعدك، فقال: يا معشر عدوان كلّفتموني بغياً، إن كنتم شرّفتموني فإنّي أريتكم ذلك من نفسي فأنّى لكم مثلي؟ افهموا ما أقول لكم، إنّه من جمع بين الحقّ والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإنّ الحقّ لم يزل ينفر من الباطل ولم يزل الباطل ينفر من الحقّ.

يا معشر عدوان لا تشمتوا بالذلّة، ولا تفرحوا بالعزّة، فبكلّ عيش يعيش الفقير مع الغنيّ، ومن يُر يوماً يُرَبه، وأعدّوا لكلّ امرئٍ جوابه، إنّ مع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال، وفيها ذمامة، ولليد العليا العاقبة، والقود راحة لا لك ولا عليك، وإذا شئت وجدت مثلك، إنّ عليك كما أن لك، وللكثرة الرُعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئاً وجده، وإن لم يجده يُوشك أن يقع قريباً منه[٢].

وقد لا يجد الشيء طالبه وإن سعى سعيه وجدّ جدّه، لمصلحة في الطالب دون الوصول إلى المطلوب؛ لأنّ المصلحة ربّما كانت في الطلب فحسب، ومن هنا قيل:

قد يرحل المرء لمطلوبه ... والسبب المطلوب في الراحل[٣]

وفي الواقع أنّه واجد للمطلوب الواقعي وإن لم يقصده بل قصد غيره ولابدّ من إيكال الأمور كلّها إليه تعالى؛ لأنّه نعم المولى ونعم الوكيل، وقوله عزّوجلّ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴾[٤] آيات

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢ / ١٤١ ـ ١٤٢، الوسائل ٣ / ٥٣٧ ـ ٥٣٨، الأمثال النبويّة ٢ / ٢٩٦، الرقم ٥٨٩.

(٢) مجمع الأمثال ٢ / ٣١٩ ـ ٣٢٠، الرقم ٤١٣٧، في أمثال وحكم ٤ / ١٧٤٤: (من طلب شيئاً وجَدَّ وَجَدَ) موسوعة أمثال العرب ٥ / ٤٥٢.

(٣) تفسير روح المعاني ١ / ٧٦.

(٤) النجم: ٣٩ ـ ٤١.

محكمات تدلّ على حسن الطلب، وأنّ الساعي لا يذهب سعيه سدى.

ومن الحضّ على الكسب قولهم: اطلب تظفر. من عجز عن زاده اتّكل على زاد غيره. لا يفترس الليث الظبي وهو رابض. كلب طوّاف خير من أسد رابض[١].

ولعمري إنّ الآيات لم تُبق لذي مقال في هذا الأمر مقالاً وإن سعى سعيه بعد آية السعي الّتي تحضّ عليه، ليفوز بالأوفر حظاً والأكثر ثواباً.

يجدّ في السعي وهو أفضل موجود فالحيوان أولى[٢]، وإنّ أجمل السعي ما كان لله تعالى، لا يفقده من طلبه، وهو لمن اشتاق إليه أشوق، ولمن أقبل عليه أشدّ اقبالاً، والغوث لمن أراده، وقد جاء من هذه الأهداف السامية في الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام أوّله: «اللّهمّ إنّي أسألك يا اللّه الدائم في ملكه... إلى قوله: يا موجود من طلبه... يا غوث من أراده، يا مقصود من أناب إليه...»[٣] رواه المجلسي عن المفيد طاب ثراهما، كذا حججه المعصومون عليهم السلام لا يتخلّف طالبهم عن الظفر بمطلوبه، وإلّا لما تمّت الحجّة عليه، وقد قال تعالى: ﴿*لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ*﴾[٤]؛ إذ لو يهدِ اللّه جلّ جلاله طالبه، كان له على اللّه الحجّة المنفيّة عنه عقلاً وشرعاً.

نعم هنا كلام: وهو أنّ الطالب لو لم يُوفّق للوصول إلى الحجّة عليه السلام بقاعدة وجوب اللطف، فأيّ لطف فيه؟

أجاب عنه المحقّق الخواجة النصير الطوسي محمّد بن محمّد بن الحسن، المتوفّى سنة ٦٧٢ هـ بقوله: وجوده لطف وتصرّفه لطف آخر، وعدمه منّا.

وقال العلّامة الحلّيّ، المتوفّى سنة ٧٢٦ هـ: والتحقيق أن نقول: لطف الإمامة يتمّ بأُمور.

---

(١) العِقد الفريد ٣ / ٤٥ ـ ٤٦، في الأمثال.

(٢) تصديق لقولهم: (لا يفترس الليث الظبى وهو رابض) والإنسان مثله إذا لم يسع لا يجد شئياً؛ ﴿*وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى*...﴾ النجم: ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) البحار ١٠٢ / ٥٦ ـ ٥٧.

(٤) النساء: ١٦٥.

منها: ما يجب على اللّٰه تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصرّف والعلم، والنصّ عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله اللّٰه تعالى.

ومنها: ما يجب على الإمام وهو تحمّله للإمامة وقبوله لها، وهذا قد فعله الإمام.

ومنها: ما يجب على الرعيّة وهو مساعدته والنصرة له، وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم يفعله[١] الرعيّة، فكان منع اللطف الكامل منهم، لا من اللّٰه تعالى، ولا من الإمام[٢]. وعليه فلا يجب الإيصال بعد إتمام الحجّة، لأنّ عدم الوصول إلى حضور الإمام عليه السلام قد أتى من سوء أعمالنا ومنّا؛ كما قال المحقّق الطوسي: «وعدمه منّا»، ولظلمنا المسبِّب لاستتاره وغيبته وهو المستتر عن أعين الظالمين الّذين لا خلاق لهم عند اللّٰه وعند حججه، ففي قصّة أحمد بن إسحاق ورؤيته الإمام المهديّ عليه السلام دلالة على ذلك، وأنّه لولا كرامة الطالب على اللّٰه عزّ وجلّ وعلى حججه لما وفّق للرؤية، ذكرناها عن آخرها عند «أنا بقيّة الله في أرضه»[٣].

وفي حديثها قال أبو محمّد العسكري بعد خروجه من البيت وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه، وما عرضت عليك ابني هذا...»[٤].

يفيدنا أنّ القرب الإلهي والانقطاع إلى أهل البيت عليهم السلام وولايتهم المعبّر عن ذلك كلّه بالكرامة هو السبب لحظوة الرؤية، ولا خصوصيّة لأحمد بن إسحاق القمّي إلّا ذلك، كما أفادنا لزوم الأمرين، أي كرامة اللّٰه وأهل البيت التي لا تنفكّ الثانية عن الأولى.

ولئن قلت: إنّ أحمد بن إسحاق كغيره ممّن عاصر العسكريّ أو أحد الأئمّة عليهم السلام قد وهب الرؤية له بلا قيد وشرط.

يقال لك: أوّلاً: الكلام فيمن لم يعاصر كما في عصر الغيبة.

---

(١) كذا. (٢) شرح التجريد: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، متناً وشرحاً. (٣) رقمه ٨٧.

(٤) البحار ٥٢/٢٣ ـ ٢٤، باب ذكر من رآه عليه السلام وفي بقاء أحمد بعد الإمام العسكري عليه السلام خلاف شديد، اُنظر: معجم رجال الحديث ٢/٤٧ ـ ٥٠.

وثانياً: ليس كلّ رؤية رؤية؛ فإنّ أعداءهم قد رأوهم فلم تنفعهم رؤيتهم؛ من بزوق شمس الرسالة هلمّ جرّاً إلى المهدي عليه السلام. وكمثل معادن الذهب والفضّة والأحجار الكريمة وكل ثمين تحت التراب هل تنفعه مع لصوقه به واتصاله؟! وأعظم من ذلك كلّه أنّ اللّه تبارك وتعالى أقرب إلى ابن آدم من حبل الوريد ومع كلّ شيء خلقه، وهل يعلم به ويعرفه؛ كي يسأله، ويعبده ويطيع أوامره ﴿*وما قدروا اللّه حقّ قدره*﴾ ما للتراب وربّ الأرباب، بلىٰ والله إنّما يعرف الله هم محمّد وآله صلى الله عليه وآله حقّ معرفته، جلهم الله عزّ وجلّ الوسائل المُبتغاة لنجح الطلبات كما سَبَقَ(١).

* * *

(١) الأنعام: ٩١، أمثال وحكم ٣ / ١٣٩١، المختار رقمه ٦٨ ص ٢٠٣، المائدة: ٣٥ فراجع.

٩٩
انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم

من حديث الإمام الباقر عليه السلام يصف خروج المهديّ عجل الله فرجه في كلام طويل رواه العيّاشي ذكرنا بعضه عند «اسكت يا فلان»[١].

وللإحاطة بما وصفه وصفاً وافياً عليه السلام من بداية الخروج إليك ما يلي:

عن عبدالأعلى الجبلي [الحلبي]، قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب، ثم أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى، حتى إذا كان قبل خروجه بليلتين انتهى المولى الذي يكون بين يديه، حتى يلقى بعض أصحابه. فيقول: كم أنتم هاهنا؟ فيقولون: نحو من أربعين رجلاً، فيقول: كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم؟ فيقولون: والله لو يأوي بنا الجبال لآويناها معه.

ثم يأتيهم من القابلة [القابل] فيقول لهم: أشيروا إلى ذوي أسنانكم وأخياركم عشيرة، فيشيرون له إليهم، فينطلق بهم، حتى يأتون صاحبهم، ويعدهم إلى الليلة التي تليها ـ

ثمّ قال أبو جعفر: ـ والله لكأنّي أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم يُنشد الله حقّه، ثمّ يقول:

يا أيّها الناس، من يحاجّني في الله فأنا أولى الناس بالله.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم.

---

(١) رقمه ٥١، كلمة زجر نظيرتها نهاية ابن الأثير ٣ / ١٨٨، فراجع.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في موسى فأنا أولى الناس بموسى.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في محمّد فأنا أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله.

يا أيّها الناس، من يحاجّني في كتاب اللّه فأنا أولى الناس بكتاب اللّه.

ثمّ ينتهي إلى المقام فيصلّي [عنده خ] ركعتين، ثمّ يُنشد اللّه حقّه.

قال أبو جعفر عليه السلام: هو واللّه المضطرّ في كتاب اللّه، وهو قول اللّه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ﴾[(١)]. وجبرئيل على الميزاب في صورة طائر أبيض، فيكون أوّل خلق اللّه يبايعه جبرئيل، ويبايعه الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: فمن ابتلي في المسير وافاه في تلك الساعة، ومن لم يُبتل بالمسير فُقد على فراشه، ـ

ثمّ قال: ـ هو واللّه قول علي بن أبي طالب عليه السلام: المفقودون عن فرشهم[(٢)]، وهو قول اللّه: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا﴾[(٣)]، أصحاب القائم الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. قال: هم واللّه الأُمّة المعدودة التي قال اللّه في كتابه: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[(٤)]، قال يجمعون في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف[(٥)].

فُيصبح بمكّة، فيدعو الناس إلى كتاب اللّه وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فيجيبه نفر يسير، ويستعمل على مكّة، ثمّ يسير فيبلغه أن قد قتل عامله، فيرجع إليهم، فيقتل المقاتلة لا يزيد على ذلك شيئاً، يعني السبي.

ثمّ ينطلق فيدعو الناس إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه عليه وآله السلام، والولاية

---

(١) النمل: ٦٢. (٢) الإكمال ٢ / ٦٧١، ب ٥٨، ح ١٨، تفسير البرهان ١ / ١٦٣.

(٣) البقرة: ١٤٨. (٤) هود: ٨.

(٥) القزع: قطع من السحاب متفرّقة صغار، قيل: وإنّما خُصّ الخريف، لأنّه أوّل الشتاء والسحاب فيه يكون متفرّقاً غير متراكم ولا مطبق، ثمّ يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك. هامش تفسير العيّاشي ٢ / ٥٧. حيث القزع في غيبة الشيخ الطوسي: ٢٨٤ ـ ٢٨٥، وتفسير البرهان ١ / ١٦٢ ـ ١٦٣.

لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، والبراءة من عدوّه، ولا يسمّي أحداً حتى ينتهي إلى البيداء، فيخرج إليه جيش السفياني، فيأمر اللّه الأرض فتأخذهم[1] من تحت أقدامهم وهو قول اللّه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾[2]: يعني بقائم آل محمّد ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ يعني بقائم آل محمّد إلى آخر السورة، ولا يبقى منهم إلّا رجلان يقال لهما وترٌ ووتيرٌ من مراد، وجوههما في أقفيتهما يمشيان القهقري، يخبران الناس بما فعل بأصحابهما.

ثمّ يدخل المدينة، فتغيب عنهم عند ذلك قريش، وهو قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «واللّه لودّت قريش ـ أي أنّ ـ عندها موقفاً واحداً جزر جزور بكلّ ما ملكت وكلّ ما طلعت عليه الشمس أو غربت»[3].

ثمّ يُحدِث حدثاً، فإذا هو فعل ذلك، قالت قريش: اخرجوا بنا إلى هذه الطاغية، فواللّه أن لو كان محمّديّاً ما فعل، ولو كان علويّاً ما فعل، ولو كان فاطميّاً ما فعل؛ فيمنحه اللّه أكتافهم، فيقتل المقاتلة ويسبي الذرّيّة.

ثمّ ينطلق حتّى ينزل الشقرة[4] فيبلغه أنّهم قد قتلوا عامله، فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة[5] إليها بشيء، ثمّ ينطلق يدعو الناس إلى كتاب اللّه وسُنّة نبيّه

---

(١) في الأصل: فيأخذهم. (٢) سبأ: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) «جزر جَزور» الجزور: البعير، يعني تودّ قريش عند ظهور المهديّ عليه السلام ومجيئه إلى المدينة تحضر قدر ذبح البعير، أو معنى آخر ذكره المجلسي في البحار ٥٢ / ٣٤١ـ٣٤٦، فراجعه.

(٤) موضع في الحجاز.

(٥) قال المعلّق على تفسير العياشي ٢ / ٥٨: الحرّة ـ بفتح الحاء والراء المهملتين ـ: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنّها أُحرقت بالنار وهي قريبة من حرّة ليلى ـ قرب المدينة ـ ووقعة الحرّة المشهورة كانت في أيّام يزيد بن معاوية، سنة ٦٣، وسبب ذلك أنّ أهل المدينة اجتمعوا بعد قتل الحسين عليه السلام عند عبداللّه بن حنظلة بن عامر، وبايعوه بالإمارة وأخرجوا عامل يزيد من المدينة، وأظهروا خلع يزيد من الخلافة.

فلمّا سمع بذلك يزيد بعث إليهم مسلم بن عقبة المرّي في اثني عشر ألفاً من أهل الشام، وسمّوه لقبيح صنيعه مسرفاً، فنزل حرّة (المسمّاة بحرّة واقم وهي الحرّة الشرقيّة من حرّتي المدينة).

←

والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام والبراءة من عدوّه.

حتّى إذا بلغ إلى الثعلبيّة[1] قام إليه رجل من صلب أبيه وهو من أشدّ الناس ببدنه وأشجعهم بقلبه، ما خلا صاحب هذا الأمر، فيقول: يا هذا، ما تصنع؟! فوالله إنّك لتُجفل الناس إجفال النعم[2]، أفبعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أم بماذا؟!

فيقول المولى الذي ولي البيعة: والله لتسكتنّ أو لأضربنّ الذي فيه عيناك.

فيقول له القائم عليه السلام: اسكت يا فلان، إي والله إنّ معي عهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله. هات لي يا فلان العَيبة[3] أو الطيبة، أو الزنفليجة[4] فأيته بها، فيقرأه العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيقول: جعلني الله فداك، أعطني رأسك أُقبّله، فيعطيه رأسه فيقبّله بين عينيه، ثمّ يقول: جعلني الله فداك، جدّد لنا بيعة؛ فيجدّد لهم بيعة.

قال أبو جعفر عليه السلام: لكأنّي أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يسير الرُعب أمامه شهراً، وخلفه شهراً، أمدّه الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، حتّى إذا صعد النجف، قال لأصحابه: تعبّدوا ليلتكم هذه؛ فيبيتون بين راكع وساجد يتضرّعون إلى الله، حتّى إذا أصبح قال: خذوا بنا طريق النُخيلة، وعلى الكوفة جندٌ مجنّدٌ.

← وخرج إليهم أهل المدينة يحاربونه، فكسرهم وقتل من الموالي ثلاث آلاف وخمسمائة رجل، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وسبعمائة، ومن قريش ألفاً وثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال، وسبوا الذرّيّة، واستباح الفروج، وحملت منهم ثمانمائة حرّة وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرّة، ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرض إلّا أن يبايعوه على أنّهم عبيد يزيد بن معاوية، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه.

وكيف كان فإنّ قصّة الحرّة طويلة، وكانت بعد قتل الحسين عليه السلام من أشنع شيءٍ جرى في أيّام يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى.

(١) من منازل مكّة إلى الكوفة.

(٢) الجفل: الطرد والإجفال: الإذهاب.

(٣) ما يجعل فيه الثياب.

(٤) الزنفليجة شبه الكنف وهو وعاء أدوات الراعي، فارسي معرّب.

قلت: جُندٌ مجنَدٌ؟!

قال: إي والله حتّى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنخيلة[١] فيصلّي فيه ركعتين، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفياني، فيقول لأصحابه استطردوا لهم، ثمّ يقول: كرّوا عليهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: ولا يجوز والله الخندق منهم مخبر، ثمّ يدخل الكوفة، فلا يبقى مؤمن إلّا كان فيها أو حنّ إليها، وهو قول أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام[٢]

ثمّ يقول لأصحابه: سيروا إلى هذه الطاغية، فيدعوه إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فيعطيه السفياني من البيعة سلماً، فيقول له كلب وهم أخواله: [ما خ] هذا؟! ما صنعت؟! والله ما نبايعك على هذا أبداً. فيقول: ما أصنع؟ فيقولون: استقبله، فيستقبله.

ثمّ يقول له القائم عليه السلام خذ حذرك[٣] فإنّني أدّيت إليك وأنا مقاتلك؛ فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويأخذ السفياني أسيراً، فينطلق به، ويذبحه بيده.

ثمّ يرسل جريدة خيل[٤] إلى الروم، فيستحضرون بقيّة بني أميّة فإذا انتهوا إلى الروم قالوا: أخرجوا إلينا أهل ملّتنا عندكم؛ فيأبون ويقولون: والله لا نفعل، فيقول الجريدة: والله لو أُمرنا لقاتلناكم؛ ثمّ ينطلقون إلى صاحبهم، فيعرضون ذلك عليه، فيقول: انطلقوا، فأخرجوا إليهم أصحابهم فإنّ هؤلاء قد أتوا بسلطان [عظيم] وهو قول الله: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾[٥]. قال: يعني الكنوز التي كنتم تكنزون. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا

---

(١) تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه عليّ عليه السلام لمّا بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله....

(٢) الوسائل ٣ / ٥٢٦.

(٣) الحذر: التحرّز ومجانبة الشيء خوفاً منه، وقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿خذوا حذركم﴾ النساء: ١٠٢: أي خذوا طريق الاحتياط واسلكوه واجعلوا الحذر ملكة في دفع ضرر الأعداء عنكم والحَذَرِ والحِذر بمعنى واحد كالأَثَرَ والإثر.

(٤) الجريدة: خيل لا رجّالة فيها.

(٥) الأنبياء: ١٢ ـ ١٣.

خَامِدِينَ﴾[١]، لا يبقى منهم مخبر.

ثمّ يرجع إلى الكوفة فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلّها، فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم، فلا يتعايون في فضاء[٢] ولا تبقى أرض إلّا نودي فيها شهادة أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له وأنّ محمّداً رسول اللّه، وهو قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٣]. ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو قول الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[٤].

قال أبو جعفر عليه السلام: «يقاتلون والله حتّى يُوحَّدَ الله ولا يُشرَك به شيئاً، وحتّى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد، ويخرج اللّه من الأرض بذرها، وينزل من السماء قطرها، ويخرج الناس خراجهم على رقابهم إلى المهديّ عليه السلام، ويوسّع اللّه على شيعتنا، ولولا ما يدركهم [ينجز لهم خ] من السعادة لبغوا.

فبينا صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام وتكلّم ببعض السنن، إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه، فيقول لأصحابه: «انطلقوا فتلحقوا بهم في التمّارين، فيأتونه بهم أسرى ليأمر بهم فيُذبحون، وهي آخر خارجة تخرج على قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله»[٥].

وإنّما جئنا عن آخر الحديث الباقري لاشتماله على كلمات مختارة منها:

«انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم» المختار الجاري، وفيه شيء من الإبهام يرفعه كلام الباقر عليه السلام حيث قال:

«ثمّ يُرسل جريدة خيل إلى الروم، فيستحضرون بقيّة بني أميّة، فإذا انتهوا إلى

---

(١) الأنبياء: ١٤ ـ ١٥.

(٢) تعاياه الأمر: أعجزه. و«فضاء» كما في الأصل، ولعلّ الصحيح «قضاء» أي في حكم أو فعل.

(٣) آل عمران: ٨٣، كما في القرآن الكريم، وفي الأصل «ترجعون».

(٤) الأنفال: ٣٩.

(٥) تفسير العيّاشي ٢/٥٦ـ٦١، تفسير البرهان ٢/٨١ـ٨٣ عند الأنفال: ٣٩، البحار ٥٢/٣١٥ ـ ٣١٦، برواية الكابلي، بعضه نقلاً عن تفسير القمي.

الروم قالوا: أخرجوا إلينا أهل ملّتنا عندكم، فيأبون ويقولون واللّٰه لا نفعل، فيقول الجريدة: واللّٰه لو أمرنا لقاتلناكم، ثمّ ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه، فيقول: انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم ـ إلى... ـ ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[1] فلا يبقى منهم مخبر، ثمّ يرجع إلى الكوفة...»[2].

أي أخرجوا إليَّ بني أميّة بقيّتهم، فيقتلهم جيش المهدي عليه السلام عن آخرهم فلا يبقى منهم أحد. وفيه احتمال آخر يسقط معه المختار، «انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم» المختار الجاري؛ امتثالاً لأمر المولىٰ عجّل الله فرجه المنتظم كلامه، الدافع الاحتمال الاُخر، لا يخفىٰ على المُعطى التدبّر حقّه.

* * *

(١) الأنبياء: ١٥.

(٢) تفسير العيّاشي ٢ / ٦٠.

١٠٠
انظره تجده

قال الشيخ الميرزا محمّد حسين النوري الطبرسي: قال آية الله العلّامة الحلّي رحمه الله في آخر منهاج الصلاح في دعاء العبرات المعروف، وهو مرويّ عن الصادق جعفر ابن محمّد عليهما السلام، وله من جهة السيّد السعيد رضيّ الدين محمّد بن محمّد الآوي قدّس الله روحه حكاية معروفة بخطّ بعض الفضلاء في هامش ذلك الموضع.

روى المولى السعيد فخر الدين محمّد بن الشيخ الأجلّ جمال الدين، عن والده، عن جدّه الفقيه يوسف، عن السيّد الرضي المذكور، أنّه كان مأخوذاً عند أمير من أُمراء السلطان (جرماغون) مدّة طويلة مع شدّة وضيق، فرأى في نومه الخلف الصالح المنتظر، فبكى وقال: يا مولاي اشفع في خلاصي من هؤلاء الظلمة.

فقال عليه السلام: «ادعُ بدعاء العبرات» فقال: ما دعاء العبرات؟

فقال عليه السلام: «إنّه في مصباحك» فقال: يا مولاي ما في مصباحي.

فقال عليه السلام: «انظره تجده».

فانتبه من منامه وصلّى الصبح، وفتح المصباح، فلقي ورقةً مكتوبةً فيها هذا الدعاء بين أوراق الكتاب، فدعا أربعين مرّة.

وكان لهذا الأمير امرأتان إحداهما عاقلة مدبّرة في أُموره، وهو كثير الاعتماد عليها.

فجاء الأمير في نوبتها، فقالت له: أخذت أحداً من أولاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟ فقال لها: لِمَ تسألين عن ذلك؟

فقالت: رأيت شخصاً وكأنّ نور الشمس يتلألأ من وجهه، فأخذ بحلقي بين

إصبعيه، ثمّ قال: «أرى بعلك أخذ ولدي، ويضيّق عليه من المطعم والمشرب».

فقلت له: يا سيّدي من أنت؟

قال: «أنا عليّ بن أبي طالب، قولي له: إن لم يخلّ عنه لأُخربنّ بيته».

فشاع هذا النوم للسلطان، فقال: ما أعلم ذلك، وطلب نوّابه، فقال: مَن عندكم مأخوذ؟ فقالوا: الشيخ العلويّ أمرتَ بأخذه.

فقال: خلّوا سبيله، وأعطوه فرساً يركبها، ودلّوه على الطريق، فمضى إلى بيته[1].

ولا يخفى عليك أنّ دعاء العبرات في الورقة الّتي قالها الإمام عليه السلام موجودة في المصدر[2]، وفي مكتبة السيّد المرعشي قسم المخطوطات، رقم ١١٥٧، الورقة ١٠٥ ـ ١٠٦ من نفس المصدر.

ثمّ إنّ السيّد صاحب المصباح لم يرد تكذيب الحجّة عجّل الله فرجه بقوله: يا مولاي ما في مصباحي، في جواب الإمام عليه السلام: «إنّه في مصباحك»، بل يريد به: أنا ما كتبته في كتابي، وكان الأمر كذلك؛ والكفعمي قال: إنه مروي عن القائم عليه السلام عمله السيّد الأوى؛ لنجاته من طاغوت زمانه إن شئت نظرت[3].

* * *

---

(١) البحار ٥٣ / ٢٢١ ـ ٢٢٢ جنّة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى، الحكاية الرابعة، وروى ابن طاووس دعاء العبرات في مهج الدعوات: ٣٣٩ ـ ٣٤٢ والحائري في إلزام الناصب: ١٥٥.

(٢) المصدر الأوّل: ٢٢٢ ـ ٢٢٥. عند المختار ٩، ٦١.

(٣) البلد الأمين: ٣٣٣.

١٠١
إن كانت مقدّسة مطهرة فليست بأقدس وأطهر من الصلاة

كلمة من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام في جواب سؤال سعد بن عبدالله الأشعري ذكرناهما عند «انزع حبّ أهلك من قبلك إن كانت محبّتك لي خالصة»[١]. برواية الشيخ الصدوق، تقدّم السؤال وجوابه معاً، وعليه فلا نعيدهما ونذكر حاصلهما بما يلي:

أمّا السؤال فهو قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾[٢] وأنّ فقهاء الفريقين يزعمون أنّ نعلي نبيّ الله موسى عليه السلام كانا من جلد الميتة؛ ومن ثمّ أُمر بخلعهما.

وجوابه عليه السلام عن ذلك: بأنّ الصلاة إذا جازت في إهاب (أي جلد) الميتة، جاز المشي فيه في الوادي المقدّس؛ لأنّ الوادي المقدّس والصلاة من حيث لزوم القداسة سواء، فليس الوادي بأقدس وأطهر من الصلاة، وإذا لم تجز الصلاة فيه ـ ومن ثمّ أمر بخلعه ـ فلازمه جهل موسى عليه السلام بالحكم الشرعي، كيف وهو صاحب الشرع السماوي، ومثل ذلك لا يجدر بمتشرّعٍ من آحاد الناس فضلاً عن نبيّ الله موسى.

وقد سبق عن بعض المعلّقين على خبر سعد هذا إشكالان له وجوابهما فراجع[٣].

ونزيد على الجوابين أنّ موسى ذهب لاقتباسٍ جذوة نار لأهله في البرّ لدفع غائلة البرد والاحتماء، لأنّها كانت حاملاً أرادت أن تضع حملها، ولا ريب كان قلبه عليه السلام عند أهله، وحينما رأىٰ النار لم تكن ناراً بل كان نوراً ساطعاً من الشجرة،

---

(١) رقمه ٩٧، إكمال الدين ٢/٤٦٠، باب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٨٤/٥٢، خبر سعد ابن عبدالله.
(٢) طٰهٰ: ١٢.
(٣) «انزع حبّ أهلك...»، الرقم ٩٧.

نودي أن يا موسىٰ إنيّ أنا اللّٰه فاخلع نعليك، يعني حبّ أهلك، وإنّما موسى لم يكن قبل الرؤية للنور من نار الشجرة في البقعة المباركة في الوادي الأيـمن نـبيّاً، بـل بالخطاب والنداء صار نبيّاً، ولا يلزم بما قبلها من حبّ الأهل غير المجامع مع حبّه تعالى، على أنّا قلنا إنّ سؤال سعد يعود إلى ظاهر الآية أوّلاً، وعن تأويلها ثـانياً، فأجاب الإمام المهديّ عليه السلام عنهما جميعاً، فلو تدبّرت عرفت أنّ الجواب هو الحقّ.

*

١٠٢
إنّ الأدب في الامتثال

الكلمة المختارة من قصّة تشرّف السيّد بحر العلوم طاب ثراه بلقاء الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، نقلها الشيخ الحاجّ الميرزا محمّد حسين النوري الطبرسي بواسطتين بينه وبين السيّد: الأُولىٰ الأغاعليّ رضا بن المولى محمّد النائيني. والثانية عن صاحب الكرامات على حدّ تعبيره ـ المولى زين العابدين بن المولى محمّد السلماسي تلميذ السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم الطباطبائي[١].

قال النوري: وكان المولى المزبور ـ أي السلماسي ـ من خاصّته في السرّ والعلانية. قال: كنت حاضراً في مجلس السيّد في المشهد الغرويّ، إذْ دخل عليه لزيارته المحقّق القمّي صاحب القوانين، في السنة الّتي رجع من العجم إلى العراق زائراً لقبور الأئمّة عليهم السلام، وحاجّاً لبيت الله الحرام، فتفرّق من كان في المجلس وحضر للاستفادة منه، وكانوا أزيد من مائة، وبقيت ثلاثة من أصحابه أرباب الورع والسداد البالغين إلى رتبة الاجتهاد. فتوجّه المحقّق الأيّد إلى جناب السيّد، وقال: إنّكم فزتم وحُزتم مرتبة الولادة الروحانيّة والجسمانيّة وقرب المكان الظاهري والباطني، فتصدّقوا علينا بذكر مائدة من موائد تلك الخوان وثمرة من الثمار الّتي جنيتم من هذه الجنان، كي ينشرح[٢] به الصدور، ويطمئنّ به القلوب.

فأجاب السيّد من غير تأمّل، وقال: إنّي كنت في الليلة الماضية قبل ليلتين أو أقلّ ـ والترديد من الراوي ـ في المسجد الأعظم بالكوفة، لأداء نافلة الليل، عازماً

---

(١) المتوفّى ١٢١٢ هـ، وتوفّي تلميذه السلماسي ١٢٦٦ هـ، وأمّا الواسطة الأُولىٰ فمعاصر للنوري المتوفّى ١٣٢٠هـ.

(٢) كذا.

على الرجوع إلى النجف في أوّل الصبح؛ لئلّا يتعطّل أمر البحث والمذاكرة، ـوهكذا كان دأبه في سنين عديدةـ.

فلمّا خرجت من المسجد أُلقي في رُوعي الشوق إلى مسجد السهلة، فصرفت خيالي عنه؛ خوفاً من عدم الوصول إلى البلد قبل الصبح، فيفوت البحث في اليوم، ولكن كان الشوق يزداد في كلّ آن، ويميل القلب إلى ذلك المكان، فبينا أُقدّم رجلاً وأُؤخّر أُخرى إذا بريح فيها غُبار كثير، فهاجت بي، وأمالتني عن الطريق، فكأنّها التوفيق الّذي هو خير رفيق، إلى أن ألقتني إلى باب المسجد.

فدخلت فإذا به خالياً عن العُبّاد والزوّار، إلّا شخصاً جليلاً مشغولاً بالمناجاة مع الجبّار، بكلمات ترقّ القلوب القاسية، وتسحّ الدموع من العيون الجامدة، فطار بالي، وتغيّرت حالي، ورجفت ركبتَي، وهملت دمعتي من استماع تلك الكلمات الّتي لم تسمعها أُذني، ولم ترها عيني ممّا وصلتُ إليه من الأدعية المأثورة، وعرفت أنّ الناجي ينشئها في الحال، لا أنّه ينشد ما أودعه في البال.

فوقفت في مكاني مستمعاً متلذّذاً إلى أن فرغ من مناجاته، فالتفت إليّ وصاح بلسان العجم «مهدي بيا» أي: هلّم يا مهديّ، فتقدّمت إليه بخطوات فوقفت، فأمرني بالتقدّم فمشيت قليلاً ثمّ وقفت، فأمرني بالتقدّم وقال: «إنّ الأدب في الامتثال» فتقدّمت إليه بحيث تصل يدي إليه ويده الشريفة إليَّ، وتكلّم بكلمة.

قال المولى السلماسي رحمه الله:

ولمّا بلغ كلام السيّد السند إلى هنا أضرب عنه صفحاً، وطوى عنه كشحاً، وشرح [ع خ] في الجواب عمّا سأله المحقّق المذكور قبل ذلك عن سرّ قلّة تصانيفه، مع طول باعه في العلوم، فذكر له وجوهاً، فعاد المحقّق القميّ فسأل عن هذا الكلام الخفيّ، فأشار بيده شبه المنكر بأنّ هذا سرّ لا يذكر[1].

---

(١) البحار: ٥٣/٢٣٤ـ٢٣٦، كتاب جنّة المأوى ـللنوري ـ الحكاية التاسعة، والكتاب كما صرّح به كالمستدرك لهذا الجزء من البحار.

ربّما يُسأل لِم ناداه عليه السلام بلغة العجم بقوله: «مهدي بيا» أي: هلّم يامهديّ؟

يجاب عنه لعلّها إشارة إلى أنّ الحديث الجاري بينه عجل الله فرجه وبين السيّد طاب ثراه سرّ لابُدّ أن يعدّ من أمر معهود ومعرّف له نفسه الشريفة بهذا الشكل من التخاطب، أو غير ذلك من وجوه.

وأمّا تسميته بـ«مهديّ» دون «محمّد مهديّ» كما هو المشتهر به فتنبيه إلى أنّ الاسم الأصلي المسمّى به هو «مهدي»؛ فلذا ناداه عليه السلام به[1] اسهى لفظ النوري.

(١) أو أنّه عليه السلام سمّاه في الوقت نفسه بذلك، كتبت يزداد بدل يزيد في الحكاية فلاحظ.

١٠٣
إنّ الأرض تضجّ إلى اللّه عزّوجلّ من بول الأغلف

روى الصدوق بإسناده إلى أبي الحسن محمّد بن جعفر الأسدي رضي الله عنه قال: كان فيما ورد عليَّ من الشيخ أبي جعفر بن عثمان ـ قدّس الله روحه ـ في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان عليه السلام :

«... وأمّا ما سألت عنه من أمر المولود الّذي نبتت غلفته بعد ما يختن هل يختن مرّة أُخرى؟ فإنّه يجب أن تقطع غلفته؛ فإنّ الأرض تضجّ إلى اللّه عزّوجلّ من بول الأغلف أربعين صباحاً»[١].

ورواه الحرّ في كتابه وعقد ثمانية أبواب فيه لذلك[٢]؛ ففي نبويّ: «طهّروا أولادكم يوم السابع؛ فإنّه أطيب وأطهر، وأسرع لنبات اللحم؛ وإنّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين صباحاً»[٣]. وصادقي: «من الحنفيّة الختن»[٤]. وجاء في آخر سبب سقوطه ونباته، وقصّة إبراهيم عليه السلام وتعيير سارة هاجر أُمّ إسماعيل حين ولد مختوناً كسائر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام[٥].

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢/٥٢١، الاحتجاج ٢/٢٩٩، البحار ١٨٢/٥٣.
(٢) الوسائل ١٥/١٦٠ـ١٦٩. (٣ و ٤) نفسه: ١٦١.
(٥) نفسه: ١٦١و١٦٢.

١٠٤
إنّ أمرنا بغتة فجأة

المختار من كلمات الإمام المهدي عجّل الله فرجه في كتابه الأوّل للشيخ المفيد في سنة عشر وأربعمائة هجريّة، تقدّم ذكره بتمامه عند «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهلية، يحشّشها عصب أمويّة»[١].

وإليك من الكتاب ما يربط الكلمة المختارة:

«فليعمل كلّ أمرئٍ منكم بما يقرب به من محبّتنا، ويتجنّب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا؛ فإنّ أمرنا بغتةً فجأة، حين لا تنفعه[٢] توبةٌ، ولا ينجيه من عقابنا ندمٌ على حوبة...»[٣].

من أقوى أسباب المحبّة لأهل البيت عليهم السلام العمل بطاعة الله عزّ وجلّ، والاجتناب عمّا يوجب كراهتهم وسخطهم روحي فداهم، وأنّ طاعتهم طاعة الله تعالى؛ قال عزّ وجلّ: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٤]، وهم نفس الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذلك محبّتهم.

قوله عليه السلام: «فإنّ أمرنا بغتة فجأة...» لعلّها أصحّ النسخ المطبوعة والمخطوطة[٥]

---

(١) رقمه: ٥٤.
(٢) الضمير عائد إلى «كلّ امرئٍ».
(٣) الاحتجاج ٢/٣٢٤، البحار ٥٣/١٧٦، باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام.
(٤) النساء: ٨٠. وآية: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ٥٩ قد فُسّرت من طرقنا بالأئمّة عليهم السلام.
(٥) كما في كتاب الاحتجاج المطبوع بمطبعة النعمان في النجف ١٣٨٦هـ، ونسختين خطّيّتين موجودتين في مكتبة السيّد المرعشي، قسم المخطوطات ـ قم، إيران ـ.
وأمّا نسخة البحار المطبوع بالطبع الحديث فلفظها: «فإنّ امرءاً يبغتة فجأة...»، ولا تطابق نسخة البحار الخطيّة مختلفة الموشّحة بتوقيع وخطّ يد الشيخ المجلسي رحمه الله الأصل للمطبوعة منه كلّها؛ والخطّيّة مختلفة المتن والنسخة، فالمتن هكذا: «فإنّ امرءاً يبعثه فجأة»، وفوق كلمة «يبعثه [يبعته]»، وفي الحاشية الورقة برقم ٢٨٢، المسامتة للمتن: «فإنّ أمرنا بغتة ←

وأوفق بالمقصود، وأمّا بقيّة النسخ المذكورة في الهامش بتفصيل، فلا أهـتدي إلى معنى محصّل منها، وبعدُ فاختر من هذا النسخ ما تحبّ، ولعلّك تحصل على معنى أقرب إلى الصواب.

* * *

← فجأة». وهي عين نسخة الاحتجاج المطبوع الآنفة الذكر.

وأمّا توقيع المرحوم الشيخ المجلسي فهو في الحاشية اليمنىٰ من الورقة ٢٨٩، هذا لفظه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ لقد عورض على الأصل الّذي برقمي القاصر، فصحّ بحمد اللّه، وكتب المفتاق إلى اللّه مؤلفه عفى اللّه عن جرائمه، في شهر ربيع الثاني من سنة ست وتسعين بعد الألف الهجريّة، رزق اللّه صاحب الكتاب طوبى وحسن مآب، والحمدلله وحده، وصلّى الله على محمّد سيّد المرسلين وعترته الأكرمين.

أقول:

النسخة الموشّحة موجودة في مكتبة السيّد المرعشي العامّة في ـ قم، إيران ـ قسم المخطوطات، رقم التسلسل ٣٥٧٧.

ثمّ الكتاب الصادر عن الناحية المقدّسة الأوّل، عام ٤١٠، والثاني في ٤١٢ هـ ، للشيخ المفيد رحمه الله قد ذكرناهما لمكان الكلمات المختارة منهما في مظانّها، منها المختار الجاري والّذي أشرنا إليه أو نشير فيما يأتي في موضعه، ولسنا بصدد شرح الكتابين إلّا ما دعت الحاجة إليه كما سبق عند «اعتصموا بالتقيّة...» نقلاً من بعض السادة، فراجع كتابه الإمام المهدي عليه السلام: ١٥٥.

١٠٥
إنّ الأنفس طيّبة بمكانك

من كلمات التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة في تعزية أبي جعفر محمّد بن عثمان العَمري الأسدي النائب الثاني بمصابه بموت أبيه، وقد سبقت هذه التعزية عند «أجزل اللّٰه لك الثواب»[١]، وعند «أحسن ـ اللّٰه ـ لك العزاء»[٢]، كما وتقدّمت ترجمة الوالد والولد هناك، والّذي يناسب المقام ذكر ما يربط المختار به، وبيان المراد منه، وإليك ما يلي من التوقيع:

قال الصدوق: قال عبدالله بن جعفر الحميري: وخرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العَمْري في التعزية بأبيه رضي الله عنهما في فصل من الكتاب:

«إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون...». وفي فصل آخر:

«أجزل اللّٰه لك الثواب وأحسن لك العزاء، رُزئتَ ورُزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه اللّٰه في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه اللّٰه عزّوجلّ ولداً مثلك يخلفه من بعده، يقوم مقامه بأمره، ويترحّم عليه، وأقول: الحمدلله؛ فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك، وما جعله اللّٰه عزّوجلّ فيك وعندك. أعانك اللّٰه وقوّاك وعضدك ووفّقك، وكان اللّٰه لك وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً»[٣].

وإنّما كرّرنا التوقيع مرّة بعد مرّة لدلالته الكافية على علوّ منزلة النائبين الأوّل

---

(١) رقمه ١٨.

(٢) رقمه ٢١. فإنّ في المختارين بيان جلالة النائبين، وبعض تفاصيل حريّ بالنظر.

(٣) إكمال الدين ٢/٥١٠، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات، الاحتجاج ٢/٣٠١، توقيعات الناحية المقدّسة.

والثاني طاب ثراهما.

قوله عليه السلام:

«فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك» لعلّ المراد بالأنفس أنفس الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وأنّها قد طابت بقيام هذا الابن البارّ مقام أبيه؛ لأنّ واحداً منهم إذا طابت نفسه بشيءٍ طابت نفوس بقيّتهم؛ فإنّهم نورٌ واحد، وما كان لأوّلهم كان لآخرهم، وما كان لآخرهم كان لأوّلهم سوى الخصائص خاصّة.

ويحتمل ثانياً أن يكون المراد بها أنفس الخلائق كلّهم؛ إذ لو علموا ما علمه الأئمّة الطاهرون ودَرَوا ما دَرَوهُ، لما اختاروا إلّا ما اختاروه، ولما آثروا عليه غيره، ولطابت أنفسهم بذلك.

ويحتمل ثالثاً أن يكون المراد بها أنفس المؤمنين تبعاً لهم عليهم السلام، فإذا طابت نفس المعصوم طابت نفس المؤمن أيضاً، وتعضده روايات الطينة المرويّة عنهم عليهم السلام.

منها الباقري: «إنّا وشيعتنا خُلقنا من طينة من علّيّين».

والآخر: «إنّ اللّه خلقنا من أعلا علّيّين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، وإنّها خلقت ممّا خلقنا منه»[1].

* * *

---

(١) البحار ٥/٢٢٥ و٢٣٥.

١٠٦
إنّا غير مهملين لمراعاتكم

صدر للشيخ المفيد طاب ثراه من الناحية المقدّسة كتابان ذكرنا أوّلهما بكـامله عند «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهليّة...»(١)، مع شرح بعض السادة لبـعض كلماته، وفيه الكلمة المختارة. وإليك ما يلي من بيان:

لا تزال رعاية اللّه عزّوجلّ المتجلّية في الإمام المعصوم عليه السلام في كلّ زمان للخلق كلّه وهي وجوده الّذي لولاه لساخت الأرض بأهلها ولم تـخل مـنه مـنذ خـلق آدم عليه السلام، وقد نصّت النصوص بذلك، منها قصّة أحمد بن إسحاق القميّ الأشعري، تقدّمت روايتها بسند الشيخ الصدوق رحمه الله، وفيها:

قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام وأنا أُريـد أن أسأله عـن الخلف [من خ] بعده، فقال مبتدئاً، «يا أحمد بن إسحاق، إنّ الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة للّه على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزّل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض»(٢).

ورعاية المعصوم من رعاية اللّه تعالى ومستقاة من فيضه الّذي لا ينقطع، وقطعة من رحمته الواسعة، إن صحّ التعبير عنها، والإمام المعصوم نور اللّه الّذي لا يـطفأ، ولا يُطفأ أبداً، وهل يفقد الناس رعاية اللّه في شيءٍ وهو الفيّاض الودود الرحيم؟! ومن نسب ذلك إلى الإمام المهديّ عليه السلام فإلى اللّه نسب، وقد قال محالاً، وفقد نور الإيمان واليقين، ومات ميتة جاهلية؛ لأنّه لم يـعرف إمـام زمـانه، ولم يكـن مـن

---

(١) رقمه ٥٤، الاحتجاج ٢/٣٢٤ـ٣٣٢، توقيعات الناحية المـقدّسة، البـحار ٥٣/١٧٤ـ١٧٦، باب ماخرج من توقيعاته عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢/٣٨٤، البحار ٥٢/٢٣.

المهتدين بضياء نوره، وطوبى لمن عرف واهتدىٰ.

وإليك ما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من شهر شعبان قد رواها الشيخ الكفعمي، ممّا يزيدك إيماناً بما يلي:

«الحمد لله العليّ العظيم، والسلام عليك أيّها العبد الصالح الزكيّ أُودعك شهادة منّي لك تقرّبني إليك في يوم شفاعتك، أشهد أنّك قتلت ولم تمت، بل برجاء حيوٰتك حييت قلوب شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك، وأشهد أنّك نور اللّه الّذي لم يطفأ ولا يطفأ أبداً، وأنّك وجه اللّه الّذي لم يهلك ولا يهلك أبداً...»[1].

نعم، ربّما كان الإمهال الّذي يظنّه الجاهل إهمالاً؛ وذلك إذا تمادى المُجرم في جرائمه، واستمرّ في تمرّده على اللّه عزّوجلّ ألقى حبله على غاربه وتركه وعمله، وهو المعبّر عنه بالخذلان المقابل للتوفيق، والإنسان لا يخلو منهما كائناً من كان.

فالموفّق سعيد، والمخذول شقيّ، ويصدق عليهما المقبول والمردود، والمرضيّ والمغضوب عليه، ونظائر ذلك من أسماء جاءت في الكتاب والسُنّة، وعصارة جميع الكتب السماويّة وتوجيهات الرسل وأوصيائهم عليهم السلام خاصّة أهل البيت من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، وحاشاه من الإهمال في رعاية الشيعة، والنسيان لذكرهم، ولولا ذلك لاصطلمهم الظالمون.

وله عليه السلام في الخلق شؤون آثره اللّه عزّوجلّ بها من دون الناس، وكيف لا يكون كذلك وهو خاتم الأئمّة وموضع إرادة اللّه التي جاءت في زيارة جدّه الحسين عليه السلام:

«إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم والصادر عمّا فصّل من أحكام العباد...»[2].

ولا نعرف من هذه الكلمات إلّا ما خرج عنهم إلينا من بيان، وأنّىٰ لنا المعرفة بكنههم وقد جاء في إذن الدخول الذي رواه الشيخ المجلسي عن نسخة قديمة من

---

(١) البلد الأمين: ٢٨٤.

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٠، الباب ٧٩، وأُنظر: «أنا الّذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً» رقمه ٩٠.

مؤلّفات الأصحاب للدخول في السرداب المقدّس وفي البقاع المنوّرة للأئمّة عليهم السلام أوّله:

«اللّهمّ إنّ هذه بقعة طهّرتها، وعقوة شرّفتها، ومعالم زكّيتها، حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد... ـ إلى قوله: ـ الحمدلله الذي مَنّ علينا بحكّام يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان...»(١).

وإنّما توسّعنا في المجال بعض التوسّع لتعرف سرّ كلمة «إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم» حيث نفى عليه السلام إهمال الرعاية وأسنده إلى نفسه وسائر الأئمّة عليهم السلام بقوله «إنّا» أي معاشر الأئمّة، وهذا شأنهم في العالم كلّه بإذن الله عزّوجلّ، والخطاب وإن كان للشيخ المفيد طاب ثراه إلّا أنّ الاعتبار بعموم الحكم الشامل للجميع بحسب الحِكَم الربّانيّة الجارية على أيدهم عليهم السلام، وسُنّته الّتي لا تَتَبَدّل.

* * *

---

(١) البحار ١٠٢/١١٥ ـ ١١٦، من المزار.

١٠٧

إنّا قد أحدثنا لك شكره ونشره

من كلمات الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، قالها لإبراهيم بن مهزيار عند مفارقة إبراهيم له عليه السلام من جبال الطائف إلى ديرته أهواز، وردّ ما عرضه عليه روحي فداه من المال لا ردّ إعراض بل ردّ شفقةٍ ورحمةٍ؛ لئلّا يقع في مشقّة السفر وقد بيّن ذلك عليه السلام بما يلي:

«يا أبا إسحاق، استعن به على منصرفك؛ فإنّ الشقّة قذفة، وفلوات الأرض أمامك جمّة[1]، ولا تحزن لإعراضا عنه؛ فإنّا قد أحدثنا لك شكره ونشره، وربضناه عندنا بالتذكرة وقبول المنّة، فبارك الله فيما خوّلك، وأدام لك ما نوّلك...»[2].

قد ذكرنا الكلام عند «إنّ الشقّة قذفة»[3]، و«بارك الله فيما خوّلك، وأدام لك ما نوّلك»[4].

وإحداث الشكر على الإسداء قبوله، وسيأتي مزيد بيان عند المختار: «ربضناه عندنا بالتذكرة»[5] حول القبول والشكر؛ إذ هم الأُسْوَة الحَسَنَة، والقُدْوة الجميلة.

* * *

(١) معظم الشيء أو الكثير منه. هامش إكمال الدين ٢/٤٥١ ب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢/٤٥١ ـ ٤٥٢، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام الآنف الذكر.

(٣) رقمه ١١١.

(٤) رقمه ١٣٤.

(٥) رقمه ١٨٨. ولا يخفى أنّ ترجمة إبراهيم تأتي في «إنّ الشقة قذفة». أي المسافة الطويلة.

١٠٨
إنّا قد ظُلمنا وطُردنا

في حديث جابر عن الباقر عليه السلام المتقدم الذكر[١]، إلى أن قال:

«فيقوم القائم بين الركن والمقام فيصلّي وينصرف ومعه وزيره، فيقول: يا أيّها الناس: إنّا نستنصر اللّه على من ظلمنا وسَلَب حقّنا، من يحاجّنا في اللّه فإنّا أوْلى باللّه، ومن يحاجّنا في آدم فإنّا أوْلى الناس بآدم، ومن حاجّنا في نوح فإنّا أوْلى الناس بنوح، ومن حاجّنا في إبراهيم فإنّا أوْلى الناس بإبراهيم، من حاجّنا بمحمّد فإنّا أوْلى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن حاجّنا في النبيّين فنحن أوْلى الناس بالنبيّين، ومن حاجّنا في كتاب اللّه فنحن أوْلى الناس بكتاب اللّه، إنّا نشهد وكلّ مسلم أنّا قد ظلمنا وطُردنا...»[٢].

والحديث طويل اختصرناه على موضع الحاجة وربط الكلمة المختارة.

قوله عجل الله فرجه «وطُردنا...» قد جاء وصفه في أحاديث آبائه عليهم السلام بالطريد، منها ما رواه الشيخ الصدوق بإسناده إلى عيسى الخشّاب، قال، قلت للحسين بن عليّ عليهما السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ قال: «لا، ولكن صاحب الأمر الطريد الشريد، الموتور بأبيه، المكنّى بعمّه، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر»[٣].

قوله عليه السلام: «الموتور بأبيه» الموتور: الّذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، ومنه الحديث: «أنا الموتور» أي صاحب الوتر الطالب بالثار[٤]. ومنه «والوتر الموتور»

---

(١) رقمه ٢٥ و٥١ و٩٩ و١٠٨ و١٤٧ و٢١٥.

(٢) تفسير العيّاشي ١/٦٥.

(٣) إكمال الدين ١/٣١٨، والعلوي: «صاحب هذا الأمر الشريد الفريد الوحيد» إكمال الدين ١/٣٠٣.

(٤) مجمع البحرين ـ وتر ـ.

المأثور في الزيارة في يوم عاشوراء[١].

قوله عليه السلام: «المكنّى بعمّه، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر» كلمتان يشهد لهما بعض الأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام.

الكلمة الأُولىٰ: «المكنّىٰ بعمّه» فيقال عجّل الله فرجه أبوجعفر.

وهل المراد «بعمّه» جعفر الطيّار ابن عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ أو العمّ المباشر وهو جعفر الكذاب[٢]؟

الجواب كلّ منهما محتمل، والأوّل أقرب لشرافته، والثاني الأَوْلى لقربه المباشري الظاهر، فاختر ما شئت.

وأمّا الدليل على ثبوت كنيته ـ روحي فداه ـ بأبي جعفر فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ المهديّ سميّه وكنيّه ومن المعلوم أنّ كنيته هي أبوجعفر.

روى النعماني بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي قال: كنت عند أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام ذات يوم، فلمّا تفرّق من كان عنده قال لي: «يا أباحمزة، من المحتوم الذي لا تبديل له عند الله قيام قائمنا، فمن شكّ فيما أقول لقي الله [سبحانه خ] وهو به كافر وله جاحد، ـ ثمّ قال: ـ بأبي وأُمي المُسمّىٰ باسمي والمُكنّىٰ بكنيتي السابع من بعدي، بأبي من يملأ الأرض عدلاً رقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»[٣].

ومن المعلوم كما تقدّم أن ليس للإمام الباقر عليه السلام كنية سوى أبي جعفر، ومن الغريب قول بعض المعلّقين على الحديث ما نصّه: (كذا، وإنّما كانت كنيته عليه السلام أباجعفر فقط كما ذكره بعض الأعلام، وليس للصاحب عليه السلام كنية غير أبي القاسم وأبي عبدالله)[٤].

والجواب: أنّ هذا الحديث بعد تخريجه دليل على تكنيته عجّل الله فرجه بأبي جعفر

---

(١) كامل الزيارات: ١٧٧، الباب ٧١.

(٢) أو التواب كما قيل، وقد لقّبه الشيخ الصدوق بالكذّاب، أُنظر: إكمال الدين ٢/٤٧٩ الباب الرابع علّة الغيْبة، وغضون المختار: «أمّا سبيل عمّي جعفر...».

(٣) غيبة النعماني: ٨٦، الباب الرابع.

(٤) هامش المصدر نفسه.

أيضاً، وله عليه السلام كنىً كثيرة، منها:

١ ـ أبوالقاسم. ٢ ـ أبوعبد الله. ٣ ـ أبوجعفر. ٤ ـ أبوإبراهيم. ٥ ـ أبوالحسين. ٦ ـ أبوتراب. ٧ ـ أبوصالح، وهذه الكنية معروفة عند الأعراب عند التوسّلات والاستغاثات[١].

الكلمة الثانية: وهي قوله عليه السلام: «يضع سيفه علىٰ عاتقه ثمانية أشهر» يشهد له ما رواه الصدوق بإسناده إلى أبي‌بصير قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «في صاحب هذا الأمر سُنّة من موسىٰ، وسُنّة من عيسىٰ، وسُنّة من يوسف، وسُنّة من محمّد صلى الله عليه وآله، فأمّا من موسىٰ فخائف يترقّب، وأمّا من عيسىٰ فيقال فيه ما[قد خ] قيل في عيسىٰ، وأمّا من يوسف فالسجن والغَيْبة، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالقيام بسيرته وتبيين آثاره، ثمّ يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر فلا يزال يقتل أعداءالله حتّى يرضىالله عزّوجلّ. قلت: وكيف يعلم أنّ الله تعالى قد رضي؟ قال: يُلقىالله عزّوجلّ في قلبه الرحمة»[٢].

ولعلّ وجه التخصيص بالعدد المذكور أي ثمانية أشهر حصول الغاية به، وهي قتل أعداءالله حتّى يرضى، وعلامة رضاه وقوع الرحمة في قلبه عليه السلام. فالحديث شاهد على الحديث المتقدّم، وإنّ أحاديثهم عليهم السلام كالقرآن يشهد بعضه على بعضه، وإليك حديثاً قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «كتاب‌الله تبصرون به، وتنطقون‌به، وتسمعون به؛ وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض...»[٣].

* * *

(١) إلزام الناصب: ١٤٠.

ومجموع كناه وألقابه وأسمائه ١٨٦. المصدر نفسه.

(٢) إكمال الدين ١/٣٢٩، الباب ٣٢، الحديث ١١.

(٣) شرح النهج ٨/٢٨٧، الخطبة ١٣٣، مصادر النهج ٢ / ٣٠٠، الرقم ١٣١، كالقرآن.

١٠٩

إنّا لغضبك غاضبون

من قنوته عليه السلام . السابق ذكره عند «ابسط سيف نقمتك على أعدائك»[١]، من السيّد ابن طاووس بعد عنوان (قنوت مولانا الحجّة محمّد بن الحسن عليهما السلام)، «وإنّ الغاية عندنا قد تناهت، وإنّا لغضبك غاضبون، وإنّا على نصر الحقّ متعاصبون، وإلى ورود أمرك مشتاقون...»[٢].

قوله عليه السلام : «إنّالغضبك غاضبون» إشارة إلى أنّ الغضب والرضا، لا بُدّ أن يكونا نابعين عن غضب الله عزّوجلّ ورضاه وتابعين لهما وعلى قدرهما، وإصابة موضعهما غير مُفرّط: أي لا يزيد الغاضب أو الراضي على الغضب المقدّر قَدَره في الكتاب والسُنّة، والرضا كذلك، ولا ينقص عن ذلك وهو معنى التابع، كما أنّ سببهما نفس السبب، فلا يكون الغضب مطلوباً في غير موضع غضب الله جلّ جلاله، كما لا يكون الرضا مرضيّاً فيما لا يرضاه تعالى، فلابُدّ أوّلاً من معرفة موضعهما وقَدرهما، وإلّا فلا يسمح للجاهل أن يغضب أو أن يرضى وهو جاهل بالموضع والمقدار؛ والأمر أبين من الشمس لمن يراها، دون الأعمى الّذي لا يراها بالعماه الّذي أرداه.

* * *

(١) رقمه ١٣، هو عجّل الله فرجه سيف الله المسلول على أعدائه.

(٢) مهج الدعوات: ٦٧.

١١٠
إنّ الزمان أصعب ممّا كان

المختار من التوقيع الآتي ذكره ومنه ما تقدّم بلفظ «إذا أفل نجم طلع نجم»[١]، وما يأتي في موضعه إن شاءالله. وإليك من روايته:

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن الحسن رضي الله عنه، عن سعد بن عبدالله، عن عليّ بن محمّد الرازي المعروف بعلّان الكليني، قال: حدّثني محمّد بن جبرئيل الأهوازي، عن إبراهيم ومحمّد ابني الفرج، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، أنّه ورد العراق شاكّاً مرتاداً، فخرج إليه:

«قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيته عن موالينا بناحيتكم، فقل لهم: أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢].

هل أمر إلّا بما هو كائن إلى يوم القيامة، أو لم تروا أنّ الله عزّ وجلّ جعل لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلىٰ أن ظهر الماضي[٣] [أبو محمّد خ] صلوات الله عليه، كلّما غاب عَلَم بدا عَلم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلمّا قبضه الله إليه، ظننتم أنّ الله عزّ وجلّ قد قطع السبب بَيْنَهَ وبين خلقه، كلّا ما كان ذلك ولا يكون حتّى تقوم الساعة ويظهر أمرالله عزّ وجلّ وهم كارهون.

يا محمّد بن إبراهيم، لا يدخلك الشكّ فيما قدمت له؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يُخلي الأرض من حجّة، أليس قال لك أبوك قبل وفاته: أحضر الساعة من يعيّر هذه

---

(١) رقمه ٣٥.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) وهو أبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

الدنانير الّتي عندي؟! فلمّا أُبطئ ذلك عليه وخاف الشيخ على نفسه الوحا[1] قال لك: عيّرها على نفسك، وأخرج إليك كيساً كبيراً، وعندك بالحضرة ثلاثة أكياس وصرّة فيها دنانير مختلفة النقد، فعيّرتها وختم الشيخ بخاتمه، وقال لك: اختم مع خاتمي، فإن أعش فأنا أحقّ بها، وإن أمت فاتّق اللّه في نفسك أوّلاً ثمّ فيَّ، فخلّصني وكن عند ظنّي بك.

أخرج رحمك الله الدنانير الّتي استفضلتها من بين النقدين من حسابنا وهي بضعة عشر ديناراً، واستردّ من قبلك؛ فإنّ الزمان أصعب ممّا كان، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

قال محمّد بن إبراهيم: وقدمت العسكر زائراً فقصدت الناحية، فلقيتني امرأة، وقالت: أنت محمّد بن إبراهيم؟ فقلت: نعم، فقالت لي: انصرف؛ فإنّك لا تصل في هذا الوقت، وارجع الليلة؛ فإنّ الباب مفتوح لك فادخل الدار واقصد البيت الّذي فيه السراج.

ففعلت وقصدت الباب، فإذا هو مفتوح، فدخلت الدار وقصدت البيت الذي وصفته، فبينا أنا بين القبرين[2] أنتحبُ وأبكي، إذ سمعت صوتاً وهو يقول: «يامحمّد، اتّق اللّه وتب من كلّ ما أنت فيه[3]، فقد قُلّدت أمراً عظيماً»[4].

قوله عليه السلام: «فإنّ الزمان أصعب ممّا كان».

هل هذه الصعوبة شاملة للكلّ، حتّى الإمام المهديّ روحي فداه؟ ظاهرها الشمول، ويمكن القول باختصاصها بالشيعة، أو به عجّل اللّه فرجه؛ لأنّه قلب العالم الّذي هو بمنزلة الجسد، فإذا عرض عارض للجسد عرض القلبَ لا محالة، حتّى في فرض الاختصاص بالشيعة؛ إذ يتألّم بتألّمهم؛ لأنّه عليه السلام بمثابة الراعي لهم، وكالمرعى للأغنام الذي لولاه لهلكت.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كأنّي بكم تجولون جولان النعم تطلبون المرعى

---

(١) اَلْوَحا: سرعة الموت. (٢) قبرا الإمامين الهادي والعسكريّ عليهما السلام في دارهما.

(٣) لأنّه كان من وكلاء الناحية المقدّسة.

(٤) إكمال الدين ٢/٤٨٦ ـ ٤٨٧، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، البحار ٥٣/١٨٦، باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام.

فلا تجدونه»[١]. وفي الرضويّ: «كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى ولا يجدونه»[٢]. وحقيقة الكلام: هي أنّ السلطة الجائرة في جميع أعصار الأئمّة قد استغلّت وغصبت كلّ شيءٍ، فأخذت بالأقطار، فضاقت الأرض على أهلها برحبها، كما قالت زينب بنت عليّ أمير المؤمنين عليهما السلام ليزيد بن معاوية لعنه الله في مجلسه المشؤوم، في خطبتها الّتي خطبتها فيه، قالت روحي فداها: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لِعظم خَطَرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلاناً مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمور متّسقة، حين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمهلاً ولا تُطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣]...» إلىٰ آخر قولها عليها السلام[٤].

الدنيا والآخرة وكلّ شيء خلقت لآل محمّد عليهم السلام، فبيُمنهم رزق الورى، والدول كلّها غاصبة، وكلّ من يتصرّف في غنائمها وأفيائها وذخائرها، وكلّ شيءٍ منها باغٍ عاتٍ ومن دون رضى من أصحابها وهم الأئمّة الطاهرون عليهم السلام.

فالدولة العبّاسية غاصبة كبقيّة الدول، والأموال جميعها مأخوذة غصباً وظلماً. وقوله عليه السلام: «الزمان أصعب ممّا كان» الأصعبيّة ترمى إلى هذه الناحية، وإلى الغصب السائد في الأعصار ومظلوميّته، فلو أنّ الأموال والنفوس كانت خاضعة للمهديّ عليه السلام ومسيطراً عليها لكان الزمان كلّه يُسراً لا عسر فيه وسهلاً لا صعوبة معه، ولكنّ الزمان زمان الأشرار، والدولة دولة الفسّاق والفُجّار، كما في التوقيع الصادر للشيخ المفيد طاب ثراه.

---

(١) إثبات الهداة ٣/٤٦٣. (٢) عيون أخبار الرضا ١/٢١٣. (٣) آل عمران: ١٧٨.

(٤) حياة الإمام الحسين عليه السلام ٣/٣٨٧، بلاغات النساء: ٢١، البحار ٤٥ / ١٥٧ ـ ١٦٠، وبعد خطبتها المطوّلة قال يزيد مجيباً لها شعراً:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون الموت على النوائح

«ونحن وإن كنّا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، مادامت دولة الدنيا للفاسقين»[١].

ولعلّ وجه الصعوبة الزمانيّة ـ وظاهرها زمان صدور التوقيع ـ: هو صعوبة الوصول إليه عليه السلام الذي هو دين الله الخالص، وأصعبيّته بالقياس إلى أيّام أبيه الحسن العسكريّ وأجداده الطاهرين عليهم السلام، حيث لم يكن الوصول إليهم بهذه الصعوبة، وإن لم يكن خالياً عنها؛ لأنّهم قد قضوا حياتهم أو أكثرها في السجون الرهيبة، والتشديد عليهم من قبل السلطة العبّاسيّة الجائرة، وكان أبو محمّد العسكريّ عليه السلام مشدّداً عليه والوصول إليه ليس سهلاً، إلّا أنّ زمان الإمام المهديّ عجّل الله فرجه قد بلغ التشدّد عليه غايته؛ لأنّ السلطة صمّمت على إبادة النسل الطاهر، ومن ثمّ كان من قضاء اللّه المحتوم استتاره وغيبته إلى أن يأذن عزّ وجلّ له بالظهور والخروج عنها، اللّهمّ عجّل في ظهوره وأرنا طلعته المحمديّة وأيّامه الزاهرة، آمين.

اشتمل على مهامّ ما للشيعة من وظيفة.

من هو المهزياري؟

يظهر من رواية الشيخ الكليني طاب ثراه أنّ محمّد بن إبراهيم المهزياري من وكلاء الحجّة عليه السلام، وإن خدشها الأُستاذ الخوئي كما يأتي بيانه، وإليك الرواية الدالّة على حمل مال أبيه إلى العراق وبقائه، قال:

فإذا أنا برقعة مع رسول، فيها: «يا محمّد معك (كذا وكذا) في جوف (كذا وكذا)» حتّى قصّ عليّ جميع ما معي ممّا لم أُحط به علماً، وسلّمته إلى الرسول، وبقيت أيّاماً لا يرفع لي رأس، واغتممت فخرج إليّ: «قد أقمناك مكان أبيك فاحمدالله»[٢].

والرواية دالّة على وثاقة الرجل ووكالته، كما صرّح بذلك الشيخ الصدوق،

---

(١) الاحتجاج ٢/٣١٨ ـ ٣٢٤، البحار ٥٣/١٧٦، الرسالة الأُولىٰ له.

(٢) أُصول الكافي ١/٥١٨.

ولكن كما تقدّم أنّ الأُستاذ الخوئي خدش أن تكون الوكالة ثابتة، وعلى فرض الثبوت لا دلالة فيها على الوثاقة.

وعندي إن ثبتت الوكالة جاءت الوثاقة؛ إذلو لم يكن الرجل موضع ثقة المعصوم عليه السلام ولو في زمان الوكالة كيف صار وكيلاً، وعليه فإمّا أن تردّ، أو قبولهما معاً.

نعم، في التوقيع المتقدّم المستخرج منه المختار دلالة على قدحه، حيث جاء في آخره: «يا محمّد اتّق اللّٰه وتب ممّا أنت فيه فقد قُلّدت أمراً عظيماً».

ولعلّ الأُستاذ الخوئي النافي للملازمة بين الوكالة والوثاقة نظر إلى هذه الفقرة: « فقد قُلّدت أمراً عظيماً» أي الوكالة. فدلّت عليها مع أنّه عليه السلام أمره بالتوبة ممّا هو فيه من الذنوب غير المجامعة مع الوثوق، فيشبه أن يكون القول النافي للملازمة حقّاً، ولكن مع ذلك كلّه للنظر فيه مجال واسع، وغير واحد من الوكلاء انحرفوا[1].

* * *

(١) معجم رجال الحديث ١٤/٢٢٢ـ٢٢٤، كالبطائني والهلالي وغيرهما منهم.

١١١
إنّ الشُقّة قُذفة

كلمة من حديث الإمام المهديّ عليه السلام مع أبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار الأهوازي عند لقائه له في جبال الطائف، وهو حديث مطوّل تقدّم شطر منه مع رواية الشيخ الصدوق بإسناده إليه عند كلمة «إذا بدت لك أمارات الظهور فلاتبطئ بإخوانك عنّا»[١]، وعند «إذا حيل بينكم وبين الكعبه»[٢]، ولكن فيه علي بن إبراهيم ابن مهزيار، وفيه خلاف، أو أنّ عليّاً وإبراهيم كليهما لقياه عجّل الله فرجه في قصّتين، وكيف كان الأمر فإليك منه ما يربط المختار:

قال إبراهيم بن مهزيار: فمكثت عنده حيناً أقتبس ما أُؤدّي إليهم[٣] من موضحات الأعلام ونيّرات الأحكام، وأُرَوّي نبات الصدور من نضارة ما ادّخره الله في طبائعه من لطائف الحِكَم، وطرائف فواضل القِسم، حتّى خفت إضاعة مخلّفي بالأهواز، لتراخي اللقاء عنهم، فاستأذنته بالقفول، وأعلمته عظيم ما أصدر به عنه من التوحّش لفُرْقته، والتجرّع للظعن عن محالّه، فأذن وأردفني من صالح دعائه ما يكون ذخراً عند الله ولعَقبي وقرابتي إن شاء الله.

فلمّا أزف ارتحالي وتهيّأ اعتزام نفسي، غدوت عليه مودّعاً ومجدّداً للعهد، وعرضت عليه مالاً كان معي يزيد على خمسين ألف درهم، وسألته أن يتفضّل بالأمر بقبوله منّي فابتسم وقال:

«يا أبا إسحاق استعن به على منصرفك؛ فإنّ الشُقّة قُذفة، وفلوات الأرض أمامك جمّة، ولا تحزن لإعراضنا عنه. فإنّا قد أحدثنا لك شُكرَه ونشره...»[٤].

---

(١) رقمه ٣٧. (٢) رقمه ٣٨. (٣) أي إخوانه المؤمنين.

(٤) إكمال الدين ٢/٤٥١ ـ ٤٥٢، الباب ٤٣ مَن شاهد القائم عليه السلام، البحار ٥٢/٣٦ ـ ٣٧.

تجد الحنان المهدوي على إبراهيم وهو باسمرار، وغيره من أوليائه عليه السلام.

اللقاء الميمون:

يصف المهزياري ما وُهب له من يُمن لقاء الإمام المهديّ عليه السلام، وما يجده من صعوبة الفراق بعد الموهبة العظمىٰ ويحزّ بنفسه تجرّع الظعن بعد اقتباس النور والحِكم الّتي سمعها مشافهة قد أُفرغت من منطق الولاية ومعدن النبوّة، والرسالة.

ثمّ إنّ الإمام ـ روحي فداه ـ إنّما امتنع من قبول الدراهم المعروضة عليه؛ لعلمه بحاجة المهزياري في هذا السفر البعيد، قائلاً له: «استعن به على منصرفك؛ فإنّ الشقّة قُذفة، وفلوات الأرض أمامك جمّة»؛ تحنّناً عليه، كيلا يقع في حرج يحتاج معه إليها؛ وعلماً منه بذلك، وكذلك يعمل معه ومع غيره ممّن يماثله وهو من سجاياه عليه السلام وقد جاء في زيارة الجامعة الكبيرة: «وعادتكم الإحسان وسجيّتكم الكرم وشأنكم الحقّ»[1].

ثمّ لم يقتنع بذلك دون أن يبشره ويطمن خاطره، حتّى لا يحزن بإعراض قبول الدراهم، أنّها قد وقعت من موضع القبول والشكر، وأنّه عليه السلام وآباءه الطاهرين يثبتونها في منشورهم المشهود عند الله عزّ وجلّ، والخلق كلّه. يوم لا ينفع إلّا الإيمان.

وأنا أقول: لو لم يكن منه عليه السلام إلّا تبسّمه الّذي لو افتدى ما في العالم كلّه ومن فيه من أجله، لما أدّى حقّه، ولكان للمهزياري منه أكبر موهبة، فضلاً عن شكره ونشره الّذين لا يبلغ فضلهما العاملون، ولا يستطيع وصفهما الواصفون، مهما كان نوعهم في شرع الحبّ والولاء.

الشُقّة قُذفة، الشقّة: المسافة البعيدة، والسفر الطويل؛ قال ابن الأثير: وفي حديث وفد عبد القيس: «إنّا نأتيك من شُقّة بعيدة» أي مسافة بعيدة. والشُقّة أيضاً: السفر الطويل[2]، والقُذفة: من القذف. قال: القذف: الرمي بقوّة، ورمي المرأة

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٢٧١. من فقرات زيارة الجامعة الكبيرة ما أَجْمعها.

(٢) النهاية ٢/٤٩٢ ـ شقق ـ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ التوبة: ٤٢.

بالزنا[١].

يريد عليه السلام: أمامك سفر طويل ومسافة بعيدة ترميك بقوتها إلى أقصى مرمى، وأنت يا أبا إسحاق بحاجة إلى جَلَد ومال كثير تستعين به على قوامها، والصمود أمامها، ومن المعلوم أنّ بلدة أهواز إيران الّتي هي بلدة المهزياري تبعد من جبال الطائف في الحجاز بمسافة كثيرة، وسفر طويل، فعبّر عن ذلك الإمام المهديّ عليه السلام بالشُقّة القاذفة؛ ومن ثمّ لم يقبل منه المال لحاجته إليه في هذا السفر الشاقّ.

إبراهيم بن مهزيار: أبواسحاق إبراهيم بن مهزيار الأهوازي عدّه الأُستاذ الخوئي من الرجال الثقات؛ لوقوعه في سند كامل الزيارات لابن قولويه شيخ الشيخ المفيد المتوفّى سنة ٣٦٧ هـ، لتصريحه في مقدّمة الكتاب أنّ ما أودعه فيه من الروايات كلّها من الطرق الموثوقة الثقات[٢]. والمستفاد من ذلك توثيق رواتها الواقعة في أسانيدها وقد قرّر مدّعاه في مجلس الدرس الذي كنّا نحضره في النجف الأشرف، وأورد أدلّةً عليه ممّا هو خارج عمّا نحن بصدده. وأمّا غيره من أرباب التراجم فلم يختلف أحد منهم أنّ إبراهيم بن مهزيار من الثقات المعروفين، وأنّه من الوكلاء[٣]، سبق في هذا البحث أنّه هو وعليّ بن مهزيار قد رويا قصّة لقائهما الإمام المهدي عليه السلام وبيان شمائله وملامحه عجّل الله فرجه.

قال المهزياري بهذا الشأن : «على خدّه الأيمن خال كأنّه فتات مسك على رضراضة عنبر...»[٤].

* * *

(١) النهاية ٤/٢٩، ـ قذف ـ.

(٢) معجم رجال الحديث ١/٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣٠٢ـ٣٠٦.

(٤) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦٠ـ١٦١.

١١٢

إنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض... كفضل الفرائض على النوافل

المختار من الجوابات الصادرة عن الناحية المقدّسة على أسئلة محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري. سَبَقَ في غضون الكتاب أن قلنا: لمحمّد هذا كتب أربعة في ثالثها مسائل، منها ما يلي: وسأل: عن سجدة الشكر بعد الفريضة، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّها بدعة، فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة، أو بعد الأربع ركعات النافلة؟ فأجاب عليه السلام: «سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها، ولم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يُحدث بدعة في دين الله. فأمّا الخبر المرويّ فيها بعد صلاة المغرب، والاختلاف في أنّها بعد الثلاث، أو الأربع (النافلة)، فإنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح. فالأفضل أن تكون بعد الفرض، فإن جعلت بعد النوافل جاز»[1].

وباقي الكلام على الفروع المتفرّعة عليه في علم الفقه وأمّا ترجمة الحميري المذكور في الرواية فقد سبقت عند المختار: الإمام عليه السلام لا يُتقدّم عليه ولايُساوى[2]، وأنّه المكنّى بأبي جعفر، وله كما تقدّم في أوّل المختار كتبٌ أربعة، وكانت الأجوبة تأتي: مرّة بلفظ (التوقيع). والجواب أو «وأمّا ما سألت».

* * *

(١) الاحتجاج ٣٠٨/٢، البحار ١٦١/٥٣.

(٢) رقمه ٧٤.

١١٣
إنّ القلوب كاعت فطنّها

هذه من فقرات دعاء العبرات المذكور في الحكاية الّتي رأى السيّد رضيّ الدين الآوي الإمام المهديّ عليه السلام في الرؤيا وأمره بقراءته للخلاص من السجن، تقدّم ذكرها عند المختار: «انظره تجده»[١] إليك من أوّله:

«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ، اللّهمّ إنّي أسألك يا راحم العبرات، ويا كاشف الكربات، أنت الّذي تُقَشِّع سحائب المِحن وقد أمست ثقالاً، وتجلو ضباب الإِحن وقد سحبت أذيالاً... ـإلى أن قال:ـ.

إلٰهي مَن أوْلى منك أن يكون عن حماك حارساً ومعاناً.

إلٰهي إنّ الأمر قد هال فَهَوِّنْه، وخَشُنَ فألِنْه، وإنّ القلوب كاعت، فطنّها[٢] والنفوس ارتاعت، فسكّنها.

إلٰهي تدارك أقداماً قد زلّت، وأفهاماً في مهامة الحيرة ضلّت، أجحف الضرّ بالمضرور في داعية الويل والثبور، فهل يحسن من فضلك أن تجعله فريسة للبلاء وهو لك راجٍ، أم هل يجمل من عدلك أن يخوض لجّة الغمّاء وهو إليك لاجٍ...»[٣].

ولولا الخروج عن موضع الكلام لأتينا عن آخره. وقد اشتمل هذا الدعاء على الاستعارات العجيبة والتمثيلات الّتي قلّ ما وجد مثلها في دعاء من الدعوات المأثورة. «إنّ القلوب كاعت فطنّها»: من كاع يكيع فهو كائع وهو الجبان، والكيع:

---

(١) رقمه ١٠٠، فيه أنّ دعاء العبرات في الورقة التي قالها عليه السلام... .

(٢) وفي نسخة خطّية: «فطمّنها».

(٣) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣/٢٢٢ـ٢٢٥، في ذكر من فاز بلقاء الحجّة عليه السلام، الحكاية الرابعة من تسع وخمسين حكاية للشيخ النوري كَمُكَمِلٍ له، والسيّد ابن طاووس في مهج الدعوات ٣٣٩ـ٣٤٢ـ٣٤٧.

الجبن. أو من كاع يكوع كوعاً. والكُوع: طرف الزند ممّا يلي الإبهام. والكَوَع: خروج الزند ونتوّه. وكوّعه بالسيف: ضَرَبه، ولعلّه بمعنى أن يصيب كوعه[١]. ولا يخفى أنّ ابن الأثير ذكر اليائيّ منه فراجع[٢]. «فطنّها» وفي نسخة: «فطمّنها» فعلى الأُولىٰ: من الطنّ والطنين: صوت الشيء الصلب، ومنه العلويّ: «ضَرَبه فأطنّ قِحْفَه» أي جعله يطنّ من صوت القطع[٣]. وعليه معناه الكنائي: القوّة: أي إنّ هذه القلوب جبنت وخبثت حتّى خمدت من نار شوق العبادة والنور المعرفة وضعفت، فأسألك يا ربّ أن تقوّيها وتشجّعها على ذلك، وعلى الثانية: من الطمأنينة والاعتدال، والمراد: إنّ القلوب خرجت عن الاستقامة والاعتدال، فأسألك أن تعيد لها نهجها المرضي وطمّنها بذكرك لأنّ ذكرك يوجب الاطمينان، كما في آية ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٤]. «والنفوس ارتاعت فسكّنها» من الارتياع: الفزع والاضطراب، فهب لها يا ربّ الأمن والأمان، وسكّنها بذلك. فلو رام الكاتب شرح هذا الدعاء لخرج إلى كتاب مفرد، وياليت لنا من كتاب يضمن ذلك على النحو المطلوب، الوافي بالمراد، وقد يقال: وحتّى إذا لم يُوجد له شرح وافٍ أليس المؤلّفة منها مهج الدعوات صنع السيد ابن طاووس الكفاية شرحاً بعد العلم باللغة والغاية ووحدة المُغيّى، وهي المعرفة به تعالى والعبوديّة له، الّتي بها تنوّر القلوب، والوصول إلى المطلوب وذلك بأنّ الدعاء من أعظم غاياته الّتي أمر العباد به معرفة اللّه، «...إنّ معرفة اللّه عزّوجلّ أُنسٌ من كلّ وحشةٍ وصاحبٌ من كلّ وحدة، ونورٌ من كلّ ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاءٌ من كلّ سقم»، وحتّى لو دعا الداعي، لا لهذه الغاية، بل للتجربة اندفع إليها؛ لعموم ما في العلوي: «... والعاقل من وَعَظَته التجارب، وفي التجارب علمٌ مستأنفٌ،...»[٥] أي جديد منه المُسبق الذكر.

* * *

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/١٤٧ ـ كوع ـ (٢) النهاية ٤/٢١٨ ـ كيع ـ مع تصرّف مّا.
(٣) نفسه ٣/١٤٠ ـ طنن ـ (٤) الرعد: ٢٨.
(٥) روضة الكافي ٢٤٧، حديث الصادق عليه السلام ٣٤٧، حقيق أن يرجع إليه ويُبنىٰ عليه والعلوى، الفقيه ٤/٣٨٨، الرقم ٥٨٣٤، النوادر فيه وصيّة عليّ عليه السلام لمحمّد بن الحنفيّة، موسوعة أمثال العرب ٤/٤٧٤.

١١٤
إنّك تحتاج إليه في سنة ثمانين

روى الشيخ الكليني بإسناده عن أبي عقيل عيسى بن نصر، قال: كتب عليّ بن زياد الصيمري يسأل كفناً، فكتب عليه السلام إليه: إنّك تحتاج إليه في سنة ثمانين، فمات سنة ثمانين وبعث إليه بالكفن قبل موته بأيّام[١].

هل المقصود بالثمانين من عُمُر الصيمري، أو الثمانين بعد المائتين؟ كما احتمله الشيخ المجلسي؟[٢]

ولعلّ الظاهر هو الثاني إذ لو أُريد منها عُمُره لقال عليه السلام: «الثمانين» بلام العهد منه، فتأمّل[٣]، وليس هذا من الإخبار بالغيب، ليقال: إنّه يخصّ اللّٰه جلّ وعلا، بل هو كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام بعد وصف الأتراك التتر، وقول بعض أصحابنا: لقد أُعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل وكان كلبيّاً:

«يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم، وإنّما علم الغيب علم الساعة، وما عدّده اللّٰه سبحانه بقوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾[٤] الآية، فيعلم اللّٰه سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أُنثى، وقبيح أو جميل، أو سخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد؛ ومن يكون للنار حطباً أو في الجنان للنبيّين

---

(١) أُصول الكافي ١/٥٢٤، الحديث ٢٧، باب مولد الصاحب عليه السلام.

(٢) مرآة العقول ٦/١٩٩.

(٣) وجهه أن لاظهور في البين، والاحتمالان غير مدفوعين بما ذكر إلّا أنّ صاحب التنقيح جزم بالثاني ج ٢/٢٩٠.

(٤) لقمان: ٣٤. آخرها الغيوب الخمسة، المختار الكاظمي.

مرافقاً. فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلّا اللّه، وما سوى ذلك فعلم علّمه اللّه نبيّه صلى الله عليه وآله فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي»(١)

قوله عليه السلام : «وما سوى ذلك فعلمٌ علّمه اللّه...» يدخل فيه الإخبار بآجال الناس، وأنّهم متىٰ يموتون، وإذا ثبت العلم المذكور لأوّلهم عليهم السلام ، ثبت لآخرهم، وكذا غيره من الفضائل إلّا الخصائص، فلا يعترض بأنّ حديثنا عن المهديّ عليه السلام ، وما ذكرتموه إنّما ثبت لجدّه روحي فداه

علي بن زياد الصيميري:

ترجمه أرباب التراجم منهم السيّد الأُستاذ الخوئي بعد ذكر اسمه قال: من أصحاب الهادي عليه السلام ، رجال الشيخ (١٢) روى محمّد بن يعقوب عن علي بن محمّد، عن أبي عقيل عيسى بن نصر، قال: كتب... ـالحديث المتقدّم...ـ، الكافي: الجزء ١، باب مولد الصاحب عليه السلام ١٢٥، الحديث ٢٧(٢).

* * *

(١) شرح نهج البلاغة ٨/٢١٥، الخطبة ١٢٨، مصادر النهج ٢/٢٨٥ـ٢٨٨، رقمها ١١٦.
(٢) معجم رجال الحديث ١٢/٣١. والصيمري نسبة إلى صيمر كجعفر محلّة بالبصرة.

١١٥
إنّ اللّه ذو أناة وأنتم تستعجلون

المختار من الجواب الصادر عن الناحية المقدّسة عن كتاب أبي جعفر [1] رواه الشيخ الصدوق، قال: قال: أبوجعفر: ولد لي مولود، فكتبت أستأذن في تطهيره يوم السابع أو الثامن، فلم يكتب شيئاً، فمات المولود يوم الثامن، ثمّ كتبت أُخبر بموته فورد:

«سيخلف عليك غيره وغيره، فسمّه أحمد ومن بعد أحمد جعفراً».

فجاء كما قال عليه السلام. قال: وتزوّجت بامرأة سرّاً، فلّما وطئتها علقت وجاءت بابنة، فاغتممت، وضاق صدري فكتبت أشكو ذلك، فورد: «ستكفاها»، فعاشت أربع سنين ثم ماتت، فورد:

«إنّ اللّه ذو أناة وأنتم تستعجلون» [2].

من صفات الباري جلّ جلاله أنّه ذو أناة، وهي ضدّ العجلة. وسرّه «إنّما يعجل من يخاف الفوت» [3]، وهو تعالى لم يكن له شريك ينازعه، ولا قاهر يقارعه، وإنّما الخلق كلّهم مقهورون وهو الواحد القهّار؛ ومن ثمّ امتدح المتّصف بالأناة وذمّ الفاقد لها. وفي الكتاب والحديث والكلمات منهما الشيء الكثير؛ فإنّ اللّه عزّوجلّ أمر العباد فيه بالتدبّر والتفكّر في آيات الآفاق والأنفس، ومن المعلوم أنّ التسرّع والعجلة ضدٌّ لهما. وفي النبويّ: «الأناة من اللّه والعجلة من الشيطان» [4].

ومن الكلمات «الأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الملامة» [5].

---

(١) كذا جاء. (٢) إكمال الدين ٢/٤٨٩، الحديث ١٢، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات.

(٣) مصباح الشيخ الكفعمي: ٩٥، من أدعية ليلة الجمعة، أوّله: «اللّهمّ من تعبأ...».

(٤) الوسائل ١٨/١٢٤، الأمثال النبويّة ١/١٨٨، الرقم ١١٩.

(٥) التمثيل والمحاضرة: ٤٢٠.

والأناة من الأني، قال ابن فارس: وله (أي للأني) أُصول أربعة: البُطء وما أشبهه من الحلم وغيره. وساعة من الزمان. وإدراك الشيء. وظرف من الظروف. فأ [مّـا] الأوّل فقال الخليل: الأناة الحلم، والفعل منه تأنّى وتَأَيّا وينشد قول الكميت:

قف بالديّار وقوف الزائرِ وتأنَّ إنّك غـيرُ صـاغر

ويروى (وتأيّ) ويقال للتمكّث في الأُمور: التأنّي. وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله للّذي تخطّى رقاب الناس يوم الجمعة: «رأيتك آذيت وآنيت» يعني أخرّت المجيء وأبطأت[١]، وقال الحطيئة:

وآنيت العشاءَ إلى سُهَيلٍ أو الشِّعرىٰ فطالَ بي الأناةُ

ويقال من الأناة رجل أَنيّ ذو أناة. قال:

وَاحلم فذُو الرّأي الأنيُّ الأحلمُ[٢]

ويقال منه قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾[٣]؛ بناءً على أنّ أصله (تأنيا) حذفت الهمزة للتخفيف. ومن بعض الأُصول الأربعة المتقدّمة آية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤].

يريد الإمام المهديّ عليه السلام بكلمة «إنّ اللّه ذو أناة وأنتم تستعجلون» التطبيق على عمل أبي جعفر، وذمّه على غمّه على مجيء البنت له، وقد كفي عنها بعد أربع سنين، كما أخبر عجّل الله فرجه بذلك، حيث استعجل الكفاية قبل أوانها.

هنا سؤال: وهو هل من الممدوح تقرير الغمّ على ولادة البنت؟ أليس ذلك من العمل الجاهلي الممقوت؟

والجواب: إنّه عليه السلام إنّما أخبر بما يقع من موتها ويتحقق في المستقبل، وليس معنى ذلك تقريراً على ما أضمره الرجل وما أبداه من الغمّ على ولادة البنت، ولعلّ الزواج كان سرّاً لم يرد أن يظهر أمره فضاق صدره من هذه الناحية، لا لأنّها بنت

---

(١) الأمثال النبويّة ١/٢١، رقم المثل ٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١/١٤١ ـ أني ـ.

(٣) طهٰ: ٤٢.

(٤) الحديد: ١٦.

ـلوجه آخر فتدبر[١]ـ وكان في العصر الجاهلي العرب يدسّونها في التراب: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ الطريحي: الموؤدة بنت تُدفن حيّة، وكانت كندة تدفن البنات[٢]، وتزعم أنّه من المكرمات إنه جهل وضلال وحسرات وزفرات، عمل غير إنساني، جاء الإسلام؛ ليحيى الناس حياةً طيّبة، ليعيشون بسلام، وأمن وأمان هما بنشئان ومشتقّان من الإيمان بالله العظيم ورسوله الكريم المبعوث رحمةً للعالمين صلى الله عليه وآله وخلفائه الأئمّة المعصومين عليهم السلام في جميع لأدوار لا يخلو من حجّة.

---

(١) ولعلّ الوجه الآخر هو ثقل المسؤوليّة الّتي أحسّ بها الرجل لكون البنت عورةً وناموساً يخشى أن لا يحفظها ولا يقوم بالواجب عليه، فأجاب بأنّه يُكفى عنها وهذا الوجه أقرب وأنسب: فتأمّل؛ لئلّا يكون الوجه المذكور مُبرّراً لوأد البنات.

(٢) النحل: ٥٨ و٥٩، التكوير ٨و٩، مجمع البحرين ١٥٣/٣، ـوأدـ.

١١٦
إنّه ثقتي وكتابه كتابي

لإسحاق بن يعقوب مسائل سأل عنها الحجّة عجّل الله فرجه، وهي سبعة عشر سؤالاً علمت من الأجوبة عنها، وإليك الجواب عن ثامنها:

«وأمّا محمّد بن عثمان العمري ـ رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ـ، فإنّه ثقتي، وكتابه كتابي»[١] سَبَقَ عنهما في التمهيد موجز الكلام:

العَمْرِيّان طاب ثراهما هما النائبان الأوّل والثاني من النوّاب الأربعة، ووثاقتهما، ووكالتهما عند «أحسن اللّٰه لك العزاء»[٢].

وأمّا محمّد بن عثمان سعيد العمري فقد تقدّم خاصّة عند «أجزل اللّٰه لك الثواب»[٣]، و«إنّ الأنفس طيّبة بمكانك»[٤] بتفصيل، على أنّه غنيّ عن الوصف والإطراء بعد اتّفاق الكلّ على سفارته بعد أبيه نوّر الله ضريحهما ورُزقنا زيارتهما.

وأمّا ترجمة إسحاق بن يعقوب فانظر «أكثروا الدعاء...»[٥] ولولاه لما كان لنا موضع عندالله عزّ وجلّ قال: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُواْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ...﴾ فيها التفسير الباقري رواه الفيض عن العيّاشي، ولفظه لفظ الكليني رحمهم الله، الجدير بالنظر[٦].

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢/٤٨٥، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، البحار ٥٣/١٨٠.

(٢) رقمه ٢١.

(٣) رقمه ١٨.

(٤) رقمه ١٠٥.

(٥) رقمه ٦٨. في اٰخر أبحاثه.

(٦) الفرقان: ٧٧، تفسير الصافي ٢/٢٧٠، الكافي ٤/٢٨٥ ـ ٢٨٦ باب الوصيّة، الحديث ١، ج ٥/٣٨، الحديث ١، كتاب الجهاد.

١١٧
إنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة اللّٰه عليهم

من جواباته عليه السلام عن بعض مسائل إسحاق بن يعقوب:

«وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة اللّٰه عليهم»[١].

الحجّة و تفسيرها:

إذا أخذ الناس بقول المعصوم وعملوا على وفقه فلهم أن يحتجّوا به يوم القيامة في الموقف، للسؤال عن الأعمال، فيقول العامل منهم: يا ربّ إنّي عملت وفق قوله، كما أنّ لله عزّوجلّ الحجّة بأن يحتجّ على تارك العمل بأن يقول له: هلاّ عملت؟! فيقول: ما علمت فيقول اللّٰه جلّ جلاله، هلاّ تعلّمت؟! وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[٢].

ففي الباقري: «إنّ اللّٰه تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي كنت عالماً؟ فإن قال: نعم قال له: أفلا عملت؟! وإن قال: كنت جاهلاً، قال: أفلا تعلّمت حتّى تعمل؟! فيخصمه، فتلك الحجّة البالغة»[٣].

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٨٤، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧.

(٢) الأنعام: ١٤٩، تفسير نورالثقلين ١ / ٧٧٥، رقمه الحديث ٣٣٠، الآتي ذكره.

(٣) تفسير البرهان ١ /٥٦٠، تفسر الصافي ١ /٥٥٥، أمالي الطوسي ٩ و١٠ /١٠.

أمّا كلمة (حجّة الإسلام) فمعناها من أراد أن يعرف الإسلام فلينظر إلى الّذي تقال له هذه الكلمة، وكذا (آية اللّٰه) سمة يستدلّ بها عليه تعالى، وإنّما يصحّ ذلك إذا صدقت أقواله، وتوافقت أفعاله، وإن كانت الأُخرى كان اسم بلا مسمّى.

وما يدركه الكثير أنّ الآيات والأحاديث تُرشد إلى العقل يا حبّذا لو عقلوها.

الحجّة حصيلة الاحتجاج والمخاصمة، وقد أُطلقت الحجّة على العلم بأنّه حجّة الجهل، وعلى العمل بأنّه حجّة العلم، والكلّ على الكلّ. فالناس بعضهم حجّة علىٰ بعضهم الآخر، المحسن منهم حجَّة على المسيء، والصالح حجّة على الطالح، وهكذا.

بل هي جارية بين الدرجات والمراتب: فالدرجة العالية حجّة على الدانية، والعُليا على العالية، وربَّ عمل من إنسان واحد دليل وحجّة لعمل آخر له. هذا من ناحية المخاصمة والمساءلة والمحاجّة؛ يحتجّ بها الله جلّ جلاله يوم القيامة.

وأمّا بالنظر إلى الناحية الأُخرى، وهي الدلالة، فلا ريب أنّ العالم دليل الجاهل بالإضافة إلى كونه حجّة عليه، والصالح دليل الطالح، والعامل دليل التارك، العاطل، وهذا أمرٌ يُدركه كل من وُهب العقل، دون الفاقد له وذو المنزلة العالية دون الدانية وهي دون الدُنيا وذو السهمين من الإيمان على السهم الواحد، وهو على الفاقد وهكذا جرىٰ في كلّ شيءٍ الأعلى لا فوقه شيءٌ والأدنى لا تحته شيءٌ، هلّم جرّاً[١].

❊

(١) موسوعة أمثال العرب ٥ / ٥٧١، في هامشه عدّة مصادر.

١١٨

إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين... كان آمناً من الفتنة

المختار من الكتاب الثاني الصادر عن الناحية المقدّسة للشيخ المفيد طاب ثراه، وإليك النصّ الكامل برواية الشيخ الطبرسي.

ورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات اللّٰه عليه يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة اثنتي عشر وأربعمائة، نسخته:

«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ، سلام اللّٰه عليك أيّها الناصر للحقّ، الداعي إليه بكلمة الصدق، فإنّا نحمد اللّٰه إليك الذي لا إلٰه إلّا هو إلٰهنا وإلٰه آبائنا الأوّلين، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد: فقد كنّا نظرنا مناجاتك، عصمك اللّٰه بالسبب الذي وهبه اللّٰه لك من أوليائه، وحرسك به من كيد أعدائه، وشفعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا ينصب في شمراخ من بهماء، صرنا إليه آنفاً من غماليل ألجأنا إليه السباريت من الإيمان.

ويوشك أن يكون هبوطنا إلى صحصح من غير بُعد من الدهر، ولا تطاول من الزمان، ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا بالأعمال، واللّٰه موفّقك لذلك برحمته، فلتكن حرسك اللّٰه بعينه الّتي لا تنام أن تقابل لذلك فتنة تسبّل [تبسل (البحار)] نفوس قوم حرثت باطلاً، لاسترهاب المبطلين، يبتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون.

وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظّم من رجس منافق مذمّم، مستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان،

لأنّنا من وراء[١] حفظهم بالدعاء الّذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بُهَمُ الخطوب، والعاقبة بجميل صنع اللّه سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهيّ عنه من الذنوب.

ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص، المجاهد فينا الظالمين، أيّدك اللّه بنصره الذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين، أنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين، وأخرج ممّا عليه إلى مستحقّيه، كان آمناً من الفتنة المبطلة، ومحنها المظلمة المظلّة، ومن بخل منهم بما أعاده [أعاره (البحار)] اللّه من نعمته على مَن أمرَه بصلته؛ فإنه يكون خاسراً بذلك لأُولاه وآخرته.

ولو أنّ أشياعنا، وفّقهم اللّه لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لَما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة، وصدقها منهم بنا، فما يحسبنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نُؤثره منهم، واللّه المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيّدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلّم.

وكتب في غرّة شوّال من سنة اثني عشر وأربعمائة.

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات اللّه على صاحبها: هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ، الملهَم للحقّ العليّ، بإملائنا وخطّ ثقتنا فأخفه عن كلّ أحد، واطوه، واجعل له نسخة يطّلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا، شملهم اللّه ببركتنا إن شاء اللّه.

الحمدُللّه والصلاة على سيّدنا محمّد النبيّ وآله الطاهرين»[٢].

توضيح: «وشفّعنا ذلك الآن من مستقرّ...» أي لننجح حاجتك.

«الشمراخ»: رأس الجبل وقمّته. و«بهماء»: المكان الذي لا يعرف الطريق إليه.

«صرنا إليه آنفاً من غماليل: ألجأنا إليه السباريت من الإيمان».

قال بعض السادة: كان الإمام قد انتقل إلى ذلك المكان في غماليل أي: وادٍ

---

(١) تقدّم عند «أنا وراك» رقمه ٩٢، تفسير هذه الكلمة.

(٢) الاحتجاج ٢/٣٢٤ـ٣٢٥، البحار ٥٣/١٧٦ـ١٧٨، باب ما خرج من توقيعاته عليه السلام.

ملتفّ بالشجر الكثير. كالغابة، وإنّما انتقل الإمام من ذلك الوادي بسبب صعوبة العيش فيها من الجذب، وعدم وجود الزرع، وإنّما اختار الإمام عليه السلام هذه المناطق المجهولة البعيدة عن البلدان والأماكن المسكونة بوصيّة من والده الإمام الحسن العسكريّ عليهما السلام. كما صرّح الإمام المهديّ بذلك لابن مهزيار، حيث قال له:

«إنّ أبي... عهد إليّ أن لا أُوطّن من الأرض إلّا أخفاها وأقصاها، إسراراً لأمري، وتحصيناً لمحلّي، لمكائد أهل الضلال والمردة من أحداث الأُمم الضوالّ»[١].

أقول: «في مستقرّ» أي: مخيّم ينصب لنا في رأس الجبل «من مفازة بهماء» أي: مجهولة و«الغماليل»: جمع الغُملول بالضمّ: وهو الوادي أو الشجر أو كلّ شيء يجتمع، أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة.

و«السباريت»: جمع السُبروت ـ بالضمّ ـ وهو القفر لا نبات فيه.

والمراد إنّ الّذين لا أصالة لهم لا في علم ولا في نسب، يفقدون الفضائل كلّها، هؤلاء هم ألجأونا إلى هذا المكان البعيد، وهذا من سوء حظّهم أن يبعد عنهم الإمام عليه السلام أصل الخير ومعدنه ومأواه.

«تسبّل ـ وفي نسخة ـ تُبسل»: أمر المفيد بالصمود والتجلّد أمام فتنة تصيّر نفوس قوم لا عمل لهم سوى زرع الباطل، يفرح المؤمنون بهلاكهم، ويحزن المجرمون به.

ما هذه الفتنة؟ الظاهر أنّها كانت تخصّ عصر الشيخ المفيد طاب ثراه.

«ويكون ـ ويوشك أن يكون ـ هبوطنا إلى صحصح من غير بُعد من الدهر...»، أو يمكث الإمام في تلك المنطقة الجديدة فترة قصيرة، ثمّ يهبط من قمّة الجبل إلى صحصح أي: إلى أرض مستوية. وفي نسخة: «ضحضح» أي: ماء يسير، ولعلّ الأوّل أقرب[٢].

قال بعض السادة الأجلّة في بيان قوله: «أنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين، وأخرج ممّا عليه إلى مستحقّيه، كان آمناً من الفتنة المبطلة، ومحنها المظلمة،

---

(١) الإمام المهديّ عليه السلام: ٢٩٣، البحار ٥٣/٣٤.

(٢) الإمام المهديّ عليه السلام: ٢٩٤، مع تصرّف ما.

المضلّة»: يضمن الإمام المهديّ عليه السلام لأهل التقوى الّذين يخرجون ما عليهم من الحقوق الماليّة: كالخمس والزكاة وغيرهما، ويدفعونها إلى مستحقّيها يضمن لهم الأمان من مضاعفات الفتنة المبطلة، وهي الّتي تأتي بالباطل والكذب والمحن. وهي ما يمتحن به الإنسان من بليّة، ووصفها بالظلام والضلال كالطريق المظلم الذي يضلّ فيه الإنسان ولا يعرف طريق الخلاص والخروج من تلك الظلمة.

«ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمر بصلته؛ فإنّه يكون خاسراً لأُولاه وآخرته»[١]. قوله: «بما أعاره الله»: من العارية أي: نِعَم الله الّتي هي بمنزلة العارية المردودة إليه تعالى، وأمّا على ما ذكرناه من نسخة «بما أعاده الله» فهي من العائدة، أي: نعمه الّتي هي عوائده تعالى. وهذا هو الأنسب بالكلام.

ثمّ إنّ أداء الحقوق الماليّة إلى مستحقّها سببٌ لأمان المؤدّى لها، خاصّة إذا كان من المتّقين، ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٢].

أي: يأمن صاحب التقوى في الآخرة من عذاب الله عزّوجلّ وفي الدنيا عن الآفة في الدين. عن هلال بن مسلم عن جدّه قال: شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام أتى بمال عند المساء، فقال: «أقسموا هذا المال» فقالوا: قد أمسَيْنا يا أميرالمؤمنين، فأخّره إلى غدٍ، فقال لهم: «تنقلبون أنّى اعيش إلى غدٍ؟» وماذا بأيدينا! قال: «فلا تُؤخّروه حتّى تقسموه» قال: فأتى بشمعة فقسّموا ذلك المال من غنائمهم. وآخر: عن مجمع أنّ عليّاً عليه السلام كان يكنس بيت المال كلّ يوم جُمُعة، ثمّ ينضحه بالماء، ثمّ يُصلّي ركعتين، يقول: تشهدان لي يوم القيامة.

روى الحرّ ست روايات كلّها عن عليّ عليه السلام وفيها تمثّلهُ بالبيت الآتي.

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه[٣]

* * *

---

(١) الإمام المهديّ عليه السلام: ٢٩٩ـ٣٠٠. (٢) الدخان: ٥١.

(٣) الوسائل ١١/٨٢ـ٨٤، العلوي ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، الباب ٤٠ من أبواب جهاد العدو...، موسوعة أمثال العرب ٥/٥٥٥، في هامشه إشارة إلى عدة مصادر فلا حظ.

١١٩

إنّه من طعام الجنّة لم تصنعه يد مخلوق

المختار من قصّة رواها الشيخ المجلسي رحمه الله، ذكرناها بكاملها عند «امض بنجحك راشداً»[١].

طعام الجنّة وثمارها:

يمتاز طعامها بأنّه لا يعرضه عارض الجفاف، ولا التغيير، لا في طعمه، ولا في لونه، ولا في طراوته، ولا يستحيل إلى ما لا يحمد من فضولات، بل يبقى على حالة واحدة، ولا يفقد روائحه الطيّبة، وقد جاء في ثمارها الوصف السماويّ، قال عزّوجلّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا...﴾[٢].

أسماؤها كأسماء ثمار الدنيا، دون مسمّاتها الطيب، غير المستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدنيا من فضولات، وطبائعها الصفراء والسوداء والدم إلّا العَرَق الذي يجري في أجسادهم [أعراضهم خ] أطيب ريحاً من المسك يشبه بعضها بأنّها كلّها خيار، لا رذل فيها...[٣]. وكما أنّ الجنّة لا يصفها إلّا خالقها كذلك ثمارها وغير ثمارها. من آثار، وخواصّ تخصها.

* * *

(١) رقمه ٧٦، البحار ٥٢/٦٨ـ٧٠، باب من رآه عليه السلام.

(٢) البقرة: ٢٥.

(٣) تفسير الصافي ١/٦٨.

١٢٠

إنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء

المختار من الجواب الإمام المهديّ عليه السلام عن مسائل إسحاق بن يعقوب سبق بعضها عند «أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»[١]، نذكر من التوقيع ما يلي:

«وأمّا علّة ما وقع من الغَيبة، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾[٢] إنّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأمّا وجه الانتفاع بي في غَيْبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب.

وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.

فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كُفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج؛ فإنّ ذلك فرجكم. والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب، وعلىٰ من اتبع الهدىٰ»[٣].

وإنّما كرّرناه لبيان اختلاف النسخ، فإنّ نسخة الغَيْبة الّتي تحضرني هكذا: «إنّي لأمان أهل الأرض...» بإضافة الأمان إلى أهل الأرض. وأمّا إكمال الدين والبحار والاحتجاج فباللام دون الإضافة.

---

(١) رقمه ٦٢. (٢) المائدة: ١٠١.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، الاحتجاج ٢/٢٨٤، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٥٢/٩٢، وج ٥٣/١٨١. وربّما يقال: إنّ كلمة «وعلى من اتّبع الهدى» دالّة على ذمّ إسحاق بن يعقوب. ولكنّه مردود أوّلاً بسبق السلام عليه، وثانياً بما تقدّم.

فعلى الأُولىٰ ربّما يتوهّم اختصاص أمانهم عليهم السلام بأهل الأرض خاصّة؛ وأمّا الأُخرى فلا اختصاص بل هم أمان للكلّ؛ وإنّما ذكر أهل الأرض لبيان المورد.

والجواب عن التوهّم: أنّ الكلام لا دلالة له على الاختصاص إطلاقاً، حتّى على الإضافة؛ لأنّها لاميّة دالّة على بيان المورد، وعليه فأهل البيت عليهم السلام أمان للعالم كلّه، وإنّما جاء ذكر الأرض لمكان التمثيل بالنجوم الكائنة في السماء، مع أنّ النجوم كونها أماناً لأهل السماء لم يتوهّم اختصاصه بهم، لأنّها أيضاً أمان لأهل الأرض عن أن يظلّوا في البرّ والبحر، فيهتدون بها، كما قال عزّوجلّ: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

والأمان تارة يقال في قبال الخوف من البلاء أو المصيبة، وأُخرى في مقابل الضياع، وثالثة عن المكروه كلّه في الدنيا والآخرة، وبما أنّ متعلّق الأمان في الممثّل والممثّل به محذوف، فيدلّ على الشمول.

ثمّ وجوه التمثيل بنجوم السماء أُمور ذكرناها في بعض مؤلّفاتنا المَثَليّة[2].

* * *

---

(١) النحل: ١٦.

(٢) الأمثال النبويّة ٢/٢٠٥، الرقم ٥٠٩، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: ٤٥٠.

١٢١
إنّي منهم بريء وآبائي منهم براء

من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن إحدى مسائل إسحاق بن يعقوب «وأمّا أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع فملعون، وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقالتهم؛ فإنّي منهم بريء وآبائي منهم براء»[١].

قال الأُستاذ الخوئي: قال الشيخ في رجاله في أصحاب الصادق عليه السلام (٣٤٥) محمّد بن مقلاص الأسدي الكوفي أبو الخطّاب ملعون غالٍ، ويكنّى: مقلاص، أبا زينب، البزّاز، البرّاد... ثمّ إن الكشيّ عنون المترجم (١٣٥)، وقال محمّد بن أبي زينب اسمه مقلاص أبو الخطّاب البرّاد الأجدع الأسدي، ويكنّى [أبا] إسماعيل أيضاً ويكنّىٰ أيضاً الظبيان، وذكر فيه روايات وهي على طوائف: فمنها: ما هو راجع إلى أشخاص آخرين يشتركون مع أبي الخطّاب في الضلالة وفساد العقيدة، وليس فيه ذكر لأبي الخطّاب أصلاً.

ومنها: ما ذكر فيه أبو الخطّاب بشخصه.

ومنها: ما ورد فيه الذمّ لعنوان عامّ يشترك فيه أبو الخطّاب وغيره.

ـ ثمّ قال الأُستاذ الخوئي بعد ذلك: ـ أمّا الطائفة الأُولىٰ فلا نذكرها في المقام... وأمّا الطائفة الثانية...[٢] وعدد ما ذكر من الطائفة الثانية (٢٢) رواية[٣]، ومن الثالثة (١٨) رواية[٤].

---

(١) إكمال الدين ٢/٤٨٥، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، الاحتجاج ٢/٢٨٣، البحار ٥٣/١٨١.

(٢) معجم رجال الحديث ١٤/٢٤٣ـ٢٦١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٤ـ٢٥٢.

(٤) نفسه ٢٥٢ـ٢٥٩.

ولسنا بصدد سرد الطوائف الثلاث، والنظر فيها؛ لأنّها متواترة السند، صريحة الدلالة على قدح أبي الخطّاب، وفساد عقيدته ولعنه، وفي ضمن الروايات المذكورة التوقيع الآنف الذكر[1]. ومن أحاديث لعنه حديث حنّان بن سدير، قال: كنت جالساً عند أبي عبدالله عليه السلام -وميسر عنده-، ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال ميسر بيّاع الزطّي: جعلت فداك، عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع، فانقطعت آثارهم، وفنيت آجالهم؛ قال: «ومن هم؟» قلت: أبو الخطّاب وأصحابه. وكان متّكئاً فجلس، فرفع إصبعه إلى السماء، ثمّ قال: «علىٰ أبي الخطّاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فأشهد بالله إنّه كافر، فاسق، مشرك وإنّه يحشر مع قرين في أشدّ العذاب غُدوّاً وعشياً...»[2].

وحديث بريد العجلي عن الصادق عليه السلام: وسألت عن قول الله عزّوجلّ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3].

قال: «هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبنان، وصائد النهدي، والحارث الشامي، وعبدالله بن الحارث، وحمزة بن عمّار الزبيري، وأبو الخطّاب»[4].

والرضوي: «كان بنان يكذب على عليّ بن الحسين عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان مغيرة بن سعيد يكذب علي أبي جعفر عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطّاب يكذب علىٰ أبي عبدالله عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمّد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، والّذي يكذب عليَّ: محمّد بن فرات».

قال أبو يحيى: وكان محمّد بن فرات من الكتّاب، فقتله إبراهيم بن شكلة[5].

هذه أربع روايات فيها الغنى عن بقيّتها التي هي أربعون رواية تذّم أبا الخطّاب الملعون على لسان المعصومين عليهم السلام، وقد استجيب دعاؤهم فيه، وفي أصحابه،

---

(١) نفسه: ٢٥٨.

(٢) معجم رجال الحديث ١٤/ ٢٤٩.

(٣) الشعراء: ٢٢١و٢٢٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ٢٥١.

منهم: سالم بن مكرم أبو خديجة، وكان في المسجد يوم بعث عيسى بن موسى إلى أبي الخطّاب، وكان عامل المنصور لَمّا بلغه أنّهم أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوّة أبي الخطّاب ـ إلى أن قال: ـ وبعث إليهم رجلاً فقتلهم جميعاً لم يفلت منهم إلّا رجل واحد وهو أبو سلمة سالم بن مكرم[1] والخطّابيّة نسبة إلى أبي الخطّاب القائل بتأخير صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم، افتراءً على الصادق عليه السلام، وغير ذلك من البدع، وكانت الأئمّة عليهم السلام هم الصادقون ولكلّ واحد منهم كاذب مفتر ملعون على لسانه، كما كان في عصر النوّاب، وبعدهم جمع من المدّعين للسفارة للإمام المهديّ عليه السلام كذباً وافتراءً، منهم: الهلالي والبلالي والشريعي والنميري وغيرهم ممّن انحرفوا، وادّعى بعضهم النبوّة، بل الربوبيّة، وخرج اللعن عليهم، وعلى كلّ مدّع لها بعد النائب الرابع: عليّ بن محمّد السمريّ رحمه الله تعالى[2] ترى هؤلاء المنوّه بأسمائهم ادّعَوا النيابة في عصر النوّاب المنصوب من قِبَله عليه السلام وفي غيبته الصُّغرىٰ فضلاً عن الكبرى الواقعة فيها الغيبة التّامّة إلى أن يأذن اللّه تعالى بالقيام عجّل اللّه له ذلك من المدّعين كذباً وافتراءً وقد شاهدناه ولعله يستمرّ إلى يوم الخروج، فيقتل أعداء اللّه إن شاء اللّه، وطغاة الأرض الظالمين، الغاصبين، المتمرّدين البُغاة.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ١٤/٢٥٦.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٥٤و٢٥٥، ما في معناه، النائب المتوفّىٰ ٣٢٩ هـ. وفي صادقي: «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذبُ علينا... كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله أصدق البريّة لهجة، وكان مُسيلمة يكذب عليه» البحار ٢٥/٢٦٣، وفيه روايات تذمّ أبا الخطّاب وأمثاله. الكشّي: ٢٦٣.

١٢٢
أهل التقوى وأهل المغفرة وأهل الفضل

قال السيّد ابن طاووس رحمه الله: وعنه صلوات الله عليه برواية أُخرىٰ فمن ذلك الدعاء المعروف بدعاء العلوي المصري لكلّ شديدة وعظيمة... أوله: «رَبِّ مَن ذاالّذي دعاك فلم تُجبهُ ومن ذاالّذي سألك فلم تُعطه ـ وهو طويل إلى ـ ومنك أسأل أن تُصلّي على محمّد وآل محمّد، ولا تردّني إلّا بذنبٍ مغفور، وسعيٍ مشكورٍ، وتجارة لن تَبُورِ، وأن تفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل ما أنا أهله، فإنك أهل التقوىٰ وأهل المغفرة وأهل الفضل والرحمة، إلٰهي وقد أطلتُ دعائي، وأكثرت خطابي، وضيق صدري حداني على ذلك كلّه... فافعل بي ما سئلتُكْ يا قدير ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العليّ العظيم وحسبنا اللّه ونعم الوكيل نعم المولىٰ ونعم النصير، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين» قال عليّ بن حمّاد: أخذت هذا الدعاء من أبي الحسن عليّ العلوي العُريضي، واشترط عليّ أن لا أبذله لمخالف ولا أُعطيه إلّا لمن أعلم مذهبه وأنّه من أولياء آل محمّد عليهم السلام ...[1].

أهل الرجل زوجه وأخصّ الناس به. التّأهّلُ التزوّج، وأهل البيت سكّانه، وأهل الإسلام من يدين به... قال اللّه عزّوجلّ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[2]. جاء في التفسير أنّ الله جلّ جلاله أنه أهلُ لأن يتقىٰ فلا يُعصىٰ وهو أهل المغفرة لمن اتقاه، وجمع الأهل الأهلون والأهلات والأهالي[3] في صحيح صادقي رواه الصدوق بإسناده عن محمّد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام : جعلت فداك مَن

---

(١) مهج الدعوات: ٢٨٠و٢٩٣.
(٢) المدثّر: ٥٦.
(٣) جمع الجمع كتاب العين ١/ ١١٥ ـأهل ـ مع تصرّفٍ مّا.

الأل؟ قال: «ذرّيّة محمّد صلى الله عليه وآله»... ومن الأهل؟ قال: «الأئمّة عليهم السلام» فقلت قوله عزّ وجلّ ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1]؟ قال: «والله ما عنىٰ إلّا ابنته» آخر: من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: «ذرّيّته» فقلت: أهل بيته؟ قال: «الأئمّة الأوصياء» فقلت: من عترته؟ قال: «أصحاب العباء» فقلت: من اُمّته؟ قال: «المؤمنون الّذين صدّقوا بما جاء من عندالله عزّ وجلّ المتمسّكون بالثقلين اللذين أمروا بالتمسّك بهما كتاب اللّه عزّ وجلّ وعترته أهل بيته الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وهما الخليفتان من بعده»[2]. وهم الشيعة الاثنا عشرية المؤمنة بالله ورسوله وخلفائه.

* * *

(١) غافر: ٤٦.

(٢) معاني الأخبار ٩٤، الحديث ٢ و٣، باب معنى الأل والاهل والعترة والأمّة، فيه اقتباس من سورة الأحزاب: ٣٣.

١٢٣

أُردها لك ببرهانٍ ينقاد له عَقلك

قال سعد: فأخبرني يا مولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار إمامٍ لأنفسهم قال: «مصلح أو مفسد؟» قلت: مصلح، قال: «فهل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاحٍ وفساد» قلت: بلى قال: «فهي العلة وأُردها[١] لك ببرهان ينقاد[٢] له عَقلك، أخبرني عن الرّسل الّذين اصطفاهم اللّٰه تعالى وأنزَلَ عليهم الكتاب وأيّدهم بالوحي والعصمة؛ إذهم أعلام الأمم وأهدىٰ إلى الاختيار منهم مثل موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همّا بالاختيار أن يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن؟» قلت: لا فقال: «هذا موسىٰ كليم اللّٰه مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي اختار من اعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لا يشكّ في ايمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين قال اللّٰه تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾[٣] إلى قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٤] فلّما وَجَدْنا اختيار من قد اصطفاه اللّٰه للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا اختيار إلّا لمن يعلم ما تُخفى الصدور وما تكنّ الضمائر وتتصرّف عليه السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد»[٥]. روى

---

(١) أي العلّة. (٢) [يثق به عقلك خ].

(٣) الأعراف: ١٥٥. (٤) البقرة: ٥٥.

(٥) الإكمال ٢/٤٦١و٤٦٢، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام في تفسير الآية للعلماء تأويل ١٥٣، منها روى الفيض عن العيون تأويلها أن قومه سألوا الرؤية والسماع وإلّا فموسى عالم ←

الكليني في الصحيح الرضويّ في نعوت الإمامة والإمام، ومنه: «إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة اللّٰه خلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي... الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدُّجىٰ وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهُدىٰ والمنجي من الردّىٰ الإمام النّار على اليفاع، والحار لمن اصطلىٰ... الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل... الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأمّ البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد... الإمام المطهر من الذنوب والمبرّأ من العيوب المخصوص بالعلم والموسوم بالحلم...»[1] اللّهمّ عجّل فرجه.

* * *

← بأنّه لا يُرىٰ بالبصر الخ تفسير الصافي ١/٦٠٩و٦١٠.

(١) الكافي ١/٢٠٠، انظر ص ١٩٨ / ٢٠٣، الحديث ١ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

١٢٤
أوصل ما معك إلى حاجز

روى الشيخ الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، قال: وحدّثني العاصمي أنّ رجلاً تفكّر في رجل يوصل إليه ما وجب للغريم عليه السلام [١]، وضاق به صدره، فسمع هاتفاً يهتف به: «أوصل ما معك إلى حاجز»[٢] تقدّمت ترجمته بتفصيل عند «الأسدي نعم العديل»[٣] فلا تعدل إلى البديل ولا تشكّ؛ فإنّه من التسويل الشيطاني.

من هذا الهاتف؟

فهم الشيخ الصدوق طاب ثراه أنّه الحجّة عليه السلام حيث عدّه من التوقيعات؛ ومن أجله ذكرناه، وعددناه من كلماته عجّل الله فرجه ولعلّه كذلك؛ لأنّ حاجزاً من وكلاء الناحية، كذا في ربيع الشيعة[٤].

وقال المفيد رحمه الله: عليّ بن محمّد، عن الحسن بن عبد الحميد: فخرج إليَّ: «ليس فينا شكّ، ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، تردُّ ما معك إلى حاجز بن يزيد»[٥] أي موضع قبول لنا، فلا تشكنّ فيه أبداً؛ فإن الشكّ والشرك هما في النار.

* * *

(١) أي الإمام المهديّ عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢/٤٩٨و٤٩٩، الحديث ٢٣، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات.

(٣) رقمه ٥٠.

(٤) نقد الرجال: ٧٨، طبعة النجف، وج ١/٣٨، ١/١٠٩٤، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٥) الإرشاد ٢/٣٦١و٣٦٢، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، إعلام الورى: ٣٦١، إذ هما كفر.

١٢٥
أُوصيك بالعود، أُوصيك بالعود، أُوصيك بالعود

المختار من قصّة حكاها الشيخ الميرزا الطبرسي النوري، طاب ثراه، نقلاً عن السيّد هاشم الهندي عن الشيخ باقر عن رجل صادق اللهجة، كان حلّاقاً، له أب كبير مُسنّ، وهو لا يقصّر في خدمته، حتّى أنّه يحمل له الإبريق إلى الخلاء ويقف ينتظره، حتّى يخرج فيأخذه منه، ولا يفارق خدمته إلّا ليلة الأربعاء، فإنّه يمضي إلى مسجد السهلة، ثمّ ترك الرواح إلى المسجد.

فسألته عن سبب ذلك، فقال: خرجت أربعين أربعاء، فلمّا كانت الأخيرة لم يتيسّر لي أن أخرج إلى قريب المغرب، فمشيت وحدي وصار الليل، وبقيت أمشي حتّى بقي ثلث الطريق، وكانت الليلة مقمرة.

فرأيت أعرابيّاً على فرس قد قصدني، فقلت في نفسي: هذا سيسلبني ثيابي، فلمّا انتهى اليَّ كلّمني بلسان البدو من العرب، وسألني عن مقصدي، فقلت: مسجد السهلة؛ فقال: معك شيء من المأكول؟[1] فقلت: لا؛ فقال: أدخل يدك في جيبك -هذا نقل بالمعنى- وأمّا اللفظ «دورك يدك لجيبك»؛ فقلت: ليس فيه شيء، فكرّر عليَّ القول بزجر حتّى أدخلت يدي في جيبي، فوجدت فيه زبيباً كنت اشتريته لطفل عندي، ونسيته فبقي في جيبي.

ثمّ قال لي الأعرابي: «أُوصيك بالعود، أُوصيك بالعود، أُوصيك بالعود».

والعود في لسانهم اسم للأب المسنّ، ثمّ غاب عن بصري، فعلمت أنّه

---

(١) يحتمل الإخبار والاستفهام.

المهديّ عليه السلام، وأنّه لا يرضى بمفارقتي لأبي حتّى في ليلة الأربعاء فلم أعد[1].

على تقدير صحّة الحكاية يحتمل تفسير «العود» بالرجوع وبالأب، كما هو المعروف عند أهل النجف الأشرف قد سمعنا من يقول منهم مخاطباً للعبّاس بن عليّ عليهما السلام: (عودك عليّ الكرّار) يعنون بذلك أباه أمير المؤمنين عليه السلام.

وعلى التفسيرين فالمظنون القائل هو الحجّة عليه السلام، وعليه في القصة دلالتان، الإخبار بما في الجيب، والإلزام برعاية الأب، أو على الأقل الإشارة إليه، ولا ريب أنّ رعاية الأب خاصّة عند الكبر من الواجب المشدّد.

ثمّ السؤال عما عنده من المأكول تمهيدٌ لأجل الإخبار بعلم الإمامة والدلالة عليه، أو تذكير، لما نَسيَ من شراء الزبيب لطفله، والغاية منه لفت النظر إلى الأثر الناسي عن العمل ولقاء الإمام المنتظر عجّل الله فرجه، والدلالة على الحق والثبات عليه، وإنّ أكثر ما جاء في القضايا المحكيّة عن التشرّف باللقاء لم تخل من الدلالة المشار إليها وحتّى في المأثور عنهم عليهم السلام كذلك.

* * *

(١) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣/٢٤٥و٢٤٦، في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى: الحكاية الثامنة عشرة، لعلّ الصحيح عشر، وهي كما ترى محتملة.

١٢٦
إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم

المختار من رواية الشيخ الطبرسي، قال: قال أبو الحسن عليّ بن أحمد الدلاّل القميّ: قال: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عزّوجلّ فوّض إلى الأئمّة صلوات الله عليهم أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على اللّه تعالى؛ لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير اللّه عزّوجلّ.

وقال آخرون: بل اللّه أقدر الأئمّة على ذلك، وفوّض إليهم، فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً.

فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان فتسألوه عن ذلك، ليوضح لكم الحقّ فيه؛ فإنه الطريق إلى صاحب الأمر؟! فرضيت الجماعة بأبي جعفر، وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته:

«إنّ الله تعالى هو الّذي خلق الأجسام، وقسم الأرزاق؛ لأنّه ليس بجسم، ولا حالّ في جسم، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع العليم[1].

وأمّا الأئمّة عليهم السلام؛ فإنّهم يسألون اللّه تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق؛ إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم»[2].

إذا كان عيسى بن مريم يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن

---

(١) اقتباس من سورة الشورىٰ: ١١، وفي الآية ﴿البصير﴾.

(٢) الاحتجاج ٢/٢٨٤و٢٨٥، توقيعات الناحية المقدّسة، معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة عليهم السلام: ٢/١٢، رقم الكتاب ١٩٨.

اللّٰه فَلِمَ لا يكون الإمام المعصوم كذلك؟

والخالق الرازق هواللّٰه وحده عند إرادة المعصوم ودعائه كعيسىٰ عليه السلام كما قال تعالى فيما اقتص عنه: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [1].

ومن هنا لا تنا في بين مادلّ على نفي شيء وعدم العلم منّا به من أهل البيت عليهم السلام، بما هم مخلوقون كسائر الناس لا يستطيعون على شيء، ولا يعلمون شيئاً، وأمّا بإقدار اللّٰه عزّوجلّ وتعليمه إيّاهم فكلّ شيء يستطيعون، وكلّ شيء يعلمون، كما هو كذلك، بل هم ـ روحي فداهم ـ عيبة علمه تعالى ومقادير إرادته.

والكلام في هذا الباب متّسع الجوانب وجدير بصنع كتاب مفرد، كما صنع لذلك الشيخ المجلسي طاب ثراه [2].

قوله عليه السلام: «إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم» تقدّم بيانه وعليه فهل يؤخذ علم التوحيد إلّا عنهم عليهم السلام؟ وهل يكون المخلَص في التوحيد إلّا هم؟ والتامّ في المحبّة إلّا هم؟ كما في زيارة الجامعة: «والتامّين في محبّة اللّٰه، والمخلصين في توحيد الله...» [3].

فإذا سألوه أجابهم اللّٰه لحقّهم العظيم عنده تعالى، والمعظّم حقّهم هو اللّٰه عزّوجلّ بما شاءه، لما شاءه جلّ جلاله. ولا يقاس بآل محمّد وآله أحد من الأمّة لا نستطيع، بل ولا ندرك ما هم عليه، وبيان ما هم فيه، وقد أوضح مضمون قوله عجّل اللّٰه فرجه: والخالق الرازق هواللّٰه وحده عند إرادتهم عليهم السلام وسؤالهم، ما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) البحار ٢٥/ ٢٦ ـ ٢٧، ٣٢٨ ـ ٣٥٠ كتاب الإمامة. الكافي ١/ ٤٣٧ و٤٣٨، الحديث الباقري ٩، باب فيه نتفٌ وجوامع من الرواية في الولاية.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٧٨، الباب ٦٨ فيه ذكر الزيارة الرضويّة وغيرها.

والصادر عمّا فصّل من أحكام العباد...»[١]. هاهنا محطّ أفكار العالمين وعـجزها. الذاتي «إذا شاء شئنا»[٢] وإنّ المشيئة قبل الإرادة وعلى كلّ تقدير لا يُـريدون إلّا ما أراد الله ولا يشاؤون إلّا ما شاء اللّٰه تعالي، ومن ثم كانت طاعة المعصوم طاعة لله وعصيانه عزّوجلّ وهي واضحة وضح الصبح الّذي عينين[٣] أو قل: (جاء العَيان فألوى بالأسانيد)[٤]. وقد دلّ البرهان القاطع والفطرة النظيفة والعقول الحَصيفة أنّ الإمامة امتداد النبوّة وهما منصبان سماْويّان، بانتصابٍ، لا انتخاب، بيد الخالق وحده.

* * *

(١) كامل الزيارات: ٢٠٠، الباب ٧٩.

(٢) رقمه ٤١: «بل قلوبنا أوعية لمشيئة اللّٰه...».

(٣) موسوعة أمثال العرب ٥/٦٥٤.

(٤) مجمع الأمثال ١/١٩٠، مولّدٌ موسوعة أمثال العرب ٣/٤٦٠.

١٢٧

أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة

المختار من حديث سعد بن عبد اللّٰه المطوّل، وأحمد بن إسحاق الأشعريّين السابق الذكر عند «أمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا ما طاب وطهر»[١] مع التوقيع عن قبلهعليه‌السلام والأموال الّتي جاء بها أحمد وقول أبي محمّد العسكريّ له: «هذه هدايا شيعتك ومواليك يا بني فضّ الخاتم وقولهعليهما‌السلام: يا مولای أيجوز...[٢] كلّ ذلك قد تبيّن سؤالاً وجواباً في الآنف الذكر، وفي غضون الكتاب لا يخفى على من دقق النظر، قلنا إنّ الطهارة مشترط كونها في المعصوم نبيّاً كان أو إماماً، دلّ دليل العقل والنقل كآية التطهير[٣] المتّفق على نزولها في أهل البيتعليهم‌السلام عند الفريقين أمّا العلماء الإماميّة فمفروغ عنهم، وعند الجمهور فقد سَبَق أنّ الحجّة الأمينيرحمه‌الله في كتابه[٤] أثبت أسماء رواتهم في مجامعهم الحديثيّة، وعليها الروايات المأثورة بهذا الشأن بأسرها على مسلك العدليّة ليست إلّا الإشارد إلى ما تُدركه العقول الحصيفة والنفوس النظيفة من طاهرة المولد، والأصلاب الشامخة والأرحام المطهرّة لم تنجّسها الجاهليّة الجهلاء بأنجاسها ولم تُلبسها من المُدلهمّات ثيابها، طاهرٌ مطهّر من طُهرٍ طاهرٍ[٥].

فقال مولاي: «يا أحمد بن إسحاق استخرج ما بين الحلال والحرام منها» فأوّل

---

(١) رقمه ٦٢ و٦٨ و٨٢، مرّ غير مرّة أو في معناه احتمالاً.

(٢) إكمال الدين: ٢/٤٥٧ و٤٥٨، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه‌السلام.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الغدير: ٥/٤١٦ و٤١٧، فراجع.

(٥) البحار ١٠٠/٣٠٦، فيه الزيارة السادسة العلويّة، البلد الأمين فيه الزيارة الحسينيّة «أشهد أنّك طهر طاهر مطهر من طهرٍ طاهرٍ مطهّر طهرت وطهربك البلاد وطهرت أرض أنت بها...».

صُرّة بدأ أحمد بإخراجها، قال الغلام: «هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم يشتمل على اثنين وستّين ديناراً من ثمن حجيرة[1] باعها صاحبها وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعين ديناراً ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً وفيها من أُجرة الحوانيت ثلاثة دنانير» فقال: مولانا: «صدقت يا بُنيَّ، دُلّ الرجل على الحرام منها» فقال عليه السلام: «فَتّش عن دينارٍ رازيّ السكّة، تاريخه سنة كذا قد انطمس من نصف إحدى صفحَتَيه نقشه، وقراضة أمليّة وزنها ربع دينار؛ والعلّة في تحريمها أنّ صاحب هذه الصُرّة وزن في شهر كذا من سنة كذا على حائك من جيرانه من الغزل منّاً ورُبع منّ فأتت على ذلك مدّة انتهائها. قيّض لذلك الغزل سارق. فأخبر به الحائك صاحبه فكذّبَهُ واستردّ منه بدل ذلك منّاً ونصف منٍّ غَزْلاً أَدقّ ممّا كان دفعه إليه واتّخذ من ذلك ثوباً كان هذا الدينار مع القراضة ثَمَنَه. فلمّا فتح رأس الصُرّة صادف رُقعة في وسط الدنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها على حسب ما قال واستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة....»[2]، فيه تفصيل الصُرر الباقية.

* * *

(١) المكان الكثير الحجارة الأقرب ١٦٥/١، ـ حجر ـ أو تصغير حُجْرة احتمالاً.

(٢) إكمال الدين ٣٥٨/٢ و ٣٥٩، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

١٢٨
أيقتل ظمآناً حسينٌ بكربلا؟!

هذا شطر من القصيدة الرائيّة الولائيّة للشيخ صالح بن عبدالوهاب بن العرندس الحلّي، المعروف بابن العرندس، المتوفّى حدود سنة ٨٤٠ هـ، الّتي قال عنها العلّامة الشيخ الأميني: ومن شعر شيخنا الصالح رائيّة اشتهر بين الأصحاب أنّها لم تقرأ في مجلس إلّا وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجّل اللّه تعالى فرجه، توجد برمّتها في منتخب شيخنا الطريحي[١]:

طوايا نظامي في الزمان لها نشرُ　　　يعطّرها من طيب ذكراكم نشرُ[٢]

إلى آخرها، وعدد أبياتها ١٠٣ بيتاً[٣]، وإنّما جعلتُ شطر البيت من القصيدة المشار إليها من الكلمات المختار للإمام المهديّ عليه السلام؛ لأجل تمثّله عليه السلام به في قصّة اقتصّها لي بعض السادة الأجلّة وحاصلها:

أنّ الشيخ عبد الزهراء الكعبي الكربلائي رحمه الله، المتوفّى سنة ١٣٩٥، قال له إنّ يوماً بعد الظهر دخلت صحن الإمام الحسين عليه السلام وكان في إحدى ساحات حجرات الصحن الشريف بيّاع كتب دينيّة ولي معه صحبة قديمة، فلمّا أبصرني ناداني، وقال لي: عندي كُتيّب لعلّه ينفعك، وفيه أشعار هي لك، وثمنها أن تقرأها مرّة عليّ.

قال الكعبي: فشرعت في قراءة الأشعار الّتي هي ضالّتي، طال ما كنت أطلبها من زمن بعيد، فإذا بسيّد بهيئة السادة الأعراب الّذين يسكنون خارج البلد وقف

---

(١) المنتخب ٢/٣٥٢، أو ٢/٧٥، كما في المصدر الآتي.

(٢) الغدير ٧/١٣و١٤، وفي نفس المنتخب، مطلعها:

طوايا نظامي في الزمان لها نشر　　　يعطّرها من طيب ذكركم نشر

(٣) المصدران ٢/٣٥٢ـ٣٥٦، ٧/١٤ـ١٩، وفي الأوّل عددها ١٠٢ بيتاً.

بحذائي ينصت للقراءة ويبكي، فلمّا وصلتُ إلى قوله:

أيُقتَلُ ظَمآناً حُسينٌ بكربلا وفي كُلّ عُضوٍ مِنْ أنامله بَحْرُ

اشتدّ بكاؤه، واتّجه نحو ضريح الحسين عليه السلام، يكرّر البيت ويبكي بكاء الثكلىٰ، وبعد ما انتهيتُ عن آخر القصيدة ولم أشعر بالسيّد أثناء القراءة؛ لأنّها كانت غير واضحة الكتابة ـ نظرت أطلب السيّد فلم أجده، وخرجت خارج الصحن، فلم أره، وكلّما حاولت فلم أظفر به، وكأنّه غاب من ساعته عن بصري، وعلمت أنّه الحجّة المنتظر عليه السلام.

ولعلّ هذه القصّة تعدّ من موارد ما اشتهر من حضوره روحي فداه عند قراءة قصيدة ابن العرندس رحمه الله تعالى.

وأرى أنّ من الجدير ذكر القصيدة بكاملها آملين أن يمنّ الله عزّ وجلّ علينا بيُمن لقائه أرواح من في الوجود له الفداء. نذكرها بلفظ كتاب الغدير وهي قوله طاب ثراه:

طوايا نظامي في الزمان لها نشْرُ يعطِّرها من طيب ذكراكم نَشْرُ

قصائدُ ما خابتْ لهنَّ مقاصدُ بواطنُها حمدٌ ظواهرُها شُكْرُ

مطالعُها تحكي النجومَ طوالِعاً فأخلاقُها زُهرٌ وأنوارُها زَهْرُ

عرائسُ تجلىٰ حين تُجلي قلوبنا أكاليلها دُرٌّ وتيجانُها تبرُ

حِسانٌ لها حَسّانُ بالفضل شاهدٌ على وجهها تِبرٌ يُزان بها التِّبرُ

أُنظِّمها نظم اللآلي وأسهر الليا لي ليُحيىٰ لي بها وبكم ذِكْرُ

فيا ساكني أرضَ الطفوفِ عليكم سلامُ محبٍّ ما لَهُ عنكمُ صَبْرُ

نشرتُ دواوين الثنا بعدَ طيِّها وفي كلّ طرس من مديحي لكُم سَطْرُ

فطابَقَ شِعْري فيكُمُ دَمْعَ ناظِري فَمُبْيَضٌّ ذا نظمٌ ومُحْمَرٌّ ذا نَثْرُ

فلا تتهموني بالسلُوّ فإنّما مواعيد سلواني وحَقِّكُمُ الحَشْرُ

فَذُلّي بكم عِزٌّ وفَقْري بِكم غنىً وعسري بكم يُسرٌ وكَسْري بكم جَبْرُ

ترَقّ بروق السُحب لي من ديارِكُم فينهلّ من دمعي لبارِقها القَطْرُ

فعينايَ كالخَنساء[١] تجري دموعُها ... وقلبي شديدٌ في محبَّتِكم صَخْرُ
وقَفتُ على الدار الّتي كنتم بها ... فمغناكُمُ من بَعد معناكُمُ قَفْرُ[٢]
وقد دَرَسَتْ منها الدروسُ وطالما ... بها دُرِسَ العِلمُ الإلٰهي والذِكْرُ
وسالتْ عليها من دموعي سحائبٌ ... إلى أن تروّى البان بالدمع والسِّدْرُ
فَراقَ فِراقُ الروحِ مِنْ[٣] بَعدِ بُعْدِكم ... ودارَ برسمِ الدارِ في خاطِريَ الفِكْرُ
وقد أقلَعَتْ عنها السحابُ ولم يُجدِ ... ولا دَرَّ مِنْ بعدِ الحسين لها دَرُّ
إمامُ الهُدىٰ سِبْطُ النبوّةِ والدُ الأئمّـ ... ـة رَبُّ النَهْي مَوليً له الأمرُ
إمام أبوه المرتضىٰ عَلَم الهدىٰ ... وصيٌّ رسول اللّٰه والصِّنْوُ والصِّهْرُ
إمامٌ بكته الأنسُ والجنُّ والسما ... ووحشُ الفَلا والطيرُ والبرُّ والبحرُ
له القبّةُ البيضاء[٤] بالطفِّ لم تزل ... تطوفُ بها طوعاً ملائكةٌ غرُّ
وفيه رسولُ اللّٰه قال وقولهُ ... صحيحٌ صريحٌ ليس في ذٰلكم نُكْرُ
حُبي بثلاث ما أحاط بمثلِها ... وليٌّ فمَنْ زيدٌ هناك ومَنْ عَمْرُو؟!
له تربةٌ فيها الشفاءُ وقبّةٌ ... يجاب بها الداعي إذا مسّه الضرُّ
وذرّيّةٌ درِّيّةٌ منه تسعةٌ ... أئمّة حقٍّ لا ثمانٍ ولا عشرُ
أيُقتلُ ظمآناً حسينٌ بكربلا ... وفي كلّ عضوٍ من أنامله بَحْرُ؟!
ووالدُه الساقي على الحوضِ في غدٍ ... وفاطمةُ ماءُ الفراتِ لها مهْرُ
فوالهفَ نفسي للحسين وما جنىٰ ... عليه غداةَ الطفِّ في حربه الشِّمْرُ
رماهُ بجيش كالظلام قِسِيُّهُ الأ ... هِلّةِ والخرصانُ أنجُمه الزُهْرُ
لراياتِهم نَصبٌ وأسيافِهم جزمٌ ... وللنقع رَفْعٌ والرماح لِها جَرُّ
تجمّعَ فيها من طغاة أُميّةٍ ... عصابةُ غَدْرٍ لا يقوم لها عُذْرُ

---

(١) بنت عمرو بن الحارث، لها رثاء لأخيها لأبيها صخر وقد قتله بنو أسد.

(٢) صححناه كما في المنتخب: ٣٥٢، وفي الأصل «فقر».

(٣) كذا در المنتخب للطريحي وأمّا في الغدير: «لي» جدل «من».

(٤) كانت في تلك القرون بيضاء، وأمّا اليوم فصفراء بصحائف الذهب تسرّ الناظرين.

وأرسلها الطاغي يزيدُ ليملك الـ ـعراقَ وما أغْنَتْهُ شامٌ ولا مِصْرُ
وشَدّ لَهُم أزْراً سليلُ زيادها فحلَّ بهِ من شدِّ أزْرِهِمُ الوِزْرُ
وأمَّرَ فيهم نجْلَ سَعْدٍ لنَحسِه فما طالَ في الريِّ اللعينِ له عُمْرُ
فلمّا التقىٰ الجمعانِ في أرضِ كربلا تباعدَ فعلُ الخير واقتربَ الشَّرُّ
فحاطوا به في عَشْرِ شهرِ مُحرّمٍ وبيضُ المواضي في الأكُفّ لها شَمْرُ
فقامَ الفتىٰ لَمّا شاجرتِ القَنا وصال وقد أودى بمهجَتِهِ الحَرُّ
وجالَ بطرفٍ في المجالِ كأنّه دُجىٰ الليل في لألاء غُرَّتِهِ الفَجْرُ
له أَربعٌ للريح فيهنَّ أربعٌ[1] لقد زانَه كَرٌّ وما شانَهُ الفَرُّ
ففرَّقَ جمعَ القومِ حتّى كأنّهم طيورُ بغاث[2] شتّ شَمْلَهُم الصَقْرُ
فَأذكَرَهُم لَيلَ الهريرِ فأجمع الكلا بَ علىٰ الليثِ الهِزَبْرِ وقد هَرّوا[3]
هناك فَدَتْهُ الصالحونَ بأنفسٍ يضاعفُ في يوم الحِساب لها الأجْرُ
وحادُوا عن الكُفّارِ طوعاً لِنَصْرِهِ وجادَ لَهُ بالنفسِ مِن سعدهِ الحُرُّ[4]
ومدّوا إليه ذُبَّلاً سمهريّة[5] لطول حياة السِبْطِ في مدِّها جَزْرُ
فغادَرَهُ في مارِقِ الحَرْبِ مارقٌ بسهمٍ لنحر السبطِ من وقعه نَحْرُ
فمال عن الطِرفِ الجوادِ أخو الندى الجوادُ قتيلاً حولَه يصهلُ المُهْرُ[6]
سِنانُ سِنانٍ خارقٌ منه في الجشا وصارمُ شِمْرٍ في الوريدِ له شَمْرُ[7]

---

(١) يحتمل المراد بالأربع: الصبا والدبور والشمال والجنوب.

(٢) البغاث: طائر أبغث أصغر من الرخم بطيء الطيران، جمع بغثان. هامش الغدير: ١٦/٧.

(٣) ليلة الهرير من ليالي صفّين، قتل فيها ما يقرب سبعين ألف قتيل، ولأمير المؤمنين عليه السلام موقف شجاعة يذكر مع الأبد. والهرير من هرير الكلب سمّيت به صوته دون نباحه، لأجل البرد. هامش الغدير: ١٦/٧، مختصراً.

(٤) الحرّ بن يزيد الرياحي التميمي كان شريف قومه جاهلية وإسلاماً، فاز بالشهادة يوم كربلاء رحمه الله.

(٥) واحد الذُبَّل الذابل: الرقيق والسمهري: الرمح الصلب.

(٦) الطِرف من الخيل كريم الطرفين، والمُهر ولد الفرس.

(٧) شَمَرَ: مرّ مسرعاً، وأشمره بالسيف: أدرجه.

تَجُرُّ عليه العاصفاتُ ذيولَها ... ومن نسج أيدي الصافنات له طِمرُ[١]
فَرُجَّتْ له السَبعُ الطِلاقُ وَزُلزِلَتْ ... رواسي جبال الأَرض والتطم البحرُ
فيالكَ مقتولاً بكتْهُ السما دماً ... فَمُغْبرُّ وجه الأرض بالدم مُحْمَرُّ
ملابسُه في الحرب حمرٌ من الدما ... وَهُنّ غداةَ الحشرِ من سُنْدسٍ خُضْرُ
ولَهفي لزينِ العابدينَ وقد سرى ... أسيراً عليلاً لا يُفَكُّ له أَسْرُ
وآلُ رسولَ اللّه تُسبىٰ نساؤهم ... ومنْ حولهنَّ السترُ يُهتكُ والخِدْرُ
سبايا بأكوارِ المطايا حواسراً ... يُلاحِظُهُنَّ العبدُ في الناس والحُرُّ
ورملةُ[٢] في ظلِّ القصور مصونة ... يُناطُ على أقراطِها الدُرُّ والتِّبْرُ
فويلُ يزيدٍ من عذاب جهنّم ... إذا أقبلتْ في الحشرِ فاطمةُ الطُهْرُ
ملابسُها ثوبٌ من السُمِّ أسودٌ ... وآخرُ قانٍ من دم السّبطِ مُحْمَرُّ
تنادي وأبصار الأنام شواخصٌ ... وفي كلِّ قلبٍ من مهابتِها ذُعْرُ
وتشكو إلىٰ اللّه العليَّ وصوتُها ... عليٌّ ومولانا عَليٌّ لها ظَهْرُ
فلا ينطقُ الطاغي يزيدُ بما جنىٰ ... وأنّىٰ له عُذْرٌ ومَنْ شأنه الغَدْرُ
فيؤخذُ منه بالقصاص فيُحرمَ النـ ... ـعيَم ويُخلىٰ في الجحيمِ له قَصْرُ
ويشدُو له الشادي فيطربه الغنا ... ويسكب في الكأس النُضار[٣] له خمرُ
فذاك الغِنا في البعثِ تصحيفهُ العَنا ... وتصحيفُ ذاك الخَمْر في قَلْبِهِ الجَمْرُ
أيُقرعُ جهلاً ثغرُ سبْطِ محمّدٍ ... وصاحب ذلك الثغرِ يُحمىٰ به الثَغْرُ
فليس لأخذِ الثارِ إلّا خليفةٌ ... يكون لِكَسر الدين مِنْ عَدْلِهِ جَبْرُ
تَحُفُّ به الأملاكُ من كلّ جانبٍ ... ويَقْدِمُهُ الإقبالُ والعِزّ والنَصْرُ

---

(١) العاصفات: الأرياح الشديدة، الصافنات من الخيل الصافن: القائم على ثلاث قوائم مطرقاً حافر الرابعة. والطِمر: الثوب البالي. الغدير: ٧/٥و١٦.

(٢) رملة بنت معاوية شبّب بها عبد الرحمن بن حسّان بأبيات أوّلها:

رملُ هل تذكرين يوم غزالٍ ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمنّي

ولهذا التشبيب قصّة توجد في معاجم التراجم. هامش الغدير: ١٧/٧.

(٣) النُضار: الذهب والفضّة، وقد غلّب على الذهب. لسان العرب: ٢١٣/٥ ـ نضر ـ.

عـوامِـلُهُ فـي الدارِعـينَ شـوارعٌ ... وحـاجبه عـيسى ونـاظِرُهُ الخِـضْرُ
تُـظَلِّله حَـقّاً عـمامَةُ جـدِّهِ ... إذا مـا مـلوكُ الصِّـيدِ ظَـلَّلَها الجَـبْرُ
مـحيط عـلى عِـلم النبوّةِ صَـدْرُهُ ... فـطوبىٰ لعـلمٍ ضـمَّهُ ذلكَ الصَـدْرُ
هو ابن الإمام العسكـريّ مـحمّد التـ ... ـقيّ النـقيّ الطـاهِرُ العَـلمُ الحَـبْرُ
سليلُ عليّ الهادي ونجلُ مـحمّد الجـ ... ـواد وَمَنْ فـي أرض طُـوسٍ له قَـبْرُ
عليّ الرضا وهو ابن موسىٰ الّذي قضى ... ففاحَ عـلى بـغداد مِـنْ نَشْـرِهِ عِـطْرُ
وصـادقُ وعـدٍ إنّـه نـجلُ صادقٍ ... إمـامٌ بـه فـي العِلمِ يفتخرُ الفَـخْرُ
وبـهجةُ مـولانا الإمـام مـحمدٍ ... إمـامٌ لِـعِلْمِ الأنـبياء لَـه بَـقْرُ
سـلالةُ زيـنِ العـابدين الّـذي بكـىٰ ... فِمنْ دَمعهِ يُبْسُ الأعـاشيب مُـخْضَرُّ
سـليلُ حسـينِ الفـاطمي وحـيدر الـ ... ـوصيِّ فـمِنْ طُـهْرٍ نـمىٰ ذلكَ الطُـهْرُ
له الحسـن المسـمومُ عَـمٌّ فـحبَّذا الإ ... مامَ الّـذي عَـمَّ الوَرىٰ جُـودُهُ الغَـمْرُ
سَـمِيُّ رسـولِ اللّـه وارثُ عـلمِهِ ... إمـامٌ عـلى آبـائِهِ نَـزَل الذِكْـرُ
هُـمْ النّـورُ نـورُ اللّـه جـلّ جـلالُهُ ... هُم التّينُ والزيـتونُ والشِـفْعُ والوِتْـرُ
مـهابطُ وحـيِ اللّـه خُـزّانُ عـلمِهِ ... مـيامينُ فـي أبـياتهم نَـزلَ الذِكْـرُ
وأسـماؤهم مكـتوبةٌ فـوق عَـرشِهِ ... ومكـنونَةٌ مِـنْ قَـبْلِ أنْ يُـخلَقَ الذَرُّ
ولولاهُـمُ لم يَـخْلقِ اللّـه آدماً ... ولا كان زَيْـدٌ في الأنـامِ ولا عَـمْرُو
ولا سُطِحَتْ أرضٌ ولا رُفِـعَتْ سَـما ... ولا طَلَعَتْ شَمسٌ ولا أشـرقَ البَـدْرُ
ونُوحٌ بـه فـي الفُـلْكِ لَـمّا دَعـا نَـجا ... وَغـيْضَ بـه طُـوفانُه وقُـضِيَ الأمْـرُ
ولولاهُـمُ نـارُ الخـليل لَـما غَـدَتْ ... سـلاماً وبَـرْداً وانـطفىٰ ذلك الجَـمْرُ
ولولاهُـمُ يـعقوبُ مـا زالَ حُـزْنُهُ ... ولا كانَ عَـنْ أيّـوبَ يـنكشفُ الضرُّ
وَلانَ لداودَ الحـديدُ بسـرِّهمْ ... فـقدَّرَ فـي سَـرْدٍ يَـحيرُ بـه الفِكْـرُ
وَلَـمّا سُـليمانُ البسـاطُ بـه سـرىٰ ... أُسِـيلتْ لَـهُ عـينٌ يـفيضُ له القِـطْرُ
وسُـخِّرَتِ الرِّيْـحُ الرُّخـاءُ بأمْـرِهِ ... فَـغَدْوَتُها شَـهْرٌ ورَوْحَـتُها شَـهْرُ
وَهُم سِرّ موسىٰ والعصا عندما عـصىٰ ... أوامِـرَهُ فـرعونُ وٱلتَـقفَ السِّـحْرُ

ولولاهُمُ ما كان عيسىٰ بن مريَم ... لِعازِرَ من طيّ اللّحودِ له نَشْرُ
سرىٰ سِرُّهُمْ في الكائنات وفضلُهم ... وَكُلُّ نبيٍّ فيه من سِرِّهِمْ سرُّ
علا بهمُ قدري وفخري بهم غلا ... ولولاهُمُ ما كان في الناس لي ذِكْرُ
مُصابكُمُ يا آل طٰهٰ مُصيبةٌ ... ورزءٌ على الإِسلام أحدثَهُ الكُفْرُ
سأنْدُبُكمْ يا عُدَّتي عند شدّتي ... وأبكيكُمُ حُزناً إذا أقبلَ العَشْرُ
وأبكيكُمُ ما دمتُ حيّاً فإن أمُتْ ... ستبكيكُمُ بعدي المراثي والشعرُ
عرائسُ فِكْرِ الصالحِ بنِ عَرَنْدسٍ ... قبولُكُمُ يا آلَ طٰهٰ لَها مَهْرُ
وكيفَ يحيط الواصفون بمدحكم ... وفي مدح آيات الكتابِ لكم ذكرُ
ومَولِدُكُمْ بطحاء مَكّةَ والصَّفا ... وزمزمُ والبيت المحرّم والحِجْرُ
جعلتُكُمُ يوم المعادِ وَسيلتي ... فطُوبىٰ لِمَنْ أمسىٰ وأنتم لَهُ ذُخرُ
سَيُبْلي الجديدانِ الجديدَ وحُبُّكم ... جديدٌ بقلبي ليس يُخْلِقُهُ الدَهْرُ
عليكمْ سلامُ اللّه ما لاحَ بارِقٌ ... وَحَلَّتْ عُقودُ المُزْنِ وانتشَرَ القَطْرُ

راجع كتاب الغدير[1] والكتب الّتي أخذ عنها[2] جزىٰ اللّٰه المؤلّفين جميل الجزاء آلافاً مؤلّفةً. وحشر اللّٰه سلفنا الصالح مع محمّد وآل محمّد صلى الله عليهم وسلم آمين.

ولولا أنّ أشعار ابن العرندس طاب ثراه قد وقعت موضع قبول أهل البيت عليهم السلام، لما أخذت بمجامع قلوب محبّيهم هذا المأخذ، ولما حلّت محلّها الرفيع، وليس الشعر إلّا المنظوم من الكلام.

* *

(١) ج ٧/١٤ ـ ١٩.

(٢) من تلك الكتب المثنية عليه كتاب طليعة الشيخ السماوي، وبابليّات اليعقوبي، ومنتخب الشيخ الطريحي.

١٢٩
أين أنت عن دعاء الفرج؟!

هذه الكلمة من قصّة رواها أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري الشيعي[١] لأبي الحسين بن أبي البغل الكاتب الّذي فُرّج عنه بعد ابتلائه من طاغوت زمانه، ورُزق الخلاص ببركة لقاء الحجّة عجّل الله فرجه، وتعليمه دعاء الفرج، وإليك القصّة بكاملها بلفظ كتاب الطبري: قال: حدّثني أبوجعفر محمّد بن هارون بن موسى التلّعكبري، قال: حدّثني أبو الحسين بن أبي البغل الكاتب، قال:

تقلّدت عملاً من أبي منصور بن الصالحان، وجرى بيني وبينه ما أوجب استتاري، فطلبني وأخافني، فمكثت مستتراً خائفاً، ثمّ قصدت مقابر قريش ليلة الجمعة، واعتمدت على المبيت هناك للدعاء والمسألة، وكانت ليلة ريح ومطر، فسألت ابن جعفر القيّم أن يغلق الأبواب وأن يجتهد في خلوة الموضع، لأخلو بما أُريده من الدعاء والمسألة، وأَمْنٍ من دخول إنسانٍ ممّا [ممّن] لم آمنه، وخفت من لقائي له؛ ففعل وقفل الأبواب، وانتصف الليل، وورد من الريح والمطر ما قطع الناس عن الموضع، ومكثتُ أدعو وأزور، وأُصلّي.

فبينما أنا كذلك، إذ سمعت وطأة عند مولانا موسى عليه السلام، وإذا رجل يزور فسلّم على آدم وأُولي العزم، ثمّ الأئمّة واحداً واحداً إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان عليه السلام فلم يذكره، فعجبت من ذلك، وقلت: لعلّه نسي، أولم يعرف، أوهذا مذهب لهذا الرجل.

فلمّا فرغ من زيارته صلّى ركعتين، وأقبل إلى عند مولانا أبي جعفر، فزار مثل

---

(١) من العلماء الإماميّة في المائة الرابعة.

الزيارة وذلك السلام، وصلّى ركعتين، وأنا خائف منه؛ إذ لم أعرفه ورأيته شابّاً تامّاً من الرجال عليه ثياب بيض وعمامة محنّك بها ذؤابة ورداء[١] على كتفه مُسبل، فقال لي: «يا أبا الحسين بن أبي البغل، أين أنت عن دعاء الفرج؟!» فقلت: وما هو ياسيّدي؟ فقال: «تصلّي ركعتين وتقول: يا مَنْ أَظهَرَ الجَميلَ، وسَتَرَ القَبيحَ، يا مَنْ لم يُؤاخذ بالجريرة، ولم يَهتِك الستر، يا عظيم المَنِّ، يا كريم الصفح، يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها، يا حَسَنَ التجاوز، يا واسعَ المَغفِرة، يا باسطَ اليَدينِ بالرَّحْمَة، يا مُنتَهى كُلِّ نجوى، ويا غاية كلّ شَكوىٰ، يا عَونَ كلّ مُستعين، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها. يا ربّاه (عشر مرّات)، يا سيّداه (عشر مرّات)، يا مولاه (عشر مرّات)، يا غايتاه (عشر مرّات)، يا منتهى رغبتاه (عشر مرّات).

أسألك بحقّ هذه الأسماء وبحقّ مُحمّد وآله الطاهرين إلّا ما كشفت كربي، ونَفّستَ همّي، وفرّجت غمّي، وأَصْلَحتَ حالي.

وتدعو بعد ذلك بما شئت، وتسأل حاجتك، ثمّ تضع خدّك الأيمن على الأرض، وتقول مائة مرّة في سجودك: يا محمّد يا عليّ يا عليّ يا محمّد اكفياني وانصراني فإنّكما ناصراي.

ولتضع خدّك الأيسر على الأرض وتقول مائة مرّة: أدركني وتكرّرها كثيراً، وتقول: الغوث الغوث حتّىٰ ينقطع نفسك، وترفع رأسك؛ فإنّ اللّٰه يُكرمك ويقضي حاجتك إن شاء اللّٰه تعالى».

فلمّا اشتغلت بالصلاة والدعاء خرج فلمّا فرغت خرجت لابن جعفر لأسأله عن الرجل، وكيف قد دخل، فرأيت الأبواب على حالها مغلقة مقفلة، فعجبت من ذلك وقلت: لعلّ باب[٢] هنا ولم أعلم فأنبهت[٣] ابن جعفر[٤]، فخرج إليّ من

---

(١) والأصحّ ما كتبناه، كما في البحار ٥١/٣٠٤، وفي الأصل: «ردىٰ».

(٢) في نسخة البحار «لعلّه بات»، وإلّا فالصحيح «باباً».

(٣) في البحار «فانتهيت».

(٤) في البحار «إلى ابن جعفر القيّم».

بيت الزيت، فسألته عن الرجل ودخوله، فقال: الأبواب مقفلة كما ترىٰ ما فتحتها، فحدّثته بالحديث، فقال: هذا مولانا صاحب الزمان، وقد شاهدته مراراً في مثل هذه الليلة عند خلوّها من الناس. فتأسّفت على ما فاتني منه، وخرجت عند قرب الفجر، وقصدت الكرخ إلى الموضع الذّي كنت مستتراً فيه، فما أضحى النهار إلّا وأصحاب ابن الصالحان يلتمسون لقائي، ويسألون عنّي أصدقائي، ومعهم أمان من الوزير ورقعة بخطّه فيها كلّ جميل، فحضرت مع ثقة من أصحابي عنده، فقام والتزمني وعاملني بما لم أعهده منه، وقال: انتهت بك الحال إلى أن تشكوني إلى صاحب الزمان؟!

فقلت: قد كان منّي دعاء ومسألة. فقال: ويحك، رأيت البارحة مولاي صاحب الزمان في النوم ـ يعني ليلة الجمعة ـ وهو يأمرني بكلّ جميل، ويجفو عليَّ في ذلك جفوة خفتها.

فقلت: لا إلٰه إلّا اللّٰه، أشهد أنّهم الحقّ ومنتهى الصدق، فرأيت البارحة مولانا في اليقظة، وقال لي كذا وكذا؛ وشرحت ما رأيته في المشهد، فعجب من ذلك، وجرت منه أُمور عظام حسان في هذا المعنى، وبلغت منه غاية ما لم أظنّه ببركة مولانا صاحب الزمان[١]. **أقول:** لهذا العمل تأثير مجرّب، ولا أنسى قبل أربعين سنة أنّه كان لنا في النجف الأشرف أُستاذ ونحن جمع من تلامذته قد أمرنا بهذا العمل، فجزاه اللّٰه من معلّم خيراً[٢].

ولو لم يكن لهذا الدعاء أثر إلّا أنّه عليه السلام الآمر به ويحبّ أن يدعىٰ كذلك لكان

---

(١) دلائل الإمامة: ٣٠٤ـ٣٠٥، البحار ٥١/ ٣٠٤ـ٣٠٦ وج ٩٥/ ٢٠٠ـ٢٠١، الباب ١٠٦ أدعية الفرج، من كتاب الذكر والدعاء، الحديث ٣٣.

(٢) وهو الشيخ محمّد الرازي المتولّد عام ١٣٣٢ هـ، دخل النجف الأشرف ٢٥ شعبان سنة ١٣٥٤ لمواصلة دراساته النهائيّة في الفقه الجعفري، وعاد إلى مسقط رأسه طهران عاصمة إيران ١٨ شعبان عام ١٣٦٨، وبقي ١٦ عاماً فيها وتوفّي سنة ١٣٨٤ هـ بمرض السرطان ونقل جثمانه إلى وادي السلام في النجف ودفن فيه رحمه الله.

كثيراً؛ لأنّه عجّل الله فرجه لا يأمر إلّا بما يريده تعالى، ولا يحبّ إلّا ما يحبّه، وفي كلّ ما يقوله رضى الله عزّوجلّ، كما قال جدّه الإمام الحسين عليه السلام: «رضى الله رضانا أهل البيت...»[1] بل هذا شأن المؤمن فكيف بأئمّة المؤمنين عليهم السلام الأُسْوة لهم، في مقدّمتهم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، ورد في تفسيرها الأحاديث السبعة أو أكثر[2].

* * *

(١) البحار: ٤٤/٣٦٧.

(٢) الأحزاب: ٢١، السورة ٣٣، تفسير نورالثقلين ٥ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧، الأرقام ٣٩ ـ ٤٥.

١٣٠

أين المال الّذي عزلته لأبي المقدام؟

روى الشيخ الكليني عن عليّ بن محمّد قال: كان ابن العجمي جعل ثلثه للناحية، وكتب بذلك وقد كان قبل إخراجه الثلث دفع مالاً لابنه أبي المقدام، لم يطّلع عليه أحد، فكتب إليه: «فأين المال الّذي عزلته لأبي المقدام؟»[١].

هل المراد الأمر بالمال لأبي المقدام، إخراج ثلثه للناحية كما أخرجه لها من بقيّة الأموال؟

قد جزم به المجلسي طاب ثراه حيث قال: أي لِمَ لَمْ تُخرج ثلثه أيضاً[٢] أو المراد دفعه لأبي المقدام؟ وهذا الاحتمال ساقط؛ إذ مفروض الكلام أنّه قد دفعه إليه ولم يطلع عليه أحد، فإمّا قد نسي ذلك، أو تعمّده، والظاهر الثاني؛ ومن ثَمّ طالبه الإمام عليه السلام بقوله: «فأين المال الّذي عزلته...».

ابن العجمي: هو الّذي نقل منه عليّ بن محمّد أحد مشائخ الشيخ الكليني وهو أي: عليّ بن محمّد بن بندار وقد أكثر عنه الرواية، ولكن لم أظفر على ترجمة لابن العجمي، والمجلسي عدّ الحديث المذكور من الصحاح[٣]. وهو في المرآت سلك مسلك أهل الدراية الجرح والتعديل، وحيث جعل الحديث الجاري من الصحاح؛ لأن رجاله عنده كلّهم ثقات، أو بنى على وثاقة الرواية لا الراوي فحسب كما هو المختار، والكلام في موضعه محرّر؛ وإنّما الرواي الثقة أحد طُرُق الإثبات.

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١/٥٢٤، الحديث ٢٦، باب مولد الصاحب عليه السلام.

(٢ و٣) مرآة العقول ٦/١٩٩.

١٣١
أيّدك اللّه بنصره

كلمة من كلمات الإمام المهديّ عجّل الله فرجه حوتها رسالته الثـانية إلى الشـيخ المفيد طاب ثراه، ذكرناها بأسرها عند: «أنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين...»[(١)] وإليك منها:

«ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص المجاهد فينا الظالمين، أيّدك اللّه بنصره الّذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين...»[(٢)].

وهي كلمة دعاء للمفيد بالنصرة على أعداء الدين، والتأييد له بما أيّد اللّه بـه الصالحين من أولياء أهل البيت عليهم السلام.

اقتباس من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾[(٣)]، والتأييد بالنصر لا ينفكّ عن كلّ مؤمن مهما كان، وفي أيّ زمان كان، والتأييد: التقوية من الأَيد: القوّة. ومنه: «وأمسكها من أن تَمُورَ في خَراقِ الهواء بأيده» تعرف خطبة الأشـباح[(٤)]، وقـوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[(٥)].

والكلام صدر دعاء، والدعاء الصادر عن المعصوم عليه السلام مسـتجاب فـي حـقّ المدعوّ له يقيناً لتوفّره على شرائط الإجابة؛ ومن ثمّ يجدر الدعاء ممّن توفّر فـيه الشروط من عباد اللّه الصالحين، فيستجيب اللّه عزّ وجلّ دعاءهم، فـما ظـنّك بـإمام الصالحين الحجّة بن الحسن عليهما السلام، ولولا دعاؤه عجّل الله فرجه للشـيعة لاصـطلمهم

---

(١) رقمه: ١١٨. (٢) الاحتجاج ٢/٣٢٥، البحار ١٧٧/٥٣. (٣) الأنفال: ٦٢.

(٤) النهاية ١/٨٤ ـ أيد ـ. وفيه ومنه خطبة عليّ رضي الله عنه:... أُنظر مصادر النهج ٢/١٤٩، الخطبة ٨٩، شرح النهج للمعتزلي ٦/٤١٩، الرقم ٩.

(٥) الذاريات: ٤٧.

الأعداء كما جاء ذلك في كتابه الأوّل للشيخ المفيد: «إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء...»(١).

والكلمة تعطي دروساً:

منها: أنّه يجدر الدعاء لمثل الشيخ المفيد ممّن يذبّ عن الدين وأهل البيت عليهم السلام، وإن لم يبلغ مبلغه، ولكنّه في طريقته وخطّته.

ومنها: الدعاء بظهر الغيب، حيث أنّه عليه السلام دعا له كذلك، وقد جاء الأمر به في الأحاديث(٢).

منها الصادقي النبويّ: «ليس شيءٌ أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب» عنهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يا عليّ أربعة لا تردّ لهم دعوة: إمام عادل، والوالد لولده والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم، يقول الله وعزّتي وجلالي لا نتصرنّ لك ولو بعد حين». الباقري: في (حديث) قال: «عليك بالدعاء لإخوانك بظهر الغيب؛ فإنّه يُهيل الرزق...» هذا بعض أثر الدعاء، على أنّه عبادة؛ لدلالة الآية عليه(٣).

* * *

---

(١) رقمه: ١٠٦.

(٢) منها الباقري: «أوشك دعوة، وأسرع إجابة دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب». الوسائل ١١٤٦/٤، الباب ٤١ من أبواب الدعاء. وفيه ١٤ حديثاً.

(٣) نفس المصدر، الحديث ٣، ٤، ٥، ٦ و٧ ما ذكرنا وما لم نذكر، سورة غافر: ٦٠ وسَبَقَ.

باب الباء

١٣٢
بأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً

المختار من جواب كتاب لمحمّد بن عبد اللّٰه بن جعفر الحميري وفي الكتاب مسائل فقهيّة سأل الإمام المهديّ عجّل الله فرجه عن أحكامها، منها السؤال:

فرأيك ـ أدام الله عزّك ـ في تأمّل رقعتي والتفضّل بما يسهل، لأُضيفه إلىٰ سائر أياديك عليّ... عن المصلّي إذا قام من التشهّد الأوّل للركعة الثانية، هل يجب عليه أن يكبّر؟ فإنّ بعض أصحابنا قال: لا يجب عليه التكبير ويجزيه أن يقول: **بحول اللّٰه وقوّته أقوم وأقعد.**

والجواب:

«إنّ فيه حديثين: أمّا أحدهما فإنّه إذا انتقل من حالة إلىٰ حالة أُخرىٰ فعليه تكبير. وأمّا الآخر فإنّه روي أنّه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه للقيام بعد القعود تكبير، وكذلك التشهّد الأوّل يجري هذا المجرى، وبأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً»[1].

أقول: نظير الكلمة ما جاء في علاج ما اختلف فيه الروايات وتعارضت ولم يكن فيها من المرجّحات الداخليّة أو الخارجيّة من جهة الصدور والجهة وغير ذلك ممّا ذكر في محلّه شيءٌ فهل الحكم التوقّف، أو التخيير والأخذ بأيّها شاء

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٣٢، الاحتجاج ٢/٣٠٤، البحار ٥٣/١٥٤، الوسائل ٤/٩٦٧، الباب ١٣ من أبواب السجود، الحديث ٨.

ابتداءاً أو استمراراً، أو ردّه أو الإرجاء إلىٰ أن يلقىٰ الإمام عليه السلام، أو غيرها من الأقوال المحرّرة في علم الأُصول، باب التعادل والترجيح وهي من أوفر وأهم مسائله الّتي لابد من العلم بحكمها من التخيير والترجيح وغيرهما ما ذكره الشيخ الكليني طاب ثراه، وهذا نصّه:

اعلم يا اخي أنّه لا يسع أحداً تمييز شيءٍ ممّا اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلّا ما أطلقه العالم عليه السلام بقوله: «أعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب اللّه عزّوجلّ فخذوه، وما خالف كتاب اللّه فردّوه».

وقوله عليه السلام: «دعوا ما وافق القوم؛ فإنّ الرشد في خلافهم».

وقوله عليه السلام: «خذوا بالمجمع عليه؛ فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه». ونحن لانعرف من ذلك إلّا أقلّه، ولا نجد شيئاً أحوط، ولاأوسع من ردّ علم ذلك كلّه إلى العالم عليه السلام، وقبول ما وسّع من الأمر فيه بقوله عليه السلام: «بأيّهما أخذتم من باب التسليم وسعكم»[(١)].

وقول الحجّة عليه السلام: «بأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً»[(٢)]. لعلّ الشيخ الكليني ينظر إليه بقوله: «بأيّهما أخذتم من باب التسليم وسعكم» وهو الدليل على حكم التخيير في كلامه، وأنّ الأخذ بأحد الحديثين المختلفين الفاقدين لأحد وجوه الترجيح من باب الانقياد والتسليم جائز لا محذور فيه.

وهل الأخذ بأحدهما المعبّر عنه بالتخيير حكم ابتدائيّ أو استمراريّ؟ بمعنى جواز ترك ما أخذه أوّلاً، والأخذ بالآخر ثانياً وهو تفسير التخيير الاستمراريّ، كما أنّ معنى الإبتدائي هو الأخذ بأحدهما أوّلاً فحسب على ما ذكر في بابه، وتحريره وتعيين ما هو الوظيفة الشرعيّة. والعمل على وفقها والوصول إلى الغاية المتوخّاة بها ما هو التسليم وما هي الغاية والغرض بالذات.

---

(١) أصول الكافي: ١/٨ ـ ٩، فيه موثّقة عمربن حنظلة ص ٦٧ و٦٨، الرقم ١٠.

(٢) بلفظ العرض في الكافي لم يكن إلّا هنا ومعناه ص ٦٩، النبوي، والصادقي ١،٢،٣،٤، في خبر ابن حنظلة، فيه الرشد في خلافهم، باب اختلاف الحديث وباب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ص ٦٢ ـ ٧١، وحديث الوسع ٦٦، الأحاديث.

ليس الغرض به بالذات إلّا ترك الاعتراض وعدم التحرّج النفسيّ كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَايَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[1].

أي: لا يعترضون على حكم من أحكام الرسولصلى الله عليه وآله بعد ما حكم به.

قال الفيض: وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم[2]. ويحتمل شمول التسليم عند الجهل بالحكم والانقياد في الواقع بالعمل به برجاء المطلوبيّة الواقعيّة عند الاختلاف؛ لكي يظفر ويفوز برضاه جلّ وعلا؛ وتمام الكلام في الترجيح والتعادل.

* * *

---

(١) النساء: ٦٥، تفسير نورالثقلين ١ / ٤٢٣ ـ ٤٢٥.

(٢) تفسير الصافي: ١ /٣٦٨.

١٣٣
الباب مفتوح

هٰذه الكلمة محتملة الصدور عن الإمام المهديّ عجّل الله فرجه من قصّة حسن بن مُثْلَة المأمور من قبله عليه السلام لبناء (مسجد جمكران) رواها الحاج الشيخ الميرزا محمّد حسين الطبرسي النوري في كتاب جنّة المأوىٰ الحاوي على تسع وخمسين حكاية ممّن فاز بلقاء الحجّة روحي فداه في الغَيْبة الكبرى، وإليك تمام الحكاية الثامنة، قال:

في (تاريخ قم) تأليف الشيخ الفاضل الحسن بن محمّد بن الحسن القميّ من كتاب (مونس الحزين في معرفة الحقّ واليقين) من مصنّفات أبي جعفر محمّد بن بابويه القميّ، ما لفظه بالعربيّة:

باب ذكر بناء مسجد جمكران بأمر الإمام المهديّ عليه صلوات الرحمن وعلى آبائه المغفرة[1].

سبب بناء المسجد المقدّس في جمكران بأمر الإمام عليه السلام على ما أخبر به الشيخ العفيف الصالح حسن بن مُثْلَة الجمكراني، قال: كنت ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وتسعين [سبعين][2] وثلاثمائة نائماً في بيتي، فلمّا مضى نصف من الليل، فإذا بجماعة من الناس على باب بيتي فأيقظوني، وقالوا: قم وأجب الإمام المهديّ صاحب الزمان؛ فإنّه يدعوك.

قال: فقمت وتعبّأتُ وتهيّأتُ، فقلت: دعوني حتّى ألبس قميصي، فإذا بنداء من جانب الباب: هو ما كان قميصك، فتركته، وأخذت سراويلي، فنودي [يتُ]: ليس

---

(١) كذا في النسخة.

(٢) لما يأتي من احتماله بل تعيّنه إن كان الراوي هو الشيخ الصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ، فلا يمكن تصحيح (تسعين) مع أنّ وفاته رحمه الله كان سنة ٣٨١ هـ، فانتظر تحقيق ذلك.

ذلك منك فخذ سراويلك، فألقيتُه وأخذت سراويلي ولبسته[١]، فقمت إلىٰ مفتاح الباب أطلبه فنودي [يتُ خ]: الباب مفتوح.

فلمّا جئت إلى الباب رأيت قوماً من الأكابر، فسلّمتُ عليهم فردّوا ورحّبوا بي، وذهبوا بي إلى موضع المسجد الآن، فلمّا أمعنت النظر رأيت أريكة، فرشت عليها فرش حسان، وعليها وسائد حسان، ورأيت فتىً في زيّ ابن ثلاثين متكئاً عليها، وبين يديه شيخ، وبيده كتاب يقرؤه عليه، وحوله أكثر من ستّين رجلاً يصلّون في تلك البقعة، وعلى بعضهم ثياب بيض، وعلى بعضهم ثياب خضر، وكان ذلك الشيخ هو الخضر عليه السلام.

فأجلسني ذلك الشيخ، ودعاني الإمام عليه السلام باسمي، وقال: «اذهب إلى حسن بن مسلم، وقل له: إنّك تعمر هذه الأرض منذ سنين وتزرعها، ونحن نخرّبها، زرعت خمس سنين، والعام أيضاً أنت على حالك من الزراعة والعمارة، ولا رخصة لك في العود إليها، وعليك ردّ ما انتفعت به من غلاّت هذه الأرض ليبنىٰ فيها مسجد.

وقل لحسن بن مسلم: إنّ هذه أرض شريفة قد اختارها الله تعالى من غيرها من الأراضي وشرّفها وأنت قد أضفتها إلى أرضك، وقد جزاك الله بموت وَلَدَيْن لك شابّين، فلم تنتبه عن غفلتك، فإن لم تفعل ذلك لأصابك من نقمة الله من حيث لا تشعر».

قال حسن بن مثلة: [قلت خ] يا سيّدي لابُدّ لي في ذلك من علامة؛ فإنّ القوم لا يقبلون ما لا علامة ولا حجّة عليه، ولا يصدّقون قولي.

قال: «إنّا سنُعلم هناك، فاذهب وبلّغ رسالتنا، واذهب إلى السيّد أبي الحسن وقل له: يجيء ويحضره ويطالبه بما أخذ من منافع تلك السنين، ويعطيه الناس حتّى يبنوا المسجد، ويتمّ ما نقص منه من غلّة (رهق) ملكنا بناحية (أردهال) ويتمّ المسجد، وقد وقفنا نصف رهق على هذا المسجد ليجلب غلّته كلّ عام، ويصرف إلى عمارته.

وقل للناس: ليرغبوا إلى هذا الموضع ويعزّروه ويصلّوا هنا أربع ركعتان للتحيّة،

---

(١) كذا.

في كلّ ركعة يقرأ سورة الحمد مرّة وسورة الإخلاص سبع مرّات، ويسبّح في الركوع والسجود سبع مرّات، وركعتان للإمام صاحب الزمان عليه السلام هكذا: يقرأ الفاتحة فإذا وصل إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [(١)] كرّره مائة مرّة، ثمّ يقرؤها إلى آخرها، وهكذا يصنع في الركعة الثانية، ويسبّح في الركوع والسجود سبع مرّات، فإذا أتمّ الصلاة يهلّل ويسبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام. فإذا فرغ من التسبيح يسجد ويصلّي على النبيّ وآله مائة مرّة».

ثمّ قال عليه السلام ما هذه حكاية لفظه:

«فمن صلّاها فكأنّما في البيت العتيق» [(٢)].

قال حسن بن مُثلة: قلت في نفسي: كأنّ هذا موضع أنت تزعم أنّما هذا المسجد للإمام صاحب الزمان، مشيراً إلى ذلك الفتى المتّكئ على الوسائد، فأشار ذلك الفتى إليّ «أن اذهب».

فرجعت، فلمّا سرت بعض الطريق دعاني ثانية، وقال: «إنّ في قطيع جعفر الكاشاني الراعي معزاً يجب أن تشتريه، فإن أعطى أهل القرية الثَمَن تشتريه، وإلّا فتعطي من مالك، وتجيء به إلى هذا الموضع، وتذبحه الليلة الآتية، ثمّ تنفق يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان المبارك لحم ذلك المعز على المرضىٰ ومن به علّة شديدة؛ فإنّ الله يشفي جميعهم، وذلك المَعز أبلق، كثير الشعر، وعليه سبع علامات سود وبيض: ثلاث على جانب، وأربع على جانب، سود وبيض كالدراهم».

فذهبت فأرجعوني ثالثة، وقال عليه السلام: «تقيم بهذا المكان سبعين يوماً أو سبعاً ـفإن حملت على السبع انطبق على ليلة القدر وهو الثالث والعشرون، وإن حملت على السبعين انطبق على الخامس والعشرين من ذي القعدة وكلاهما يوم مبارك».

قال حسن بن مُثلة: فعدت حتّى وصلت إلى داري، ولم أزل الليل متفكّراً حتّى

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) صلّاها في البيت العتيق، أو المراد كونه فيه، وعلى الأوّل يحتمل قد سقط «صلّاها» وعلى الثاني فلا سقط.

أسفر الصبح، فأدّيت الفريضة، وجئت إلى عليّ بن المنذر، فقصصت عليه الحال، فجاء معي حتّى بلغت المكان الّذي ذهبوا بي إليه البارحة، فقال: واللّٰه إنّ العلامة الّتي قال لي الإمام واحد منها أنّ هذه السلاسل والأوتاد هاهنا.

فذهبنا إلى السيّد الشريف أبي الحسن الرضا، فلمّا وصلنا إلى باب داره رأينا خدّامه وغلمانه يقولون: إنّ السيّد أبا الحسن الرضا ينتظرك من سحر، أنت من جمكران؟ قلت: نعم؛ فدخلت عليه الساعة، وسلّمت عليه وخضعت، فأحسن في الجواب وأكرمني ومكّن لي في مجلسه، وسبقني قبل أن أُحدّثه وقال: يا حسن بن مُثلة إنّي كنت نائماً فرأيت شخصاً يقول لي: «إنّ رجلاً من جمكران يقال له: حسن ابن مُثلة يأتيك بالغدوّ ولتصدّقنّ ما يقول، واعتمد على قوله؛ فإنّ قوله قولنا فلا تردّنّ عليه قوله»، فانتبهتُ من رقدتي، وكنت أنتظرك الآن.

فقصّ عليه الحسن بن مُثلة القصص مشروحاً فأمر بالخيول لتُسرج، وتخرّجوا[1] فركبوا فلمّا قربوا من القرية رأوا جعفر الراعي وله قطيع على جانب الطريق، فدخل حسن بن مُثلة بين القطيع، وكان ذلك المعز خلف القطيع، فأقبل المعز عادياً[2] إلى الحسن بن مُثلة فأخذه الحسن ليعطي ثمنه الراعي ويأتي به، فأقسم جعفر الراعي أنّي ما رأيت هذا المعز قطّ، ولم يكن في قطيعي إلّا أنّي رأيته وكلّما أُريد أن آخذه لا يمكنني، والآن جاء إليكم، فأتوا بالمعز كما أمر به السيّد إلى ذلك الموضع وذبحوه.

وجاء السيّد أبو الحسن الرضا رحمه الله إلى ذلك الموضع، وأحضروا الحسن بن مسلم، واستردّوا منه الغلّات وجاءوا بغلّات رهق، وسقّفوا المسجد بالجزوع[3]، وذهب السيّد أبو الحسن الرضا رحمه الله بالسلاسل والأوتاد وأودعها في بيته فكان يأتي المرضى والأعلّاء[4] ويمسّون أبدانهم بالسلاسل فيشفيهم الله تعالى عاجلاً ويصحّون.

---

(١) كذا ولعلّ الصحيح «وخَرَجُوا». (٢) أي مسرعاً.

(٣) الجازع: الخشبة توضع في العريش عرضاً وتطرح عليها قضبان الكَرْم... هامش البحار: ٥٣ / ٢٣٣، واحد الجُذوع الجذع ساق النخلة العين ١ / ٢٧٣.

(٤) في المصدر نفسه: جمع عليل كأجلّاء جمع جليل، والعليل: من به عاهة أو آفة.

قال أبوالحسن محمّد بن حيدر: سمعت بالاستفاضة أنّ السيّد أبا الحسن الرضا رضي الله عنه في المحلة المدعوّة بموسويان من بلدة قم، فمرض ـ بعد وفاته ـ ولدٌ له، فدخل بيته وفتح الصندوق الذي فيه السلاسل والأوتاد، فلم يجدها.

انتهت حكاية بناء هذا المسجد الشريف، المشتملة على المعجزات الباهرة والآثار الظاهرة الّتي منها وجود مثل بقرة بني إسرائيل في معزمن معزى هذه الأُمّة.

قال المؤلّف: لا يخفى أنّ مؤلّف تاريخ قم هو الشيخ الفاضل حسن بن محمّد القميّ، وهو من معاصري الصدوق رضوان الله عليه، وروى في ذلك الكتاب عن أخيه حسين بن علي بن بابويه رضوان الله عليهم، وأصل الكتاب على اللغة العربيّة، ولكن في السنة الخامسة والستّين بعد ثمان مائة نقله إلى الفارسيّة حسن بن عليّ بن حسن بن عبد الملك بأمر الخاجا فخر الدين إبراهيم بن الوزير الكبير الخاجا عماد الدين محمود بن الصاحب الخاجا شمس الدين محمّد بن عليّ الصفيّ.

قال العلّامة المجلسي في أوّل البحار: إنّه كتاب معتبر. ولٰكن لم يتيسّر لنا أصله وما بأيدينا إنّما هو ترجمته.

وهذا كلام عجيب؛ لأنّ الفاضل الألمعي الآميرزا محمّد أشرف صاحب كتاب فضائل السادات كان معاصراً له ومقيماً بأصفهان، وهو ينقل من النسخة العربيّة، بل ونقل عنه الفاضل المحقّق الآغا محمّد علي الكرمانشهاني في حواشيه على نقد الرجال في باب الحاء في اسم الحسن، حيث ذكر الحسن بن مُثلة ونقل ملخّص الخبر المذكور من النسخة العربيّة.

وأعجب منه أنّ أصل الكتاب كان مشتملاً على عشرين باباً.

وذكر العالم الخبير الآميرزا عبدالله الأصفهاني تلميذ العلّامة المجلسي في كتابه الموسوم برياض العلماء في ترجمة صاحب هذا التاريخ أنّه ظفر على ترجمة هذا التاريخ في قم، وهو كتاب كبير حسن كثير الفوائد في مجلّدات عديدة، ولٰكنيّ لم أظفر على أكثر من مجلّد واحد مشتمل على ثمانية أبواب بعد الفحص الشائع وقد نقل الخبر السابق من خطّ السيّد المحدّث الجليل السيّد نعمة اللّه الجزائري عن مجموعة نقله منه [منها: خ] ولٰكنّه كان بالفارسيّة فنقلناه ثانياً إلى العربيّة، ليلائم نظم هذا المجموع.

ولا يخفى أنّ كلمة «التسعين» الواقعة في صدر الخبر بالمثنّاة من فوق ثمّ السين المهملة، كانت في الأصل «سبعين» مقدّم المهملة على الموحّدة، واشتبه على الناسخ؛ لأنّ وفاة الشيخ الصدوق كانت قبل التسعين، ولذا نرى جمعاً من العلماء يكتبون في لفظ السبع أو السبعين بتقديم السين أو التاء، حذراً عن التصحيف والتحريف والله تعالى هو العالم[١].

إلى هنا تمّ النقل، قد جئنا عن آخر لفظ الشيخ الطبرسي طاب ثراه.

بقي أمران لابُدّ من ذكرهما:

الأمر الأوّل: إنّه نقل عن المرحوم الحاجّ السيّد البروجردي، المتوفّى سنة ١٣٨٠هـ في قم، المرجع الديني قدّس سرّه كلام حاصله: أنّ العلماء الإماميّة اختلفوا في كلمة (التسعين أو السبعين) في موضعين.

الموضع الأوّل:

في تاريخ وفاة الصدّيقة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها وسلّم. قال الشيخ الكليني طاب ثراه: بقيت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً ـ كما في حديث الصادق عليه السلام ـ[٢] فقرئت كلمة (سبعين: تسعين) أيضاً، وقوله أسدُّ الأقوال:

الموضع الثاني: تاريخ بناء مسجد جمكران الواقع خارج بلدة قم المقدّسة الوارد فيه لفظ (التسعين أو السبعين).

والّذي يساعده الاعتبار هو السبعون بناء على أنّ قصّة بناء مسجد جمكران بأمر الإمام المهديّ عجّل الله فرجه بواسطة حسن بن مثلة رحمه الله قد نقلها الشيخ الصدوق في كتابه: (مؤنس الحزين في معرفة الحق واليقين)، وقد توفّي مؤلّفه سنة ٣٨١هـ، فكيف يكون تاريخ بناء المسجد المنقول عنه سنة ٣٩٠هـ، فلابدّ من القول بتصحيف السبعين بالتسعين.

الأمر الثاني: إنّ كلمة (موسيان) المذكورة في القصّة: اسم محلّة من محلّات

---

(١) جنّة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى المطبوع مع البحار ٥٣/ ٢٣٠ـ٢٣٤، الحكاية الثامنة، وإلزام الناصب: ١٥٩ـ١٦٠، الحكاية الحادية والثلاثون. أقول: في الحكاية أمارات لصدقها.

(٢) أُصول الكافي ٤٥٨/١.

(قم)، وقيل: إنّها تقرأ (موسويّان) أيضاً تثنية (موسويّ)، وهي الآن اسم لبقعة تسمّى (جهل أختران) الواقعة في شرقيّ قم الشمالي، وقيل: إنّها تقال على ناحية (أردهال) أيضاً وهي: قرية من القرى التسع الواقعة من الناحية الجبليّة الجنوبيّة من بلدة (كاشان)، مركزها المكان المسمّى اليوم (المشهد)[1] ولأهله سنّة غسل السجّادة المعروفة عندهم.

ولعلّ (أردهال) هو (المشهد) المذكور و(موسيان) أو (موسويان) اسم لموضع آخر غير المشهد وهو (جهل أختران) كما تقدّم ذكره، سمعت ذلك من بعض السادة المدرّسيّين الساكن في بلدة قم المشرّفة على مشرّفتها ألف سلام.

وأمّا المختار: «الباب مفتوح» على احتمال صدوره عن الإمام المهديّ عليه السلام، وكذا بقيّة إخباراته الغيبيّة فذلك شأن المعصوم روحي فداه، ومعجزاته الّتي لو رمنا ذكرها لخلصنا إلى موضوع مستقلّ، ولخرجنا عمّا نحن في صدده.

ثمّ إن خُدِشَ في سند البناء فملازمة الصلحاء وكثير من العلماء للمسجد تكشف لنا شيئاً مّا عن صحة المستند كما قرّره بعض الفقهاء وقد وجدنا من يهتم في هدم الأساس وأنّه تأريخ مفتعل وهو ممّن يعدّ نفسه من أكبر مؤرّخ العصر وليس به، علىٰ أنّ عليه في كلّ مسمُوع إذا كان ممكن الوجود ولم يذده قائم البرهان أن يضعه في بقعة الأمكان ثبوتاً. وأمّا الاثبات فلعلّ الملازمة الآنف الذكر المشفوع بظهور بعض خوارق العادات المدّعىٰ شُهُودُهُ لعلّها يكفي في الشهادة على صحّة التأريخ والله هو العالم بحقيقة الحال وصدق المقال.

وهو مختارنا في الأبواب بأسرها إلّا ما قال البرهان القاطع على خلافه، وقلنا في غير موضع أنا أخترنا وثاقة الرواية، لا الراوي فحسب كما عليه السيّد الأُستاذ رحمه الله. فإن شئت الوقوف عليه نظرت المختار[2].

* * *

(١) كما في الخريطة السياسيّة تأليف (كيهان) ص: ٣٩٤و٣٩٦، (لغت نامه) دهخدا ١٠٣/١/٥، بعد التعريب. والآن يعرف بهذا الاسم، وتسمّى فُرشها وسجّاداتها بـ: (الأردهاليّة)، وهذه قرينة على وحدة المسمّى بها مع (موسيان). وفي (المشهد) يوم من دور السنة مشهود لغسل السجّادة الّتي قتل المدفون فيها عليها تُشدّ إليه الرحال؛ لرؤية المهرجان.

(٢) «لا صوّت الناعي بفقدك إنّه» رقمه ٣٣٢.

١٣٤
بارك اللّٰه فيما خوّلك، وأدام لك ما نوّلك

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام قد قالها لأبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار في جبال الطائف وقد تقدّمت قصّة لقائه ولربط الكلمة ما يلي من القصّة:

قال إبراهيم بن مهزيار: فمكثتُ عنده حيناً أقتبس ما أُؤدّي إليهم[1] من موضحات الأعلام، ونيّرات الأحكام، وأُروّي نبات الصدور من نضارة ما ادّخره اللّٰه في طبائعه من لطائف الحِكَم وطرائف فواضل القِسَم، حتّىٰ خفت إضاعة مخلّفيَّ بالأهواز لتراخي اللقاء عنهم، فاستأذنته بالقفول، وأعلمته عظيم ما أصدر به عنه من التوحّش لفرقته والتجرّع للظعن عن محالّه، فأذن وأردفني من صالح دعائه ما يكون ذخراً عند اللّٰه إلى قوله عليه السلام حين ما أراد المهزياري الانصراف عنه، وعدم قبول المال المعروض عليه روحي فداه:

«يا أبا إسحاق، استعن به على منصرفك؛ فإنّ الشُقّة قُذفة، وفلوات الأرض أمامك جمّة، ولا تحزن لإعراضنا عنه؛ فإنّا قد أحدثنا لك شكره ونشره وربضناه عندنا بالتذكرة وقبول المنّة فبارك الله فيما خوّلك، وأدام لك ما نوّلك...»[2].

قوله عليه السلام: «بارك اللّٰه فيما خوّلك...» دعاء للمهزياري بالبركة في أمواله الّتي

(١) أي إلىٰ إخوانه في بلدة (أهواز) وربّما يقال (أحواز) من البلدان الجنوبيّة (إيران). قال الحموي: الأهواز، آخره زاي وهي جمع هوْز، وأصله حوْز، فلمّا كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيّرتها حتّىٰ أذهبت أصلها جملة؛ لأنّه ليس في كلام الفرس حاء مهملة، وإذا تكلّموا فيها حاء قلبوها هاءً فقالوا في حسن هسن وفي محمّد مهمّد... معجم البلدان: ١/٢٨٤.

(٢) إكمال الدين: ٢/٤٥١ـ٤٥٢، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٥٢/٣٦ـ٣٧، باب ذكر من رآه عليه السلام.

خوّلها الله عزّوجلّ له وأعطاه إيّاه، من الخول: بمعنى التعهد والعطاء.

قال ابن فارس: هو تعهّد الشيء، «إنّه كان يتخوّلهم بالموعظة»، أي: كان يتعهّدهم بها... ومنه خوّلك الله مالاً: أي أعطاكه؛ لأنّ المال يتخوّل: أي يتعهّد. ومنه (خَوَل الرجل) وهم حشمه. أصله أنّ الواحد خائل وهو الراعي، يقال: فلان يخول على أهله أي يرعى عليهم[1].

قال الشيخ الطريحي: قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [٦/٩٤] أي: تركتم ما ملّكناكم وتفضّلنا به عليكم في الدنيا فشغلكم عن الاخرة.... وفي الحديث: «الناس كلّهم أحرار ولٰكنّ الله خوّل بعضكم على بعض» أي: فضّل بعضكم على بعض... وفي الحديث: «اتّخذوا مال الله دولاً، وعبيده خَوَلاً» أي: عبيداً و(الخَوَل) بالتحريك: العبيد، ومنه «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين اتّخذوا عباد الله خَوَلاً»: يعني أنّهم يستخدمونهم ويستعبدونهم[2].

قوله عليه السلام: «وأدام لك ما نوّلك» دعاء ثان للمهزياري في مواصلة العطاء واستمراره من الله عزّوجلّ له، وقد حظي أبو إسحاق بدعاءين من الإمام المهديّ عجّل الله فرجه تصرّف ؛ لأنّ دعاءه عليه السلام لا يردّ ولا يحجب، فهنيئاً لك أبا إسحاق من دعاء مستجاب من أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

«ما نوّلك» من النول، قال ابن فارس: نوّلته: أعطيه. والنوال: العطاء... وقول لبيد:

وقفت بهنّ حتّى قال صحبي   جزعتَ وليس ذلك بالنوالِ

قالوا: النوال: الصواب، وتلخيصه: ليس ذلك بالعطاء الّذي [إن خ] أعطيتنا كنت مصيباً، وكذا قوله:

فدَعي الملامة ويبَ غيرِكِ إنّه   ليس النوال بلوم كلّ كريمِ

والقياس في كلّه واحد. وممّا شذّ عن الباب المنوال: الخشبة يلفّ عليها الناسج الثوب[3].

---

(١) معجم مقاييس اللّغة ٢/ ٢٣٠ـ٢٣١ ـ خول ـ. (٢) مجمع البحرين: ٥/٣٦٦، ـ خول ـ.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/٣٧٢ ـ نول ـ.

قوله:

* فدَعي الملامة ويبَ غيرِكِ إنّه *

(وَيْبَ) على زنة ويل بمعناه، أي: ويل غيرك.

وللنول معانٍ منها ما تقدّم.

ومنها: الجدارة والحظّ قال ابن الأثير: ومنه الحديث: «ما نول امرئٍ مسلم أن يقول غير الصواب، أو أن يقول ما لا يعلم» أي: ما ينبغي له وما حظّه أن يقول[1].

ومنها: الأجر والجُعَل:، قال ابن الأثير: في حديث موسىٰ والخضر عليهما السلام «حملوهما في السفينة بغير نول» أي: بغير أجرٍ ولا جُعلٍ....[2]، يريد عليه السلام به ما قدّمناه من دعائه للمهزياري.

من هو المهزياري؟

قال السيّد الأُستاذ: قال النجاشي: إبراهيم بن مهزياري أبو إسحاق الأهوازي له كتاب البشارات... وعدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد عليه السلام ومن أصحاب الهادي عليه السلام، روى كتب أخيه عليّ بن مهزيار، ذكره النجاشي في ترجمة عليّ بن مهزيار ـ إلى أن قال الأُستاذ: ـ

وقد اختلف في حال الرجل، فقيل: إنّه من الثقات أو الحسان، استدلّ على ذلك بوجوه كلّها ضعيفة... إلى أن قال: الثالث ما ذكره الميرزا في المنهج والوسيط: (أنّه من سفراء الصاحب عجّل الله تعالى فرجه، والأبواب المعروفين الّذين لا تختلف الاثنا عشريّة فيهم، قاله ابن طاووس في ربيع الشيعة)[3].

ويردّه أنّ هذا اجتهاد من ابن طاووس استنبطه من الرواية الّتي سنذكرها؛ إذ لو كان الأمر كما ذكر، فلماذا لم يذكره النجاشي؟! ولا الشيخ ولا غيرهما، ممّن تقدّم

---

(١) النهاية ٥: ١٢٩ ـ نول ـ. (٢) نفسه.

(٣) الطريحي: في الحديث: «من جمع القرآن فَنَولَه لا يجهل مع من يجهل عليه» النول: الأجر والحظ... النوال: العطاء... وتناول الربّ: تكلّم في ذات الله: وأنل ممّا أنا لك الله أي أعط ممّا أعطاك الله، المجمع ٥: ٤٨٧ ـ ٤٨٨، ـ نول ـ.

على ابن طاووس، مع شدّة اهتمامهم بذكر السفراء والأبواب؟[١]

الوجوه الّتي يذكرها الأُستاذ الخوئي ستّة وكلّها مردودة لديه وقد تعرّض لها بتفصيل[٢] وأخيراً يختار وجهاً آخر غير تلك الوجوه، يرى الرجل من الثقاة. وإليك قوله:

(هذا وقد وقع إبراهيم بن مهزيار في طريق جعفر بن محمّد بن قولويه في كامل الزيارات، وقد ذكر في أوّل كتابه أنّه له يذكر فيه إلّا ما وقع له من طريق الثقات، وعليه فالرجل يكون من الثقات[٣].

وطريق الصدوق إليه: أبوه ـ رضي الله عنه ـ عن الحميري عن إبراهيم بن مهزيار، والطريق صحيح)[٤].

وأُضيف إليه أنّ الوجوه الستّة ليست كلّها مردودة عندنا. نعم، على ما سلكه هو من عدم اعتبار عمل الأصحاب في جبر الحديث الضعيف، أو كسر القويّ منه بإعراضهم لا يخلو من وجه، إلّا أنّ المسلك غير وجيه؛ لقوّة اعتبار عملهم في الجبر والكسر، وقد بيّن ذلك في محلّه.

فاجتهاد ابن طاووس طاب ثراه كما أشار إليه في الوجه الثالث من الرواية الّتي يذكرها بعد ذلك ويضعّفها ممّا يُورث الظنّ العادي العقلائي بصدورها، فلا يضرّ ضعف بعض رواتها، وإليك ما يلي من قول الأُستاذ الخوئي، ونقله الرواية:

الرابع: ما رواه الكشي (٤٠٦ ـ ٤٠٨) عن أحمد بن عليّ بن كلثوم السرخسي: «وكان من الفقهاء، وكان مأموناً على الحديث، قال: حدّثني إسحاق بن محمّد البصري، قال: حدّثني محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، قال: إنّ أبي لَمّا حضرته الوفاة دفع إليَّ مالاً، وأعطاني علامة، ولم يعلم بتلك العلامة أحد إلّا الله عزّوجلّ، قال: من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال.

قال: خرجت إلى بغداد ونزلت في خان، فلمّا كان في اليوم الثاني إذ جاء شيخ، ودقّ الباب، فقلت للغلام: انظر من هذا؟ فقال: شيخ بالباب؛ فقلت: ادخل؛ فدخل

---

(١) معجم رجال الحديث ١: ٣٠٣و٣٠٦.
(٢) نفسه: ٣٠٦.
(٣) أقول: وقد عدل عنه، وعليه لا يراه من الثقات.
(٤) المعجم رجال الحديث ١: ٣٠٦و٣٠٧.

وجلس، فقال: أنا العمري، هات المال الّذي عندك، وهو كذا وكذا، ومعه العلامة؛ قال: فدفعت إليه المال.

وحفص بن عمرو كان وكيل أبي محمّد عليه السلام، وأمّا أبوجعفر محمّد بن حفص بن عمرو فهو ابن العمري وكان وكيل الناحية، وكان الأمر يدور عليه».

ووجه الاستدلال: أنّه يستفاد من هذه الرواية أنّ إبراهيم كان من وكلاء الإمام عليه السلام، وأنّه كان يجتمع عنده المال. ويردّه:

أوّلاً: أنّ الرواية ضعيفة السند بإسحاق بن محمّد البصري، بل بمحمّد بن إبراهيم أيضاً.

وثانياً: أنّه لا يستفاد من الرواية أنّه كان وكيلاً، فلعلّ المال كان لنفسه، فأراد إيصاله إلى الإمام عليه السلام، أو أنّ المال كان سهمه عليه السلام في مال إبراهيم، أو أنّ شخصاً آخر أعطاه إبراهيم ليوصله إلى الإمام عليه السلام، أو غير ذلك، فلا إشعار في الرواية بالوكالة.

نعم، روى محمّد بن يعقوب في الكافي: الجزء ١، الكتاب ٤، باب ـ مولد الصاحب عجّل الله فرجه ـ ١٢٥، الحديث ٥، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن حمويه السويداوي، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار: القصّة على وجه آخر، وفي آخرها: «فخرج إليّ: قد أقمناك مقام (مكان) أبيك فاحمد الله» وفيها دلالة على وكالة إبراهيم، لكنّها ضعيفة؛ فإنّ محمّد بن إبراهيم لم يوثّق، ومحمّد بن حمويه مجهول[1].

تقدّمت رواية محمّد بن إبراهيم المنقولة عن الكليني[2] والصدوق[3] والشيخ الطوسي[4]، وقلنا عند كلمة «إنّ الزمان أصعب ممّا كان»[5]: إنّه يظهر من صاحب

---

(١) معجم رجال الحديث: ١/٣٠٤ـ٣٠٥.

(٢) عند «اِحْمَد الله» رقمه ٢٢.

(٣) إكمال الدين: ٢/٨٧، ٤، الباب ٤٥، التوقيعات مرّ أكثر من مرّة.

(٤) الغَيْبة: ١٧٠ـ١٧١.

(٥) رقمه: ١١٠.

الكافي كون الرجل عنده من وكلاء الحجّة، وإن خدش السيّد الأُستاذ، وكيف كانت الرواية؛ فإنّ القرائن تدلّنا على امتداح أبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار، وأنّه ممّن وفّق لرؤية الإمام المهديّ روحي فداه، ولولا كرامته على الله لما وفّق كما في حديث أحمد بن إسحاق القميّ المذكور عند «أنا بقيّة الله في أرضه»[1]، وإن كان سبب الرؤية لا يقصر على ذلك كما سبق[2]، لا سيّما الدعوات الدالّة على صلاحه.

* * *

(١) رقمه ٨٧: «أنابقيّة الله في أرضه»، فيه المثل السائر.
(٢) عند «أدارُك هي؟!». ٢٧؛ ردّ الجعفر الكذّاب مدّعيها أي الدّار.

١٣٥
باهر المسارعة إلى منار اليقين... تلق رشداً

من توقيع مبارك مُنسبق الذكر عند «إذا بدت أمارات الظهور...»[(١)] ومنه المختار: «باهر المسارعة إلى منار اليقين، وضياء مصابيح الدين تَلْق رُشداً إن شاء الله»[(٢)] لإبراهيم بن مهزيار الّذي حُظي بلقائه عليه السلام فيه بيان الكلمتين مراداً ولغة.

١ـ أريد بهما الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام الأئمّة خلفاء الرسول لاسيّما زوج البتول عليّ بن أبي طالب المبتدأ به ذلك والمختتم بخاتمهم الإمام المهديّ عليه السلام فيهم تجّسد حقيقة الإسلام والدين قال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا برز عليّ لقتل عمرو بن ودّ: «بَرَزَ الإسلام كلّه إلى الكفر كلّه»[(٣)] أقول: روح عليّ في ولده كلّهم «وجدتُك بعضى بل وجدتك كلّي»[(٤)]

«باهر المسارعة» أمرٌ بها من البَهْر، ابن فارس: أصلان: أحدهما الغلبة والعُلوّ. والآخر وسط الشيء. فأمّا الأوّل فقال أهل اللغة: البَهْر الغلبة، يقال: ضوءٌ باهر، ومن ذلك قولهم في الشَّتم بَهْراً أي غلَبَةً قال ـ أي ابن ميّادة ـ :

وجَدّاً لقومي إذ يبيعون مهجتي   بجاريةٍ بَهْراً لهم بعدها بَهراً[(٥)]

---

(١) رقمه ٣٧ فيه الحديث المشتمل عليه وعلى شمائل المهديّ عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢/٤٥١، الباب ٤٣.

(٣) إقبال السيّد ابن طاووس ٤٦٧، عوالي اللألي ٤/٨٨، حديث ١١٣، البحار ٣٩/١، الحديث فيه بدل الإسلام الإيمان عن الطرائف ٣٥ـ٦٠، كنز الفوائد ١٣٧، شرح النهج ١٩/٦١ فيه «إلى الشرك كلّه».

(٤) شرح النهج ١٦/٥٧، كتاب ٣١، مصادر النهج ٣/٢٨٤، نفس الرقم.

(٥) جدّاً أي قطعاً هو الرَّماح بن يزيد وميّادة أمّه وكانت أمّ ولد، ويكنّىٰ أبا شراجيل ←

يدعو عليهم. وقال ابن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا: أتحبّها؟ قلتُ بَهْراً عددَ النّجم والحَصا والتُّرابِ

... وتقول العرب الأزواج ثلاثة: زوج بهرٍ، وزوج دهر، وزوج مَهر.

... وأمّا الأصل الآخر فقولهم لوسط الوادي وَوَسَط كلّ شيءٍ: بُهْرة...[١].

المراد بالكلمة الحصول على أعلا درجة اليقين والقبض عليه قبل إفلاته وانتهازه قبل فواته واغتنام الفرصة؛ فإنّها تمرّ مرّ السحاب وليس الخطاب خاصّاً بابن مهزيار بعد عمومه الشامل لغيره وتطبيق الموارد لا يمنع عموم الوارد كما قُرّر فى مَوْرده من العلم بالأحكام الدينيّة وشرايع الإسلام والمعرفة بأئمّة الدين كما سَبَقَ أنفاً المعنىّ بضياء مصابيح الدين فى كلامه عليه السلام وعلينا الرجوع إليه، وأنّه الرجوع إليهم عليهم السلام واقعاً. وعنهم نأخذ آداباً. منها: أن لا يأمر بعضنا بعضاً بالمبادرة المذكورة إلّا العامل بها؛ فإنّ الآمر لو لم يكن عاملاً بما يأمر كان أمره كلا أمر. فالإمام عليه السلام إنّما قال ذلك لكونه إمام العاملين؛ ولا يُقاس بمن سواهم.

وأمّا على نسخة «باهل المسارعة» فإنّها من المباهلة؛ وهي من البهل: العناء بالطلب، أي: اطلبها بعناء وتعب، أو من البهل: الترك والإهمال. قال ابن خالويه: البُهّل واحدها باهل وباهلة وهي التي تكون مهملة بغير راع، يريد أنّها سرحت للمرعى بغير راعٍ؛ قال: وشاهد أبهل قول الشاعر:

قد غاث[٢] ربّك هذا الخلق كلّهم بعام خِصب فعاش المالُ والنَعَمُ

وأبهلوا سرحهم من غير تودية ولا ديار، ومات الفقرُ والعَدَمُ

وقال آخر:

قد رجع الملك لمستقرّهْ وعاد حلوُ العيشِ بعد مُرّهْ

وأبهلَ الحالبُ بعد صَرّهْ

← الشعر والشعراء : ٥٢٠، والبغدادي ابن أبرد ترجمه في الخزانة: ١/١٦٠ـ١٦١، الشاهد: ١٩، وأنه يستشهد بشعره.

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ٣٠٨... ديوانه ٦٤، بيروت تحقيق عبد علي مهنّا، دارالكتب العلميّة، وأمالى المرتضى: ١/٣٤٦ عمربن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي، الشعر والشعراء: ٣٦٧.

(٢) من الغوث: النجاة.

أبهل الراعي أبله إذا تركها، والحالب ترك الضرع بعد شده[١].

وعليه: فالمراد بـ«باهل المسارعة» جعلُها كنَعَمٍ بلا راعٍ يرعاها أي أنت صاحبها وراعيها ولا صاحب لها غيرك فيكون الكلام حثّاً بالغاً على المسارعة إلى تلك المكارم، ألا وهي الحصول على مرتبة اليقين والعلم بأحكام الدين وأخذ ذلك كلّه من الإمام المهديّ عليه السلام.

إنّ نسخة البحار الموجودة «وبأهل المسارعة»، عطف على ما قبلها وهو: «فلا تبطئ بإخوانك عنّا» أي: اذا ظهرت أمارات خروجنا أسرع إلينا مع إخوانك المؤمنين، ومع أهل المسارعة إلى المكارم المذكورة، وأين هذا من نسخة: «باهلِ...»[٢] ولكنّ الكُلّ محتمل؛ لأنّ العلم بأصل النسخة مفقود، وما ذكرناه كان جرياً على طريق الاحتمال وحِرصاً منّا على الحقّ الحقيق بالقبول وعليه نقول: إنّ النسخة سواء أكانت «باهر المسارعة»، أو «ناهز المسارعة» أو «باهل المسارعة» أو «بأهل المسارعة» لها تفاسيرها، كلّها ممكن القصد قد صيغ الكلام من أجله، بالدلالة الصريحة على الاهتمام التام بالشؤون الدينيّة أُصولها وفروعها وآدابها وكلّ ما يمتّ إلى دين الله عزّوجلّ بصلة من قريب أو بعيد، وإنّ دين الله متحقّق، ومتجسّد في الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه قريباً إن شاء الله وإنّ الأمر بالمسارعة بكلّ أشكالها ناش عن الأمر المنزل من قبل الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، والكاظمي: «سارعوا إلى طاعة الله»[٤] وهي من أفضل المسارعة وأرضاها لله؛ إذ لولم تنته إلى طاعته تعالى كانت عصياناً أنسياناً وأنّها لا تخلوا من أحكام خمسة تتأتّىٰ في كلّ شيءٍ يفعله المكلّف أو يتركه والتوقيع يأمر بها أمراً مولويّاً بتيّاً يجب القيام به، لايخفى على كلّ من بلغه.

* * *

---

(١) لسان العرب ١١/٧١ ـ بهل ـ.
(٢) البحار ٥٢/٣٤ ـ ٣٨، باب ذكر من رآه عليه السلام.
(٣) آل عمران: ١٣٣.
(٤) رقمه: ٣٠٤، فيه تمام ما رواه الكليني ٢/٤٥٧، الحديث ١٧، باب محاسبة العمل.

١٣٦
بتر اللّٰه عمره

روى الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده عن محمّد بن الصالح أنّه قال: ولمّا ورد نعي ابن هلال لعنه الله جاءني الشيخ[١]. فقال لي: أخرج الكيس الّذي عندك؛ فأخرجته إليه. فأخرج إليَّ رقعة فيها: «وأمّا ما ذكرت من أمر الصوفيّ المتصنّع ـيعني الهلالي ـ فبتر الله عمره».

ثمّ خرج من بعد موته: «فقد قَصَدَنا فصبرنا عليه. فبتر الله تعالى عمره بدعوتنا»[٢].

قال الشيخ الطريحي: بَتَرَ الشيء بَتراً من باب قتل: قطعه قبل الإتمام... وفي الحديث: «من سدّ طريقاً بَتَرَ الله عمره» أي قصّر عليه أجله وقطعه[٣].

وقال ابن منظور: البَتْر: استئصال الشيء قطعاً... والأبتر: المقطوع الذَنَب من أي موضع كان من جميع الدوّاب[٤].

والكلمة المهدويّة إخبار بموت ابن هلال، وتأتي دعاءً.

ابن هلال:

هل هو مقبول الرواية أم مردود؟ وعندنا أنّه مردود. أمّا كلمات الأصحاب فمضطربة: منها أنّه فاسد العقيدة ولٰكنّه ثقة ذهب إلى ذلك الأُستاذ الخوئي. وإليك ما كتبه بعد العنوان: ١٠٠٥ أحمد بن هلال:

---

(١) المراد بالشيخ أبو القاسم الحسين بن روح طاب ثراه كما يظهر من الاحتجاج، قال المعلّق على إكمال الدين: ٢/ ٤٨٩.

(٢) إكمال الدين: ٢/ ٤٨٩، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات.

(٣) مجمع البحرين ـبَتَرَ ـ.

(٤) لسان العرب: ٤/ ٣٧ ـبَتَرَ ـ

قال النجاشي: أحمد بن هلال أبوجعفر العبرتائي [العبرتاي خ] صالح الرواية، يعرف منها وينكر، وقد روي فيه ذموم من سيّدنا أبي محمّد العسكري عليه السلام، ولا أعرف له إلّا كتاب يوم وليلة، كتاب نوادر.

أخبرنا بالنوادر أبوعبدالله بن شاذان، عن أحمد بن محمّد بن يحيى، عن عبدالله ابن جعفر عنه به.

وأخبرني أحمد بن محمّد بن موسىٰ بن الجندي، قال: حدّثنا ابن همّام، قال: حدّثنا عبد الله بن العلا المذاري، عنه بكتاب يوم وليلة.

قال أبو عليّ بن همّام: ولد أحمد بن هلال سنة ١٨٠، ومات سنة ٢٦٧.

وقال الشيخ (١٠٧): أحمد بن هلال العبرتائي ـ وعَبرتا قرية بنواحي بلد إسكاف[1] ـ وهو من بني جُنيد، ولد سنة ١٨٠، ومات سنة ٢٦٧، وكان غالياً متّهماً في دينه، وقد روى أكثر أُصول أصحابنا.

وذكره في رجاله في أصحاب الهادي عليه السلام (٢٠)، وقال: بغداديّ غالٍ، وعدّه في أصحاب العسكري عليه السلام أيضاً (١٤). وذكر في التهذيب: في باب الوصيّة لأهل الضلال، ذيل الحديث ٨١٢ من الجزء (٩): أنّ أحمد بن هلال مشهور بالغلوّ واللعنة، وما يختصّ بروايته لا نعمل عليه (انتهىٰ).

وقال في الاستبصار في باب مايجوز شهادة النساء فيه وما لا يجوز، ذيل الحديث (٩٠) من الجزء (٣): أحمد بن هلال، ضعيف، فاسد المذهب، لا يلتفت إلى حديثه فيما يختصّ بنقله.

وقال النجاشي في ترجمة محمّد بن أحمد بن يحيى: واستثنى محمّد بن الحسن ابن الوليد. في جملة ما استثناه ممّا يرويه محمّد بن أحمد بن يحيى، ما يرويه عن أحمد بن هلال وتبعه على ذلك أبوجعفر بن بابويه (الصدوق)، أبو العبّاس بن نوح.

وذكر الشيخ أيضاً هذا الاستثناء عن أبي جعفر بن بابويه. في ترجمة محمّد بن

---

(١) إسكاف اسم لموضعين من أعمال بغداد ينسب إليهما علماء. منتهى الأرب ـ سكف ـ.

أحمد بن يحيى (٦٢٣).

وقال الكشّي (٤١٣ـ٤١٤): عليّ بن محمّد بن قتيبة، قال: حدّثني أبو حامد المراغي، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال، وكان ابتداء ذلك أن كتب عليه السلام إلى نوّابه (قوّامه) بالعراق: «احذروا الصوفيّ المتصنّع»[1]. قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنّه كان قد حجّ أربعاً وخمسين حجّة، عشرون منها على قدميه، قال: وقد كان رواة أصحابنا بالعراق لقوه، وكتبوا منه فأنكروا ما ورد في مذمّته، فحملوا القاسم بن العلاء على أن يراجع في أمره، فخرج إليه:

«قد كان أمرنا نفذ إليه في المتصنّع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت ولم يزل ـ لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته ـ يداخل في أمرنا بلا إذنٍ منّا ولا رضىً، يستبدّ برأيه، فيحامي من ديوننا (من ذنوبه)، لا يمضي من أمرنا إيّاه إلّا بما يهواه ويريده أرداه الله بذلك في نار جهنّم، فصبرنا حتّى بتر الله بدعوتنا عمره.

وكنّا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في أيّامه ـ لا رحمه الله ـ وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاصّ من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال ـ لا رحمه الله، ولا مَن لا يبرأ منه ـ.

وأعْلِم الإسحاقي ـ سلّمه الله ـ وأهل بيته ممّا أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سَألَكَ ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحقّ أن يطلع على ذلك؛ فإنّه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما روى عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم بسرنّا ونحمله إيّاه إليهم، وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى»[2].

قال: وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه فعاودوه فيه، فخرج:

«لا أشكر الله قدره، لم يدع المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه، بعد أن هداه، وأن يجعل ما مَنّ به عليه مستقراً، ولا يجعله مستودَعاً، وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان

---

(١) ولا يخفى أنّها النسخة المتقدّمة الذكر والرقعة الّتي أخرجها الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح رحمه الله لابن الصالح.

(٢) في التوقيع الخارج ما يماثل الرقعة الّتي قدّمناها عن ابن روح.

ـ عليه لعنة الله ـ وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة، ولم يمهله، والحمد لله لا شريك له، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم».

وقال العلّامة في القسم الثاني، الباب ٤، من فصل الهمزة: وتوقّف ابن الغضائري في حديثه إلّا فيما يرويه عن الحسن بن محبوب، من كتاب المشيخة، ومحمّد بن أبي عمير من نوادره، وقد سمع هٰذين الكتابين جلّ أصحاب الحديث، واعتمدوه فيها، وعندي: أنّ روايته غير مقبولة، وفصّل الشيخ في العدّة في بحث خبر الواحد بين ما يرويه حال استقامته، وما يرويه حال خطأه.

وقال في كتاب الغَيْبة: في ذكر طرف من أخبار السفراء الّذين كانوا في حال الغَيْبة: روى محمّد بن يعقوب قال: خرج إلى العمري ـ في توقيع طويل اختصرناه ـ: ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال ـ لا رحمه الله ـ وممّن لا يبرأ منه، فأعلِم الإسحاقي وأهل بلده ممّا أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه.

وفيه أيضاً في ذكر المذمومين الّذين ادّعوا البابيّة ـ لعنهم الله ـ قال: ومنهم: أحمد ابن هلال الكرخي قال أبو علي بن همّام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمّد عليه السلام، فأجمعت الشيعة على وكالة محمّد بن عثمان، رضي الله عنه بنصّ الحسن عليه السلام في حياته، ولمّا مضى الحسن عليه السلام، قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان، وترجع إليه وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟!

فقال لهم: لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة، وليس أُنكر أباه، يعني عثمان بن سعيد، فأمّا أن أقطع أنّ أبا جعفر، وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه.

فقالوا: قد سمعه غيرك.

فقال: أنتم وما سمعتم.

ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرّأوا منه، ثمّ ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن.

وقال الصدوق في كتاب كمال الدين، في البحث عن اعتراض الزيديّة، وجوابهم

ما نصّه:

حدّثنا شيخنا محمّدبن‌الحسن بن‌أحمد بن‌الوليد ـ رحمه الله ـ قال: سمعت سعدبن عبدالله، يقول: مارأينا ولا سمعنا بمتشيّع رجع عن تشيّعه إلى النصب إلّا أحمدبن هلال، وكانوا يقولون: إنّ ما تفرَّد بروايته أحمدبن هلال فلايجوز استعماله (انتهى).

أقول: لا ينبغي الإشكال في فساد الرجل من جهة عقيدته، بل لا يبعد استفادة أنّه لم يكن يتديّن بشيءٍ، ومن ثمّ كان يظهر الغلوّ مرّة، والنصب اُخرى، ومع ذلك لا يهمّنا إثبات ذلك، إذ لا أثر لفساد العقيدة، أو العمل في سقوط الرواية عن الحجّيّة بعد وثاقة الراوي.

والّذي يظهر من كلام النجاشي: (صالح الرواية) أنّه في نفسه ثقة، ولا ينافيه قوله: يعرف منها وينكر؛ إذ لا تنا في بين وثاقة الراوي وروايته اُموراً منكرة من جهة كذب مَن حدّثه بها.

بل إنّ وقوعه في طريق جعفر بن محمّد بن قولويه في كامل الزيارات يدلّ على توثيقه إيّاه؛ على ما شهد بذلك في أوّل كتابه، فقد روي عن مشايخه عن سعد بن عبد الله بن الحسن بن علي‌الزيتوني وغيره عن أحمد بن هلال، الباب ٧٢، في ثواب زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان، وكذلك وقوعه في أسناد تفسير القمّيّ علىٰ ما يأتي.

وممّا يؤيّد ذلك تفصيل الشيخ: بين ما رواه حال الإستقامة، وما رواه بعدها؛ فإنّه لا يبعد أن يكون فيه شهادة بوثاقته؛ فإنّه إن لم يكن ثقة: لم يجز العمل برواياته حال الإستقامة أيضاً.

وأمّا تفصيل ابن الغضائري فالظاهر أنّه يرجع إلى تفصيل الشيخ ـ قدس سره ـ وإلّا فلو كان الرجل ثقة أو غير ثقة، فكيف يفرّق بين رواياته عن كتاب ابن محبوب ونوادر ابن أبي عمير وبين غيرها.

فالمتحصّل: أنّ الظاهر أنّ أحمد بن هلال ثقة، غاية الأمر أنّه كان فاسد العقيدة وفساد العقيدة لا يضرّ بصحّة رواياته على ما نراه من حجّيّة خبر الثقة مطلقاً.

وكيف كان، فطريق الصدوق إليه أبوه ومحمّد بن الحسن ـ رضي الله عنهما ـ عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن هلال؛ والطريق صحيح[١].

بيان: كيف تجتمع الوثاقة مع التصنّع! أَو مِن الممكن أن يكون ثقةً مع الأمر بحذر الشيعة منه، والتبرّي منه الوارد في التوقيعات[٢]؟!

إن قلت: التوثيق يعود إلى حالة الاستقامة كما هو ظاهر المراد به، فلا يرد عليه نقاش الإجتماع الآنف الذكر.

قلنا: نعم هو كذلك، ولكن ذلك مظنِة العثرة والمزلق للقدم، والنُقاش وجوابه جارٍ في كثير من رواة أحاديثهم عليهم السلام أضراب البطائني والقندي من رؤساء الواقفة، قد وقفوا على الإمام الكاظم عليه السلام، طمعاً في حطام الدنيا وحصيلة الجواب أنه لا بأس مع الضمان المصون معه عن الوقوع فيما لا يُحمد عُقْباه والإنحراف المُفضي إلى الهلاك الأبد، والعذاب المؤبّد.

* * *

(١) معجم رجال الحديث: ٢/٣٥٤ ـ ٣٥٩.

(٢) في محلّه إن أريد حالة الانحراف ولعلّ الصحيح الفرق بين الحالتين فلا نقاش.

١٣٧

برح الخفاء وانقطع الرجاء

من دعاء علّمه الإمام المهديّ عليه السلام أبا الحسن محمّد بن أحمد بن أبي الليث، وقد هرب إلى مقابر قريش والتجأ من خوف القتل، قال: عَلَّمَني أن أقول:

«أَللّهُمَّ عظم البلاء، وبرح الخفاء، وانقطع الرجاء، وانكشف الغطاء، وضاقت الأرض، ومنعت السماء، وإليك يا ربّ المشتكىٰ، وعليك المعوّل في الشدّة والرخاء، أَللّهُمَّ فصلِ على محمّد وآل محمّد أُولي الأمر الّذين فرضت علينا طاعتهم، فعرّفتنا بذلك منزلتهم، ففرّج عنّا بحقّهم فرجاً عاجلاً كلمح البصر أو هو أقرب، يا محمّد يا عليّ اكفياني فإنّكما كافياي وأنصراني فإنّكما ناصراي، يا مولاي يا صاحب الزمان الغوث الغوث [الغوث خ] أدركني أدركني أدركني».

قال الراوي: إنّه عليه السلام عند قوله: «يا صاحب الزمان» كان يُشير إلى صدره الشريف[١].

كلمة «بَرَح الخفاء» من البَراح: الظهور، قال ابن منظور: وبَرَح الخفاء: ظهر، قال:

بَرَح الخفاء فما لديّ تجلّدُ

أي وَضَحَ الأمر كأنّه ذهب الشرّ وزال. الأزهري: بَرِحَ الخفاء معناه زال الخفاء، وقيل: معناه ظهر ما كان خافياً وانكشف، مأخوذ من براح الأرض وهو البارز الظاهر. وقيل معناه: ظهر ما كنت أُخفي[٢].

---

(١) جنّة المأوى، المطبوع مع البحار ٥٣/٢٧٥، الحكاية الأربعون.

(٢) لسان العرب ٢/٤٠٩، ـ بَرَح ـ. ومنه آية: ﴿فلن أبرح الأرض...﴾ يوسف: ٨٠. ولا يخفى أنّ «برح الخفاء» من المثل السائر، جاءٍ ذكره في خزانة الأدب: ٢/٣٠٩، من قصيدة مسلم ابن معبد الوالبيّ يخاطب خالاً له: رُقيعاً عمارة بن عُبيد الوالبيّ: ←

ولا يخفى أنّه روى الدعاء أيضاً المشهدي[١] والشهيد الأوّل[٢] والمجلسي[٣]... قدّس الله أسرارهم. راجع المظان تجده عياناً؛ (جاء العيان فألوىٰ بالأسانيد)[٤]. سَبَق قوله عزّ من قائل: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[٥] التكذيب كفر ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ﴾ فدعاء المؤمن حقّ صَدَرَ باختيارٍ وعقيدة، فإن كانت الأُخرى فيفقد كلّ شيءٍ، وَسوف يُعذّب إما في عصر المهدي عليه السلام أو البرزخ أو القيامة والله العالم. رؤية أمر عظيمٍ في تفسيرها[٦].

* * *

← ثنيت ركاب رحلك مع عدوّي لمختتل، وقد برح الخفاء

وفي فهرس الأمثال للخزانة ١٢/٧٨، وجاء أيضاً في أشعار حسّان بن ثابت، أجاب بها عن هجاء أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب الرسول صلى الله عليه وآله، وكان ابن عمّ له وأخاه من الرضاعة أرضعته حليمة السعديّة قبل الإسلام، ومات سنة عشرين من الهجرة وهو مسلم والأشعار لحسّان يردّ عليه:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاءُ
هجوتَ محمّداً وأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفوٍ فشرّكما لخيركما الفداءُ
فإنّ أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمّد منكم وقاءُ

الكنى والألقاب ١/٨٧، للمحدّث القميّ رحمه الله. وهامشه، وأسلم وحسن إسلامه.

(١) المزار: ١٩٦. (٢) نفسه: ٦٤.

(٣) البحار ١٠٢/١١٩، مع اختلاف مّا.

(٤) مجمع الأمثال ١/١٩٠، المولّدون، موسوعة أمثال العرب ٣/٤٦٠.

(٥) الفرقان: ٧٧. (٦) تفسير نورالثقلين ٢ / ٤٩١، ح٦٨ قابيل تفسير الرعد: ١٤.

١٣٨
بسم اللّٰه دواء، والحمد للّٰه شفاء

روى الميرزا النوري الطبرسي نوّرالله ضريحه عن الشيخ إبراهيم الكفعمي في كتاب البلد الأمين عن المهديّ صلّى الله عليه وسلّم[١]: من كتب هذا الدعاء في إناء جديد بتربة الحسين عليه السلام وغسله وشربه شفي من علّته:

«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ، بِسْمِ ٱللَّهِ دواء، والحمدلله شفاء، ولا إلٰه إلّا الله كفاء، هو الشافي شفاء، وهو الكافي كفاء، اذهب البأس بربّ الناس شفاء، لا يغادره سقم، وصلّى ٱللَّهِ على محمّد وآله النجباء»[٢].

وقال النوري بعد ذلك: ورأيت بخطّ السيّد زين الدين عليّ بن الحسين الحسيني رحمه الله أنّ هذا الدعاء تعلّمه رجل كان مجاوراً بالحائر على مشرّفه السلام [عن] المهديّ سلام الله عليه في منامه، وكان به علّة فشكاها إلى القائم عجّل اللّٰه فرجه، فأمره بكتابته وغسله وشربه، ففعل ذلك فبرئ في الحال[٣].

ولا غرو في إبراء هذا الدعاء ذوي العلل عن عللهم؛ لأنّه اشتمل على أسماء الله عزّوجلّ وهي الدواء والشفاء والكفاء يقيناً.

* * *

---

(١) قد يقال: هذا النحو من الصلاة، خاصّ بالنبيّ صلّى الله عليه وآله، وعليه يحتمل كون الدعاء مهدوياً نبويّاً.

(٢) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣/٢٢٦_٢٢٧.

(٣) نفسه: ٢٢٧.

١٣٩
بي يدفع اَللّه عزّوجلّ البلاء عن أهلي وشيعتي

قال الصدوق: وبهذا الإسناد[١] عن إبراهيم بن محمّد العلويّ، قال: حدّثني طريف أبونصر، قال: دخلت على صاحب الزمان عليه السلام فقال: «عليّ بالصندل الأحمر» فأتيته به، ثُمَّ قال: «أتعرفني؟» قلت: نعم؛ فقال: «من أنا؟» فقلت: أنت سيّدي وابن سيدي؛ فقال: «ليس عن هذا سألتك» قال طريف: فقلت جعلني الله فداك فبيّن لي[٢] قال: «أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله عزّوجلّ البلاء عن أهلي وشيعتي»[٣].

قال ابن منظور: الصندل: خشب أحمر، ومنه الأصفر. وقيل: الصندل شجر طيّب الريح[٤]. والثاني بالحديث أنسب.

أبونصر طريف أو ظريف الخادم:

قال السيّد الأُستاذ الخوئي: أبونصر ظريف الخادم: روى محمّد بن يعقوب بسنده عن إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عن أبي نصر ظريف الخادم أنّه رآه (الحجّة عليه السلام). الكافي: الجزء ١، باب في تسمية من رآه عليه السلام ٧٧، الحديث ١٣[٥].

ولا يخفى أنّا قدّمنا الحديث عن ظريف برواية الشيخ الطوسي عند المختار: «أنا خاتم الأوصياء»[٦] وتعرّضنا لتفسير الصندل الأحمر، وخاتميّة وصاية

(١) أي عليّ بن الحسن الدقاق، وفي بعض النسخ «عليّ بن الحسين الدقاق» كما في هامش إكمال الدين: ٢/٤٤١.

(٢) في بعض النسخ «فسّر لي» كذلك.

(٣) المصدر المسبق، الباب ٤٣، من شاهد القائم عليه السلام.

(٤) لسان العرب ١١/٣٨٦ ـ صندل ـ.

(٥) معجم رجال الحديث: ٢٢/٦٢.

(٦) رقمه: ٨٨.

الأوصياء عليهم السلام بتفصيل فلا نُطيل.

بقي شيء:

وهو لماذا يهتمّ الإمام المهديّ روحي فداه في تركيز خاتميّته للوصاية لظريف الخادم وأنّها متحقّقة فيه عليه السلام ؟! وهل كان ظريف مرتاباً حتّىٰ يرتفع عنه؟! أو أنّها لابُدّ أن تركّز تركيزاً عامّاً لا يخصّ ظريفاً الخادم، وإنّما وقع في موضع الخطاب كأحد المكلّفين بها، وكلّ من بلغه الخطاب مخاطب به لعموم الحكم؟

والحقّ هو الثاني، وقد خرّج الحديث مخرج الأحاديث الأُخرىٰ بهذا الصدد، فراجعها[1].

ولولا خاتميّة الوصاية لَما كان لبدايتها معنى صحيح، إذ ما لا آخر له لا أوّل، فتدبّر المقام فإنّه حريّ به.

ورفع البلاء كدفعه متحقّق ببركة أهل البيت عليهم السلام. وعن شيعتهم، فالمعرّض للبلاء والواقع فيه لا ينجو إلّا بوسيلتهم المبتغاة[2] إليه تعالى ومن بعد إذنه عزّوجلّ، ولولا ذلك لكنّا من الهالكين.

* * *

---

(١) نفسه.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ المائدة: ٣٥.

باب التاء

١٤٠
تُؤخذ بشعرها وتخرج من الدار

قال الشيخ الصدوق: حدّثنا أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، قال: حدّثني أبوعلي المتيلي[١] قال: جاءني أبوجعفر فمضى بي إلى العبّاسيّة وأدخلني خربة وأخرج كتاباً، فقرأه عليَّ فإذا فيه شرح جميع ما حدث على الدار، وفيه: «أنّ فلانة ـ يعني أمّ عبد الله ـ تؤخذ بشعرها وتخرج من الدار، ويحدر بها إلى بغداد، فتقعد بين يدي السلطان، وأشياء ممّا يحدث» ثُمَّ قال لي: احفظ، ثُمَّ مزّق الكتاب، وذلك من قبل أن يحدث ما حدث بمدّة[٢].

من المحتمل قريباً أنّ أباجعفر هو محمّد بن عثمان العمري ثاني النوّاب الأربعة، وعليه فالكتاب الصادر الّذي قرأه على أبي عليّ كان من الإمام المهديّ عليه السلام، وقد أخبر بما يحدث، وما حَدَثَ على الدار، ولعلّها نفس الخربة الّتي أدخله فيها لغاية قراءة الكتاب عليه، والعبّاسيّة لعلّها اسم موضع، أو المراد بها الدولة العبّاسيّة، وإنّما خرق الكتاب لئلّا يقع بيد طاغوت زمانه.

ومن هي أُمّ عبدالله؟

في الحديث نوع إبهام لا يعلم المراد منها، إلّا أنّ بعض القرائن يشهد أنّها على

---

(١) في بعض النسخ (المسلي) وفى بعضها (النيلي) كما في هامش إكمال الدين ٢/٤٩٨.
(٢) نفسه متناً.

احتمال قريب هي أُمّ أبي محمّد عليه السلام على ما قاله الصدوق عن محمّد بن الحسين بن عبّاد قال: وقال لي عبّاد في هذا الحديث: قدمت أُمّ أبي محمّد عليه السلام من المدينة واسمها (حُديث[١]) حين اتّصل بها الخبر إلى سرّ من رأى، فكانت لها أقاصيص يطول شرحها مع أخيه جعفر ومطالبته إيّاها بميراثه وسعايته بها إلى السلطان، وكشفه ما أمر الله عزّوجلّ بستره[٢]، فادّعت عند ذلك، صقيل أنّها حامل، فحُملت إلى دار المعتمد فجعل نساء المعتمد وخدمه، ونساء الموفّق وخدمه، ونساء القاضي ابن أبي الشوارب، يتعاهدن أمرها في كلّ وقت، ويراعون، إلى أن دهمهم أمر الصغار وموت عبيد الله بن يحيى بن خاقان بغتة، وخروجهم من سرّ من رأى، وأمر صاحب الزنج بالبصرة، وغير ذلك فشغلهم ذلك عنها[٣]، هل ذكر هذه الأُمور صالح أم لا؟!

* * *

(١) أو (سمانة) وتكنّى بأُمّ الحسن كما في إكمال الدين ٢/٣٠٧، و(حُديث) مصغّراً، أو (سليل) على ما في هامش المصدر، أو أُمّ عبد الله كما في الرواية أبي جعفر العمري المتقدّمة.

(٢) المراد بالستر المأمور به وإخفائه هو شعر رأس فلانة المذكورة في الحديث المتقدّم الذكر، وقدوم أُمّ أبي محمّد عليه السلام من المدينة وقصصها الّتي يطول شرحها مع أخيه جعفر الكذّاب، وسعايته بها إلى السلطان كلّها شواهد أنّها أُمّ أبي محمّد عليه السلام.

(٣) إكمال الدين: ٢/٤٧٤.

١٤١
تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة علىٰ أبي

روى الصدوق رواية قال فيها: وحدّث أبو الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسي بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علّته التّي توفّي فيها صلوات الله عليه فكتب معي كتباً وقال: «امض بها إلى المدائن، فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري، وتجدني على المغتسل».

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيّدي فإذا كان ذلك فمن؟

قال: «مَن طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي». فقلت: زدني.

فقال: «من يصلّي عليَّ فهو القائم بعدي»، فقلت: زدني. فقال: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي»، ثمّ منعتني هيبته أن أسأله عمّا في الهميان.

وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سرّ من رأى يوم الخامس [اليوم الخامس خ] عشر كما ذكر لي عليه السلام، فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن عليّ أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزّونه ويهنّونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة؛ لأنّي كنت أعرفه يشرب النبيذ و يقامر في الجوسق[1] ويلعب بالطنبور، فتقدّمت فعزّيت وهنّيت فلم يسألني عن شيءٍ.

---

(١) أي القصر. والجوسق أيضاً اسم جبل قريب بُدجيل وقرية بدُجيل، وقرية ببغداد منتهى الأرب ـ جوسق ـ

ثُمَّ خرج عقيد فقال: يا سيّدي قد كفّن أخوك فقم وصلّ عليه، فدخل جعفر بن عليّ والشيعة من حوله يقدمهم السمّان والحسن بن عليّ قتيل المعتصم المعروف بسلمة.

فلمّا صرنا في الدار إذا نحن الحسن بن عليّ صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً، فتقدّم جعفر بن عليّ ليصلّي على أخيه، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبذ[1] برداء جعفر بن عليّ وقال: «تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»؛ فتأخّر جعفر، وقد اربدّ[2] وجهه واصفرّ.

فتقدّم الصبيّ وصلّي عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه عليهما السلام.

ثُمَّ قال: «يا بصريّ، هات جوابات الكتب الّتي معك».

فدفعتها إليه فقلت في نفسي هذه بيّنتان [اثنتان خ]، بقي الهميان.

ثُمَّ خرجت إلى جعفر بن عليّ وهو يزفر، فقال له حاجز الوشّاء: يا سيّدي من الصبيّ لنُقيم الحجّة عليه؟

فقال: والله ما رأيته قطّ ولا أعرفه.

فنحن جلوس إذ قدم نفرٌ من قم فسألوا عن الحسن بن عليّ عليهما السلام فعرفوا موته، فقالوا: فمن [نعزّي]؟ فأشار الناس إلى جعفر بن عليّ، فسلّموا عليه وعزّوه وهنّوه، وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منّا أن نعلم الغيب!

قال: فخرج الخادم فقال: «معكم كتب فلان وفلان [وفلان خ]، وهميان فيه ألف دينار، وعشرة دنانير منها مطليّة»، فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الّذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن عليّ على المعتمد وكشف له ذلك، فوجّه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبيّ فأنكرته وادّعت حبلاً بها لتغطّي حال

---

(١) جبذ وجذب بمعنىً.

(٢) اربدّ وجهه: أي تغيّر إلى الغبرة. هامش إكمال الدين ٢/٤٧٥.

الصبيّ فسلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عُبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالصبرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم والحمد لله ربّ العالمين[١].

قوله عليه السلام: «تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»، للقاعدة المسلّمة الفقهيّة: أنّ الأحقّ بميراث الميّت هو الأحقّ بالصلاة عليه وبتجهيزه، ولا ريب أنّ الإمام المهديّ عليه السلام من طبقة الإرث الأُولىٰ من طبقاته الستّ: والد الميّت وأولاده والحجّة عليه السلام منهم، والعم إنّما هو من الطبقة الثالثة: العمّ والعمّة والخال والخالة، وجعفر ليست دعواه الأحقّيّة بالإرث أُولى دعاويه الباطلة فهي كبقيّتها وظروف مسكره منصوبة وتركه الصلاة الفرض أربعين يوماً ورد بذلك وغيره التوقيع الصادر رواه جمع من علمائنا الأبرار منهم الشيخ الطوسي طاب ثراه[٢]، والأمر أبين منه.

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢/٤٧٥و٤٧٦، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، البحار ٥٢/٦٧و٦٨، مع تغير مّا وفي هامشه ص ٦٧. سند الحديث هكذا ووجدت مثبتاً في بعض الكتب المصنّفة في التواريخ ولم أسمعه... قال أبو الحسن بن عليّ بن محمّد بن خشّاب قال: حدّثنا أبو الأديان، راجع إكمال الدين ٢/١٤٩ و ١٥٠.

(٢) كتاب الغيبة ٢٨٩، مؤسّسة المعارف الإسلامية قم ١٤١١ هـ.

١٤٢
تبسَل نفوس قوم حرثت باطلاً

انتزعت عن فقرة من الكتاب الثاني للشيخ المفيد: «فلتكن حرسك الله بـعينه الّتي لاتنام أن تُقابل بذلك فتنةً تُبسل نفوس قوم حرثت باطلاً»[١] وأخرىٰ عند «آية حركتنا من هذه اللوثة»[٢] و«أيّدك الله بنصره»[٣] وكامله عند «إنّه مَن اتّقىٰ ربّه من إخوانك في الدين كان آمناً»[٤].

الشيخ الطريحي قوله تعالى: ﴿أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾[٥] أى ارتهنوا وأسلموا للهلكة. يُقال أَبْسَلَ ولده إذا رهنه. قوله تعالى:﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٦] أي مخافة أن تسلم نفسٌ إلى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء كسبها؛ كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[٧]. وفي الدعاء: «لا تُبْسِلْني» بالباء الموحّدة أي لا تُـوردني الهلاك وفي الحديث القُدسي: «اِسْتَبْسِلْ عبدي» أي اِسْتَسْلِمْ لأمري يُقال بَسَلَ نَفْسَه للموت أي وَطّنَها[٨] ابن منظور: بَسَلَ الرجل يَبْسل بسولاً فهو باسل... عبس مـن الغضب أو الشجاعة، وأَسد باسل... إذا رأيته كريه المنظر... الباسل الأسد لكراهـة منظره وقُبحه والبسالة الشجاعة... وبَسْل أي شجعان وهو جمع باسل وسُـمّي بـه الشجاع لا متناعه ممّن يقصده[٩].

قال بعض السادة هذا الدعاء مقدّمة تمهيديّة لتقوية عزائمه وتثبيته في مـقابل

---

(١) الاحتجاج ٢/٣٢٤، عنه البحار ٥٣/١٧٦ و١٧٧، مع تغيير يسير.
(٢) رقمه: ١٠.
(٣) رقمه: ١٣١.
(٤) رقمه: ١١٨.
(٥و٦) الأنعام: ٧٠.
(٧) النساء: ١٧٦.
(٨) مجمع البحرين ٥/٣٢٠و٣٢١ ـ بسل ـ
(٩) اللسان: ١١/٥٣ ـ ٥٥ ، ـ بَسْل ـ جاء بمعنى الشدّة والهلكة كما سبق.

فتنة تهلك نفوس قوم زرعت الباطل في القلوب الفارغة عن العقيدة الصحيحة، وذلك عن طريق نشر الأباطيل وإشاعة الأكاذيب في ذلك المجتمع. فالظاهر أنّ الإمام عليه السلام أمره بمقاومة تلك الفتنة، واتّخاذ التدابير اللازمة لها، لتخويف المبطلين، حتّىٰ يعلموا أنّ الساحة غير خالية أمامهم، وأنّ هناك من يقاوم نشاطاتهم الجهنّميّة.

ويحتمل أن يكون المعنى: إنّ الّذين يزرعون الباطل إنّما هو لاسترهاب وتخويف أمثالهم.

ويحتمل ـ قويّاً ـ أنّ معارك طائفيّة كانت مترقّبة ومخطّطة، ولا نستطيع أن نعلم ماهيّتها وحقيقتها؛ لغموضها وإهمال التاريخ لذكرها.

وعلى كلّ تقدير: فقد وجد الإمام عليه السلام الكفاءة في الشيخ المفيد، ليقف أمام تلك الموجة الّتي كادت أو كانت تقوم بأعمال شيطانيّة، ويتصدّى لها بكلّ حزم وصمود.

«يبتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون». وأخيراً كان مصير تلك المحاولات الفَشل، وكأنّ تلك الفتنة أكلت أصحابها ودمّرتهم، ففرح المؤمنون بذلك، وحزن المجرمون، لانهيار مساعيهم المنحرفة[١].

على الأغلب أنّ كلام المعصوم كالقرآن الكريم له الشمول غير المقصور على موضع الخطاب، وإلّا لكان خاصّاً بقوم دون قوم وعليه فيقوى الاحتمال الثالث، وهو أنّه على الشيخ المفيد ونظائره المقاومة والصمود أمام المبطلين الّذين يحرثون الباطل في كلّ دور وفي كلّ مكان، كما كان الشأن في الأُمم السالفة أمام الأنبياء وإلى يوم القيامة؛ إذ لكلّ موسى فرعون، ولكلّ نبيّ عدوّ يخلق الفتنة ليصدّ عن سبيل الحقّ، ولكنّ كلمة الله هي العليا، وكلمة عدوّه هي السفلى، وله الحجّة البالغة والغلبة له ولرسله؛ كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢]. والغلبة بالسيف، والمهديّ عليه السلام عن قريب يقوم به إن شاء الله. وبالحجّة البالغة دائماً. أو بأحدهما[٣]. وكلّ فتنة ومنازعة لابُدّ أن تردّ إلى الله ورسوله حتّىٰ

---

(١) كلمة الإمام عليه السلام: ٢٩٣و٢٩٤.
(٢) المجادلة: ٢١.
(٣) تفسير الكشّاف: ٤/٤٩٦.

ترفع، والقرآن رافع لها مع الرجوع إلى أهل البيت؛ لأنّهم أدرىٰ بما فيه و«إنّما يعرف القرآن من خوطب به»[١].

وكيف كان، فقد بان المراد بالكلام المذكور في الكتاب المهدويّ، وعلى ضوء ذلك يجب الانتهاج برفض الباطل وأهله، واعتناق الحقّ وأهله حتّىٰ نكون منهم، وإن تكن الأُخرىٰ، كانت ـ لا سمح الله ـ الأخرى والحقّ ما عرفه آل محمّد، والمنكر ما أنكروه، والإنسان مهما كان لا يخلو من مزاولته للحقّ أو لضدّه، ولايخلص له الحقّ ما لم يعرف إمام زمانه فيتّبعه، والمهديّ عليه السلام إمام الزمان القائم به، فتجب معرفته على الجميع واتّباعه وانتهاج نهجه بكلّ ما لهذه اللفظة من معنى الاتباع والانتهاج قولاً أو عملاً جارحيّاً أو جانحيّاً، بالرجوع والقيام. كلّ ذلك لانحاء نَسمَة من ذكّرَتني قصّة هي أني كنت في يوم الميلاد النبويّ ي حرم السيّدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام ومعي أمالي الصدوق، فتحته ناوياً أن يُريني الله أمراً يخصه صلى الله عليه وآله وسلم فجاء ما قال رحمه الله: حدّثنا أبي «رضي الله عنه» قال: حدّثنا سعد ابن عبدالله عن أحمد بن النضر الخزّاز عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان غلام من اليهود يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً حتّىٰ استحبّه [استخفّه]، وربّما أرسله في حاجة، وربّما كَتَبَ له الكتاب إلى قوم، فافتقده أيّاماً، فسأل عنه، فقال له قائلٌ تركته في آخر يوم من أيّام الدنيا، فأتاه النبيّ صلى الله عليه وآله في ناس من أصحابه ـ وكان عليه السلام بركة لا يكاد يُكلّم أحداً إلّا أجابه. فقال: «يا فلان ففتح عينيه وقال: لبّيكْ يا أباالقاسم، قال قُل ***أشهدُ أن لا إله إلا الله وإنى رسول الله***. فنظر الغلام إلى أبيه، فلم يقل له شيئاً، ثُمّ ناداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثانية وقال له مثل قوله الأوّل فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً. ثُمَّ ناداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه فقال أبوه: إن شئت فقل، وإن شئت فلا. فقال الغلام: ***أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك مُحمّداً رسول الله***، ومات مكانه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه:

---

(١) روضة الكافي ٣١٢، رقم الحديث الباقري ٤٨٥ عنه، الوسائل: ١٨/١٣٦، الحديث ٢٥، الباب ١٣ من أبواب القاضي.

اخرج عنّا، ثُمَّ قال ﷺ لأصحابه: غسّلوه وكفّنوه، وأتوني به أُصلّي عليه، ثُمَّ خرج وهو يقول: الحمدُ للّه الّذي أَنْجىٰ بي اليوم نَسَمةً من النار».

والغاية من تشريع الأحكام وتبليغها الناس إنجاؤهم من النار وأن يعرفوها ويعملوا على وفقها لايُريدون إلّا وجهه تعالى وينجوا من النار والله الموفّق[1].

* * *

(١) ص ٤٨١ الرقم ٦٥٠/١٠، طبعة مؤسّسة البعثة الأولى، قم، إيران، سنة ١٤١٧، المجلس ٦٢، وص ٣٥٦، طبعة النجف، المطبعة الحيدريّة.

١٤٣
تبعث بدنانير أبو رميس

قال الصدوق: حدّثني أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبدالله، قال: حدّثني أبوالقاسم ابن أبي‌حليس ـ وساق الحديث إلى أن قال: ـ قال أبوالقاسم: وأوصل أبورميس[1] عشرة دنانير إلى حاجز، فنسيها حاجز أن يوصلها، فكتب إليه: «تبعث بدنانير أبورميس» ابتداءً[2].

لعلّ لفظ «أبورميس» علم مثل أبوالقاسم العلم؛ ولأجله لم يجر.

ثمّ لو أردنا أن نذكر مواضع ابتداء المعصومين عليهم السلام بالجواب قبل السؤال، لخلصنا إلى صنع كتاب على حدة، وإنّما ابتدأ عليه السلام بذلك؛ لئلّا يزعم أنّه عليه السلام كحاجز عاجز بنسيان أو غيره فلا يدري بما يجري من الحوادث من عدم وصول الأموال إلى أربابها كدنانير أبورميس الّتي نسي أن يوصلها إليه روحي فداه. ولعلّ الناظر إلى هذا الكتاب يجد أكثر من موضع من نظائر هذا الباب، فيزداد في إيمانه وإيقانه.

من هو أبورميس؟

عَبَّرَ السيّد الأُستاذ الخوئي بلفظ أبوالقاسم بن دبيس، ثُمَّ قال: عدّه الصدوق ممّن وقف على معجزات صاحب الزمان عليه السلام ورآه وكلّمه، كمال الدين: الجزء ٢، الباب ٤٣ و٤٧ في ذكر من شاهد القائم عليه السلام[3].

(١) في بعض النسخ «ابن رميس» وفي بعضها «أبودميس» كما في هامش إكمال الدين ٢/٤٩٣.

(٢) إكمال الدين: ٢/٤٩٣و٤٩٤، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات.

(٣) معجم رجال الحديث ٢٢/١٧.

ولعلّه رجل آخر، وإن احتمل التصحيف فهو نفسه. وأمّا عنوان أبورميس فلم أجده. وحاجز: هو حاجز بن يزيد، المتقدّم ترجمته عند «الأسدي نعم العديل»[١]، وإنّ ما ذكرناه في «مَن كان في حاجة الله عزّوجلّ كان الله في حاجته»[٢] وإنّ الرجل هو الرجل الأنف، كما أنّ النظر إلى قصّته المسرودة هناك يمنح الناظر المعروفة والثبات على ما نواه من زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولمس الحقيقة ورؤيتها بعين العيان وأنها الحاجة الّتي نصّ عليها عجّل الله فرجه، قد قال إبن قولويه رحمه الله في باب من زاره عارفاً بحقّه، ومن أحاديثه قال: حدّثني أبي وجماعة مشايخي عن سعدبن عبدالله قال حدّثني أحمد بن عليّ بن عُبَيد الجعفي، قال: حدّثني محمّد بن أبي جرير القميّ، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول لأبي: «من زار الحسين بن عليّ عليه السلام عارفاً بحقّه كان من محدّثي الله فوق عرشه» ثُمَّ قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٣] لم أجده إلّا في هذا الحديث، وجائز قراءة «من محدّثي الله» بالفتح والكسر فلاحظ.

* * *

---

(١) رقمه: ٥٠.　　(٢) رقمه: ٤٢٣.

(٣) كامل الزيارات: ١٤٠ ـ ١٤١، الحديث ١٧، الباب ٥٤، القمر: ٥٤ و٥٥ لها تفسير دقيق.

١٤٤
تتخيّل لي صورتك حتّىٰ كأنّا لم نخل طرفة عين

من الكلمات المتبادلة بين المحبّ، وما يُبديه المشتاق لحبيبه، ويتزايد الحبّ إذا تليت آياته من مصحف المحبّة، وأنصَتَ لها القلب المستهام من مثل إبراهيم بن مهزيار، والإمام المهديّ عجّل الله فرجه، الّذي يتلو من آيات الحبّ عليه، وإليك عند رؤيته مايلي:

«مرحباً بك يا أبا إسحاق، لقد كانت الأيّام تعدني وَشْكَ لقائك[١] والمعاتب بيني وبينك على تشاحط الدار، وتراخي المزار، تتخيّل لي صورتك حتّىٰ كأنّا لم نخلُ طرفة عين من طيب المحادثة، وخيال المشاهدة وأنا أحمد الله ربّي وليّ الحمد على ما قيّض من التلاقي، ورَفَّهَ من كربة التنازع[٢]، والاستشراف عن أحوالها متقدّمها ومتأخّرها».

فقلت: بأبي أنت وأُمّي ما زلت أفحص عن أمرك بلداً فلبداً منذ استأثر الله بسيّدي أبي محمّد عليه السلام، فاستغلق عليَّ ذلك حتّىٰ مَنَّ الله عليَّ بمن أرشدني إليك ودلّني عليك، والشكر لله على ما أوزعني فيك من كريم اليد والطول...[٣]، ولله الحمد.

* * *

(١) الوَشَكَ: السرعة، والمعاتب: المراضي «وتشاحط الدار: وتراخي المزار» ما أحلاها... التيسير.
(٢) التنازع من قولهم: نازعت النفس إلى كذا أي اشتاقت.
(٣) إكمال الدين ٢/٤٤٧، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

١٤٥
تَردُّ شُمُوسَه ذلولاً

قال الشهيد الأوّل محمّد بن جمال الدين بن مكّي رحمه الله: ومنها الاستخارة بالعدد، ولم تكن هذه مشهورة في العصور الماضية قبل زمان السيّد الكبير العابد رضي الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الآوى الحسيني، المجاور بالمشهد المقدّس الغروي رضي الله عنه وقد رويناها عنه وجميع مرويّاته عن عدّة من مشايخنا عن الشيخ الكبير الفاضل جمال الدين بن المطهر عن والده رضي الله عنهما عن السيّد رضي الدين عن صاحب الأمر عليه الصلاة والسلام: «يقرأ الفاتحة عشراً وأقلّه ثلاث، ودونه مرّة، ثُمَّ يقرأ القدر عشراً، ثُمَّ يقول هذا الدعاء: ـ ثلاث «أَللّهُمَّ إنّي استخيرك لعلمك بعاقبة الأمور، وأستشيرك لحُسْن ظنّي بك في المأمول والمحذور، أَللّهُمَّ إن كان الأمر الفلاني ممّا قد نيطَتْ بالبركة أعجازه وبواديه، وحُفَّتْ بالكرامة أيّامه ولياليه فخره لي أَللّهُمَّ فيه خيرة، تردُّ شموسه ذلولاً، وتَقْعَضّ أيّاماً سروراً، أَللّهُمَّ إمّا أمرٌ فأئتمر، وإمّا نهيٌ فأنتهي، أَللّهُمَّ إنّي أَستَخيرك برحمتك خيرة في عافيةٍ. ثُمَّ يقبض على قطعةٍ من السُّبحة، ويُضْمر حاجتَه، إن كان عدد تلك القطعة زوجاً فهو أفعل، وإن كان فرداً لا تفعلُ أو بالعكس»[1] المعروف الأخير المروي عن عجّل الله فرجه ذلك..

تصدّى الكفعمي رحمه الله لأنواع الاستخارات، من شاء نظر[2]، وهو كذلك.

---

(١) الذكرى ٢٦٩/٤ و ٢٣٠، تحقيق آل البيت عليهم السلام، عنه البحار ٢٤٨/٩١، الحديث ٢، ١١٧ باب الاستخارة بالسبحة والحصافيه منهما أقسامها.

(٢) البلد الأمين ١٥٩ـ١٦٢، منها المذكورة في المتن ولطالبها فتح الأبواب... في الاستخارات فيها ٢٤ باباً للسيّد ابن طاووس رحمه الله «تقعَضَ» أي تردّ وتعطف، صُرّح به كما يأتي في شرحه.

قال المجلسي: بيان:

قال الكفعمي رحمه الله : «نيطت» أي: تعلّقت وناط الشيء: تعلّق، وهذا منوط بك أي: متعلّق، والأنواط: المعاليق، ونيط فلان بكذا أي: علّق، وقال الشاعر:

وأنت زنيم نيط في آلِ هاشمٍ كما نيط خلف الراكب القدحُ[١]

وأعجاز الشيء: آخره، وبواديه: أوّله، ومفتتح الأمر ومبتدأه ومقتبله وعنفوانه وأوائله وموارده وبدائهه وبواديه نظائر، وشوافعه وتواليه وأعقابه ومصادره ورواجعه ومصائره وعواقبه وأعجازه نظائر.

وقوله: «شَموسه» أي: صعوبته، ورجل شَموس أي: صعب الخُلق، ولا تقل شموص بالصاد، وشَمس الفرس منع ظهره[٢]، والذلول ضدّ الصعوبة، «وتقعض» أي: تردّ وتعطف، وقعضت العود عطفته، وتقعص بالصاد تصحيف، والعين مفتوحة؛ لأنّه إذا كانت عين الفعل أو لامه أحد حروف الحلق كان الأغلب فتحها في المضارع، انتهى.

قال المجلسي طاب ثراه ـ بعد لفظ الكفعمي رحمه الله ـ: وأقول: كان الأولىٰ أن يقول أعجاز الشيء أواخره، وبواديه أوايله، وكذا كان الأولىٰ «شموسه» أي: صعبة، والذلول ضدّ العصب.

وأمّا القعض بالمعنىٰ الّذي ذكره فقد ذكره الجوهري، قال: قعضتُ العود: عطفتهُ، كما تعطف عروش الكرم والهودج، ولم يورد الفيروزآبادي هذا البناء أصلاً وهو غريب، وفي كثير من النسخ بالصاد المهملة، ولعلّه مبالغة في السرور وهذا شائع في عرف العرب والعجم، يقال لمن أصابه سرور عظيم: (مات سروراً)، أو يكون المراد به الانقضاء أي: تنقضي بالسرور، والتعبير به؛ لأنّ أيّام السرور سريعة الانقضاء؛ فإنّ القعص الموت سريعاً، فعلىٰ هذا يمكن أن يقرأ علىٰ بناء المعلوم والمجهول

---

(١) والمثل النبويّ: «لا تجعلوني كَقَدَح الراكب» الأمثال النبويّة ٢/٨٧، رقم المثل ٤٠٥، موسوعة أمثال العرب ٥/٤٤... «اجعلوني في أوّل الدعاء وفي آخره وفي وسطه».

(٢) وقد جاء التمثيل به في العلوي: «الخطايا خيل شمس حُمل عليها أهلها» الخطبة: ١٦، شرح النهج: ١/٢٧٢، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: ١٤٢، رقم المثل ٤٥، «شمس» واحدها شموس معرّب جموش فارسي.

«وأيّامه» بالرفع والنصب معاً.

وقال الفيروزآبادي: القَعْصُ: الموتُ الوَحِيُّ، ومات قعصاً أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه، وقعصه كمنعه: قتله مكانه كقعصه، وانقعص: مات، والشيء: انثنى، انتهى[1].

وهو يخالف تصريح العلّامة المجلسي رحمه الله بأنه تصحيف، ولعلّ الناظر إلى المتن والتعليق يوفّق للجمع بينهما دون الطرح.

* * *

---

(١) تجد شرح مفردات الدعاء في البحار ٩١ / ٢٤٩، باب الاستخارة، الرقم ١١٧ وكلّ ما سَبَقَ والتصريح بإبهام كلماتهم فيها بعد الإحاطة والله العالم.

١٤٦
تزور قبر زوجها، ولا تبيت عن بيتها

المختار من توقيعات الإمام المهديّ عليه السلام الصادرة جواباً عن مسائل محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري، ولبيان ربطه بها نقدّم بعض مسائله وجوابه، سأل الحميري الحجّة روحي فداه:

عن المرأة يموت زوجها، هل يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟

التوقيع «تخرج في جنازته».

وهل يجوز لها وهي في عدّتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟

التوقيع: «تزور قبر زوجها، ولا تبيت عن بيتها»(١).

قال المحقّق: ويلزم المتوفّى عنها زوجها الحداد وهو ترك ما فيه زينة من الثياب والادّهان المقصود بها الزينة والتطيّب(٢).

ومن الحداد ـ أي منع المرأة نفسها عن أُمور ـ: أن لا تبيت عن بيتها إذا خرجت منه، وفيه وما تقدّمه أحاديث: منها صحيح ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام: سألته عن المتوفّى عنها زوجها؟ فقال: «لا تكتحل للزينة، ولا تطيّب، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً، ولا تبيت عن بيتها، وتقضي الحقوق وتمشط بغسلة، وتحجّ(٣) وإن كانت في عدّتها»(٤).

وفي ذلك سبع روايات(٥)، وعدّتها أربعة أشهر وعشراً وفيها تسع روايات(٦).

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ٢٣٠، الاحتجاج ٢/٣٠٢، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٥٣/١٥٢.

(٢) متن الجواهر ٣٢/٢٧٦.

(٣) الحجّ الواجب.

(٤) الوسائل ١٥/٤٥٠، باب العدد، الباب ٢٩، الحديث ٢.

(٥) نفسه: ٤٤٩ ـ ٤٥١.

(٦) نفسه: الباب ٣٠، ٤٥١ ـ ٤٥٥.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[1]. قال الشيخ الكليني رحمه الله:

عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن المرأة يتوفّىٰ عنها زوجها وتكون في عدّتها أتخرج في حق؟ فقال: إنّ بعض نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سألته فقالت: إنّ فلانة تُوفّي عنها زوجها فتخرج في حقّ ينوبها؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفٍ لكنْ قد كُنتُنّ من قبل أن أُبعث فيكن وأن المرأة منكنّ إذا تُوفّي عنها زوجها أخذت بعرة فرمت بها خلف ظهرها، ثُمَّ قالت: لا أمتشطُ، ولا أكتحلُ، ولا أختضبُ حولاً كاملاً، وإنّما أمرتكنّ بأربعة أشهر وعشراً، ثُمَّ لا تصبرن لا تمتشط ولا تكتحل ولا تختضب حولاً كاملاً، ولا تخرج من بيتها نهاراً ولا تبيت عن بيتها»، فقالت: يا رسول الله: فكيف تصنع إن عرض لها حقّ فقال: «تخرج بعد زوال الليل، وترجع عند المساء، فتكون لم تبت عن بيتها»، قلت له فتحجّ؟ قال: «نعم»[2]، كلّ ذلك؛ لصون كرامتهما والاهتمام بهما.

* * *

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) الكافي ٦/١١٧، الحديث ١٣، باب المتوفّى عنها زوجها المدخول بها أين تعتدّ...؟. المصدر.

١٤٧
تعبّدوا ليلتكم هذه

من حديث باقري مطوّل يصف سيرته وأقواله عليه السلام للناس، لا سيّما أصحابه ونقبائه، وفيه «قال لأصحابه: تعبّدوا ليلتكم هذه فيبيتون بين راكع وساجد يتضرّعون إلى الله، حتّىٰ إذا أصبح قال: خذوا بنا...»(١) المُسبق ذكره عند «اسكت يافلان»(٢)، الآتي أيضاً عند «خذوا بناطريق النُّجيلة»(٣)، المنتزع عنه كلمات وردت حسب الحروف كما تعلم.

العبادة هي الغاية المستهدفة الأصيلة الّتي من أجلها خلق الله تعالى الجنّ والإنس وكل شيء ومعرفة المعبود جلّ جلاله وهي أفضل شيء يجهله الإنسان الجهول بها، وأنّها النفوس الّتي لا تأنس إلّا بالله، أصحابه هم الحاملون ما حمله أصحاب الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء كذلك، فهٰؤلاء يمثلونهم، ويشاركونهم في ذلك، وأنّهم من النفوس الّتي أحبّها الله فأحبّته رضي الله عنها فرضيته ثُمَّ إنك تجد الباقري بكامله عند «انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم»(٤). ولشرح كلمات الحديث محلّ آخر، والمهمّ هنا بيان شيءٍ من حالات أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم، وهم المترجمون في نفس الحديث على سبيل الجملة دون التفصيل، قال الباقر عليه السلام عنهم:

«فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلّها، فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم فلا يتعايون(٥) في فضاء، ولا تبقى أرض إلّا نودي فيها شهادة أن

---

(١) تفسير العيّاشي ٢/٥٩، الحديث ٤٩.
(٢) رقمه ٥١.
(٣) رقمه ١٨٠.
(٤) رقمه ٩٩، والعيّاشي ٢/٥٩-٦١.
(٥) تفيسر العيّاشي ٢/٦٠، تعاياه الأمر أعجزه.

لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له...»[١].

وهم المجتمعون من أطراف الدنيا، ومن القبائل الرجل والرجلان إلى تسعة قبائل أو من قبيلة واحدة يخرج تسعة رجال، أشرنا إلى الاحتمالين في أوّل الكلمة المختارة: «ائتوني طائعين»[٢]: وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فيبعث الله قوماً من أطرافها يجيئون قزعاً كقزع الخريف[٣]، والله إنّي لأعرفهم وأعرف أسماءهم وقبائلهم، واسم أميرهم، وهم قوم يحملهم الله كيف شاء، من القبيلة الرجل والرجلين حتّىٰ بلغ تسعة...»[٤].

وإنّ هٰؤلاء نقباء الحجّة لهم من علم التفسير. بماوصفهم أمير المؤمنين عليه السلام: «قومٌ شَحذَ القين النصل، تُجلى بالتنزيل أبصارهم، ويُرمىٰ بالتفسير في مسامعهم، ويُغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح»[٥] يلقّون من إمامهم عليه السلام حقائق القرآن.

---

(١) تفسير العيّاشي ٢/٦٠، ولعلّ الصحيح «في قضاء» بدل «فضاء».

(٢) رقمه ١. (٣) تقدّم شرحه، المصدر نفسه.

(٤) غيبة الطوسي ٢٨٤و٢٨٥.

(٥) شرح النهج ٩/١٢٦، الخطبة ١٥٠. الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: ٥٦٤، رقم المثل ١٩٨، تجد في الشرح ١٢٩ بيان الغبوق، والصبوح فراجعهما.

١٤٨
تقبّل الله منك

كلمة دعاء الإمام المهديّ عليه السلام لمحمّد بن شاذان بن نعيم، ودعاؤه روحي فداه مستجاب بعد فرض الصدور، وإليك ما يلي بلفظ السيّد التفريشي قال :

وروى الكشّي عن آدم بن محمّد، قال: سمعت محمّد بن شاذانَ بن نعيم يقول: جمع عندي مال الغريم، فأنفذت به إليه، وألقيت فيه شيئاً من صلب مالي، قال: فورد من الجواب:

«قد وصل إليَّ ما أنفذت، من خاصّة مالك فيها كذا وكذا، تقبّل الله منك»[١].

وقد تعرّض السيّد الأُستاذ الخوئي لترجمة الراوي وذكر القصّة في ضمنها، ولفظ التوقيع يختلف؛ فإنّ فيه بدل «تقبّل الله»: «فقبل الله»[٢]، والمعنىٰ واحد، وإن كان الأوّل أوفق لقوله تعالى في قصّة ابني آدم عليه السلام: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣]، و ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾[٤]، واسعدنا بتقواك يوم نلقاك.

* * *

---

(١) نقد الرجال: ٢٩٠، تنقيح المقال في علم الرجال ٢/٧٤، باب محمّد. قوله «مال الغريم»: المراد بالغريم القائم عليه السلام، وسبق مثله «الأسدي...». الرقم ٥٠.

(٢) معجم رجال الحديث ١٥/٢٣.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) البقرة: ١٢٧، تفسير نور الثقلين ١ / ١٠٥، الحديث ٣٦١ ـ ٣٦٤.

١٤٩
تقبّل الله منهم وأَحْسَنَ إليهم

قال الصدوق: حدّثني أبي رَحِمَهُ الله، عن سعد بن عبد الله ـ إلى أن قال: ـ وكتب محمّد بن يزداد[١] يسأل الدعاء لوالديه، فورد: «غفر الله لك، ولوالديك، ولأُختك المتوفاة الملقّبة كلكى»؛ وكانت هذه امرأة صالحة متزوّجة بجوّارٍ[٢].

وكتبت في إنفاذ[٣] خمسين ديناراً لقوم مؤمنين، منها عشرة دنانير لابنة عمّ لي لم تكن من الإيمان[٤] على شيءٍ، فجعلت اسمها آخر الرقعة والفصول، ألتمسُ بذلك الدلالة في ترك الدعاء، فخرج في فصول المؤمنين: «تقبّل الله منهم، وأَحْسَنَ إليهم، وأثابك». ولم يدع لابنة عمّي بشيءٍ[٥].

لعلّ المراد بالفصول أنّ المحتويات كانت في عدة فصول تختصّ منها فصول بجماعة المؤمنين، وفصول تخصُّ غيرهم، وإنّما جعل محمّد بن يزداذ اسم المرأة المخالفة لأهل البيت عليهم السلام في آخر الفصول الخاصّة بالمؤمنين، ليستعلم بالجواب على إمامة المهديّ عليه السلام كما صرّح بذلك.

هنا أُمور:

الأوّل: من هو صاحب القول لـ«قال: وكتب محمّد بن يزداذ»؟

قال المعلّق: يعني: قال سعد، أو علّان الكليني وهو الصواب وهكذا إلى آخر

---

(١) ضبط بالياء فالزاي فالدال مع الألف فالذال (ابن داود)، كما في هامش إكمال الدين ٢/٤٩٤

(٢) الأكّار: الّذي يأخذ الكروة على العمل أي الأُجرة.

(٣) في بعض النسخ: «أنقاد» أي نقود.

(٤) أي الإيمان بأهل البيت عليهم السلام كما ذكرناه في المتن.

(٥) إكمال الدين ٢/٤٩٣ ـ ٤٩٤، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات.

الخبر[١].

أقول: تصويب المعلّق بأنّ القائل هو علّان الكليني، لما بنى عليه من سقطه، قال معلّقاً على سند الحديث بعد سعد بن عبدالله ما هذا لفظه:

الظاهر سقط هنا (علّان الكليني) بقرينة ما تقدّم، أو ما يأتي[٢].

والظاهر أنّه لا قرينيّة له؛ إذ لو كان علاّن داخلاً في سلسلة السند لكان مذكوراً فيها، والأصل عدم السقط، وإلاّ لما استقرّ حجر على حجر، إذا أخذنا بالمحتملات، فالقائل هو ابن أبي حليس كما ذهب إليه الأُستاذ الخوئي بجعله لأبي القاسم كنيةً.

الثاني: إنّ كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: «تقبّل الله منهم وأحسَنَ إليهم» دعاء، وهي من الكلمات الجارية على الألسن: تقال للطلب منه تعالى لقبول العمل. ويحتمل أنّها إخبار بوقوع الدنانير موقع قبوله عزّ وجلّ، والإمام عليه السلام يعلم بالمقبول من العمل والمردود؛ لأنّه عَيبة علم الله تعالىٰ.

الثالث: من هو محمّد بن يزداذ؟ وقال الأُستاذ الخوئي بعد ذكر محمّد بن يزداد[٣]: الرازي: عدّه الشيخ في رجاله تارة من أصحاب العسكريّ عليه السلام (١٢)، وأُخرىٰ فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام (٩٨) مضيفاً إليه: روى عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب.

وقال أبو عمرو الكشّي (٣٩٧ ـ ٤٠٥): سألت أبا النضر محمّد بن مسعود عن جماعة (وعدّ منهم) محمّد بن يزداد الرازي فقال: وأمّا محمّد بن يزداد الرازي فلابأس به.

أقول: روى الكشّي عن محمّد بن الحسن البراني، وعثمان بن حامد، عن محمّد ابن يزداد الرازي، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب في تسعة مواضع من كتابه في ترجمة قنبر (٦٧) وفي ترجمة المختار بن أبي عبيدة (٥٩) وحمران بن أعين (٧١) والمغيرة بن سعيد (١٠٣) وعبد الله بن أبي يعفور (١٢٥) وهشام بن سالم

---

(١) هامش إكمال الدين ٢/٤٩٤. (٢) نفسه، ص ٤٩٢.

(٣) سبق منّا ضبط الكلمة أنّ آخرها الذال المعجمة، ولعلّ الصحيح منها بالمهملة.

(١٣٣) وأبي حنيفة سائق الحاجّ (١٤٩) وسليمان بن خالد (٢٠٥).

وقد سها قلم الميرزا في الوسيط حيث قال عنه محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب: (لم).

قال الصدوق ﷺ: قال (أبو القاسم بن أبي الحليس) وكتب محمّد بن يزداد يسأل الدعاء لوالديه، فكتب فورد:... غفر الله لك ولوالديك[١]، ولأُختك المتوفّاة الملقّبة بكلكى وهذه امرأة صالحة متزوّجة بجواز[٢] كمال الدين: الباب (٤٥) في ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام، الحديث ١٨[٣].

في كلام السيّد الأُستاذ تصريح بأنّ صاحب القول لـ«قال» السابق الذكر هو أبوالقاسم بن أبي الحليس المذكور في سلسلة السند[٤] لا علّان الكليني كما ذهب إليه المعلّق، ولا سعد بن عبدالله كما احتمله. فتأمّل في المقام تعرفه إن شاءالله تعالى.

حقيق على المريد كشف الحق بالنظر إلى قصّة ابن أبي رميس إنّ في قصصهم لعبرةً لكل معتبر، وكما قال أمير المؤمنين: «ما أكثر العِبَر وأقلّ الاعتبار»[٥]، إذا أردت الاعتبار الموجب لزيادة الاستبصار فلا حظ المختار: «مَن كان في حاجة الله عزّ وجلّ كان الله في حاجته»[٦]. عبّر عليه السلام عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام بحاجة الله الغنيّ عن العالمين، وأنّ الرجل أبدىٰ استغنائه لطاغية زمانه؛ اعتماداً.

* * *

---

(١) الرقم: ٢٥٧.

(٢) جواز، تقدّم أنّه جوّار: أكّار، فالزاي غلط مطبعيّ وليس هو على وزن (فعال) بل (فعّال).

(٣) معجم رجال الحديث ١٨ / ٤٤ ـ ٤٥، المصادر المدرجة في المتن له.

(٤) عند كلمة «تبعث بدنانير أبو رميس» رقمه ١٤٣؛ لأنّ الحديث الجاري هو المذكور فيه.

(٥) مصادر النهج ٤ / ٢٣٥، الرقم ٢٩٧، شرح النهج ١٩ / ٢٠٣، الرقم ٣٠٣.

(٦) رقمه ٤٢٣، راجعه تجده مليّاً، تراه بعين العيان المغني عن البرهان.

١٥٠
توفيقه لا يُسْبق

الكلمة المختارة من إحدى كلمات الإمام المهديّ عليه السلام المذكورة في توقيع خرج إلى العَمري وابنه ـ رضي الله عنهما ـ، رواه سعد بن عبد الله، ونحن ذكرنا التوقيع بتمامه عند «أعوذ بالله من العمىٰ بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدىٰ»[١]، والموزَّع منه عند كلمة «إرادته لا تردّ»[٢]، وعند «أقدار الله عزّ وجلّ لا تُغالب»[٣]، وسيأتي التصريح إلى بعضه الآخر عند المثل: «حَذْو النعل بالنعل»[٤]، من الأمثال السائرة سار به الركبان وجرى على اللسان.

لشرح كلّ كلمة كلمة فراجعها[٥]؛ ومن أجل ذلك لا نعيد التوقيع المذكور، والمناسب توضيح المختار وهو قوله عليه السلام: و«توفيقه لا يسبق»[٦].

التوفيق:

قال الشيخ الطريحي: في الحديث: «زادك الله توفيقاً» وهو مثلُ قولهم: وفّقك الله توفيقاً. والتوفيق من الله: توجيه الأسباب نحو مطلوب الخير[٧]. فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يوفّق العبد للخير هيّأ له أسبابه، فلا يعوقه عائق، ولا يسبقه سابق، وهذا تفسير قوله عليه السلام: «وتوفيقه لا يسبق»، ويقابله الخذلان: وهو إلقاء حبله على غاربه، فيتركه هو وعمله؛ ومن ثمّ جاء التعوّذ من أن يوكل العبد إلى نفسه، والعمدة أن تكون له حالة تحول بينه وبين طاعة إبليس والهوى وهي التوفيق، أو (لا سمح

---

(١) رقمه ٦٠. (٢) رقمه ٤٥. (٣) رقمه ٦٥.

(٤) رقمه ١٦٨، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٨ مصادره. (٥) المصادر نفسها.

(٦) إكمال الدين ٢/٥١١، الباب ٤٥ في ذكر التوقيعات.

(٧) مجمع البحرين: ٥/٢٤٧ ـ وفق ـ

الله)بينه وبين طاعة الله عزّ وجلّ وهي الخذلان.

ويكشف لك الحال النصّ الآتي.

روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام في حديث طويل قال ـ أي: الهاشمي الراوي له ـ: فقلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[١]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[٢]؟ فقال:

إذا فعل العبد ما أمره الله عزّ وجلّ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عزّوجلّ وسمّي العبد به موفَّقاً، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيءٍ من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ذكره، ومتى خلّى بينه وبين تلك المعصية فلم يحلْ بينه وبينها حتّى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفّقه[٣].

وعلّق بعض السادة الأجلّة على كلمة «ولم يوفّقه» بما تقدّم عن الشيخ الطريحي، ولكن في التعليق تفصيل لم يتقدّم، وذلك كما يلي:

قال: التوفيق هو تهيئة الأسباب نحو الفعل، والأسباب بعضها بيد العبد، وبعضها ليس كذلك، وما بيد العبد ينتهي أيضاً إليه تعالى منعاً وإعطاءً، فلذلك جاء: ﴿مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

والتوفيق للطاعة هو اجتماع أسباب الفعل كلّها، والتوفيق لترك المعصية هو فقدان بعض الأسباب، فإن كان بيد العبد فهو الانقياد فيهما وإلّا فهو اللطف من الله تعالى. وعدم التوفيق والخذلان في الطاعة، وترك المعصية على عكس ذلك[٤].

وعن جابر بن يزيد الجعفي، عن الباقر عليه السلام، قال: سألته عن معنى «لا حول ولا قوّة إلّا بالله»؟

---

(١) هود: ٨٨، تفسير نورالثقلين ٢ / ٣٩٣، الحديث ١٩٨.

(٢) آل عمران: ١٦٠.

(٣) التوحيد: ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٤) هامش المصدر: ٢٤٢، والآية من سورة هود: ٨٨ هكذا ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلّا بعون الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بتوفيق الله عزّ وجلّ[١].

لكلّ من التوفيق والخذلان مبادئ وأسباب في حياة العبد بصورة عامّة، بل من قبل انعقاد النطفة من أعمال الأبوين وحياتهما، ولا مغالاة في القول بالتأثير حتّىٰ من الأجداد والجدّات في توفيق أولادهم أو خذلانهم، وقانون الوراثة والبيئة دالّ عليه بنحو الاقتضاء لا العلّيّة؛ فإنّها تبطل الاختيار الّذي هو مدار التكليف السماوي، والحُسنَ والقبحَ العقليّين، ولئلّا يلزم الجبر الباطل، قال الصادق عليه السلام: «لا جبر ولاتفويض، ولكن أمر بين أمرين...»[٢]، فللكلّ سببيّته واقتضاؤه، ومن سبر تاريخ العالم ودرسه بدقّة كافية انفتحت له أبواب المعرفة وعرف التوفيق والخذلان ما حقيقتهما وأنّه هو من أيّ القسمين.

وقد تناول القرآن الكريم الأمرين في آيٍ منه بلفظهما، وأمّا بغيره فكلّ القرآن يقصّ علينا من حالات الموفّقين والمخذولين وما يمتّ إليهم بصلة، كالحقّ والباطل جاء لفظهما في آي منه، وأمّا غير لفظهما فكلّ القرآن[٣]، إنّ قصّة العابدة اليمنيّة الّتي رواها عبد الرحمن بن الجوزي لولا ضيق المجال لأحببت إيرادها بأسرها قال: أخبرني محمّد بن ناصر ـ إلى أن قال ـ : حدّثنا محمّد بن سليمان [القرشي]، قال: بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق في أُذنيه قُرطان في كلّ قُرطٍ جوهرة يُضيئ وجهُهُ من ضوءٍ تلك الجوهرة وهو يُمجّدُ ربّه [بثناءٍ] بأبياتٍ من

---

(١) التوحيد: ٢٤٢.

(٢) أُصول الكافي ١/١٦٠؛ الحديث ١٣، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

وقد تكلّمنا عن هذه المسألة عند «إذن والله يقلّ داخلها» المختار الرقم ٤٤، وقلنا: وأبين كلام وجدته في الأمر بين الأمرين، وإبطال الجبر والتفويض ما جاء في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الجبر والتفويض، رواها ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول: ٤٥٨ ـ ٤٧٥، وعنوانه رسالته عليه السلام... ورواها الطبرسي في الاحتجاج ٢/٢٥١ ـ ٢٥٦... فراجع، والأمر أبين من ذلك.

(٣) النساء: ٣٥ و٦٢، وهود: ٨٨، جاء فيها من مادّة التوفيق وهي ثلاثة، ومثلها من لفظة الخذلان: آل عمران: ١٦٠، والفرقان: ٢٩، والاسراء: ٢٢.

الشعر، فَسمعتُهُ يقول:

مـليكٌ فـي السـماء بـه افـتخاري عـــزيزُ القـدر ليس بـه خـفاءُ

فدنوت منه فسلّمتُ عليه، فقال ما أنا برادٍّ عليك حتّى تُؤدّي من حقّي الّذي يجب لي عليك، قلتُ: وما حقّك؟ قال: أنا غلامٌ على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لاأتغدّىٰ ولا أتعشّىٰ [كلّ يوم]، أسير الميل والميلين في طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك، فرحّب بي وسرتُ معه حتّى قربنا من خيمة شعرٍ، فلمّا قربنا من الخيمة صاح يا أختاه، فأجابته جارية من الخيمة يا لبّيكاه، قال: قومي إلى ضيفنا، فقالت الجارية: حتّى أبدأ بشكر المولى الّذي سبّب لنا هذا الضيف، وقامت فصلّت ركعتين شكراً لله، قال: فأدخلني الخمية وأجلسني، وأخذ [الغلام] الشفرة وأخذ عناقاً، فذبحها فلمّا جلست في الخيمة نظرت إلى أخس الناس وجهاً فكنتُ أسارفها النظر ففطنت لبعض لحظاتي، فقالت [لي]: مَه، أمّا علمتَ أنّه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب «أنّ زناء العينين النظر» أمّا إنّي ما أردت بهذا أن أوبخك، ولكن أردت أن أؤدبك لكي لا تعود لمثل هذا، فلمّا كان [وقت] النوم بتّ أنا والغلام خارجاً...[1]، فيه دروس وعبر.

* * *

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٢/٢١٦ ـ ٢١٧، لهاتتمّة هامة رهن موضعها في اُخر القصّة: (أمّا علمت أنّه موفّق ومخذول).

١٥١
توقّف عنه في هذه السنة

قد حكىٰ السيّد التفريشي عن النجاشي أنّ عليّ بن محمّد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلّان، قتل بطريق مكّة وكان قد استأذن الصاحب عليه السلام في الحجّ، فخرج: «توقّف عنه في هذه السنة» فخالف. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾ [1] أمرهم أمر الرسول صلى الله عليه وآله والقتل من جرّاء المخالة، لولاها لم يقع ذلك، لاسيّما بعد الإستئذان، والأمر بالتوقّف.

وقد ترجمه السيّد المذكور بعد ما تقدّم من عنوان الرجل قال: يكنّىٰ أبا الحسن، ثقة عينٌ، له كتاب أخبار القائم عجّل الله فرجه، روى عنه جعفر بن محمّد، وقُتل علّان... [2]. والسيّد الأُستاذ بعد نقل الترجمة المذكورة وتوثيقه، قال ما لفظه:

ثمّ إنَّ مخالفة عليّ بن محمّد علّان لأمر الحجّة سلام الله عليه بتوقّفه عن الخروج لا ينافي وثاقته، مع أنّه يمكن أنّ عليّ بن محمّد لم يفهم من أمره سلام الله عليه أنّه أمر مولوي، فلعلّه حمله على الإرشاد، كما لعلّه الغالب في أوامرهم الشخصيّة إلى أصحابهم [3].

وحال الرجل حال المعلّى بن خنيس المخالف لأمر الصادق عليه السلام له بالتقيّة، المفضي إلى قتله، كما قتل علّان جرّاء ترك أمر صاحب الأمر عليه السلام.

وهل يبقى وثوق بعد المخالفة؟! اللّهمّ إلّا أن يغفل فيصدر عنه ذلك، والّذي أراه

---

(١) نقد الرجال: ٢٤١؛ ج٣/٢٩١، الرقم ٣٦٦٩/١٩٩ طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام. النور: ٦٣.

(٢) نفسه.

(٣) معجم رجال الحديث ١٢/١٢٩ طبعة النجف، و١٣/١٣٧ ـ ١٣٨، الرقم ٨٤٠٣، طبعة إيران، سنة ١٤١٣ هـ.

أنّ الوثاقة عند القدماء بل وعند الأئمّة عليهم السلام ليست هي مجرّد تعمّد صدق القول وترك الكذب الكلامي، بل الظاهر أنّ الوثاقة العمليّة ـ كالقوليّة ـ كانت ملحوظة ومرعيّة عندهم، فإذا سلب الوثوق العملي بارتكاب الذنب وتعمّد العصيان لم يكن الرجل ثقة بهذا التفسير وإن كان صادق اللهجة.

ومن تدبّر الأحاديث عرف أنّ المخالفين لأهل البيت عليهم السلام في المنهج العقائدي أو العملي تعمّداً لا خطأً كالمدّعين البابيّة من مثل البلالي والهلالي والشريعي وأضرابهم لا يبقىٰ معهم وثوق.

ولعلّ المترجَم الثقة لم يتعمّد خلاف الأمر على صاحب الأمر روحي فداه حتّىٰ يقال في حقّه ما تقدّم، بل كما احتمله الأُستاذ الخوئي من عدم الوجوب فأقدم وكان جزاء إقدامه القتل. كما كان المعلّى بن خنيس لعدم ضبطه أسرار آل محمّد صلى الله عليه وآله وشدّة الاعتقاد بهم يُذيع الأسرار، لا لتعمّد وخلاف عليهم عليهم السلام ، بل لعدم احتماله لها؛ لأنّ أمرهم صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحنه الله كما جاء التصريح بذلك في أحاديثهم سلام الله عليهم[1]، أو لغير ذلك من المحامل التي يكون الرجل معذوراً معها من دون تعمّد المخالفة والخلاف عليهم عليهم السلام .

* * *

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٠، باب ١١، ما يقرب من ثلاثين حديثاً صعباً مُستصعباً.

باب الثاء

١٥٢

ثبتت عليك الحجّة

من كلمات الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه في حديث رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه ذكرناه بتمامه عند «أنا الّذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[١]. فلا نعيده، والمهمّ بيان الحجّة والمراد بها في المقام، وباقي المواضع الّتي جاءت الكلمة فيها وهي ليست بقليلة خاصّة في الأحاديث المرويّة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم.

الحجّة في مصطلح الحديث :

نقدّم من تلك الأحاديث الّتي تفسّر الحجّة على مذاق الحديث، وسيوافيك بعض تفاسيرها الأُخرىٰ على المصطلح الآخر عند العرف العامّ، أو العرف الخاصّ قريباً.

وقبل التقديم، ليعلم أنّ الحجّة: ما يحتجّ به على الخصم عند المخاصمة ويغلب به عليه، وهي الدليل، وجمعها الحجج أي: الأدلّة سواء أكانت حقّاً مقبولاً عند ذوي العقول السليمة والفطرة المستقيمة، أم باطلاً عندهم، كما قال تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾[٢]. والدحض: الزلق وما لا ثبات له، ومنه حديث وَفْد مَذْحِج «نجباء غير دُحّض الأقدام» الدُحّض جمع داحض وهم الّذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأُمور[٣].

وقد جاء بمعنى الغلبة والدليل في آي من القرآن الكريم في سبعة مواضع كلّها تعطي ذلك[٤]، وتطلق الحجّة على الأشخاص فيحتجّ بأعمالهم وأقوالهم وكلّ شؤونهم على الحقّ، ويستدلّ بها عليه إذا كانوا معصومين من الخطأ والعصيان

---

(١) رقمه ٩٠. إكمال الدين ٢/٤٤٤ ـ ٤٤٥، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

(٢) الشورى: ١٦.

(٣) نهاية ابن الأثير ٢ / ١٠٤ ـ دحض ـ.

(٤) البقرة: ١٥٠، النساء: ١٦٥، الأنعام: ١٤٩، الشورى: ١٥، و١٦، الأنعام: ٨٣، الجاثية: ٢٥.

كالأنبياء والأئمّة والصدّيقة الزهراء المعصومين المطهّرين من الرجس، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١). وقد جاء بهذا التفسير في أحاديثهم عليهم السلام بكثرة، وفي الأدعية، والزيارات، منها: زيارة الإمام المهديّ عليه السلام المبتدئة بـ«سلام على آل ياسين ـ إلى قوله : ـ

وأُشهدك يا مولاي أنّ عليّاً أمير المؤمنين حجّته، والحسن حجّتُهُ، والحسين حجّتُهُ، وعليّ بن الحسين حجّتُهُ، ومحمّد بن عليّ حجّتُهُ، وجعفر بن محمّد حجّتُهُ، وموسىٰ بن جعفر حجّتُهُ، وعليّ بن موسىٰ حجّتُهُ، ومحمّد بن عليّ حجّتُهُ، وعليّ بن محمّد حجّتُهُ، والحسن بن عليّ حجّتُهُ وأشهد أنّك حجّة الله، أنتم الأوّل والآخر...» (٢).

ومنها الصادقي: «...أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان هو الحجّة» (٣).

فالمعصومون عليهم السلام هم حجج الله على خلقه؛ لأنّهم في كلّ شؤونهم القدوة لمن اقتدى بهم من الناس والهدى لمن اهتدىٰ، ثمّ الأمثل فالأمثل ممّن استقام في أعماله وأقواله، وصدق الله ورسوله والأئمّة عليهم السلام . فيستدلّ به على الإسلام وآدابه فيقال له: حجّة الإسلام؛ ومن هنا لم يصحّ ذلك الفول لمن كان عمله على ضدّ الإسلام، بل لا يسوغ ذلك لمن لم يكن الوفقُ ظاهرته فضلاً عن الضدّ والخلاف، والسرّ فيه لزوم الكذب حيث لا يجوز الاحتجاج بعمله وقوله، ولا الاستدلال به على الله عزّ وجلّ ولا على أحكامه تعالى.

فإذا دريت ذلك فإليك ما جاء في الحديث في هذا الصدد وفق التفسير المذكور للحجّة: في مرفوع سعدان عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

«إنّ الله لم يُنعم على عبد نعمة إلّا وقد ألزمه فيها الحجّة من الله، فمن مَنّ الله عليه فجعله قويّاً فحجّته عليه القيام بما كلّفه، واحتمال من هو دونه ممّن هو أضعف منه، ومن مَنّ الله عليه فجعله موسّعاً عليه فحجّته عليه ماله، ثمّ تعاهده الفقراء بعدُ

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الاحتجاج ٢ / ٣١٦ ـ ٣١٧، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ١٠٢ / ٨١ ـ ٨٢، وسبقت الإشارة عند الكلمة المختارة: «إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا: ...» رقمها ٣٣.

(٣) أُصول الكافي ١ / ١٦٩، كتاب الحجّة، باب الاضطرار إلى الحجّة، الحديث ٢.

بنوافله، ومن مَنّ الله عليه فجعله شريفاً في بيته، جميلاً في صورته، فحجّته عليه أن يحمد الله تعالىٰ على ذلك وأن لا يتطاول على غيره، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله»(١).

علّق الشيخ المجلسي على الحديث المذكور بما يلي:

قوله عليه السلام: «فحجّته عليه القيام بما كلّفه» أي: ما يحتجّ به عليه بعد التعريف قوّة القيام بما كلّف به، أو المحتجّ له القيام بالمكلّف به، وهذا أظهر وأوفق بما بعده من جعل التعاهد للفقراء بنوافل ماله، والحمد على شرفه وجماله، وعدم التطاول على غيره من الحجّة، وحينئذ ينبغي حمل قوله: «فحجّته عليه ماله» على أنّ المحتجّ له إصلاح ماله وصرفه في مصارفه وحفظه عن التضييع والإسراف فيه(٢).

دلّ الحديث الصادقيّ على أنّ الحجّة سواء أكانت في الأعمال أم في الأموال، أم في المعاني الصوريّة من الجمال والشرف كلّها من الله عزّ وجلّ؛ إنّه تعالى يحتجّ بها على العبد يوم القيامة في ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه، وفي عمله إذا قصّر في القيام بما وظّف به من الواجبات والحلال والحرام، وفي جماله وشرفه بالقياس إلى أبناء نوعه أو المجتمع على الإطلاق، فهل يتفاخر عليهم أو يقوم بما عليه من تقديم فضل ماله ونوافله، ومن تواضع وخفض جناح ينتفع بذلك الآخرون.

ثمّ إنّ من مظاهر الحجّة بمعنى الدليل والبرهان الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ نصّت على ذلك نصوصهم المرويّة:

منها الباقري: «والله ما ترك أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلّا وفيها إمام يهتدىٰ به إلى الله، وهو حجّته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمامٍ حجّةٍ لله على عباده»(٣).

والصادقيّ: «لو لم يبق إلّا إثنان لكان أحدهما الحجّة»(٤) بلفظها وبالإمام.

---

(١) المصدر المسبق ١٦٣ ـ ١٦٤، باب البيان والتعريف ولزوم الحجّة، الحديث ٢.

(٢) مرآة العقول ٢ / ٢٢٧. ففي كلامه طاب ثراه تفسير الحجّة في الحديث المذكور بمعنى الغلبة أو الدليل كما أشار إليه بقوله: (أو المحتجّ له) أي: المدلّل له .

(٣) أُصول الكافي ١ / ١٧٩، الباقري ٨، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة.

(٤) نفسه باب أنّه لو لم يبق إلّا رجلان لكان أحدهما الحجّة الصادقي فيه خمس روايات.

والآخر: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[١].

وقد قلنا: إنّ من الحجّة الاحتجاج، أي الغلبة والاستدلال، قال الشيخ الطريحي بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[٢]: وفي الصادقي في تفسير الآية قال: إنّ الله يقول للعبد يوم القيامة: عبدي كنت عالماً ؟ فإن قال: نعم قال له: أفلا عملت ؟ وإن قال: كنت جاهلاً قال: أفلا تعلّمت حتّى تعمل، فيخصمه فتلك الحجّة البالغة[٣].

وقال طاب ثراه: وحجج الدهور: هم الأئمّة، وفي الحديث: «لم يخل الله خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّة لازمة أو محجّة قائمة».

والمحجّة بفتح الميم: جادّة الطريق، والجمع المحاجّ بشدّة الجيم، وفيه «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق».

قيل فيه: لعلّ المراد قبل الخلق الأجسام في عالم الذرّ والأرواح؛ لقول أميرالمؤمنين عليه السلام في الرجل الّذي ادّعى أنّه يتولّاه: «مارأيتك في عالمالأرواح»[٤].

وجاء تفسير الحجّة بالقول والإيمان، ومنه حديث الدعاء: «اللّهمّ ثبّت حجّتي في الدنيا والآخرة» أي: قولي وإيماني في الدنيا وعند جواب الملَكين في القبر[٥].

قال ابن‌منظور: الحجّة: البرهان، وقيل: الحجّة مادوفع‌به‌الخصم، وقال الأزهري: الحجّة‌الوجه الّذي يكون‌به الظفر عندالخصومة... وإنّما سمّيت حجّة لأنّها تحجّ أي تقصد، لأنّ‌القصد لها وإليها؛ وكذلك محجّة‌الطريق هي‌المقصد والمسلك وفي حديث الدجّال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه» أي‌محاجّه‌ومغالبه‌بإظهار‌الحجّة‌عليه...[٦].

والحجّة في مصطلح الأُصول والمنطق ما يلي:

قال الشيخ الأنصاري طاب ثراه في المقصد الأوّل من فرائده:

فنقول لا إشكال في وجوب متابعة القطع والعمل عليه مادام موجوداً؛ لأنّه

---

(١) نفسه، الحديث الآخر ٢، فيه عدّة روايات فراجع وهي خمس روايات كما سَبَقَ.

والإمام وإن كان أعمّ من النبي أو الوصيّ إلّا أنّ بعض الروايات الواردة في المقام ناصّة عليهم عليهم السلام.

(٢) الأنعام: ١٤٩.

(٣) مجمع البحرين ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٨ ـ حجج ـ، أمالي‌الطوسي ص ٩، ١٠/ ١٠ مؤسّسة البعثة، قم.

(٤) مجمع البحرين ـ حجج، المُسبق ذكره.

(٥) نهاية ابن الأثير ١ / ٣٤١ ـ حجج ـ.

(٦) لسان العرب ٢ / ٢٨٨ ـ حجج ـ.

بنفسه طريق إلى الواقع، وليس طريقيّته قابلة لجعل الشارع إثباتاً ونفياً، ومن هنا يعلم أنّ إطلاق الحجّة عليه ليس كإطلاق الحجّة على الأمارات المعتبرة شرعاً؛ لأنّ الحجّة عبارة عن الوسط الّذي به يحتجّ على ثبوت الأكبر للأصغر، ويصير واسطة للقطع بثبوته له، كالتغيّر لإثبات حدوث العالم، فقولنا: الظنّ حجّة، والبيّنة حجّة، أو فتوى المُفتي حجّة يراد به كون هذه الأمور أوساطاً لإثبات أحكام متعلّقاتها ـ إلى أن قال طاب ثراه ـ :

والحاصل: إنّ كون القطع حجّة غير معقول؛ لأنّ الحجّة ما يوجب القطع بالمطلوب، فلا يطلق على نفس القطع[١].

قوله عجّل الله فرجه: «ثبتت عليك الحجّة» ثبوتها للأزدي، لظهور المعجزة له؛ لأنّه عليه السلام ناوله حصاة من حصى بيت الله الحرام فقال الراوي: وكشفت عنها فإذا أنا بسبيكة ذهب، إلى آخر القصّة فراجعها[٢]، قد جاء في الكتاب العزيز من مشتقّات هذه المادّة ٣٣ موضعاً منها الحج المفسّر بالمناسك، حتّى أنه اسم إحدى سوره، وبعض آياتها الّتي لا تخفى على القارئ الكريم، ومنها اسم السَّنة في قصّة نبيّ الله موسى وشعيب عليهما السلام، ومنها الاحتجاج، قد صرّح ابن فارس قائلاً: الحاء والجيم أُصول أربعة، فالأول القصد، وكلّ قصد حجٌّ قال: وأَشْهَدَ من عوفٍ حلولاً كثيرةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزبرقان المُزَعفَرا ثمّ اختصَّ بهذا الاسم للقصد إلى البيت الحرام للنُّسُك. والحجيج: الحاجّ قال :

ذكرتُكَ والحجيج لهم ضجيجٌ   بِمكّةَ والقلوب لها وجيبُ[٣].

* * *

---

(١) الرسائل: القطع الرحلي المطبوع في قم، ١٣٧٤ هـ، من المقصد الأوّل في القطع ص ٢. وليس هنا مقام الشرح لكلامه رحمه الله تعالى، ومزيد بيان المراد من (الحجّة) الأُصوليّة الّتي يراد بها أوساط الأقيسة المنطقيّة، ونفس الأدلّة المثبتة للشيء، فراجع المظانّ.

(٢) «أنا الّذي أملأها عدلاً...» الرقم ٩٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٢٩ ـ حج ـ الخ، البيت الأوّل للمُخبّل السعدي، الخِزانة ٨ / ٩٨ ـ ١٠٢، الترجمة ج ٦ / ٩٣ ـ ٩٥، الشاهد ٤٣٤ والثاني للمجنون قيس بن الملوّح ديوانه ٣٦، تحقيق يسرى عبد الغني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٥٣

ثمن المغنّية حرام

من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن مسائل إسحاق بن يعقوب ذكرنا أكثرها مع ترجمة السائل عند «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج»[١] و«أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»[٢]، وغيرهما[٣] ومنها «ثمن المغنّية حرام»[٤] الجاري من المسائل الفقهيّة المذكورة في علم الفقه ومجامع الحديث: ومنه الكاظمي: «إنّ ثمن الكلب والمغنّية سحت»[٥]، والرضوي: «قد تكون للرجل الجارية تلهيه، وما ثمنها إلّا ثمن كلب، وثمن الكلب سحت، والسحت في النار»[٦] وتحريمه من المسلَّمات الفقهيّة الّتي لم يَرْتَبْ فيه اثنان، فالتوقيع ليس إلّا تاكيداً له، وهو من النصوص الناصّة على ذلك. ومنها تحريم أكل المال المبذول بإزاء الغناء المحرّم أحد مصاديق الأكل بالباطل في القرآن الكريم: ﴿*يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ*...﴾[٧] والاستثناء بمعنى لكن، والتفصيل في محلّه.

* * *

---

(١) رقمه ٦٨. (٢) رقمه ٦٢. (٣) رقمه ٦٦.

(٤) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، الوسائل ١٢ / ٨٧.

(٥) الوسائل ١٢ / ٨٦، باب ١٦ تحريم بيع المغنّية... فيه ست روايات بلامعارض.

(٦) نفسه، ص ٨٨، الحديث ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، الباب ١٧، كسب النائحة بالحق لا بالباطل... ص٨٨ ـ ٩٢ فيه ١٤ حديثاً فيها المعارض الموعد عليها النار، إلّا الأبيات لأمّ سلمة ص ٨٩ وسكوت النبيّ صلى الله عليه وآله عنها ناحت بها الوليد بن المغيرة ابن عمّها، في الباقري ما عابها ولا قال شيئاً نفس الصفحة.

(٧) النساء: ٢٩.

١٥٤
الثواب في السور على ما قد روي

توقيع الإمام عليه السلام عن جواب مسائل الحميري، صورته:

«وروي في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها: أنّ العالم عليه السلام [١] قال: عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ كيف تقبل صلاته.

وروي: ما زكت صلاة لم يقرأ فيها بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وروي أنّ من قرأ في فرائضه «الهُمَزَة» أُعطي من الدنيا. فهل يجوز أن يقرأ الهُمَزة ويدع هذه السور الّتي ذكرناها ؟ مع ما قد روي أنّه لا تقبل الصلاة ولا تزكو إلّا بهما».

التوقيع: «الثواب في السور على ما قد رُوي، وإذا ترك سورة ممّا فيها الثواب وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ لفضلهما أُعطي ثواب ما قرأ وثواب السورة الّتي ترك. ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامّة، ولكن يكون قد ترك الفضل» [٢].

أقول: جاء الجواب بكلّ وضوح عن سؤال مقارنة السور المذكورة في الفضل، وتماميّة الصلاة بها جميعاً، وقد علم أنّ لسورة التوحيد والقدر، قدراً تتفاضل الصلاة بهما عمّا سواهما؛ والوجه فيه أنّ الأُولىٰ هي الغاية من خلق الخلق، والثانية سورة أهل البيت عليهم السلام المحقّقة لها مباشرة، وبعدهما من السورمحقّقة لها مرّة وللأُخرىٰ أُخرى، والكلّ إلى ذاك الجمال يشير، وأجمل مثل يضرب في أهل البيت سور

---

(١) يُلقّب به عن الإمام الكاظم أو أحد الأئمّة عليهم السلام تقيّة.

(٢) غيبة الطوسي: ٢٣١، البحار ٥٣ / ١٥٣.

القرآن ونجوم السماء بأيّهم اقتدينا اهتدينا، ولأمير المؤمنين بعد الرسول صلّى الله عليهما أجمعين سورة التوحيد وصورته التمثيليّة في الحديث النبوي: «مثلك مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ فإنّه من قرأها فكأنّما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فكأنّما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرّات فكأنّما قرأ القرآن، وكذلك من أحبّك بلسانه كان له مثل ثلث ثواب أعمال العباد، ومن أحبّك بقلبه ونصرك بلسانه كان له مثل ثلثي أعمال العباد، ومن أحبّك بقلبه ونصرك بلسانه ويده كان له مثل ثواب أعمال العباد»[1].

فيه جهتان من فضيلة قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وحبّ عليّ عليه السلام، ويشهد للأولى النبوي: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرّةً فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن»، وللثانية فإنّه عليه السلام أبو الأئمّة وعِدل القرآن في حديث الثقلين، المتّفق بين الفريقين فلا غرو أن يُعطى محبّه ثواب ختم القرآن إذا قرأها ثلاثا ناصراً له بلسانه ويده وقلبه[2] قد حوى الخيرات بأسرها.

* * *

---

(١) المحاسن ١ / ١٥٣، أمالي الصدوق ٣٠ الباب ٩، الأمثال النبويّة ٢ / ٢٠٣، رقم المثل ٥٠٨.

(٢) المصدر الأخير وليراجعه يجد الشاهدين المذكورين إن شاء الله.

باب الجيم

١٥٥

جئتَ إلى وليّ الله وحجته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك ؟ !

سبق عند المختار: «إذن والله يقلّ داخلها»[١] بعض كلام الإمام المهديّ عليه السلام، وعند «إذا شاء شئنا»[٢] بكامله ردّاً على كامل بن إبراهيم المدني الممثّل عن قوم من المفوِّضة والمقصِّرة. وعليه فلا نذكر منه إلّا بقدر ربط المختار به قال عجل الله فرجه «جئتَ إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك ـ فقلت: إي والله، قال: ـ إذن والله يقلّ داخلها؛ والله إنّه ليدخلها قوم يقال لهم الحقّيّة ـ قلت: يا سيّدي ومن هم؟ قال: ـ قوم من حبّهم لعليٍّ يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله ـ ثمّ سكت ـ ...»[٣]. على سَنَن العقيدة يسير ذووها، وإنَّ الأحزاب يتحزّبون لها؛ ومن أجلها يفرحون؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٤]. ولكن من أصاب الرُشد قليل: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[٥]. وبعد سماع الجواب عمّا سأله الممثّل قال: فنظر إليَّ أبو محمّد عليه السلام متبسّماً فقال: «يا كامل ما جلوسك؟ وقد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي»، فقمت وخرجت... من نفس الحديث.

ترجمة كامل بن إبراهيم، أو كافور بن إبراهيم المدني؛ قال عنه الأُستاذ الخوئي: ممّن رأى صاحب الزمان صلوات الله عليه وروى عنه أخباراً بالمغيّبات وشاهد منه

---

(١) رقم المختار ٤٤. (٢) رقمه ٤١.

(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٩، دلائل الطبري: ٢٧٣، البحار ٥٢ / ٥٠ ـ ٥١.

(٤) الروم: ٣٢. (٥) صٓ: ٢٤.

معجزات، وسمع منه النصّ عليه من أبيه عليه السلام على ما ذكره الشيخ في كتاب الغَيْبة، ذكره الميرزا في رجاليه[1].

وأورد عليه بأنّ الرجل هو كامل بن إبراهيم لا الكافور[2].

ويا ليته استبصر بما بصّر، وبماذا يستبصر من بعد تبصيره عليه السلام ؟! قد سمعت أنّ التوقيع بكامله ردّ على كامل بن إبراهيم، الضال المنحرف عن الحـق، ولا شكّ أنّ الظروف الّتي عاشتها الشيعة في عصري الغيبة الصغرى كانت في أحرج التقيّة، وكذا الكبرى والّتي نعيشها اليوم قد شاع الإلحاد والفسق والفجور، والطُغاة المؤيّدة لأهلها وكل ماازداد بعداً عن زمن الحضور ازداد ذلك بأضعافه. المضاعفة إلى قيامه عليه السلام.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ١٤ / ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه.

١٥٦
جئت تسأله عن مقالة المفوّضة

من كلامه عليه السلام لكامل المُسبق عند «إذا شاء شئنا»[١] بكامله و«إذن والله يقلّ داخلها»[٢]. «جئت إلى وليّ الله وحجّته وبابه...»[٣] والآخر: «يا كامل بن إبراهيم»، فاقشعررتُ من ذلك، وأُلهمتُ أن قلتُ: لبّيك ياسيّدي، ثمّ قال: «وجئتَ...» ثمّ سكت صلوات الله عليه عنّي ساعةً، ثمّ قال: «وجئت تسأله عن المفوّضة كذبوا. بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله إذا شاء...»[٤].

سبق الكلام حول المفوّضة، والمجبّرة، والأمر بين الأمرين القول الحق الّذي لا معدل عنه، وقد أشرنا إلى الطوائف المنحرفة الأخرى عند «ابائي من الأولين...»[٥] والآتي الموجز الثلاثة المومئ إليها من الكلمات المنتزعة عنها، ألا وهي الصادرة عنه عليه السلام منها: «توفيقه لا يسبق»[٦] وأساس القول بالتفويض هم اليهود، وبالجبر الأشاعرة اللّاشاعرة، في قبالة المعتزلة، ولكنّ اليوم لم يكن على وجه الأرض معتزليّ إلّا وهو أشعري منكر للحسن والقبح العقليّين، إمّا اعتقاداً، أو عملاً، وإن كنت في ريب ممّا قلنا فجرّب، ومن أكبر البرهان التجربة، وأنّ العدليّة هم القائلون بالأمر بين الأمرين، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين»[٧].

---

(١) رقمه ٤١. (٢) رقمه ٤٤. (٣) رقمه ١٥٥.

(٤) غيبة الشيخ الطوسي ١٤٩، طبعة النجف، وص ٢٤٦ ـ ٢٤٧، الحديث ٢٦٠، طبعة قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ١٤١١ هـ، دلائل الطبري ٢٧٣، طبعة النجف أوفست إيران، وص ٥٠٥ ـ ٥٠٦، معرفة من شاهده... مؤسّسة البعثة قم، ١٤١٣ هـ.

(٥) رقمه ٢. (٦) رقمه ١٥٠.

(٧) أُصول الكافي ١ / ١٦٠، وللحديث بقيّة ذكرناها عند «إذن والله يقلّ داخلها» رقمه ٤٤، ←

الفعل والترك لديك سيّان فإن شئت فعلت الشيء، وإن شئت تركته، نعم وأنت إمّا موفَّق إذا حسنت طويّتك وصفت نيّتك، وإذا كانت الأُخرىٰ فأنت مخذول، والناس منهم الموفَّق ومنهم المخذول، خذلته النفس الأمّارة بالسوء والوساوس الشيطانيّة فهو شقيّ، أو رافقته الإلهامات الرحمانيّة فكتب آسمه في السعداء.

لم تخل أفعالنا اللاتي نُذمّ بها   إحدى ثلاث معانٍ حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها   فيسقط الذمّ عنها حين نُنشيها
أو كان يُشركنا فيها فيلحقه   ما سوف يَلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلٰهي في جنايتها   ذَنْبٌ فما الذنب إلّا ذنب جانيها[1]

تسبقها كلمات الإمام الكاظم عليه السلام، ثمّ أنشأها روحي فداه جواباً عن سؤال أبي حنيفة.

* * *

← وفيها التطبيق الواضح.

(١) البحار ١٠ / ٢٤٨، الحديث ١٧، الباب ١٦، نقلاً عن كنز الفوائد للكراجكي ١ / ٣٦٦.

١٥٧
جائز أن يتّزر الإنسان كيف شاء إذا لم يُحدث في المِئزر حدثاً

المختار أوّل جوابات الإمام المهديّ عليه السلام لكتاب آخر لمحمّد بن عبد الله الحميري من كتبه الأربعة المتقدّم ذكرها، والجواب عنها بلفظ (التوقيع) و(الجواب)، وعن هذا الكتاب بـ(أجاب)، وإليك ما رواه العلّامة المجلسي عن الطبرسي، قال: ج[1]: في كتاب آخر لمحمّد بن عبد الله الحميري إلى صاحب الزمان عليه السلام من جوابات مسائله الّتي سأله عنها في سنة سبع وثلاثمائة.

سأل:

عن المُحرم يجوز أن يشدّ المئزر من خلفه إلى عنقه بالطول، ويرفع طرفيه إلى حقويه، ويجمعهما في خاصرته ويعقدهما، ويخرج الطرفين الأخرين من بين رجليه ويرفعهما إلى خاصرته، ويشدّ طرفيه إلى وركيه، فيكون مثل السراويل يستر ما هناك؛ فإنّ المئزر الأوّل كنّا نتّزر به إذا ركب الرجل جَمَلَهُ يكشف ما هناك وهذا أستر؟

هذا السؤال عن كيفيّة الاتّزار بحيث لايكشف عمّا هناك؟

فأجاب عليه السلام

«جائز أن يتّزر الإنسان كيف شاء إذا لم يُحدِث في المئزر حدثاً بمقراض ولا إبرة يخرجه به عن حدّ المِئزر، وغَرَزَه غَرزاً، ولم يعقده، ولم يشدّ بعضه ببعض، إذا غطّى سُرّته وركبتيه [كليهما خ] كلاهما؛ فإنّ السُنّة المجمع عليها بغير خلاف

(١) «ج» رمز الاحتجاج، أُنظر ٢ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧ وفيه «جاز» بدل «جائز...».

تغطية السُرّة والركبتين، والأحبّ إلينا والأفضل لكلّ أحد شدّه على السبيل المعروفة للناس جميعاً إن شاء الله[١].

للُبس ثوبي الإحرام في الإسلام أحكام منها تروك، ومنها أفعال، وأُخرى سُنن وآداب، أشار عجّل الله فرجه إلى بعضها فليراجع إلى المظانّ.

وإن الحج من أهمّ شرائع الله عزّ وجلّ وتاركه كافر به. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢] في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام «يا عليّ تارك الحج كافر. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾ يا علي من سَوَّف الحج حتّى يموت بعثه الله يوم القيامة يهوديّاً أو نصرانيّاً»[٣].

للحجّ أحكام خاصّة وأقسام وفروع كثيرة، وآداب وشؤون وبحوث تكفلها الجوامع الحديثيّة والتفسيريّة، والفقهيّة الاستدلاليّة. ومن شاء الاطلاع على غاية الاهتمام بأمر الحج فليستمع ما قال زرارة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني ؟ فقال: «يازرارة بيتٌ يُحجُّ قبل آدم عليه السلام بألفي عام تريد أن تفنى مسائله في أربعين عاماً»[٤]. والأدلّ على الاهتمام به الآية.

* * *

---

(١) البحار ٥٣ / ١٥٩، ماخرج من توقيعاته عليه السلام، وفيه لفظ «جائز...»، نقلاً عن الاحتجاج.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) الفقيه ٤ / ٣٦٨، باب النوادر، عنه تفسير الصافي ١ / ٢٨٢، والغاية هنا الإشارة.

(٤) الفقيه ٢ / ٥١٩، رقم الحديث ٣١١١، باب نوادر الحج، الجواهر ١٧ / ٢١٧، في فضل الحج.

١٥٨
جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام

المختار من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن مسائل أبي الحسين محمّد بن جعفر الأسديّ الثمان :

خامسها السؤال عن المصلّي وأمامه النار أو السراج والصورة، هل يجوز ذلك ؟ فأجاب عجل الله فرجه بتفصيل كالآتي:

قال الشيخ الصدوق: حدّثنا محمّد بن أحمد الشيباني، وعليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب وعليّ بن عبد الله الورّاق رضي الله عنهم، قالوا: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسديّ رضي الله عنه . قال: كان فيما ورد عليَّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان قدس الله روحه في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان عليه السلام .

«... أمّا ما سألت عنه من أمر المصلّي والنار والصورة والسراج بين يديه هل تجوز صلاته ؟ فإنّ الناس اختلفوا في ذلك قبلك، فإنّه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام أو عبدة النيران أن يصلّي والنار والصورة والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأصنام والنيران...»[١].

مجموع مسائله وجواباتها ثمان تقدّم بعضها عند: «إنّ الأرض تضجّ إلى الله عزّ وجلّ من بول الأغلف»[٢]، وأشرنا إلى سندها.

قوله عليه السلام : «ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأصنام والنيران» لعلّ سرّ

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٥٢٠ ـ ٥٢١، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات الحديث ٤٩، الاحتجاج ٢ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩، البحار ٥٣ / ١٨٣، عنه الحديث ١١.

(٢) رقمه ١٠٣.

عدم الجواز هو أنّ الولد تابع للوالد على الأغلب، فإن كان مؤمناً كان الولد كذلك، وإن كان غير مؤمن كان الولد مثله، هذا بالقياس إلى البالغ من الأولاد، وفي التوقيع دلالة عليه؛ لأنّ غير البالغ لا صلاة عليه حتّى يفتقر إلى السؤال عمّا كان أمام صلاته من صورة أو سراج أو نار.

كما أنّ المحتمل السؤال عن صلاة الولد المؤمن إذا كان أبوه من عبدة النيران أو الأصنام، وعليه فالنهي ليس إلّا لدفع التوهّم أنّه كأبيه، وإلّا فكيف يصلّي وهو كافر كأبيه، والمؤمن المصلّي لم يكن كافراً، فاتّضح أنَّ النهي لا يقصد منه إلّا دفع التوهّم ممّن يراه أنّه يصلّي والنار الّتي هي معبودة أبيه أمامه، فلعلّه يسبق إلى ذهن الرائي أنّه كأبيه؛ ومن ثمّ جاز ذلك لمن لم يكن أبوه من عبدة النيران والأصنام؛ لعدم ذلك التوهّم؛ لأنّ المصلّي مؤمن من أبوين مؤمنين فلا مجال للنهي عمّا كان قدّامه من نار أو صورة أو غير ذلك.

هذا ما يخطر بالبال في وجه التفصيل بين هذا وذاك، والأحكام وإن لم تكن معلّلة بالعلل الّتي ذكروها، فإنّه على ما هو المعروف أنّ علل الأحكام الشرعيّة حِكَمٌ؛ لعدم إحاطة البشر بعلل الشرائع والقوانين السماويّة وإنّما علينا الإيمان بما هو المعلوم عند الله المجهول عندنا، وهذا أحد معاني الإيمان بالغيب الواجب علينا.

* * *

١٥٩
جاد الله عليه بما هو جلّ وتعالى أهله

المختار من دعاء الإمام المهديّ عليه السلام لمحمّد بن عبد الله الحميريّ، ويقال لمثله ممّن سار بسيرته الآتي ذكرها في التوقيع.

قد وجّه كتباً أربعة إلى الناحية المقدّسة. يسأل عن مسائل فقهيّة زهاء سبعين سؤالاً وكان الجواب تارة بلفظ (التوقيع)، وعدده عشرة[١]. وثانية بلفظ (الجواب)، وعدده خمسة عشر[٢]. وثالثة بلفظ (أجاب)، وعدده ثمانية[٣]، وبلفظه مرّةً ثانية، وعدده واحد وثلاثون[٤]. ولعلّ له مسائل وجوابات أُخرىٰ لم نظفر بها.

ثمّ تجد بعض هذا العدد عند «إذا سها في حالة قضى ما فاته في الحال الّتي ذكر»[٥].

و«إذا كانت حاجة لم يكن لها من ينظر فيها خرجت»[٦].

و«أُعطي ثواب ما قرأ وثواب السورة الّتي ترك»[٧].

و«الإمام عليه السلام لا يُتقدّم ولا يُساوىٰ»[٨].

و«إنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض كفضل الفرائض على النوافل»[٩]؛ لأنّ التسبيح غاية ما يبلغ العبد من المعرفة هي التنزيه عمّا لا يليق بساحته الربوبيّة المعبّر عنه بالجلال جلّ جلاله، نعم للصفوة من عباده محمّد وآله صلّى الله عليه وآله المعرفة الكاملة.

---

(١) الاحتجاج ٢ / ٣٠١ ـ ٣٠٣، البحار ٥٣ / ١٥١ ـ ١٥٣.

(٢) نفسه، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦، نفسه، ص ١٥٤ ـ ١٥٨.

(٣) نفسه، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٩، نفسه، ص ١٥٩ ـ ١٦٢.

(٤) نفسه، ص ٣٠٩ ـ ٣١٥، نفسه، ص ١٥٢ ـ ١٧١.

(٥) الرقم ٤٠.

(٦) الرقم ٤٢.

(٧) الرقم ٥٢.

(٨) الرقم ٧٤.

(٩) الرقم ١١٢.

وسأله الدعاء له، فخرج الجواب:

«جاد الله عليه بما هو جلّ وتعالى أهله، إيجابنا لحقّه، ورعايتنا لأبيه رحمه الله[١]، وقُربه منّا[٢]، وقد رضينا بما علمناه من جميل نيّته، وَوَقَفْنا عليه من مخالطته المقرّبة له من الله الّتي تُرضي الله عزّ وجلّ، ورسوله، وأولياءه[٣] عليهم السلام [والرحمة] بما بدأنا، نسأل الله بمسألتنه ما أمّله من كلّ عاجل وآجل، وأن يصلح أمر دينه ودنياه ماله من يحب[٤] صلاحه، إنّه وليّ قدير»[٥].

هنا جهتان: شرح الجواب، وترجمة محمّد بن عبد الله الحميري.

في التوقيـع المبارك جهات عديدة نذكر منها ثنتان.

الجهة الأُولىٰ:

قول عليه السلام: «جاد الله عليه بما هو جلّ وتعالى أهله» تقدّم أنّه دعاء للحميري بأن يجود الله عزّ وجلّ عليه، وإنّما قيّده روحي فداه «بما هو جلّ وتعالى أهـله»؛ لأنّه جلّ جلاله هو وحده أهل الجود والكرم، وأمّا سواه فليس لذلك أهلاً بالذات ما لم يؤهّله تعالى ويوفّقه.

قال العلّامة المجلسي :

لي[٦]: العطّار، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن أبان، عن عبد الرحمن بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «لقد غفر الله عـزّ وجـلّ لرجل من أهل البادية بكلمتين دعا بهما، قال: اللّهمّ إن تعذّبني فأهل ذلك أنا، وإن تغفر لي فأهل ذلك أنت، فغفر الله له»[٧]، والحديث من صحاحه الّتي تنصّ عليه؛

---

(١) وهو عبد الله الحميري.

(٢) يريد عليه السلام قرب محمّد بن عبد الله من أهل البيت عليهم السلام.

(٣) في نسخة البحار ٥٣ / ١٦٢ «أولياءه» مفعول «تُرضي» وأمّا الاحتجاج فـ«يرضى» و«أولياؤه» الفاعل المعطوف على «الله». (٤) نسخة الاحتجاج: «يجب».

(٥) الاحتجاج ٢ / ٣٠٩، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٥٣ / ١٦٢.

(٦) (لي) أي أمالي الصدوق.

(٧) البحار ٩٤/ ٩١، نقلاً عنه، وفي هامشه أمالي الصدوق ص ١٨٠، وفي أمالي الطوسي ٢ / ٥٢-٥٣ ←

ومن ثمّ جاء السؤال منه تعالى «افعل بي ما أنت أهله...».

في صادقيّ: «إنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين كان لي مال ورثته ولم أنفق منه درهماً في طاعة الله عزّ وجلّ، ثمّ اكتسبت منه مالاً فلم أنفق منه درهماً في طاعة الله، فعلّمني دعاء يخلف عليَّ ما مضى، ويغفر لي ما عملت، أو عملاً أعمله، قال: «قل» قال: وأيّ شيءٍ أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال: «قل كما أقول:

يا نوري في كلّ ظلمة، وياأُنسي في كلّ وحشة، ويا رجائي في كلّ كربة، ويا ثقتي في كلّ شدّة، ويا دليلي في الضلالة، أنت دليلي إذا انقطعت دلالة الأدلّاء؛ فإنّ دلالتك لا تنقطع، ولا يضلّ من هديت، أنعمت عليَّ فأسبغت، ورزقتني فوفّرت، وغذّيتني فأحسنتَ غذائي، وأعطيتني فأجزلتَ بلا استحقاق لذلك بفعل منّي، ولكن ابتداءً منك لكرمك وجودك، فتقوّيتُ بكرمك على معاصيك، وتقوّيتُ برزقك على سخطك، وأفنيتُ عمري فيما لا تحبّ، فلم يمنعك جرأتي عليك، وركوبي لما نهيتني عنه، ودخولي فيما حرّمت عليَّ أن عدتَ عليَّ بفضلك، ولم يمنعني حلمك عنّي وعودك عليَّ بفضلك، وإن عدتُ في معاصيك فأنت العوّاد بالفضل وأنا العوّاد بالمعاصي، فيا أكرم مَن أُقرّ له بذنب، وأعزّ من خَضع له بذلٍّ؛ لكرمك أقررتُ بذنبي، ولعزّك خضعتُ بذلّي، فما أنت صانع بي في كرمك، وإقراري بذنبي، وعزّك وخضوعي بذلّي، افعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله»[١].

والغرض الإشارة لا ذكر العبارة مهما وجدت في حديث.

ثمّ طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يجود على الحميري بما هو أهله هو طلب الإكرام الكامل له، وكلّ إكرامه تعالى كامل، وكلّ جوده كامل[٢].

والجواد أحد أسمائه الحسنى، ولا يقال له عزّ وجلّ: السخيّ لفقد اللين المفهوم منه، وقد تعرّض الشيخ الصدوق طاب ثراه لشرح الأسماء في كتاب التوحيد حيث

← فقيل: وما هما ؟قال: «اللّهمّ إن تعذّبني فأنا أهل ذلك، وإن تغفر لي فأنت أهل ذلك...».

(١) أُصول الكافي ٢ / ٥٩٥، كتاب الدعاء باب النوادر دعوات موجزات... الحديث ٣٥.

(٢) والدليل على الطلب الكامل والمطلوب الكامل أنّه عليه السلام قال: «قل كما أقول:...».

قال :

الجواد: معناه المحسن المنعم الكثير الإنعام والإحسان، يقال: جاد السخي من الناس يجود جوداً، ورجل جواد، وقوم أجواد وجود: أي أسخياء، ولا يقال لله عزّ وجلّ: سخيّ؛ لأنّ أصل السخاوة راجع إلى اللين، يقال: أرض سخاويّة، وقرطاس سخاويّ: إذا كان ليّناً، وسمّي السخيّ سخيّاً للينه عند الحوائج إليه[1].

ويحتمل «جاد الله عليه...» أن يكون إخباراً بفعل الله تعالى ذلك للحميري لخصال بيّنها عليه السلام بعد الكلمة مباشرة وهي: الإيجاب لحقّه أي الحميري، والرعاية لأبيه عبد الله رحمه الله، وقرب محمّد من أهل البيت عليهم السلام. هذا ولكن كلّ ذلك ممكن: أي: بأن يكون كلامه عجّل الله فرجه إخباراً بالجود له، وظاهر الكلام هو الدعاء لا الإخبار.

وكيف كان فقد أخبر عليه السلام بأنّ الحميري قد وقع موضع الرضا، وأن معاشرته الجميلة مرضيّة له تعالى وللرسول وأهل بيته عليهم السلام، كما وختم عليه السلام الكلام بدعاء آخر له يجمع به خير الدارين، فياله من دعاء من داعٍ كالإمام المهديّ روحي فداه فما أعلاه وأغلاه؛ ومن ذلك يعلم رفعة شأن محمّد بن عبد الله الحميري وأبيه طاب ثراهما.

الجهة الثانية، ترجمته الّتي ذكرناها عند «الإمام عليه السلام لا يُتقدم عليه ولا يُساوىٰ»[2].

* * *

(١) التوحيد: ٢١٥ ـ ٢١٦، باب أسماء الله تعالى، المذكور منها المُصرّح به في الدعاء.

(٢) الرقم ٧٤. انظر ص ٢٢٣.

١٦٠
جعلتُ هذا التوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك

انتزعت عمّا سَبَقَ عنه عليه السلام عند «آبائى من الأوّلين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم... ومن الأخرين محمّد رسول الله وعليّ بن أبي طالب... عبيد الله عزّ وجلّ...»[1]، وعليه نقول باختصار:

قال الطبرسي كما في نفس المختار المومأ إليه: ممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه ردّاً على الغُلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه على يد محمّد بن عليّ بن هلال الكرخي: «يا محمّد بن علي تعالى الله وجلّ عمّا يصفون سبحانه وبحمده ليس نحن شركاؤه في عمله ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره؛ كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾»[2] ـ إلى أن قال عجّل الله فرجه في الهلالي عليه اللعن وعلى أضرابه: ـ

«جعلت هذا التوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانةً في عُنقك وعُنق من سمعه أن لا يكتمه لأَحدٍ من موالي وشيعتي...»[3].

من هو ابن هلال؟

لم يذكروه في كتب الرجال، أورده النمازي بما هذا لفظه: (محمّد بن عليّ بن هلال الكرخي) لم يذكروه، روى الطبرسي في الاحتجاج عنه مكاتبة إلى مولانا صاحب الزمان عليه السلام في الردّ على الغُلاة[4].

---

(١) رقمه ٢، فيه تفصيل ما أجملناه، المومأ من الإيماء أي المشار إليه.

(٢) النمل: ٦٥، آخرها ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

(٣) الاحتجاج ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٢٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٤) مستدركات علم رجال الحديث ٧ / ٢٥٠، الرقم ١٤١٠٣، البحار المسبق الذكر.

قد تقدّم التوقيع الصادر جواباً له، الردّ عليهم، يبدو أن الكرخي منهم؛ وإنّك تجده عليه السلام يصرّح بذلك؛ ويشهد له استدلاله بالآية النافية لعلم الغيب عمّن سواه تعالى، وكذا الشريك، وكيف كان الكرخي ليس هو العبرتائي المُسبق ترجمته[١] واحتمال أنّه البلالي ساقط، وإنّما الحكم تابع لمن اتّصف بما أُخذ في مقوّماته الّتي لها دخل في جعله بالذات ولا يضمن التطبيق على موارده وبلفظ موجز أن ليس الجعل إلّا القضايا الحقيقيّة شأن القانون الكلّي الصالح للتطبيق بلا نظر إلى شخص خاصّ ومن سَبَر الروايات بهذا الشأن عرف الذين صدر فيهم اللعن والتبرّي من الغُلاة المعدود أسماؤهم في غضون الكتاب الّذي بين يديك، ولا قصر على شخص دون أخر، والأمر أبين من ذلك، وَوَضح الصبح لذي عينين المثل السائر.

* * *

(١) رقمه ١٣٦، إن صحّ الاحتمال فليراجع إلى المختار رقمه ٢؛ فإنّه يشهد بأنّه هو.

١٦١
جعل لكم معاقل تأوون إليها

المختار من كلام الإمام المهديّ عليه السلام، صدر لبيان حال محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، قال الشيخ الصدوق: حدّثنا محمّد بن الحسن رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن عليّ بن محمّد الرازي المعروف بعلّان الكليني، قال: حدّثني محمّد بن جبرئيل الأهوازي، عن إبراهيم ومحمّد ابنَي الفرج، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، أنّه ورد العراق شاكّاً مرتاداً، فخرج إليه:

«قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيتَه عن موالينا بناحيتكم، فقل لهم: أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، هل أمر إلّا بما هو كائن إلى يوم القيامة ؟ أولم تروا أنّ الله عزّ وجلّ جعل لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي [أبو محمّد خ] صلوات الله عليه، كلّما غاب عَلَمٌ بدا عَلَمٌ، وإذا أفَلَ نجمٌ طلع نجمٌ...»[2].

لا يخفى أنّه انتزع عنه كلمات منها، المختار الجاري ومنها: «إذا أَفَلَ نجمٌ طلع نجمٌ»[3] مع رواية الشيخ الطوسي إلّا أنّها صدرت جواباً عن مشاجرة الشيعة مع ابن أبي غانم القزويني في (الخلف)[4]، وفروق أُخرى بين الروايتين المذكورتين في بعض ألفاظهما وسبب الصدور عن الناحية المقدّسة .

معاقل جمع معقل، إمّا يراد به اسم مكان العقل، أو زمانه، أو معاً. والمراد بالمعاقل هنا الحصون المنيعة تمنع من يأواها عمّا يُرديه من الحوادث؛ لأنّ ذلك

---

(١) النساء: ٥٩.
(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٨٦ ـ ٤٨٧، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات.
(٣) رقمه ٣٥، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٣.
(٤) المصدر الأخير.

مشتق من العقل: المنع، وإنّما فسّرت بالحصون؛ لقول ابن الأثير: وفي حديث ظبيان: «إنّ ملوك حمير ملكوا معاقل الأرض وقرارها».

وقد عرفت أنّ اشتقاقها من العقل بمعنى المنع؛ ولأجله يسمّى العاقل عاقلاً؛ لأنّه يمنعه عمّا لا يُحمد عقباه. وقد تناوله القرآن والحديث وما لكلمة العقل والعاقل من حقيقة في غضون أبحاث الكتاب، منه (اعقل وتوكّل)[1].

قوله عليه السلام: «وأعلاماً تهتدون بها».

واحد الأعلام العَلَم، شبّه ـ روحي فداه ـ الأئمّة المعصومين وهو خاتمهم عليهم السلام بالعلامات المنصوبة على رؤوس الطرق والسُّبل الّتي يهتدي بها التائهون، والجاهلون، كذلك الأئمّة الهداة هم العلامات والأعلام؛ ومن هنا جاء تمثيلهم بالنجوم، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا إنّ مثل آل محمّد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء»[2]. ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[4] تصريح بأنّ بها الاهتداء ووجوه أُخرى لا يخفى.

* * *

---

(١) النهاية ٣ / ٢٨١ ـ عقل ـ موسوعة أمثال العرب ٤/٥٣٥.

(٢) شرح النهج ٧ / ٨٤، الخطبة ٩٩، مصادر النهج ٢ / ١٩٨، رقمها ٩٩.

(٣) النحل: ١٦.

(٤) الأنعام: ٩٧.

١٦٢
جعل هذا الحمل الّذي له وارثاً

دعاء الإمام المهديّ عليه السلام بأن يرزق القاسم بن العلاء ولداً يرثه، واستجاب الله تعالى دعاءه، لمّا طلب منه في أربعة كتب وجّهها إلى الناحية العامرة، وكم له من دعوة مستجابة في المال والولد وقضاء الحوائج، وإليك صورته الكاملة بلفظ الطبري الإماميّ، قال :

أخبرني أبو الفضل محمّد بن عبد الله، قال: أخبرني محمّد بن يعقوب، قال: قال القاسم بن العلاء: كتبت إلى صاحب الزمان ثلاثة كتب في حوائج لي أعلمته أنّني رجل قد كبر سنّي وأنّه لا ولد لي، فأجابني عن الحوائج ولم يجبني عن الولد بشيءٍ، فكتبت في الرابعة كتاباً وسألته أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً، فأجابني وكتب بحوائجي «اللّهمّ ارزقه ولداً ذكراً تقرّبه عينه، وجعل هذا الحمل الّذي له وارثاً».

فورد الكتاب وأنا لا أعلم أنّ لي حملاً، فدخلت إلى جاريتي فسألتها عن ذلك فأخبرتني أنّ علّتها قد ارتفعت، فولدت غلاماً، ببركة دعائه المستجاب، وبها ولد الشيخ الصدوق الآتي في موضعه. ولا يشاء شيئاً إلّا بعد إشاءته جلّ جلاله، «إذا شاء شئنا»[1].

«جعل هذا الحمل...» يراد به الدعاء بالجعل. ويحتمل في الأصل «اجعل» وإنّما ذكرت الحديث بكامله لحصول العلم به، واشتماله على الإلحاح في الطلب؛ فإنّ القاسم بن العلاء لم يقتنع بكتاب واحد حتّى وجّه كتباً أربعة قد فاز بحوائجه، وبالولد الذكر وهو الحسن بن القاسم الّذي أخبر عجّل الله فرجه ببقائه بعد موت أولاد أبيه كما صرّح بذلك كلّه في حديث آخر:

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٨٦، سَبَقَ ما رقمه ١٤١، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف.

قال الشيخ الكليني: القاسم بن العلاء، قال: ولد لي عدّة بنين، فكنت أكتب وأسأل الدعاء فلا يكتب إليّ لهم بشيءٍ، فماتوا كلّهم. فلمّا ولد لي الحسن ابني كتبت أسأل الدعاء فأُجبت: يبقى، والحمد لله[1].

ولعلّ الطبري يريده بحديثه المتقدّم وبكتبه الأربعة قوله: فكنت أكتب، وأسأل الدعاء، وسيأتي الكلام حول كلمات مختارة[2]. إنّه المالك الوهّاب ﴿*لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ...*﴾[3] صورها الأربع: الإناث، الذكور، كلتاهما، والعقيم، ولعلّ الافتتاح بالأُناث دليل الأرجحيّة، وقد يقال: لا دلالة إلّا مع القرينة المفقودة نعم يمكن أن يكون به الإيماء إلى الصُنع الجاهلي من وأدهنّ وهنّ أحياء على أيّ تقدير. إنّ دعاء الحجّة عليه السلام استجيب، فوهب الله تعالى للقاسم بن علاء الحسن، وقد قام بعد أبيه مقامه ووكيلاً للناحية وقد حسن حاله بعد أُمور ضبطها التاريخ كلّ ذلك بمشيئته وإرادته جلّ وعلا.

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١ / ٥١٩، باب مولد الصاحب عليه السلام، الحديث ٩.

(٢) منها «اللّهمّ ارزقه ولداً ذكراً...» رقمه ٣٣٩، و«يبقى» رقمه ٤٩٠. والقاسم بن العلاء من أهل آذربيجان، ومن الوكلاء الّذين رأوه عليه السلام، صرّح الصدوق بذلك كلّه في إكمال الدين ٢/٤٤٤، باب ٤٣.

(٣) الشورى: ٤٩ ـ ٥٠.

١٦٣
جفّت منها الضروع وتلفت منها الزروع

من دعاء العبرات الّتي علّمها عليه السلام السيّد الآوي في قصّة له تقدّمت عند «إنّ القلوب كاعَتْ فَطَنّها»[١]. ومنه: «اللّهمّ إنّي أسألك ياراحم العبرات، ويا كاشف الزّفرات... أسألك نظرةً من نظراتك رحيمة تُجلىٰ بها ظلمة عاكفة مُقيمة في عاهة جَفَّتْ منها الضّروع، وتَلَفَتْ منها الزّروع، وانهلّت من أجلها الدُّموع...»[٢].

من إحدى النُّسختين المرويّتين في مهج الدعوات للسيّد رحمه الله، المُسبق إحداهما في قصّة السيّد الآوي رضي الله عنه المتقدّم عند «انظره تجده»[٣] وفقرة «وانهملَتْ ...» لم تكن في النسخة الأُخرى.

وكيف كانت النسخ فإنّ هذا الدعاء بطريقيه من الأدعية الهامّة الّتي يكشف عن الداعي بها الضرّ، والمهمّات، كما كشف الله عن السيّد الآوي ونجّاه من طاغية زمانه، ومن الهلكة، وكذلك عن كلّ من يدعو بها.

«الضروع» واحدها الضرع لكلّ ذات ظلف أو خفّ كالثدي للمرأة وقولهم: «لا سهم للضَرَع» محرّكة: هو الصغير الّذي لا يصلح للركوب أو الضعيف[٤].

قال ابن فارس: (ضرع) الضاد والراء والعين أصل صحيح يدلّ على لين في الشيء، من ذلك ضَرَع الرجل: إذا ذلّ، ورجل ضَرَعٌ: ضعيف، قال ابن وَعْلة:

أناةً وحلماً وانتظاراً بهم غداً فما أنا بالواني ولا الضَرَع الغُمْرِ

ومن الباب ضَرْع الشاة وغيره، سمّي بذلك لما فيه من لِين، ويقال: أضرعت

---

(١) رقمه ١١٣.
(٢) المهج ٣٤٢ ـ ٣٤٣.
(٣) رقمه ١٠٠، البحار ٥٣ / ٢٢٢ ـ ٢٢٥.
(٤) مجمع البحرين ٤ / ٣٦٤ ـ ضرع ـ.

الناقه. إذا نزل لبنُها عند قرب النتاج[١].

وجفاف الضروع كناية عن الجدَب المكنّى عنه بالعاهة المظلمة العاكفة: يقابله الخصب ولا سيّمابنزول الغيب النازل في أوانه وزمانه. قوله: «وتلفت منها الزروع». فيه دلالة واضحة على قلّة المياه وزمن الجدَب، التالفة معها الزروع جمع الزرع، وهو ما استنبت بالبذر، ومنه حصدت الزرع أي: النبات، قال بعضهم: ولا يسمّى زرعاً إلّا وهو غضّ طريّ، قاله الشيخ الطريحي، ثمّ قال: وفي الحديث عن يزيد بن هارون الواسطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الفلّاحين ؟

فقال: «هم الزرّاعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحبّ إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبيّاً إلّا زرّاعاً إلّا إدريس عليه السلام فإنّه كان خيّاطاً»[٢].

صادقي نبوي: «أيّ المال بعد البقر خير ؟ قال: الراسيات في الوَحل، والمطعمات في المحل[٣]، نِعم الشيءالنخل، مَن باعه فإنّما ثمنه بمنزلة رمادٍ على رأس شاهقة اشتدّت به الريح في يوم عاصف إلّا أن يخلف مكانها»[٤]. ذكرناه في الأمثال[٥]. وفي صادقي: «إنّ جعل أرزاق أنبيائه في الزرع والضرع كيلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء»[٦]. قوله: «وانهلّت من أجلها الدموع» من عيون الأنام والأنعام من قولهم: انهلّت السماء بالمطر: اشتدّ انصبابه مع صوت[٧]، ويطلق على مطلق الانصباب من مطر أو دمع أو غير ذلك.

والمراد من هذه الكلمات: جفاف الضروع، وتلف الزروع، وصبّ الدموع.

* * *

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ضرع ـ.

(٢) مجمع البحرين ٤ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ زرع ، الوسائل ١٢ / ٢٥، باب ١٠، استحباب الغرس والزرع من أبواب مقدّمات التجارة، الحديث ٣.

(٣) الجدب والشدّة وانقطاع المطر، مجمع البحرين ٥ / ٤٧٢ ـ محل ـ

(٤) الوسائل ١٣ / ١٩٢، الحديث ١، الباب ١.

(٥) الأمثال النبويّة ١ / ٤٣٤، الرقم ٢٧٧.

(٦) الوسائل ١٣ / ١٩٣، الحديث ١ و٢، الباب الثاني استحباب الزرع.

(٧) نهاية ابن الأثير ٥ / ٢٧٢ ـ هلل ـ.

١٦٤

جمع الله لك ولإخوانك خير الدنيا والآخرة

من دعوات الإمام المهديّ عليه السلام الجامعة حسب طلب محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري منه كما يأتي بيانه، وفي آخر كلام صادر عن الناحية المحفوفة بالتقديس تجده مع الدعاء. وتقدّمت الإشارة إلى كتبه الأربعة الّتي وجّهها إليها، والجوابات الخارجة عنها عند المختار: «جاد الله عليه بما هو جلّ وتعالى أهله»[١]، وأنّها بكلمة (التوقيع)، أو(الجواب)، أو (أجاب)، كما وسبق هناك عدد كلّ ذلك، والمجموع كان أربعة وستين جواباً عن مسائل كثيرة أكثرها فروع شرعيّة تمسّ الدين ممّن قبله من المؤمنين والرجل ممّن نال الفوز بيمن المبادلة معه عجّل الله فرجه من طريق الكتابة ورؤية التوقيعات، ولربط المختار بأحدها ما يلي:

(نسخة الدرج)[٢] مسائل محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري: «بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاءك، وأدام عزّك ـ إلى أن قال: ـ

وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٣]، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله المعنيّ به ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[٤] ما هذه القوّة؟ ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٥] ماهذه الطاعة ؟ وأين هي ؟ فرأيك ـ أدام الله عزّك ـ بالتفضّل عليّ، بمسألة من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل، وإجابتي عنهامُنعماً مع ما تشرحه لي من أمر محمّد بن الحسين بن مالك المتقدّم ذكره[٦] بما يسكن إليه، ويعتدّ بنعمة الله عنده، وتفضّل عليّ بدعاء

---

(١) رقمه ١٥٩.

(٢) أي نسخة الكتاب المدرج المطوي الّذي كتبه أهل قم، وسألوا عن بيان صحّته؟ فكتب عليه السلام «أنّ جميعه صحيح» انظر البحار ٥٣ / ١٥٤، وهامش كتاب غيبة الشيخ الطوسي: ٢٢٩.

(٣) التكوير: ١٩. (٤) التكوير: ٢٠. (٥) التكوير: ٢١.

(٦) لعلّ المراد بقوله: المقدّم ذكره في كتابه.

جامع لي، ولإخواني للدنيا والآخرة، فعلتَ مثاباً إن شاء الله تعالى.

التوقيع :

«جمع الله لك ولإخوانك خير الدنيا والآخرة»[١].

والّذي يربط المختار هو سؤال الحميري الدعاء بدعاء جامع له، ولإخوانه من الإمام المهديّ عليه السلام وقد أجاب إلى طلبته، فدعا روحي فداه له ولإخوانه بدعاء جامع لخير الدارين، وذلك تعليم للشيعة كلّهم إذا دعوا أن يدعوا بدعاء جامع كما هو المأثور: «إذا دعا أحدٌ فليعمّم...»[٢]، وأمّا سؤاله عن الآيات الآنفة الذكر من سورة التكوير[٣] فلم أعثر على جواب له عليه السلام في هذا التوقيع الصادر.

نعم، قد روى عليّ بن إبراهيم، قال: حدّثنا جعفر بن أحمد، قال: حدّثنا عبد الله ابن موسى، عن الحسين بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن وائل عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، قال: «يعني جبرئيل».

قلت: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ـ قال: ـ «يعني رسول الله صلى الله عليه وآله هو المطاع عند ربّه، الأمين يوم القيامة...»[٤].

محمّد بن الحسين بن مالك:

في نسخة غيبة الشيخ الطوسي طاب ثراه[٥] وكذا البحار[٦] كما صدّرناه، وأمّا الاحتجاج[٧] فالمذكور هو: «ما تشرحه لي من أمر عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك»[٨].

وهل: «المراد به الأوّل، أو هما اثنان ؟ أو أنّ نسخة الشيخ هي المعتمدة

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٢٩ ـ ٢٣٢، الاحتجاج ٢ / ٣٠٣، البحار ٥٣ / ١٥٣.

(٢) البحار ٩٣ / ٣١٣ وفيه «إذا دعا أحدٌ فليعمّ؛ فإنّه أوجب للدعاء، ومن قدّم أربعين رجلاً من إخوانه...»والحديث نبوي.

(٣) الآية: ١٩ ـ ٢١.

(٤) تفسير القميّ ٢ / ٤٠٨، تفسير البرهان ٤ / ٤٣٤، تفسير نور الثقلين ٥ / ٥١٨.

(٥) تفسير الصافي ٢ / ٧٩٢.

(٦) الطبع الحديث .

(٧) المطبوع في النجف الأشرف. بمطبعة النعمان سنة ١٣٨٦ هـ .

(٨) الاحتجاج ٢ / ٣٠٣.

والاحتجاج المطبوع مغلوط بدليل نقل الشيخ المجلسي عنه بما وافق النسخة المذكورة، وعليه فمن هو محمّد بن الحسين بن مالك ؟.

وعلى كلّ تقدير، لم أظفر بترجمة لها، سواء أكان عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك، أم محمّد بن الحسين بن مالك، فالرجل كان بين الحميري والإمام المهديّ عليه السلام معهوداً، ومن المحتمل قريباً أنّ الرجل هو أحد المدّعين للنيابة؛ فإنّه حين ذاك قد كثر ادّعاء البابيّة الباطلة، ولا زال في غُضُون العصور القادمة.

* * *

١٦٥
جناح البعوضة أرجح منه

«قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه...»[(١)].

تقدّم ذكر التوقيع بأسره عند «آبائي من الأوّلين: آدم ونوح...»[(٢)]، وبعضه عند «آذانا جهلاء الشيعة...»[(٣)]، و«جعلتُ هذا التوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك»[(٤)]، والشروح المذكورة فيها تمسّ الموضوع بالذات.

قوله عليه السلام: «ومَن دينه جناح البعوضة أرجح منه» من الأمثال المضروبة للشيء التافه، وللأمر الحقير الّذي لا يلتفت إليه، وسبق المختار: «أهون عليك من جناح بعوضة»[(٥)]، وقد أراد الإمام المهديّ عليه السلام من التمثيل بالبعوضة وجناحها بيان طاقة الفاقدين الّذين من الشيعة وغيرهم، بأن لو كان لها ذلك لكان دينهم أنزل من ذلك، فهم والبعوضة في الحقارة سواء، بل أسوأ، ولا وزن لهم عند الله ولا عند عقلاء الإسلام، وسلك روحي فداه في التمثيل بذلك مسلك القرآن، وأحاديث أهل بيته عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا...﴾[(٦)].

فسّرنا الآية في كتاب البصائر في آيات الأمثال والنظائر[(٧)].

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «لو أنّ الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب

---

(١) الاحتجاج ٢ / ٢٨٩، البحار ٢٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.
(٢) رقمه ٢.
(٣) رقمه ٧.
(٤) رقمه ١٦٠.
(٥) رقمه ١٢٤.
(٦) البقرة: ٢٦.
(٧) مخطوط.

ما سقى الكافر منها شربة من ماء»[١].

وقال الشاعر في ذلك:

إذا كان شيء لا يساوي جميعُهُ جناحَ بعوض عند من كنتَ عبدهُ
وأشغل جزء منه كلّك ما الّذي يكون على ذا الحال قدرك عندهُ

قيل: ومعنى هوان الدنيا على الله تعالى: أنّه سبحانه لم يجعلها مقصودة فنفسها، بل جعلها طريقاً موصلة إلى ما هو المقصود بنفسه، وأنّه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء، وإنّما جعلها دار محنة وبلاء...[٢]. الأجلّ وأنبل بل لما هو أنبل.

وعن الإمام الحسن عليه السلام ما قاله في مناظرته مع رجالات من قريش، لَمّا أفضى به إلى المغيرة بن شعبة:

«وأمّا أنت يا مغيرة، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنّما مَثلك مَثل النَّحلة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإنّي طائرة عنك. فقالت النخلة: وهل علمتُ بك واقعة عليَّ فأعلم بك طائرةً عنّي»[٣].

يريد عليه السلام به الهوان والضعف، وأنّه لا يقع موقع الالتفات والإلفات. ولا شاهد في التمثيل إلّا على نسخة البعوضة المفقودة.

وأمّا الأُدباء فحدّث عن مَعْن ولا حَرج[٤]:

فمن كلماتهم: أضعف من بقّة، ومن بعوضة[٥] وأهون من ذباب[٦].

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٠٨، المجلس ٤١، مكارم الأخلاق: ٥٤٢، البحار ٧٧ / ٨١ ـ ٨٢، كنز العمّال ٣ / ٢١٣، الرقم ٦٢٠٨، ٦٢٠٩، مع اختلاف مّا في بعض ألفاظه.

(٢) حياة الحيوان للدميري ١ / ١٨١. فيه نسخة البعوضة، لا الشرح.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ٦ / ٢٩٣، وانظر المفاخرة ص ٢٨٥ ـ ٢٩٤ فيه.

(٤) مجمع الأمثال ١ / ٢٠٧ الرقم ١١٠٣، ومعن بن زائدة من أجواد العرب يضرب به المثل؛ موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٣ في هامشه عدّة مصادر.

(٥) المجمع، ص ٤٢٧، رقم المثل ٢٢٥٧، الموسوعة ٢ / ٤٥٨.

(٦) المجمع ج ٢ / ٤٠٩، الرقم ٤٦٣٤، حرف الهاء. الموسوعة ٣ / ٢٤٦.

وقال الدميري في أمثال البعوض: أعزّ من مخّ البعوض. وأضعف من بعوضة[١]، وقال: البعوض: دويبة. قال الجوهري: إنّه البقّ الواحدة بعوضة، وهو وَهَمٌ، والحقّ أنّه صنفان: وهو يشبه القراد لكن أرجله خفيفة، ورطوبته ظاهرة. والبعوض على خلقة الفيل إلّا أنّه أكثر أعضاء من الفيل، فإنّ للفيل أربع أرجل وخرطوماً وذَنَباً، وله مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة وخرطوم الفيل مصمت، وخرطومه مجوّف نافذ للجوف، فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم، وقذف به إلى جوفه...[٢]. للمتكلّم في التمثيل بالبعوض أهداف وتصاريف؛ إذ قد لا يريد به إلّا الضعة والهوان كما في النبويّ الآنف الذكر المضروب به المثل في هوان الدنيا، فيكون التمثيل بجناحه آكد، وقد يُهدف به عدم الإحساس لصغر حجمه وصغاره، ومنه المثل الحسني الّذي ضربه عليه‌السلام للمغيرة.

وثالثة يضرب به لفقد الإرادة وعدم الثبات والاستقلال كالهمج التابع المتمايل بميل الريح، وأنّه لا يستطيع المقاومة مثل البقّ والريح[٣].

وأُخرى يراد به المقدار، أو الثقل والوزن الموافق لمبدأ اشتقاقه وهو البعض من الكلّ، وقد جاء مثله في الذباب كما في صادقي: «أيتباكى الرجل في الصلاة ؟ فقال: بخٍ بخٍ ولو مثل رأس الذباب»[٤] فراجع المظانّ. فيمكن وجه التمثيل بها في الكاظمي عدم الاعتبار؛ لأجل أرجحيّتهما فدين الرجل لا اعتبار به ولا يسوىٰ شيئاً. ولايخفى أنّ التمثيل بأهونيّة جناح البعوضة في دعاء المصري[٥]، فلاحظ.

* * *

---

(١) نفسه، ص ٥٤، الرقم ٢٦٦٠، الموسوعة ٢ / ٥٢٠، في هامشه مصادر.

(٢) حياة الحيوان ١ / ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) الهمج ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم... وقيل: هو البعوض، النهاية ٥ / ٢٧٣ ـ همج ـ (باد و پشه) مثل فارسي.

(٤) الوسائل ٤ / ١٢٥١، الباب ٥ من أبواب قواطع الصلاة ح ٥.

(٥) مهج الدعوات ص ٢٩١.

باب الحاء

١٦٦
حدّث بها إخوانك من أهل الحقّ

الأمر بالتّحديث بمعجزة الإمام المهديّ عليه السلام الّتي شاهدها الأودي في المسجد الحرام، من فوائد التحدّث العلم بمحاسن كلامه روحي فداه ومتابعة الناس؛ إذ علموا بذلك التيقّظ من نوم الجهالة وفق الفطرة الّتي هي التوحيد والرغبة إلى اكتساب الفضائل.

إليك القصّة برواية الشيخ الطوسي رحمه الله، قال:

وأمّا ما روي من الأخبار المتضمّنة لمن رآه عليه السلام وهو لا يعرفه، أو عرفه فيما بعد فأكثر من أن تحصى، غير أنّا نذكر طرفاً منها.

أخبرنا جماعة، عن أبي محمّد هارون بن موسى التلّعكبري، عن أحمد بن عليّ الرازي، قال: حدّثني شيخ وَرَدَ الريّ على أبي الحسن محمّد بن جعفر الأسدي، فروى له حديثين في صاحب الزمان عليه السلام، وسمعتهما منه كما سمع، وأظنّ ذلك قبل سنة ثلاثمائة أو قريباً منها.

قال: حدّثني عليّ بن إبراهيم الفدكي، قال: قال الآودي[1]:

بينا أنا في الطواف قد طفت ستّة وأُريد أن أطوف السابعة، فإذا أنا بحلقة عن يمين الكعبة وشابّ حسن الوجه طيّب الرائحة هيوب ومع هيبته متقرّب إلى الناس.

---

(١) في إكمال الدين ٢ / ٤٤٤ باب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام، الحديث ١٨: «حدّثنا الأزدي» «الأودي» من أود: موضع بالبادية قاله ابن عمر... وخطّة بني أود من محالّ الكوفة... معجم البلدان ١ / ٢٧٧.

فتكلّم فلم أر أحسن من كلامه، ولا أعذب من منطقه في حسن جلوسه فذهبت أُكلّمه فزبرني الناس، فسألت بعضهم: مَن هذا ؟ فقال: ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، يظهر للناس في كلّ سنة يوماً لخواصّه فيحدّثهم ويحدّثونه.

فقلت: مسترشدٌ أتاك فأرشدني هداك الله.

قال: فناولني حصاة، فحوّلت وجهي، فقال لي بعض جلسائه: ما الّذي دفع إليك ابن رسول الله؟ فقلت: حصاة، فكشفت عن يدي، فإذا أنا بسبيكة من ذهب، وإذا أنا به قد لحقني فقال: «ثبتت عليك الحجّة[1] وظهر لك الحقّ وذهب عنك العمى أتعرفني؟ ـ فقلت: اللّهمّ لا ـ .

فقال المهديّ: أنا قائم الزمان، أنا الّذي أملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ إنّ الأرض لا تخلو من حجّة، ولا يبقى الناس في فترة أكثر من تيه بني إسرائيل، وقد ظهر أيّام خروجي، فهذه أمانة في رقبتك، فحدّث بها إخوانك من أهل الحقّ»[2].

عرفت آنفاً أنّ التحدّث له ظاهرته الجمال وحصول الكمال و الأهم الاتّجاه إلى وليّ الله الأعظم المُنقذ البشر الإمام الثاني عشر الّذي يملأ الدنيا أمناً وعدلاً بعد طول الخوف والجور والعمدة المعرفة به تعالى، لم تكن الفترة وتيه بني إسرائيل سوى أربعين سنة، قال تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [3] ***﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ...﴾ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّادَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾*** [4].

أُمر بنو إسرائيل بدخول الشام المعنيّة بها ***﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾*** فامتنعوا من الدخول بقولهم: ***﴿لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾*** فتاهوا في الأرض ـ مصر وفيافيها ـ أربعين

---

(١) رقم المختار ١٥٢.

(٢) كتاب الغيبة: ١٥٢ ـ١٥٣، وص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، الفصل الثالث، الرقم ٢٢٣ مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ١٤١١ هـ، إكمال الدين ٢/٤٤٤، الباب ٤٣.

(٣) المائدة: ٢٦.

(٤) سبقت: ٢١ و ٢٤.

سنة وحرّم عليهم الدخول إلى الشام جرّاء عصيانهم الله، وفي هذه الأمّة حذو النعل بالنعل حرّم عليها الدخول في الأمن لتمرّدها عليه تعالى وعلى أهل البيت عليهم السلام وفي النبويّ: «والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، حتّى لا تخطؤون طريقهم سُنّة بني إسرائيل»[١].

ولا أُريد تفسير الآيات فإنّ له موضعه، ولكن بيان التطبيق لغيبة المهديّ عليه السلام الّتي تاهت فيها الأمّة، وأنّ أمدها تيه بني إسرائيل، وقد عرفت أنّهم تاهوا أربعين سنة، ثمّ تابوا ودخلوها على ما جاء في تفسير قصّتهم[٢]، وقد مضت أربعينات من السنين والشيعة في تيه الغَيْبة الكبرى إلى أن يأذن الله تعالى اوليّه بالخروج والنجاة لأهل العالم. فماذا يريد عليه السلام بقوله: «ولا يبقى الناس في فترة أكثر من تيه بني إسرائيل، وقد ظهر أيّام خروجي...» ؟ ؟ والجواب:

إنّ بني إسرائيل بعد الأربعين سنة تابوا، وفي بعض الروايات أنّهم هلكوا في التيه ولم يسمح لهم بالدخول وإنّما دخلها أبناء الأبناء من بعدهم، ودخلوا الأرض المقدّسة، ولم تتب الأُمّة ـ خاصّة الشيعة ـ في الأربعين سنة من تيه الغَيْبة الأُولىٰ، ولا التالية لها من الأربعينات من السنين، ولعلّ المراد الأمر بهذا الإخبار يعني: عليكم بالتوبة والعود إلينا أيّها الناس فكونوا على الأقل مثل بني إسرائيل الّذين لم يكن تيههم أكثر من أربعين سنة، ولكنّ هذا التأويل لا يساعده. النبوي الآنف الذكر «لا تخطؤون طريقهم سُنّة، بني إسرائيل»؛ فإنّ تيههم لم يكن بأكثر من أربعين سنة، بينما في هذه الأُمّة الكثرة الكاثرة من مضيّ السنين وحتّىٰ سنتنا ويومنا بعد نحن في التيه ولم نخرج منه، وهذا جزاء من لم يرض بهم أئمّة، أولم ينهج مناهجهم ولم يأخذ منه الاشتياق كلّ مأخذ. ولله تعالى في الناس شؤون، وله البداء والقدرة المطلقة. فإن عادوا إليه تعالى بالانقطاع والتوبة عاد اليهم بالرحمة، ولردّ عليهم كلّ

---

(١) تفسير العيّاشي ١ / ٣٠٣، الرقم ٦٨ باقري نبوي تفسير الصافي ١ / ٤٣٤ يأتي في المختار رقمه ١٦٨، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٨، ومصادره.

(٢) نفسه ٣٠٦. ولكن فيه روايات تدلّ على هلاكهم في التية، فراجع.

شارد. وأظهره الله عاجلاً عجّل الله فرجه وينجّي به الله العباد والبلاد من أيدي الكفّار والأشرار، وينشر فيهم الأمن والعدل والسلام «اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تُعزّ بها الإسلام وأهله وتُذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة»(١).

في ظهوره عليه السلام البركات النازلة؛ ويشهد لها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢)، ولا يكون إيمان أهل القُرى وتقواهم بأسرهم إلّا في عصر الظهور. والتكذيب إنّما هو قبل قيامه عليه السلام فالبركات محتّمة لوجود الإيمان والتقوىٰ.

* * *

(١) من دعاء الافتتاح المقروّ في كلّ ليلة من شهر رمضان الإقبال للسيّد ابن طاووس ص ٦٠.
(٢) الأعراف: ٩٦، تفسير مجمع البيان ٤ / ٤٥٣، تفسير غرائب القرآن ٣ / ٢٩٣.

١٦٧
حدّث حديثك

كلمة من كلمات الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه قد قالها، في قصّة ملاقاة الشيخ حسين آل رحيم طاب ثراه إيّاه في جامع الكوفة، وإليك من كتاب (جنّة المأوى) للشيخ الميرزا محمّد حسين الطبرسي النوري المطبوع، الحكاية الخامسة عشر بكاملها قال الشيخ النوري نوّر الله تعالى ضريحه ما لفظه:

حدّث الشيخ الفاضل العالم الثقة الشيخ باقر الكاظمي المجاور في النجف الأشرف آل الشيخ طاب ثراه نجل العالم العابد الشيخ هادي، قال :

كان في النجف الأشرف رجل مؤمن يسمّى الشيخ محمّد حسن السريرة[1] وكان في سلك أهل العلم ذا نيّةٍ صادقة، وكان معه مرض السعال إذا سعل يخرج من صدره مع الأخلاط دمٌ، وكان مع ذلك في غاية الفقر والاحتياج لا يملك قوت يومه، وكان يخرج في أوقاته إلى البادية، إلى الأعراب الّذين في أطراف النجف الأشرف ليحصل له قوت ولو شعير، وما كان يتيسّر ذلك على وجه يكفيه مع شدّة رجائه، وكان مع ذلك قد تعلّق قلبه بتزويج امرأة من أهل النجف، وكان يطلبها من أهلها وما أجابوه إلى ذلك؛ لقلّة ذات يده، وكان في همّ وغمّ شديد من جهة ابتلائه بذلك، فلمّا اشتدّ به الفقر والمرض، وأيس من تزويج البنت عزم على ما هو معروف عند أهل

---

(١) مع البحار ٥٣ / ٢٤٠ ـ ٢٤٣، كما ستمعه مع تصحيح كلمات الحكاية المرويّة مع الجزم أنّ أسمه الشيخ حسين آل رحيم أو رُحيم، ونسخة المطبوع مع البحار مغلوطة، ويشهد لذلك تصريح النوري نفسه في كتابه (النجم الثاقب) ٣٦١ ـ ٣٦٣، الحكاية ٩٠، من ـ انتشارات علميّة إسلاميّة ـ المطبوع في ـ إيران، طهران ـ وتصريح تلميذه المرحوم المحدّث الثبت الحاج الشيخ عبّاس القميّ في (منتهى الآمال): ٣٢٥ ـ ٣٢٦، الحكاية ٢٢.

النجف من أنّه من أصابه أمر فواظب الرواح إلى مسجد الكوفة أربعين ليلة الأربعاء [كذا] فلا بدّ أن يرى صاحب الأمر عجّل الله فرجه من حيث لا يعلم ويقضي له مراده.

قال الشيخ باقر تَمَّتُّ: قال الشيخ محمد[1]: فواظبت على ذلك أربعين ليلة الأربعاء، فلمّا كان الليلة الأخيرة وكانت ليلة شتاء مظلمة، وقد هبّت ريح عاصفة فيها قليل من المطر، وأنا جالس في الدكّة الّتي هي داخل في باب المسجد وكانت الدكّة الشرقيّة المقابلة للباب الأوّل تكون على الطريق الأيسر عند دخول المسجد، ولا أتمكّن من الدخول في المسجد من جهة سعال الدم، ولا يمكن قذفه في المسجد وليس معي شيء أتّقي فيه من البرد، وقد ضاق صدري، واشتدّ عليَّ همّي وغمّي، وضاقت الدنيا في عيني، وأُفكّر أنّ الليالي قد انقضت وهذه آخرها، وما رأيت أحداً ولا ظهر لي شيء، وقد تعبت هذا التعب العظيم وتحمّلت المشاقّ والخوف في أربعين ليلة أجيء فيها من النجف إلى مسجد الكوفة، ويكون لي الإياس من ذلك.

فبينما أنا أُفكّر في ذلك، وليس في المسجد أحد أبداً، وقد أوقدت ناراً لأُسخّن عليها قهوة جئت بها من النجف لا أتمكّن من تركها، لتعوّدي عليها، وكانت قليلة جدّاً، إذا بشخص من جهة الباب الأوّل متوجّهاً إليَّ فلمّا نظرته من بعيد تكدّرتُ وقلت في نفسي: هذا أعرابيّ من أطراف المسجد، قد جاء إليَّ ليشرب من القهوة وأبقى بلا قهوة في هذا الليل المظلم، ويزيد عليَّ همّي وغمّي.

فبينما أنا أُفكّر إذا به قد وصل إليَّ وسلّم عليَّ باسمي وجلس في مقابلي، فتعجّبت من معرفته باسمي وظننته من الّذين أخرج إليهم في بعض الأوقات من أطراف النجف الأشرف، فصرت أسأله من أيّ العرب يكون ؟ قال: من بعض العرب؛ فصرت أذكر له الطوائف الّتي في أطراف النجف، فيقول: لا لا، وكلّما ذكرت له

---

(١) الصحيح قال الشيخ حسين كما في النجم الثاقب: ٣٦١، وقد تقدّم أنّ نسخة (جنّة المأوى) المطبوعة مغلوطة، فراجع، ويشهد له أيضاً تصريح المرحوم المحدّث القمّي كما سَبَقَ كلّ ذلك، ثمّ إنّ المشهور الرواح إلى المسجد السهلة والقضيّة اتّفقت في الكوفة، فتأمّل.

طائفة قال: لا لست منها.

فأغضبني، وقلت له: أجل أنت من طريطرة، مستهزئاً وهو لفظ بلا معنى، فتبسّم من قولي ذلك، وقال: لا عليك من أينما كنتُ، ما الّذي جاء بك إلى هنا ؟ فقلت: وأنت ماعليك السؤال عن هذه الأمور ؟ فقال: ما ضرّك لو أخبرتني ؟

فتعجّبت من حسن أخلاقه وعذوبة منطقه، فمال قلبي إليه، وصار كلّما تكلّم ازداد حبّي له، فعملت له السبيل من التتن وأعطيته، فقال: أنت اشرب فأنا لا أشرب؛ وصببت له في الفنجان قهوة وأعطيته، فأخذه وشرب شيئاً قليلاً منه، ثمّ ناولني الباقي وقال: أنت اشربه، فأخذته وشربته، ولم ألتفت إلى عدم شربه تمام الفنجان، ولكن يزداد حبّي له آناً فآناً.

فقلت له: يا أخي أنت قد أرسلك الله إليَّ في هذه الليلة تأنسني أفلا تروح معي إلى أن نجلس في حضرة مسلم عليه السلام ونتحدّث؟

فقال: أروح معك فحدّث حديثك.

فقلت له: أحكي لك الواقع، أنا في غاية الفقر والحاجة مذ شعرت على نفسي، ومع ذلك معي سعال أتنخّع الدم، وأقذفه من صدري منذ سنين، ولا أعرف علاجه، وما عندي زوجة، وقد علق قلبي بامرأة من أهل محلّتنا في النجف الأشرف، ومن جهة قلّة ما في اليد ما تيسّر لي أخذها، وقد غرّني هؤلاء الملّائيّة[1] وقالوا لي: اقصد في حوائجك صاحب الزمان، وبت أربعين ليلة الأربعاء في مسجد الكوفة، فإنّك تراه ويقضي لك حاجتك وهذه آخر ليلة من الأربعين، وما رأيت فيها شيئاً، وقد تحمّلت هذه المشاقّ في هذه الليالي، فهذا الّذي جاء بي هنا، وهذه حوائجي.

فقال لي وأنا غافل غير ملتفت: أمّا صدرك فقد برأ، وأمّا الامرأة فتأخذها عن قريب، وأمّا فقرك فيبقى على حاله حتّى تموت؛ وأنا غير ملتفت إلى هذا البيان أبداً.

فقلت: ألا تروح إلى حضرة مسلم ؟ قال: قم، فقمت وتوجّه أمامي، فلمّا وردنا

---

(١) من اصطلاحات أهل العراق. هامش البحار ٥٣ / ٢٤٢، جنّة المأوى المطبوع معه. والمراد أهل العلم.

أرض المسجد فقال: ألا تصلّي صلاة تحيّة المسجد، فقلت: أفعل، فوقف هو قريباً من الشاخص الموضوع في المسجد، وأنا خلفه بفاصلة، فأحرمت الصلاة، وصرت أقرأ الفاتحة.

فبينما أنا أقرأ وإذا يقرأ الفاتحة قراءة ما سمعت أحداً يقرأ مثلها أبداً فمن حسن قراءته قلت في نفسي: لعلّه هو هذا صاحب الزمان وذكرت بعض كلمات له تدلّ على ذلك، ثمّ نظرت إليه بعد ما خطر في قلبي ذلك، وهو في الصلاة وإذا به قد أحاطه نورٌ عظيم منعني من تشخيص شخصه الشريف، وهو مع ذلك يصلّي وأنا أسمع قراءته، وقد ارتعدت فرائصي، ولا أستطيع قطع الصلاة خوفاً منه فأكملتها على أيّ وجه كان، وقد علا النور من وجه الأرض، فصرت أندبه وأبكي واتضجّر وأعتذر من سوء أدبي معه في باب المسجد، وقلت له: أنت صادق الوعد وقد وعدتني الرواح معي إلى مسلم.

فبينما أنا أكلّم النور، وإذا بالنور قد توجّه إلى جهة مسلم، فتبعتُه فدخل النور الحضرة، وصار في جوّ القبّة، ولم يزل على ذلك ولم أزل أندبه وأبكي حتّى إذا طلع الفجر، عرج النور. فلمّا كان الصباح التفتّ إلى قوله: أمّا صدرك فقد برأ، وإذا أنا صحيح الصدر، وليس معي سعال أبداً وما مضى أُسبوع إلّا وسهّل الله عليَّ أخذ البنت من حيث لا أحتسب، وبقي فقري على ما كان كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين[1].

وهل تطبّق القصّة إلّا على الإمام المنتظر عجّل الله فرجه، وتشهد لذلك الشواهد الكائنة فيها؟ والشيخ حسين رحمه الله لم يُسمعنا بقصّته وراء مطالبه الثلاثة مطلباً آخر من طلب ازدياد المعرفة بالله عزّ وجلّ ومن علوم أهل البيت عليهم السلام، وهل كان الشيخ قد وهب له من قبل ذلك ولم تظهر لنا ظاهرته ؟ وكيف كان، لو لم يكن إلّا فوزه بيُمن لقاء الإمام المهديّ عليه السلام والنظر إلى النور المحمّدي لكان كثيراً.

---

(١) ولعلّ الصحيح «للصلاة» كتاب جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٤٠ ـ ٢٤٣، هو المسك ما كرّرته بتضوّع.

هـم النـورُ نـورُ الله جـلّ جـلالهُ ... هم التينُ والزيتون والشفعُ والوترُ
مـهابطُ وحـي الله خـزّانُ عـلمِهِ ... مـيامينُ فـي أبـياتهم نـزلَ الذكـرُ
وأسـماؤهم مكـتوبةٌ فـوق عـرشه ... ومكـنونةٌ مـن قـبل أن يُـخلقَ الذرُّ
ولولاهـم لم يـخلق الله آدمـاً ... ولا كان زيدٌ في الوجود ولا عمرو[1]

أبو يحيى المغربي:

يـا راكب الشـهباء تـعمل عـلبةً ... سَـلِّم عـلى قـبرٍ بسـامرّاء
قـبر الإمـام العسكـريّ وابـنهِ ... وسَـمّى أحـمدَ خـاتم الخُـلفاء

الحميري:

هُـم الأئـمّة بـعد المـصطفى وهـم ... مَـن اهـتدىٰ والنّـاس ضُـلّالُ
وإنّهم خـيرُ مـن يـمشيٰ عـلى قـدمٍ ... وهُـم لأحـمد أهـل البـيت والآلُ

الحسن بن ظريف، قال: اختلج في صدري أن اكتب إليّ أبي محمّد: أنّ القائم إذا قام بم يقضى؟ وأين مجلسه للقضاء؟... فجاء الجواب: سألت عن القائم إذا قام بالناس بم بقضى؟ بقضى بعلمه كقضاء داود لا يسأل عن بيّنة وأردت أن تسأل عن حمى الربع فاكتب في ورقة وعلّقها على المحموم: ﴿**يا نار كُونى بَرْداً وَسَلاماً على إبراهيم**﴾[2].

* * *

---

(١) عن (الطليعة) انظر: كتاب الغدير ٧ / ١٩.

(٢) مناقب ابن شهراشوب ٤٥٩/٤، ٤٦٣ ـ ٤٦٤ طبع بيروت، الأنبياء: ٦٩.

١٦٨
حذو النعل بالنعل

من كلمات التوقيع المبارك الصادر عن الناحية إلى العَمري وابنه رضي الله عنهما رواه سعد بن عبد الله.

قال الشيخ الصدوق: قال الشيخ أبوعبدالله جعفر[١] رضي الله عنه: وجدته مثبتاً عنه[٢] رحمه الله ـ أوّله ـ:

«وفّقكما الله لطاعته، وثبتكما على دينه، وأسعدكما بمرضاته، انتهى إلينا ماذكرتما أنّ الميثمي [الهيثمي خ] أخبركما عن المختار ومناظراته من لقي واحتجاجه بأنّه لا خلف غير جعفر بن عليّ وتصديقه ـ إلى قوله عليه السلام ـ:

إلى أن أفضى الأمر بأمرالله عزّ وجلّ إلى الماضي ـ يعني الحسن بن عليّ عليهما السلام ـ فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لا معاً، وقمراً زاهراً، ثمّ اختار الله عزّ وجلّ له ما عنده فمضى على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل على عهد عهده، ووصيّة أوصى بها إلى وصيّ ستره الله عزّ وجلّ بأمره إلى غاية، وأخفىٰ مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ...»[٣].

تقدّم التوقيع بتمامه عند «أعوذ بالله من العمىٰ بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدىٰ»[٤]، وبعضه عند «أقدار الله عزّ وجلّ لا تغالب»[٥]، وعند «إرادته لا تردّ»[٦].

---

(١) جعفر بن محمّد من مشائخ الصدوق، انظر معجم رجال الحديث ٤ / ١٠٨ و ١٢٠.

(٢) أي عن سعد بن عبد الله.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٥١٠ ـ ٥١١، باب ٤٥ من ذكر التوقيعات.

أقول: قد جاءت الكلمة المثليّة في كلام له عليه السلام رواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ١٧٣.

(٤) رقمه ٦٠. (٥) رقمه ٦٥. (٦) رقمه ٤٥.

قوله عليه السلام : «حذو النعل بالنعل»:

هذا من الأمثال السائرة، قال أبو هلال العسكري: (حذو النعل بالنعل، والقُذّة بالقُذّة) يضرب مثلاً في تشابه الشيئين، يقال: جزاءً حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة، أي: بمثل فعله وهو مثله حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة. والقذّة الريشة الّتي تركب على السهم، وسهمٌ أقذّ أي: لا ريش عليه، ومقذوذ مريش، وما أصبت منه أقذّ ولا مريشاً أي لم أُصب منه شيئاً، ونحو المثل قول الشاعر:

الناس مثل زمانهم ... قذّ الحذاء على مثالهْ
ورجال دهرك مثل دهـ ... ـرك في تصرّفهْ وحالهْ
فالبس أخاك على التصـ ... ـنّع والتفاوت من فعاله
فالطرف يكبو مرّة ... وهو الجواد على اعتلالهْ[١]

وقال الميداني بعد (حذو القُذّة بالقُذّة): أي مثلاً بمثل يضرب في التسوية بين الشيئين، ومثله (حذو النعل بالنعل)[٢].

الزمخشري بعد (حذو القُذّة بالقُذّة): النابل يحذو كلّ ريشة على طرح صاحبتها، يضرب في المتماثلين[٣]. ويماثل الكلّ قولهم: (طابق النعل بالنعل) ذكرناه عند التكلّم عن المثل النبوي: «حذو النعل بالنعل، والقُذّة بالقُذّة»، وقلنا هناك: لعلّ مصدره المثل السائر المتقدّم الذكر[٤]، كما وتعرّضنا لنفس البحث عند المثل الرضوي أيضاً: «القُذّة بالقُذّة»[٥].

يريد الإمام المهديّ عجّل الله فرجه أنّ أباه أبا محمّد الماضي عليه السلام سار على منهج آبائه الطاهرين وحذا حذوهم، وكلّهم أنوار ساطعة وشهب لامعة، هداة مهديّون

---

(١) جمهرة الأمثال، المطبوع على حاشية مجمع الأمثال ١ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٤٧ ـ ٥٤٨، المجمع ١ / ١٩٥، الرقم ١٠٣٠ فيه المثلان.

(٢) سبق.

(٣) المستقصى: ٢ / ٦١.

(٤) الأمثال النبويّة: ١ / ٣٦١، رقم المثل ٢٣١، حرف الحاء مع الذال.

(٥) الأمثال الرضويّة: ٢ / ٤٨١، الرقم ١١٨.

ورحمة للناس جميعاً، إذا مضى أحد منهم قام آخر مقامه يهدي إلى صراط مستقيم، وحتّىٰ مضى الماضي قام المهديّ مقامه بوصيّةٍ منه إليه، قد ستره الله عزّ وجلّ عن الأبصار حتّى يأذن له تعالى بالخروج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً[١] ولو لم يبق من غمر الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يظهره للعالم كلّه كما جاء في النصوص[٢] التصريح به، لئلّا يتوهّم لطول الزمان أنّ العادة قاضية بعدم وجوده وحياته كما قالت بنو إسرائيل حين ذهب موسى لميقات ربّه أربعين ليلة أنّه لم يرجع ﴿*فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى*﴾[٣]. قوله عليه السلام: «ووصيّة أوصى بها إلى وصيّ ستره الله عزّ وجلّ بأمره إلى غاية، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ...» أراد به شخصه المستتر عن أعين الظالمين من الناس، ولولا ظلمهم الفاشي لظهر جهاراً للجميع مع نقبائه الثلاثمائة والثلاثة عشر[٤] وملائكة السماء الّتي هبطت عند ولادته عليه السلام، كما في الحديث العسكري: «...تلك ملائكة السماء نزلت لتتبرّك به وهي أنصاره إذا خرج»[٥]. وملائكة أُخرى، وجبرئيل أوّل خلق الله يبايعه[٦]، ليست هذه البيعة صدفة بل بأمرٍ من الله عزّ وجلّ وقد عبّر عنها ببيعة الله، نطق بها الوحي: ﴿*إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ...*﴾[٧].

* * *

---

(١) ذكرناه بتفصيل في كتابنا الأمثال النبويّة ٢ / ٣٦٧، رقم المثل ٦٥٤. قيل: القسط في القضاء وانحرافه الجور، وضد العدل الظلم.

(٢) البحار ٥١ / ٧٩ ـ ٨٠.

(٣) طٰه: ٨٦.

(٤) إكمال الدين ٢ / ٦٧٢ ـ ٦٧٣.

(٥) البحار ٥١ / ٥.

(٦) تفسير العيّاشي ٢ / ٥٦ ـ ٦١.

(٧) الفتح: ١٠، وأنّ بيعة جبرئيل لم تكن إلّا بأمر ربّه تعالى.

١٦٩
حرسك من كيد أعدائه

من دعاء الإمام المهديّ عجّل الله فرجه للشيخ المفيد طاب ثراه في ضمن كتابه الثاني إليه في يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّه سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

وقد تقدّم ذكر الكتاب عن آخره عند المختار: «إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك...»[1]، وبعضه عند «آية حركتنا من هذه اللوثة...»[2]، وبعضه عند «أيّدك بنصره»[3]، وبعضه عند «تبسل نفوس قوم حرثت باطلاً»[4].

قال عليه السلام فيه:

«وبعدُ فقد كنّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الّذي وهبه لك من أوليائه، وحرسك من كيد أعدائه...»[5]. دعاؤه مستجاب لتوفّر شروط الإجابة والله لايُخلف الميعاد.

قد تكرّر منه عجّل الله فرجه في هذا الكتاب الدعاء للشيخ المفيد رحمه الله ،وإن تنوّع متعلّقها بقوله عليه السلام : «فلتكن حرسك الله بعينه الّتي لا تنام ...»[6] أي: حفظك، ومنه قوله تعالى: ﴿مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيدًا وَشُهُباً﴾[7] أي حفظة من الملائكة شداد والحَرَس اسم مفرد بمعنى الحرّاس كالخدّام والخَدَم، ومنه الدعاء: «اللّهمّ احرسني من حيث احترس ومن حيث لا احترس»[8].

قال الفيض: ﴿حَرَساً﴾ اسم جمع ﴿شَدِيداً﴾ قويّاً وهم الملائكة الّذين يمنعونهم

---

(١) رقمه ١١٨. (٢) رقمه ١٠. (٣) رقمه ١٣١. (٤) رقمه ١٤٢.

(٥) الاحتجاج ٢ / ٣٢٤، البحار ٥٣ / ١٧٦. باب ماخرج من توقيعاته عليه السلام.

(٦) نفس المصدر الأوّل والثاني ص ١٧٧. (٧) الجنّ: ٨.

(٨) مجمع البحرين ٤ / ٦١ ـ حرس ـ.

عنها. ﴿وَشُهُباً﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولّد من النار[١] ولم تأت من هذه الكلمة في القرآن الكريم إلّا نفس الآية فهي لغة قرآنيّة معناها الحفظ الشديد، وعليه ذكر الشدّة تأكيد في الحراسة، ومنه الحديث العلوي: «حرس امرءاً أجلُه»، روى الشيخ الكليني عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام «أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط، فإنّه معور[٢] فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حَرَسَ امرءاً أجلُه. فلمّا قام سقط الحائط، قال: وكان أمير المؤمنين ممّا يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين»[٣]، يريد الإمام المهديّ عليه السلام في الموضعين الدعاء بحفظ الشيخ المفيد، وفي نفس الوقت يريد الإرشاد إلى أن يدعو الداعي منّا، وإلى كلّ من ماثل المفيد طاب ثراه من دعاة الدين، ولا ريب في استجابة دعائه عليه السلام ؛ ومن ثمّ كان الشيخ المفيد محفوظاً من كيد الأعداء ومعزّزاً، وبه إعزاز الإسلام والمسلمين، حتّى كان فقده يوماً عظيماً على أهل البيت عليهم السلام ، والمرويّة عنه عليه السلام الأبيات الّتي وجدت مكتوبة على قبره وهي:

لا صوّت الناعي بفقدك إنّه	يوم على آل الرسول عظيمُ
إن كنتَ قد غُيّبت في جدث الثرى	فالعدل والتوحيد فيك مقيمُ
والقائم المهديّ يفرحُ كلّما	تُليتْ عليك من الدروس علومُ[٤]

* * *

(١) تفسير الصافي ٢ / ٧٥١. (٢) معور: أي ذو شقق وخلل.

(٣) أُصول الكافي ٢ / ٥٨، الحديث ٥، باب فضل اليقين، وله عليه السلام: «كفى بالأجل حارساً» مصادر النهج ٤ / ٢٣٩، الرقم ٣٠٦، شرح النهج ١٩ / ٢١٢، رقمها ٣١٢، في معناه: «أحْرز أمرءً أجله موسوعة أمثال العرب ٢ / ١٣٠ وقيل: هذا أصدق مثل قالته العرب.

(٤) الكنى والألقاب ٣ / ١٩٩، هامش الاحتجاج ٢ / ٣٢١، ويأتي في حرف «لا» إن شاء الله تعالى. رقمه ٣٣٢.

١٧٠
حفظاً حفظاً لغرائس غرستها يد الرحمن

المختار من دعاء العبرات، وقد سبق القول حول ذلك، وقصّة السيّد رضي الدين الآوي، وتعليم الإمام المهديّ عليه السلام له الدعاء ونجاته به من طاغوت زمانه، فانظرها عند «انظره تجده»[١] تجدها بكاملها، وإليك ما يربط المختار به:

«...اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وحفظاً حفظاً لغرائس غرستها يد الرحمن، وشُرْبها من ماء الحيوان أن تكون بيد الشيطان تحَزُّ، وبفأسه تقطع وتُحزُّ...»[٢]. تجد الدعاء المشتمل على الكلام المصون عمّا يخالف الواقع، عليه طلاوة، و فيه حلاوة يلتذّ بها الداعي إذا دعا؛ تلذّذ الأولياء في روضات الجنّات أهل المعرفة، والعُبوديّة الخالصة لله جلّ جلاله وعمّ نوالُهُ.

كلمة «حفظاً حفظاً» جاءت للتأكيد في السؤال منه تعالى لحفظ الأعمال الصالحة عن السمعة والرياء، والطلب لاستمرار النعم وصونها عن الزوال بالكفر والفسوق، فيراد بالفقرة الأُولىٰ: «وحفظاً حفظاً لغرائس عرستها يد الرحمن...» كلّ جميل وصلاح والكلم الطيّب، والعمل الصالح يرفعه إليه تعالى، وصون ذلك كلّه عن تلاعب الشيطان، وبالثانية ما جزّه وحزّه وقطعه بالفسوق والعصيان. وفي الحقيقة هي فقرة واحدة لا ثنتان إلّا بالتحليل الالتزامي إلى كلّ جميل مصون، وإلى قبيح من عمل الشيطان في قبال غرس الطيّبات الّتي غرستها يد الرحمن....

وكلمة «أنّ تكون بيد الشيطان تجزّ...» متعلّقة بكلمة «حفظاً...» أي: يا ربّ

---

(١) رقمه ١٠٠.

(٢) مهج الدعوات: ٣٣٩ ـ ٣٤٢، جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣/٢٢٣، البلد الأمين ٣٣٣.

امنع الشيطان من قطع أُصول العبادة والعمل الصالح وحزّها وجزّها بوساوسه وتسويل النفس الأمّارة.

الحزّ والجزّ: القطع ومنه حديث ابن رواحة: «إنّا إلى جزّاز النحل» بزايين، يُريد به قطع التمر وأصله من الجزّ وهو قصّ الشعر والصوف[١].

قال الشيخ الطريحي: في الحديث: «كان أبي يخفي رأسه إذا جزّه» وهو من الجزّ: القطع. يقال: جززت الصوف والفجل أجُزّه جزّاً: إذا قطعته وأخذته بالمِجَزّ ـ بكسر الميم وفتح الجيم ـ وقوله: «يخفي رأسه إذا جزّه» أراد شدّة المبالغة في الجزّ. والجزاز كالجذاذ ـ بالفتح والكسر ـ إلّا أنّ الجذاذ خاص في النخل[٢]، والجزاز فيه وفي الزرع والصوف والشعر ـ قاله في المغرب.

والجُزازة ـ بالضمّ ـ ماسقط من الأديم إذا قطع. ومنه حديث الباقر عليه السلام «مَن أخذ من أظفاره وشاربه كلّ جمعة، وقال حين يأخذ: «بسم الله وبالله وعلى سُنّة محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله، لم يسقط منه قلامة ولا جُزازة إلّا كتب الله له بها عتق نسمة، ولم يمرض إلّا مرضه الّذي يموت فيه»[٣].

والحزّ: القطع. ومنه الحزّة وهي القطعة من اللحم وغيره. وقيل الحزّ: القطع في الشيء من غير إبانة. يقال: حززت العود أُحزّه حزّاً. ومنه حديث ابن مسعود: «الإثم حَوازّ القلوب».

هي الأُمور الّتي تحزّ فيها، أي: تؤثّر كما يؤثّر الحزّ في الشيء وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفقد الطُّمأنينة إليها وهي بتشديد الزاي: جمع حازّ. يقال إذا أصاب مِرفق البعير طرف كِركِرته فقطعه وأدماه: قيل به حازّ «الإثم حوّاز القلوب» أي: يحوزها ويتملّكها ويغلب عليها، ويروى «الإثم حزّاز القلوب» بزايين الأُولىٰ مشدّدة، وهي فعّال من الحزّ[٤].

---

(١) نهاية ابن الأثير ١ / ٢٦٨ ـ جزز ـ.

(٢) وتمنع الاختصاص آية: ﴿فجعلهم جُذاذًا إلّا كبيراً لّهُمْ﴾ الأنبياء: ٥٨.

(٣) مجمع البحرين ٤ / ١٠٠٩ ـ حزز ـ.

(٤) نهاية ابن الأثير ١ / ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ـ حزز ـ.

الحزازة: وجع في القلب من غيظ ونحوه، والجمع حزازات.

قال الشاعر:

وقد ينبتُ المرعى على دِمن الثرى وتبقىٰ حزازات النّفوس كما هيا[1]

عن أبي عبيدة أنّه قال: ضَرَبه مثلاً لرجل يُظهر مودّةً وقلبه تعلّ بالعداوة. والحزّ واحد الحزوز في العود ونحوه. والحزّ القرض[2] إذا تبيّن ذلك فطبّق معنى الجزّ والحزّ على فقرة دعاء العَبَرات ولتذهب نفس السامع إلى كلّ مذهب ممكن من المعاني الّتي أشرنا إليها، وإنّ الدعاء المذكور بعضه يتطلّب مجالاً أوسع للتطبيق.

* * *

(١) البيت في معاني الأخبار ٣١٦ شاهداً على الدِّمن من المثل النبوي «إيّاكم وخضراء الدِّمن» أي المرأة الحسناء في منبت السوء الأمثال النبويّة ١ / ٢٧٢، الرقم ١٨١، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٢٩١، من قصيدة لأبي هذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابي الخارجي عدّتها رواها البغدادي الخِزانة ٢ / ٣٧٣، الشاهد ١٤٤.

(٢) مجمع البحرين ٤ / ١٥ ـ حزز ـ.

١٧١

حَفِظَ الله الحقّ على أهله، وأقرّه في مستقرّه

من كلمات الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الّتي أجاب بها عن كتاب أحمد بن إسحاق وعمّا في درجه الّذي سأل عن دعوى جعفر بن عليّ القيمومة بعد أخيه الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، وقد سبق بعضها عند «آتاهم من الدلائل الظاهرة، والبراهين الباهرة»[١]، و«أبى الله عزّ وجلّ للحقّ إلّا إتماماً»[٢]، و«إذا أذن الله لنا في القول ظهر الحقّ»[٣]، و«أمّا سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام ...»[٤]. هب أنّه في الكلمات المومئ إليها قد استوفى طرف منها فقد بقي أطراف لم نتعرّض لها أو لم نُؤدّ حقّها ممّا يلي:

«... فالتمس ـ تولّى الله توفيقك ـ من هذا الظالم ما ذكرتُ لك، وامتحنه، وسله عن آية من كتاب الله يفسّرها، أو صلاة فريضة يبيّن حدودها، وما يجب فيها، لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره[٥] ونقصانه، والله حسيبه، حَفِظ الله الحق على أهله، وأقرّه في مستقرّه...»[٦] ليس بين الله وعبده قرابة، وإنّما الغاية بيان الصالح من العباد وامتداحه، والطالح منهم وقدحه، ليُقْتدىٰ بالأوّل، ويُترك الثاني؛ لينتشر الصلاح، ويقبر ضدّه لم يُرسل الرسل إلّا للأمرين، قد أسلفنا القول حول جعفر بن عليّ بما لا يفتقر إلى التكرار[٧]، والمناسب هنا شرح قوله عليه السلام: «حَفِظ الله الحقّ على أهله، وأَقَرّه في مُستَقَرّه».

---

(١) رقمه ٣. (٢) رقمه ١١. (٣) رقمه ٣٢.

(٤) رقمه ٨١. (٥) العوار ـ بالفتح ـ: العيب.

(٦) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٦، باب وأمّا ما ظهر من جهته عليه السلام من التوقيعات.

(٧) «أمّا سبيل عمّي ...» رقمه ٨١.

ولا ريب أن حفظ الحقّ لأهله إنّما يتأتّى بعد إقراره في مستقرّه ومن المعلوم أن لا مقرّ له ولا مستقرّ إلّا أهله، ويمكن القول بمساواة حفظه مع إقراره المستمرّ وهو المقصود هنا بهذه الكلمة؛ لأنّ الحقّ المزال يصحّ سلب القرار عنه، وعليه فهما شيء واحد لا تقديم فيه ولا تأخير، ولكن ظاهر عطف إقراره في مستقرّه على حفظه لأهله يُعطي التغاير، ولعلّه الّذي قدّمناه من تقدّم الإقرار ثمّ الحفظ الّذي أشدّ منه؛ لأنّ حفظ العمل. أشدّ من العمل فعلى العبد المؤمن الإيمان بالله عزّ وجلّ أوّلاً، ثمّ الاستقامة عليه، ولعلّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١] وأُخرى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [٢]. ناظرة إلى ذلك وإلى الترتيب بالصميم.

قال الفيض: قيل أي: جمعوا بين التوحيد الّذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الأُمور الّتي هي منتهى العمل [٣]، والأمل، ونظمها الّذي أمر به الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال فيما أوصى به الحسنين عليهما السلام، ومن بلغه ذلك: «أُوصيكما وجميع وَلَدي وأهلي وَبلَغَه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم...» [٤].

* * *

(١) الأحقاف: ١٣.

(٢) فصّلت: ٣٠.

(٣) تفسير الصافي ٢ / ٥٥٥.

(٤) مصادر النهج ٣/٣٧٧، الوصيّة ٤٧، شرح النهج ١٧/٥، الرقم ٤٥.

١٧٢
حكمة بالغة فما تُغني النذر عن قوم لا يؤمنون

من حِكَم الإمام المهديّ عليه السلام المقتبسة من القرآن الكريم الّتي جاءت في صدر زيارته الصادرة عن الناحية الّتي رواها الشيخ الطبرسي، والعلّامة المجلسي طاب ثراهما قال الطبرسي:

وعن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري أنّه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدّسة ـ حرسها الله ـ بعد المسائل.

«بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون، [ولا من أوليائه تقبلون][١] حكمة بالغة فما تُغني النذر عن قوم لايؤمنون، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى، وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[٢]، السلام عليك يا داعي الله وربّاني آياته، السلام عليك يا باب الله وديّان دينه، السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقّه، السلام عليك يا حجّة الله ودليل إرادته، السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه...»[٣].

لم أُكمل الزيارة فليطلبها الزائر من المظانّ ومصدرها[٤]، والغاية المتوخّاة هنا شرح المختار المحتوي على كلمة الحكمة إذا شرحناها، وإن تكرّر كان تذكرة للعالم، وتبصرة للجاهل حكمة نافعة هي ضالة المؤمن يأخذها أين ما وجدها، ينتفع بها الجميع في الدنيا والآخرة.

---

(١) كما في نسخة البحار ١٠٢ / ٨١، ومن نسخة الاحتجاج ٢ / ٣١٥ ساقطة، دون الأوّل.

(٢) الصافّات: ١٣٠، تفسير نورالثقلين ٤/٤٣٢ في تفسيرها الأحاديث.

(٣) الاحتجاج ٢ / ٣١٥ ـ ٣١٦، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ١٠٢ / ٨١ ـ ٨٣، ٩٤ / ٣٦ ـ ٤٠، مع اختلاف ما.

(٤) المصدران لأوّلان.

واحدة الحِكم، المختلف تفسيرها حسب اختلاف العلوم وأنواعها. المذكورة في مقدّمة أكثر مؤلّفاتنا المثليّة الحكميّة، وأجمعها استقصاءً: (المختار من كلمات الإمام الكاظم وأمثاله وحكمه)[١].

جاءت الحكمة في القرآن بمفردها دون جمعها في عشرين موضعاً منه:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٢] ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٣] ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[٤] ﴿وَءَاتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٥] ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٦] ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٧] ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٩] ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[١٠] ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[١١] ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[١٢] ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾[١٣] ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[١٤] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[١٥] ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[١٦] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾[١٧] ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾[١٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[١٩] ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[٢٠].

وأمّا الحديث فحدّث عن مَعْنٍ ولا حَرَج[٢١]، لا تفقد الحكمة في الكتاب والحديث معناها اللغوي، واشتقاقها: الثبات والإتقان والمنع بناءً على الاشتراك المعنوي في الأجناس، دون اللفظي الّذي هو خلاف الأصل، والمجاز المصطلح، كما قرّر في موضعه، وعليه فتفسيرها فيها كما قال ابن الأثير:

---

(١) في ثلاثة أجزاء بيد الطباعة والتصحيح، إكماله بيدالله تعالى له الجمال والكمال.

(٢) البقرة: ١٢٩. (٣) البقرة: ١٥١. (٤) البقرة: ٢٣١. (٥) البقرة: ٢٥١.

(٦) البقرة: ٢٦٩. (٧) آل عمران: ٤٨. (٨) آل عمران: ٨١.

(٩) آل عمران: ١٦٤. (١٠) النساء: ٥٤. (١١) النساء: ١١٣.

(١٢) المائدة: ١١٠. (١٣) النحل: ١٢٥. (١٤) الإسراء: ٣٩.

(١٥) لقمان: ١٢. (١٦) الأحزاب: ٣٤. (١٧) ص: ٢٠.

(١٨) الزخرف: ٦٣ (١٩) الجمعة: ٢. (٢٠) القمر: ٥.

(٢١) مجمع الأمثال ١ / ٢٠٧، الرقم ١١٠٣، سبق هو والموسوعة لعلّه أكثر من مرّة.

كما قرّر في موضعه، وعليه فتفسيرها فيها كما قال ابن الأثير:

الحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، ومنه حديث صفة القرآن «وهو الذكر الحكيم» أي الحاكم لكم وعليكم، أو هو المحكم الّذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب ... وفيه: «إنّ من الشعر لحكماً» أي إنّ من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه... وفي الحديث «ما من آدميّ إلّا وفي رأسه حَكَمَةٌ» وفي رواية «في رأس كلّ عبد حَكَمَة، إذا همّ بسيّئة فإن شاء الله أن يقدعه بها قدعه» أي منعه.

الحَكَمَة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحَنَكه، تمنعه عن مخالفة راكبه، وَلمّا كانت الحَكَمة تأخذ بفم الدابة وكان الحَنَك متّصلاً بالرأس جعلها تمنع من هي في رأسه كما تمنع الحَكَمَة الدابّة[1].

فلو أتقنت النظر في موارد كلمة الحكمة تجدها لم تخل من معنى المنع عن الانحراف وأنّه من المتقن، ومنه النبوي: «الحكمة ضالّة المؤمن»[2]، والعلوي: «...فَخُذِ الحكمة ولو من أهل النفاق» قال الخطيب: رواها قبل الشريف جماعة منهم أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ٢ / ٢٤، والبرقي في كتاب (مصابيح الظلام) من كتب المحاسن ١ / ٢٣٠، وقال الوطواط في (الغرر والعرر): ص ٥٧، قالها لولده الحسن عليه السلام[3]. قد توسّعنا في حول كلمة (الحكمة) في بعض كتبنا المثليّة، الحكميّة دراسة معمّقة[4]، أقول: فيها من الأمثال النبويّة وغيرها.

* * *

(١) النهاية ١ / ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ حكم ـ، مجمع الأمثال ١ / ٢١٤، الرقم ١١٥٢.

(٢) الأمثال النبويّة: ١ / ٣٧٦، الرقم ٢٣٩، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٧٣، بحرص عليها.

(٣) البحار ٢ / ٢٠٥، شرح النهج ١٨ / ٢٢٩، الحكمة ٧٧، مصادر النهج ٤ / ٦٥ ـ ٦٦، رقمها ٧٩.

(٤) المختار من كلمات الإمام الكاظم وأمثاله وحكمه المقدّمة فيها الاصطلاح الفنيّ، وغيره.

١٧٣
الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله

دعاء عطاس عن الإمام المهديّ عليه السلام، ويجب اقتداء الناس بقوله وفعله وتقريره؛ لأنّها حجّة لهم سوى الخصائص النبويّة مثل فرض صلاة الليل، وتسعة أزواج للنبيّ صلى الله عليه وآله، وما شابه ذلك. وإليك ما يربطه برواية الشيخ الطوسي في الولادة، قال:

وروى علّان الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن الحسين بن عليّ النيشابوري الدقّاق، عن إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عليهما السلام، عن السيّاري، قال: حدّثني نسيم ومارية قالت: لمّا خرج صاحب الزمان من بطن أُمّه سقط جاثياً[1] على ركبتيه رافعاً سبّابته نحو السماء، ثمّ عطس فقال: «الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله عبداً داخراً لله غير مستنكف ولا مستكبر»[2].

ثمّ قال: «زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة، ولو أُذن لنا في الكلام لزال الشكّ» ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]. «إنّما يعرفُ الهدى بقلّة مَن يأخُذُه من الناس، فإذا سكتُّ فَأعْضوني؛ فإنّه لو جاء أمرٌ تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم...»... قال الأوّل:

لعمري أَيقظتَ من كان نائماً ۞ وَأَسْتَمعتَ مَن كانَتْ له أُذُنانِ[4]

---

(١) الجلوس على الركبة وأطراف الأصابع مجمع البحرين ١ / ٨١ ـ جثا ـ.

(٢) كتاب الغيبة: ١٤٧، إكمال الدين ٢ / ٤٣٠، باب ٤٢، الحديث ٥، مع اختلاف مّا، البحار ٥١ / ٤ نقلاً عنه.

(٣) الأنعام: ١٤٩، فسّرت بما في تفسير الصافي ١/٥٥٥، الكاظمي الرسل والأنبياء؛ والعقول.

(٤) أمالي الطوسي ٨ ـ ٩، طبعة قم، الجواب العلويّ لعبدالرحمن بن أبي ليلى المعترض عليه عليه السلام.

عودٌ على بدءٍ هنا جوانب من الكلام منها: ما أشرنا إليه عند «ألا أُبشّرك في العطاس»[١]، ومنها: ما يأتي عند «زعمت الظلمة...»[٢]، ومنها: عند «لو أُذن لنا في الكلام...»[٣]. خصائصهم عليهم السلام: أمّا النبي فمنها: تسع زوجات، ووجوب صلاة الليل... قالت حكيمة:... فصحتُ بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأَنْصرف فقال عليه السلام: «لا يا عمّتا بيتي الليلة عندنا؛ فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ، الّذي يُحيي الله عزّوجلّ، به الأرض بعد موتها» فقلت: ممّن يا سيّدي وليست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: «من نرجس لا من غيرها»، قالت: فوثبتُ إليها فقلّبتُها ظهراً لبطن فلم أر بها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلتُ، فتبسّم ثمّ قال لي: «إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأنّ مَثَلها مَثَل أُمّ موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى عليه السلام...» قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تقلب جنباً إلى جنب حتّى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسمّيت عليها فصاح [إليّ خ] أبو محمّد عليه السلام وقال: «اقرئي عليها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾،...»[٤].

٢ ـ النطق في بطن أُمّه:

وإليك من موضع قطع الحديث فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ، وسلّم عليَّ. قالت حكيمة: ففزعتُ لَمّا سمعتُ، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام «لا تعجبي من أمر الله عزّ وجلّ؛ إنّ الله تبارك وتعالى يُنطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجّة في أرضه كباراً»، فلم يستتمّ الكلام حتّى غُيّبت عنّي نرجس

---

(١) رقمه ٦٩. (٢) رقمه ٩٦. (٣) رقمه ٣٦٩.

(٤) للإمام المهديّ عجّل الله فرجه، فلا ينتقض بسقط جنين الزهراء عليها السلام، أو بستّة أشهر أقلّ الحمل للحسين كالنبيّ يحيى عليهما السلام، وليس معنى عدم التبيّن فقد مدّة الحمل، ولله تعالى في أوليائه شؤون وتصاريف، منها ـ والله العالم ـ أنّ الناظر لا يرى ذلك، أو غير ذلك من المعاني. إكمال الدين ٢ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨، الباب ٤٢ ما روى في ميلاد القائم عليه السلام.

فلم أرها كأنّه ضرب بيني وبينها حجاب، فعدوت نحو أبي محمّد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: «ارجعي يا عمّة؛ فإنّك ستجديها في مكانها».

٣ ـ النور الساطع منه إلى أُمّه: قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الّذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري.

٤ ـ السجود لله عند الولادة، والتشهد بالشهادات والإقرار بالنبوّة والإمامة :

وإذا أنا بالصبيّ عليه السلام ساجداً لوجهه، جاثياً على ركبتيه رافعاً سبّابته وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلّا الله [وحده لا شريك له] وأنّ جدّي محمّداً رسول الله، وأنّ أميرالمؤمنين» ثمّ عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه، ثمّ قال: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبّت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً»[١].

٥ ـ الصعود به إلى السماء بعد الولادة: وانصرفت ثمّ عدت وتفقّدته فلم أره، فقلت لأبي محمّد عليه السلام: ما فعل مولانا؟ فقال: «يا عمّة استودعناه الّذي استودعت أُمّ موسىٰ»[٢]. فلمّا كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام[٣].

وإلى الملتقى يا بقيّة الله في السّمٰوات والأرضين وحجّته على الخلق أجمعين، به وبآبائه عليهم السلام رُزق الوَرىٰ وبيُمنهم ثبتَت الأرض والسّماء إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثُغور والأطرف، الإمام يُحلّ حلال الله، ويُحرّم حرام الله ويُقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله ويدعو إلى سبيله[٤].

* * *

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٢) غيبة الطوسي: ١٤٢.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٤٢٩.

(٤) أُصول الكافي ١ / ٢٠٠، الحديث ١، باب نادر، في فضل الإمام وصفاته كتاب الحجّة.

١٧٤
الحمد لله كما يحبّ الله أن يُحمد

من دعاء العلويّ المصريّ الّذي علّمه عليه السلام فنجّاه الله من عدوّه بإهلاكه برواية السيّد ابن طاووس قصّته حتّى تكون داعية للداعين، قال :

أخبر أبو الحسن عليّ بن حمّاد المصريّ قال: أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمّد العلويّ، قال: حدّثني محمّد بن عليّ العلويّ الحُسينيّ المصريّ، قال: أصابني غمّ شديد ودهمني أمر عظيم من قبل رجل من أهل بلدي من مملوكه، فخشيته خشية لم أرج لنفسي منها مخلصاً، فقصدت مشهد ساداتي وآبائي صلوات الله عليهم بالحائر لائذاً بهم وعائذاً بقبورهم ومستجيراً من عظيم سطوة من كنت أخافه، وأقمت بها خمسة عشر يوماً وأتضرّع ليلاً ونهاراً، فتراءىٰ لي قائم الزمان ووليّ الرحمن عليه وعلى آبائه أفضل التحيّة والسلام، فأتاني وأنا بين النائم واليقظان فقال لي: «يابنيّ خفت فلاناً؟» فقلت: نعم، أرادني بكيت وكيت فالتجأت إلى ساداتي عليهم السلام أشكوا إليهم ليخلّصوني منه.

فقال لي: «هلّا دعوت الله ربّك وربّ آبائك بالأدعية الّتي دعا بها أجدادي الأنبياء صلوات الله عليهم حيث كانوا في الشدّة فكشف الله عزّ وجلّ عنهم ذلك؟» قلت: وبماذا دعوه به لأدعوه به ؟

قال عليه السلام : «إذا كان ليلة الجمعة فقم فاغتسل وصلّ صلاتك، فإذا فرغت من سجدة الشكر فقل وأنت باركٌ على ركبتيك وادع بهذا الدعاء مبتهلاً».

قال: وكان يأتيني خمس ليالٍ متواليات يكرّر عليَّ القول وهذا الدعاء حتّى حفظته وانقطع مجيئه ليلة الجمعة، فقمت واغتسلت وغيّرت ثيابي وتطيّبت وصلّيت

ماوجب عليَّ من صلاة الليل، وجثوت على ركبتي فدعوت الله تعالى بهذا الدعاء، فأتاني عليه السلام ليلة السبت كهيئة الّتي يأتيني، فقال لي: «قد أُجيبت دعوتك يا محمّد وقتل عدوّك، وأهلكه الله عزّ وجلّ عند فراغك من الدعاء...»[١].

ثمّ ذكر الدعاء أوّله: «ربّ من ذا الّذي دعاك فلم تجبه، ومن ذا الّذي سألك فلم تعطه... ـ وهو طويل إلى ـ والحمد لله كما يحبّ الله أن يحمد، والحمد لله عدد ما خلق...»[٢] والكلمة وإن كانت من دعاء الآباء والأجداد لكن إمضاؤه كأنّه القائل؛ ومن ثمّ إنشاد المثل الّذي هو للغير بحكم الإنشاء فيقال: تمثل عليه السلام بشعر فلان كذلك الإمضاء فافهم ولا تناقش.

وللحمد شرح متّسع الأطراف، ومنه المثل السائر: (الحمد مغنم) قال الميداني: (الحمد مغنم، والمذمّة مغرم) يضرب في الحثّ على اكتساب الحمد[٣]. والّذي أعرف من المثل أنّ ثناء الحامد سبب للحصول على عطاء المحمود في الماضي أو المستقبل؛ لأنّ الحمد ثناء المحمود بالجميل على الجميل سواءً أكان من فواضل أو فضائل.

ومن المثل السائر أيضاً: (حمداً إذا استغنيت كان أكرم) قال الميداني: يعني إذا سألت إنساناً شيئاً فبذله لك واستغنيت فاحمده واُشكره؛ فإنّ حمدك إيّاه أقرب إلى الدليل على كرمك[٤].

أقول: إنّ حمده دليل على القيام بما عليه في قبال إسداء اليد هذا بالقياس إلى الناس. وأمّا الخالق المكوِّن للحامد وما إليه من آثار، ومنها أدواته الّتي بها وفّق لشكره وحمده فإنّما هو دليل كرمه تعالى لا كرم الحامد إذ لا يملك إلّا ما ملّكه، ومنه تعالى كلّ النعم، والشكر والحمد منها فلابُدّ أن يشكره ويحمده إلى ما لا نهاية في المناجاة:

«فكيف بتحصيل الشكر وشكري إيّاك يفتقر إلى شكر، فكلّما قلت: لك الحمد، وجب عليَّ أن أقول لك الحمد»[٥].

---

(١) مهج الدعوات: ٢٨٠. (٢) نفسه: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٣) مجمع الأمثال ١ / ٢١٤، الرقم ١١٥٥، موسوعة أمثال العرب ٣ / ٥٨٦.

(٤) مجمع الأمثال ١/ ٢٠٢، الرقم ١٠٦٤، الموسوعة نفسها فراجع. (٥) البحار ٩٤/ ١٤٦.

ومن فضله تعالى أن جعل الاعتراف بالعجز عن الحمد حمداً والشكر شكراً وأثنىٰ عليه وأعطاه ثواب الحامدين والشاكرين على نعمه.

قال الشيخ المجلسي:

روي أنَّ داود عليه السلام لَمّا قال هذا التحميد أوحى الله تعالى إليه: أتعبت الحفظة، وهو «اللّهمّ لك الحمد دائماً مع دوامك، ولك الحمد باقياً مع بقائك، ولك الحمد خالداً مع خلودك، ولك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعزّ جلالك يا ذا الجلال والإكرام»[١].

ليس الحمد إلّا الثناء على الجميل بالجميل، وعليه فلا يكون مقصوراً على كلمة الحمد ومشتقاتها فالبسملة والتهليل وكلّ ما به التدليل على الثناء حمد ودعاء.

«خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي وهو لا إله إلّا الله ...».

سئل عطاء عن ذلك: كيف سمّاه دعاء وإنّما هو تمجيد وتقديس ؟ فقال: هذا أُميّة بن الصلت يقول في عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباءك ؟ إنّ شيمتك الحباءُ

إذا أثنىٰ عليك المرءُ يوماً ... كفاه عن تعرّضه الثناءُ

أفيعلم ابن جُدعان ما يُراد منه؛ ولا يعلم ربّ العالمين ذلك[٢] ابن كثير: في الصحيح أنّهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة فقالوا له كان يقري الضيف ويعتق ويتصدّق، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال: «إنّه لم يقل: يوماً من الدهر: ربّ اغفرلي خطيئتي يوم الدين» هذا وقد كان من الأجواد المشهورين أيضاً المطعمين في السّنين المُمحّلة، والأوقات المرملة.

البغدادي وعبد الله بن جُدعان التيمي القرشي من أجواد قريش في الجاهليّة ...[٣].

---

(١) البحار ٩٥ / ١٧٥.

(٢) جواهر الكلام ـ للشيخ الجواهري ـ ٧ / ٢٠٠ ـ ٢٠١. أُميّة بن صلت الشعر والشعراء ٣٠٠ ـ ٣٠٢، ديوانه ١٥٢ دراسة وتحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي دار الشؤون بغداد.

(٣) البداية والنهاية ٢ / ٢٧٠، الخزانة ٨ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧، الشاهد ٦٣٦ بذلك الكفاية.

ومن أدلّ شيءٍ بهذا الصدد السُّور القُرآنيّة المفتتح بالبسْملة سوى سورة التوبة المكمّلة في سورة النمل، المائة وأربع عشر مرّة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في السرّ والإعلان الإعلام بالرحمانيّة والرحيميّة عموماً لعامة الناس، وخصوصاً لمن يؤمن بالله، ودعوتهم في جميعاً كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] البسملة تشمل الكافر والمؤمن.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[2] أي للرحمة خَلَقَهُم بيان ثانٍ للبسملة.

* * *

(١) الأعراف: ١٥٦، تفسير نور الثقلين ٢ / ٧٧ ـ ٧٨ (تحجّرتَ واسعاً» النبوي أي الرحمة.

(٢) هود: ١١٩، انظر كتاب الاسم الأعظم أو معارف البسملة والحمدلة طبعة بيروت.

١٧٥
الحمد لله الّذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب

من تجديد العهود زيارة الحبيب المعهود؛ ومن أجله تعارف التزاور والزيـارة، ولعلّ التزاور خاصّ بالأحياء، والأخيرة بمن مضى منهم[١] وهي مـن النـعم الّـتي تحمد وتشكر. ودليل على استمرار المودّة والتبادل بين الأحبّة أحياءاً وأمواتاً؛ قال السيّد ابن طاووس طاب ثراه :

اعلم أنّ هذه الزيارة الّتي تأتي صفتها ليست متعيّنة لأوّل ليلة من الشهر، ولكنّها متعيّنة للشهر كلّه، فنذكرها في أوّل ليلة منه؛ لأنّه أوّل وقتها فـلا يـؤخّرها عـنه. رويناها بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر الطوسي رحمه الله فيما ذكره عـن ابـن [أبـي خ] عبّاس[٢] قال: حدّثني خير [خبير خ] بن عبد الله، عن مولانا يـعني أبـي القـاسم الحسين بن روح رضي الله عنه ، قال: زر أيّ المشاهد كنت بحضرتها في رجب تقول :

«الحمد لله الّذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب، وأوجب علينا من حقّهم ما قد وجب، وصلّى الله على محمّد المنتجب، وعلى أوصيائه الحجب...»[٣].

ثمّ المهمّ هنا بيان أمرين مرتبطين بهذه الزيارة المأثورة قراءتها في رجب.

الأوّل: هل هي صادرة عن ناحية الحجّة عليه السلام ؟ ولإثبات ذلك نذكر قول راويها الذاهب لكلّ احتمال جعل منه واختراع.

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه : فعدت إلى الشـيخ أبـي القـاسم بـن

---

(١) ومنه ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ التكاثر: ٢، مشتق من الزيارة لا التزاور.

(٢) في بعض النسخ (ابن عيّاش) كما في المصباح.

(٣) الإقبال: ٦٣١، البحار ١٠٢ / ١٩٥.

روح قدس الله روحه من الغد[1] وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأني فقال لي: يا محمّد بن إبراهيم لَئِن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أن أقول في دين الله عزّ وجلّ برأيي أو من عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، ومسموع عن الحجّة صلوات الله عليه وسلامه[2].

ترى التصريح العامّ في كلّ مقام أنّه لا يقول شيئاً يخصّ الدين، إلّا وهو ماسمعه من الإمام عليه السلام، والزيارة تخصّ الدين لا محالة.

وأنا أقول: من تدبّر في هذه الزيارة، وأعطى النصفة من نفسه وكان، ممّن له إلمام بكلمات أهل البيت، وأُنس بلحنها اطمئنّ أنّها منها بلا ترديد.

الثاني: هل تخصّ قراءتها بالمعصومين دون أبنائهم ؟ ذهب بعض السادة إلى الاختصاص لأمرين:

١ ـ أنّها مرويّة عن صاحب الأمر عليه الصلاة والسلام لما ذكرنا وعلمنا من حال النوّاب الأربعة والحسين بن روح خاصّة، من عدم اختراعهم لأمثال ذلك من عند أنفسهم، ولم تذكر عمّن عاصروا بعض آباء صاحب الأمر عليهم السلام فليست الزيارة صادرة سوى عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال .

٢ ـ أنّ في نفس الزيارة دلالة على الاختصاص؛ لما في ثناياها من العبارات المختصّة بهم عليهم السلام ، فلا يزار بها أبو الفضل، أو عليّ الأكبر، أو فاطمة المعصومة بقم، أو عبد العظيم الحسني بالري عليهم السلام[3]، نعم إذا قصدتهم عليهم السلام بالأصالة لا بأس بها.

---

(١) كان محمّد بن إبراهيم بالأمس عند ابن روح حاضراً وسمع الجواب عن سؤال الرجل عن أنّ الحسين عليه السلام وليّ الله وأنّ قاتله عدوّ الله فكيف يسلّط عدّوه على وليّه. وحاصل الجواب أنّه تعالى يفعل ذلك به لئلّا يتوهّم ربوبيّته. والحرّ تكفيه الإشارة كما قالوا.

(٢) إكمال الدين ٢ / ٥٠٨، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات، الحديث ٣٧، غيبة الشيخ الطوسي: ١٩٩، مع اختلاف مّا في اللفظ.

(٣) كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٤٥٢. وفي زيارة عبد العظيم الحسني «يامن بزيارته ثواب زيارة سيّد الشهداء يرتجي» كامل الزيارات: ٣٢٤. إشارة إلى التعميم.

أقول: هل الزيارة على أبناء الأئمّة عليهم السلام إلّا بأنّهم أبناؤهم؟ ويشهد لذلك أنّ الخطاب فيها بصيغة الجمع بمفرده ليس بجمعهم، وهذا أيضاً شاهد على أنّ الخطاب والسلام سلام عليهم عليهم السلام والله العالم.

وكان من الحاجة الماسّة بصلب الكلام ذكر تمام الزيارة لاشتمالها على بلاغة كلماتها ولكن لرعاية الاختصار جعلناه في عهدة المراجع الكريم. الوفّى بها.

* * *

باب الخاء

١٧٦
خذ بالثار إنّك جواد مكّار

جاء المختار في آخر قنوت الإمام الغائب عجّل الله فرجه، رواه السيّد ابن طاووس رحمه الله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً﴾[1] لولاها في القرآن لما كان يُصحّح الكلمة بصيغتها المبالغة سواء فُسّرت بأسرها بالكميّة أم الكيفيّة، أي آحاد المكر بالقياس إلى الماكرين، أو أشدّهم مكراً المعبّر عنه بالمكّار. ولربط المختار (قُنوت مولانا الحجّة عليه السلام ...) «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وأكرم أولياءك بإنجاز وعدك، وبلّغهم درك ما يأملونه من نصرك، واكفف عنهم بأس من نَصَبَ الخلاف عليك وتمرّد بمنعك على ركوب مخالفتك واستعان برفدك على فلّ حدّك، وقصد لكيدك بأيدك، ووسعته حلماً، لتأخذه على جهرة، وتستأصله على غرّة؛ فإنّك اللّهمّ قلت وقولك الحقّ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] وقلت: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[3]. وإنّ الغاية عندنا قد تناهت، وإنّا لغضبك غاضبون، وإنّا على نصر الحقّ متعاصبون، وإلى ورود أمرك مشتاقون، ولإنجاز وعدك مرتقبون، ولحلول وعيدك بأعدائك متوقّعون. اللّهمّ فأذن بذلك، وافتح طرقاته، وسهّل خروجه، ووطّئ مسالكه، واشرع شرائعه وأيّد جنوده وأعوانه، وبادر بأسك القوم الظالمين، وابسط سيف نقمتك على أعدائك المعاندين،

---

(١) الرعد: ٤٢.　(٢) يونس: ٢٤.　(٣) الزخرف: ٥٥.

وخذ بالثار؛ إنّك جواد مكّار»[١].

ذكرناه عن آخره؛ لأنّ المختار في آخره، ومنه سبق الذكر عند: «إنّا لغضبك غاضبون»[٢]، و«ابسط سيف نقمتك...»[٣]، وما نحن الآن بصدده قد أسمعناك تصحيحه بآية المكر.

قال الفيض: إذ لايؤبه بمكر دون مكره؛ فإنّه القادر على ما هو المقصود دون غيره. القمي قال: المكر من الله هو العذاب[٤] وعليه فـ«المكار» المعذِّب. وقد وُجّه التعبير بهذه الكلمة ومشتقّاتها بوجوه ذكروها في تفاسيرهم، لا مجال لإيرادها، مَن أرادها راجعها والله الموفّق، إذ جزاء المكر المكر تجانس، والغاية به الغلبة العذاب فافهم.

* * *

---

(١) مهج الدعوات: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) رقمه ١٠٩.

(٣) رقمه ١٣.

(٤) تفسير الصافي ١ / ٨٧٩ ـ ٨٨٠. وقد جاء من مشتقّ «المكر» في القرآن ٥٣ موضعاً.

١٧٧
خذ حذرك فإنّني أدّيت إليك

من كلام الإمام المهديّ يخبر عنه الباقر عليه السلام في خبر طويل تقدّم بكامله عند «انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم»[١]، وبعضه عند كلمة «اسكت يا فلان»[٢].

وفيه «ثمّ يقول لأصحابه: سيروا إلى هذه[٣] الطاغية، فيدعوه إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فيعطيه السفياني من البيعة سلماً، فيقول له كَلْب: وهم أخواله [ماخ] هذا ماصنعت؟ والله مانبايعك على هذا أبداً، فيقول: ماأصنع؟ فيقولون: استقبله؛فيستقبله، ثمّ يقول له القائم عليه السلام[٤]: خذ حذرك فإنّني أدّيت إليك، وأنا مقاتلك؛ فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويأخذ السفياني أسيراً، فينطلق به، ويذبحه بيده...»[٥].

وذلك بعد تجييشه الجيوش وإرساله جيشاً إلى العراق، والمدينة، وخسفهم بالبيداء والحروب الطاحنة بينهم، والتفاصيل مرهونة بموضعها.

ومنها الحديث النبويّ: «...ويحلّ جيشه الثاني بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيّام ولياليها، ثمّ يخرجون متوجّهون إلى مكّة، حتّى إذا كانوا بالبيداء بعث الله عزّ وجلّ جبرئيل فيقول: ياجبرئيل إذهب فأبِذهم؛ فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿*وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ*﴾[٦] ولا يفلت منهم إلّا رجلان، أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول:

وعند جهينة الخبر اليقين».

---

(١) رقمه ٩٩. (٢) رقمه ٥١.

(٣) كذا. (٤) الصحيح ما كتبناه، وفي الأصل صلى الله عليه وآله.

(٥) تفسير العيّاشي ٢ / ٦٠، الحديث ٤٩، المطول ص ٥٦ ـ ٦١.

(٦) سورة سبأ: ٥١. عقد الدرر في أخبار المنتظر عليه السلام: ٧٥ ـ ٧٦.

وجاء تفسيرهما في العلويّ: «... ويمضي أحدهما إلى المدينة وهـو بشـير، فيبشّرهم بما سلّمهم الله عزّ وجلّ منه، والآخر نذير فيرجع إلى السـفياني فـيخبره بمانال، قال :

* وعند جهينة الخبرُ اليقين *

لأنّهما من جهينة...»[1].

ولا شك أنّ بيت بني هاشم والسفياني تباغضا في الله لا يجمعهما جامع وهل يجتمع وليّ الله مع عدوّ الله ؟ وطفق العداء من اليوم الأوّل بين الرسول وأبي سفيان وعليّ ومعاوية، ويزيد والحسين علىٰ أولياء الله السلام وعلىٰ أعدائه اللعنة والعذاب المؤبّد المشدّد، لا انقطاع له، ولا أمد ولا مُحصاة.

قوله عليه السلام : «خذ حذرك» الحِذر: حالة في الإنسان يدفع معها ما يحذر منه من محاذير ترد على الأنفس والأموال وغيرها، وجاء من الكلمة وبعض مشتقّاتها في الكتاب والحديث الشيء الكثير.

قال الشيخ الطريحي :

قوله تعالى: ﴿خذوا حِذرَكُم﴾ [٤ / ٧١] أي: خذوا طريق الاحتياط، واسلكوه واجعلوا الحذر مَلَكة في دفع ضرر الأعداء عنكم. والحَذَر والحِذْر بـمعنى واحـد كالأثر والإثر. وعن الباقر عليه السلام «الحذر السلاح».

قال الطبرسي: وهو أصحّ؛ لأنّه أوفق بقياس كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف أي: آلات حذركم[2].

---

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر عليه السلام: ٩٢ـ٩٣.

وصدر البيت في مجمع الأمثال ٢ / ٣ـ ٥ رقم المثل ٢٣٨٣ حرف العين، هكذا:

* تسائل عن حصينٍ كلّ رَكْبٍ *

وأنظر بقيّة مصادر المثل في هامش عقد الدرر، ص ٧٦ وموسوعة أمثال العرب ٤ / ٣٩٠ـ ٣٩١، الأمثال والحكم للرازي ص ٧٣، الفاخر ١٢٦، الرقم ٢٢٣ وبيان مضربه.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ / ٧٣.

وأورد عليه أنّه في غير هذه الآية عطف السلاح على الحِذر[1] وهو يقتضي المغايرة... وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وإنّا لجميع حاذرون﴾ [٢٦ / ٥٦] وقُرئ ﴿حَذِرون﴾ بالقصر وكسر الذال وضمّها أيضاً، ومعنى ﴿حاذرون﴾ متأهّبون، ومعنى ﴿حَذِرون﴾ خائفون. ورجل حاذر، وحذِر: أي محترز متيقظ، وقد حذرت الشيء أحذره حذراً. والحِذار بالكسر: المحاذرة. وحِذار حِذار: بمعنى احذر احذر...[2].

ولمزيد الإحاطة بمواضع اشتقاق الكلمة الرجوع إلى كتب اللغة.

وأمره عليه السلام بأخذ الحِذر إنّما هو لإتمام الحجّة على السفياني المتمرّد، وأنّه لمقتول لا محالة، وقد قتل بيده عجّل الله فرجه حتّى يطهّر الأرض من أعداء الله والإسلام والإنسانية.

* * *

(١) النساء: ١٠٢: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ حيث عطف الثانية على الأُولىٰ.

(٢) مجمع البحرين ٣/٢٦٢ ـ حذر ـ تفسير نورالثقلين ١ / ٤٥٠ ـ ٤٥١، الرقم ٥٣٥.

١٧٨
خذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك

المختار من كلام الإمام المهديّ عليه السلام إلى ابن أبي روح في قصّة مطوّلة عجيبة لا بأس بذكرها قال قطب الدين الراوندي ومنها[١]: ما روي عن أحمد بن أبي روح قال: وجّهت إليّ امرأة من أهل دينور[٢] فأتيتها، فقالت: يا ابن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا ديناً وورعاً، وإنّي أُريد أن أُودعك أمانة أجعلها في رقبتك تـؤدّيها وتقوم بها.

فقلت: أفعل إن شاء الله تعالى.

فقالت: هذه دراهم في هذا الكيس المختوم، لا تحلّه ولا تنظر فيه حتّى تؤدّيه إلى من يخبرك بما فيه؛ وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير، وفيه ثلاث حبّات لؤلؤ تساوي عشرة دنانير، ولي إلى صاحب الزمان حاجة أُريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله عنها.

فقلت: وما الحاجة؟

قالت: عشرة دنانير استقرضتها أُمّي في عـرسي لا أدري مـمّن اسـتقرضتها، ولا أدري إلى من أدفعها، فإن أخبرك بها فادفعها إلى من يأمرك بها.

قال: وكنت أقول بجعفر بن عليّ فقلّت هذه المحبّة بيني وبين جعفر، فحملت المال وخرجت حتّى دخلت بغداد فأتيت حاجز بن يزيد الوشاء، فسـلّمت عـليه وجلست. فقال: ألك حاجة؟

---

(١) أي من أعلام الإمام... صاحب المرأى والمُسمّىٰ (م ح م د) بن الحسن... الخرائج ٢ / ٦٩٠.
(٢) دينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين. معجم البلدان ٢ / ٥٤٥، إيران.

قلت: هذا مال دُفع إليَّ، لا أدفعه إليك [حتّىٰ خ]تخبرني كم هو، ومن دفعه إليَّ؟ فإنّ أخبرتني دفعته إليك.

قال: لم أؤمر بأخذه، وهذه رقعة جاءتني بأمرك فإذا فيها: «لا تقبل من أحمد بن أبي روح، توجّه به إلينا إلى سامرّاء».

فقلت: لا إله إلّا الله، هذا أجلّ شيء أردته.

فخرجت ووافيت سامرّاء، فقلت: أبدأ بجعفر، ثمّ فكّرت فقلت: أبدأ بهم، فإن كانت المحبّة من عندهم وإلّا مضيت إلى جعفر، فدنوت من دار أبي محمّد عليه السلام، فخرج اليَّ خادم فقال: أنت أحمد بن أبي روح؟ قلت: نعم؛ قال: هذه الرقعة اقرأها؛ فقرأتها فإذا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يابن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الديراني كيساً فيه ألف درهم بزعمك وهو خلاف ما تظنّ وقد أدّيت الأمانة، ولم تفتح الكيس ولم تدر ما فيه، وفيه ألف درهم وخمسون ديناراً صحاح.

ومعك قرط زعمت المرأة أنّه يساوي عشرة دنانير، صدقت، مع الفصّين اللذين فيه، وفيه ثلاث حبّات لؤلؤ شراؤها بعشرة دنانير، وهي تساوي أكثر، فادفع ذلك إلى جاريتنا فلانة، فإنّا قد وهبناه لها.

وصر إلى بغداد، وادفع المال إلى حاجز، وخذ منه ما يُعطيك لنفقتك إلى منزلك.

وأمّا العشرة دنانير الّتي زعمت أنّ اُمّها استقرضتها في عرسها وهي لا تدري من صاحبها، بل هي تعلم لمن، هي لكلثوم بنت أحمد، وهي ناصبيّة، فتحيّرت أن تعطيها إيّاها، وأوجبت [أحبّت. بحار] أن تقسمها في إخوانها فاستأذنتنا في ذلك فلتفرّقها في ضعفاء إخوانها.

ولا تعودنّ يا ابن أبي روح إلى القول بجعفر والمحبّة له، وارجع إلى منزلك؛ فإنّ عدوّك [عمّك. بحار] قد مات، وقد ورّثك الله أهله وماله».

فرجعت إلى بغداد، وناولت الكيس حاجزاً فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون ديناراً، فناولني ثلاثين ديناراً، وقال: اُمرت بدفعها إليك لنفقتك.

فأخذتها وانصرفت إلى الموضع الّذي نزلت فيه. فإذا أنا بفيج[1] وقد جاءني من منزلي يخبرني بأنّ حموي [عمّي خ]قد مات وأهلي يأمرونني بالانصراف إليهم. فرجعت فإذا هو قد مات، وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم[2].

أخبرتنا القصّة عن إخبار الإمام المهديّ عليه السلام بالغائب عن فكرة أحمد بن ابى روح، وعاتكة الّتي أودعته الأمانة، وبيان خلاف ما ظنّ بمحتواها، وعمّا في ضميرها من العلم بالاستقراض من كلثوم بنت أحمد الناصبيّة، وإرادة زيادة المعرفة بمواضع الاستحقاق لصرف المال، وقد ظهر لهما كلّ شيء حتّى المحبّة لجعفر والردع عنها، والأمر بأخذ المال لنفقة العود إلى منزله، والنهي عن معاودة جعفر، ودفع المال إلى حاجز بن يزيد الوكيل، من البراهين الساطعة عليه عليه السلام.

* * *

(١) الفيج البريد الحامل للأخبار من بلد إلى بلد صاحب البريد منتهى الأرب ١ / ٦٨.

(٢) الخرائج والجرائح ٢ / ٦٩٩ ـ ٧٠٢، البحار ٥١ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦، وكذا في هامش الخرائج ٢ / ٧٠٢ عن مدينة المعاجز: ٦١٦ . وآنظر معادن الحكمة ٢ / ٣١٧ ـ ٣١٨، الرقم ٢١٦.

١٧٩
خذهما فستحتاج إليهما

المختار من كلام له عليه السلام، رواه الشيخ الكليني رحمه الله من قصّة الحسن بن النضر، وإعطاء الإمام روحي فداه له ثوبين صارا كفنه، ولربطه بها ما يلي:

عليّ بن محمّد، عن سعد بن عبد الله، قال: إنّ الحسن بن النضر... وجماعة تكلّموا بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام فيما في أيدي الوكلاء، وأرادوا الفحص... فقال الحسن [ابن النضر خ]: إنّي أفزع في المنام ولابدّ من الخروج، وأوصى إلى أحمد ابن يعلى بن حمّاد وأوصى للناحية بمال وأمره أن لا يخرج شيئاً إلّا من يده إلى يده بعد ظهوره، قال: فقال الحسن: لَمّا وافيت بغداد اكتريت داراً فنزلتها فجاءني بعض الوكلاء بثياب ودنانير وخلّفها عندي، فقلت له: ما هذا ؟ قال: ما ترى؛ ثمّ جاءني آخر بمثلها وآخر حتّى كبسوا الدار.

ثمّ جاءني أحمد بن إسحاق بجميع ما كان معه، فتعجّبتُ وبقيت متفكّراً، فوردت عليَّ رقعة الرجل عليه السلام: «إذا مضى من النهار كذا وكذا فاحمل ما معك» فرحلت وحملت ما معي وفي الطريق صعلوك[1] يقطع الطريق في ستّين رجلاً فاجتزت عليه وسلّمني الله منه.

فوافيتُ العسكر ونزلت، فوردت عليَّ رقعة «أن احمل ما معك» فعبّيته في صنان[2] الحمّالين، فلمّا بلغت الدهليز إذا فيه أسود قائم فقال: أنت الحسن بن

---

(١) الصعلوك: الفقير الّذي لا مال له. وزاد الأزهري: ولا اعتماد، اللسان ١٠/٤٥٥ ـ صعلك ـ.

(٢) من التعبية. والصنّ بالكسر: شبه السلّة المطبقة يجعل فيه الخبز، هامش أُصول الكافي ١ / ٥١٧، ولكن في النهاية ٣ / ٥٧ ـ صنن ـ بالفتح: زنبيل كبير.

النضر؟ قلت: نعم؛ قال: ادخل؛ فدخلت الدار ودخلت بيتاً وفرغت صنان الحمّالين، وإذا في زاوية البيت خبز كثير فأعطى كلّ واحد من الحمّالين رغيفين وأُخرجوا، وإذا بيت عليه ستر، فنوديتُ منه: «يا حسن بن النضر احمد الله[١] على ما مَنّ به عليك، ولا تشكنّ فودّ الشيطان أنّك شككت؛ وأَخرَجَ إليّ ثوبين وقيل: خذهما[٢] فستحتاج إليهما، فأخذتهما وخرجت».

قال سعد: فانصرف الحسن بن النضر ومات في شهر رمضان وكفّن في الثوبين[٣].

إنّما اقتنعنا بوضع النقاط في بداية الحديث، وجئنا عن آخره لأمر مّا، وكيف كان فقد بان الغرض من الأمر بأخذ الثوبين وأنّهما صارا كفنه، لما علمه عليه السلام من حلول موته وافتقاره إلى الكفن، إمّا لأنّه كان يقصد به التبرّك، أو لتخفيف العذاب، وكثيراً ما كانوا يفعلون عليهم السلام ذلك والسبب الغالب هو التبرّك والوقاية من ضغطة القبر وعذابه، وحوادث البرزخ، أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين منها، ونسأله تعالى أن يرحم غربتنا في ذلك البيت الجديد ووحدتنا، ويجعل سادتنا المعصومين عليهم السلام شفعاءنا فيه وفي يوم القيامة، لولا الشفاعة المأذونة بإذن الله تعالى لكنّا من الهالكين.

* * *

---

(١) تقدم نظير الكلمة في الرقم ٢٢.

(٢) وفي الاصل «خذها» والصحيح ما ذكرناه.

(٣) أُصول الكافي ١ / ٥١٧ ـ ٥١٨، البحار ٥١ / ٣٠٩.

١٨٠
خذوا بنا طريق النخيلة

من حديث الإمام الباقر عليه السلام المخبر عن بعض أقوال المهديّ عجّل الله فرجه لأصحابه وسيرته في زمن خروجه في رواية العيّاشي، قال أبو جعفر عليه السلام:

فيه قوله عليه السلام: «خذوا بنا طريق النخيلة؛ وعلى الكوفة جندٌ مجنّدٌ»[١].

استعرضنا الحديث كلّه عند كلمة «انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم»[٢]، وبعضه عند «أُخرجنا من ديارنا وأموالنا...»[٣]، وعند «تعبّدوا ليلتكم هذه»[٤].

النخيلة: قال المعلّق على كتاب التفسير: النخيلة تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الّذي خرج إليه عليّ عليه السلام لَمّا بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها، وخطب خطبة مشهورة، ذمّ فيها أهل الكوفة وقال: «اللّهمّ إنّي لقد مللتهم وملّوني، فأرحني منهم»[٥]، قتل بعد ذلك بأيّام، وبه قتلت الخوارج لَمّا ورد معاوية إلى الكوفة...[٦].

والنخيلة أيضاً ماء عن يمين الطريق قرب المغيثة والعقبة على سبعة أميال من جُوَيّ غربي واقصة، بينها وبين الحفير ثلاثة أميال، وقال عروة بن زيد الخيل: يوم النخيلة من أيّام القادسيّة:

بــرزت لأهـل القـادسيّة مُـعلماً   وما كلّ من يغشى الكريهة يُـعلمُ

(١) تفسير العيّاشي ٢ / ٥٩، الحديث المطوّل رقمه ٤٧.
(٢) رقمه ٩٩.
(٣) رقمه ٢٥.
(٤) رقمه ١٤٧.
(٥) شرح النهج ١ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣، الخطبة ٢٥، مع اختلاف في النقل، فراجع.
(٦) هامش تفسير العيّاشي ٢ / ٥٩، الرقم المُسبق.

ويــوماً بأكـناف النـخيلة قـبله　　　شهدت فلم أبرح أُدمّىٰ وأُكلمُ[1]

وإنّما دعاعليه السلام الجيش بالرواح إلى طريق النُخيلة القريبة للكوفة بعد البيتوتة بالنجف وإحياء ليلتها إلى الصبح بالعبادة؛ لأجل تواجد الجند المجنّد على الكوفة، فيقوّيه الله عزّ وجلّ بالعدّة والعدد يكسح بها عن وجه الأرض الباطل، والعُدّة النقباء عدد أصحاب بدر، كما تقدّم عنهمعليهم السلام الكلام عند المختار[2] وقد وصفهم الإمام الباقرعليه السلام في الحديث نفسه قال: «كأنّ قلوبهم زبر الحـديد»[3]، تـمثيل لرسـوخ إيمانهم.

* * *

---

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٧٨.

(٢) الرقم ١.

(٣) تفسير العيّاشي ٢ / ٥٩ حديث الباقر نفس الرقم المسبق ذكره.

١٨١

خير من تقمّص وارتدىٰ

من كلمات زيارة الإمام المهديّ عليه السلام الّتي علّمها الحميري بصورة التوقيع :

روى الشيخ الطبرسي عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري أنّه قال: خرج التوقيع عن الناحية المقدّسة ـ حرسها الله ـ بعد المسائل :

«بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون، ﴿حِكْمَةٌ بَـٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[١] عن قوم لا يؤمنون. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[٢] إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالىٰ وإلينا فقولوا: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ آلْ يَاسِينَ﴾[٣]... إلىٰ قوله: ـ اللّهمّ صلّ على[٤] حجّتك في أرضك، وخليفتك في بلادك، والداعي إلى سبيلك، والقائم بقسطك، والثائر بأمرك، وليّ المؤمنين، وبوار الكافرين، ومجلّي الظلمة، ومنير الحقّ، والساطع بالحكمة والصدق [في البحار «والناطق بالحكمة...»]، وكلمتك التامّة في أرضك، المرتقب الخائف، والوليّ الناصح، سفينة النجاة وعلم الهدى، ونور أبصار الورى، وخير من تقمّص وآرتدى...»[٥].

قد سبق الكلام عن هذه الزيارة عند «إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا»[٦].

كثيراً مّا يأتي ذكر التقمّص والتردّي ويراد به التصرّف والاشتمال للبدن

---

(١) القمر: ٥. (٢) الرقم ٢١١

(٣) الصافّات: ١٣٠ وصورتها ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

(٤) في البحار ١٠٢ / ٨٢: «على محمّد حجّتك» دون الاحتجاج الآتي ذكره

(٥) الاحتجاج ٢ / ٣١٥ ـ ٣١٨، البحار ١٠٢ / ٨١ ـ ٨٣ على قراءة أهل البيت عليهم السلام

(٦) رقمه ٣٣.

المشتمل عليه القميص أو لغاية الشرف، أو لما فيه صاحبه من المكانة المرموقة، أو غير ذلك من أمور كنائيّة، ومنها قول أمير المؤمنين عليه السلام عندما أُخذت منه الإمارة:

«لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى»[1] أي: الخلافة جعلها كالقميص الشامل على الجسد، ولعلّ فيه إشارة إلى الأخذ الكامل غير المتبقّي لانتفاع الآخرين به، فكما يقال ذلك في التصرّف غير السائغ كذلك يأتي استعماله في السائغ. والمائز بين المقامين هو الشواهد الّتي يعرفها الناس وعقلاء أهل كلّ زمان فيمتاز عندهم المحقّ من المبطل.

وقد عرفت أنّ التقمّص والتردّي من الأمور الكنائيّة فلا تراد حقائقها والتلبّس به حقيقة؛ لأنّ الغاصب لمنصب أو لشيءٍ من الأشياء يقال له: تقمّصه وإن كان عارياً أو يغتسل بالماء أو غير ذلك. شأن الكنايات المعنيّة بها لوازمها القريبة والمعاني المعلومة عند أهلها، ومثلها الاستعارات والتمثيلات الواردة في كلام البلغاء وأرباب الفصاحة، ولا يخلو الكتاب والسُنّة منها، وربّ مقام لا يراد فيه بل لا يصحّ إلّا حقائقها وخاصّة في المعنويّات والمعاني الرفيعة الّتي لم يعرفها الناس إلّا الزمرة من الصفوة الموهوب لهم الذكاء والقلوب السليمة فنالت الرفعة ومشاهدة أنوار الجلال والعظمة فطأطأت أمام الإمام المهديّ أرواح من في الوجود فداه إجلالاً وإعظاماً.

* * *

(١) شرح النهج ١ / ١٥١، الخطبة ٣، المعروفة بالشقشقيّة، وابن أبي قحافة هو أبو بكر، وفي النسخ التصريح به ونصّ عليه السلام على الثاني والثالث في نفس الخطبة ص ١٦١، ١٨٤ و١٩٧ وهي صريحة في أخذها غصباً؛ ومن ثمّ أنكرها جمع منهم، الحديث ذو شجون المثل السائر.

باب الدال

١٨٢
الدعاء في الحمل قبل الأربعة أشهر

من حديث طويل رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه قال: حدّثني أبي، عن سعد بن عبد الله [عن علّان الكليني خ]... قال: وكتب رجل ـ من رَبَض حُمَيْد ـ يسأل الدعاء في حمل له، فورد عليه:

«الدعاء في الحمل قبل الأربعة أشهر، وستلد أُنثىٰ».

فجاء كما قال عليه السلام[1].

رَبَض حُمَيد :

قال الحموي: رَبَض حُمَيد بن قحطبة الطائي: ببغداد متّصل بالنّصرية، والنّصرية اليوم عامرة، ورَبَض حُمَيد خراب، ويتّصل به رَبَض الهيثم بن سعد بن ظهير، وكان حُمَيد أحد النقباء في دولة بني العبّاس[2].

ولا ينافيه أن يكون رَبَض حُمَيد بلد الرجل الكاتب السائل، لأنّه وقتذاك كان عامراً وهو قبل وفاة أبي محمّد العسكري؛ لأنّ سعد بن عبد الله الراوي كان معاصراً له أو بعد وفاته عليه السلام، ولعلّه الأقرب إلى الصواب وقد توفّي سنة ٢٩٩ أي: بعد المائتين

---

(١) إكمال الدين ٢ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، البحار ٥١ / ٣٠٦ نقلاً عن النجوم: «ستلد ابناً».

(٢) معجم البلدان ٣ / ٢٥ ـ رَبَض ـ دار صادر بيروت. قيل: إنّ ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي كان من المتعصّبين على أمير المؤمنين عليه السلام، نعم قد ينقل بعض فضائله من قصّة الرجل الحضرموتي، الكنى والألقاب ٢ / ١٩٤ ـ ١٩٥ معجم الأدباء ١ / ١١ تعصّبه.

والستّين ٣٩ عاماً مع خراب البلد المذكور في حياة الحموي المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ.

والظاهر أنّ رَبَض حُمَيد ليس ظرفاً للكتابة بل متعلّق بالرجل الكاتب وأنّه من أهل رَبَض حُمَيد، فتدبّر تعرف وجهه.

ثمّ التوقيع قد اشتمل على أشهر الجنين، وتأثير الدعاء، فهنا أمران:

الأمر الأوّل: أشْهُرُ الجنين:

وإليك أشْهُرُ الجنين الموزّعة على الأربعينات حتّى تكمل للمرأة الحامل تسعة أشهر غالباً فتضع حملها، وقبل بيان الأربعينات نقدّم حديثين.

الحديث الأوّل: روى الشيخ الكليني عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان، عن سلام بن المستنير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[1]؟ فقال: «المخلّقة هم الذرّ الّذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام. أخذ عليهم الميثاق، ثمّ أجراهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وهم الّذين يخرجون إلى الدنيا حتّى يسألوا عن الميثاق وهم النُطف من العزل والسقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء»[2].

وأمّا قوله: ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله في صلب آدم عليه السلام حين خلق الذرّ وأخذ عليهم الميثاق.

أقول: هذا الحديث ناظر إلى عالم الذرّ والميثاق ففي صادقيّ: «كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه، يعني في الميثاق[3]. وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾»[4].

وباقري: «أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرّفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ مولود

---

(١) الحجّ: ٥.
(٢) الكافي ٦ / ١٢، باب بدء خلق الإنسان وتقلّبه في أُمّه، حديث ١.
(٣) تفسير البرهان ٢ / ٤٧.
(٤) الأعراف: ١٧٢.

يولد على الفطرة...»[١].

الحديث الثاني: عنه عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عمّن ذكره، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[٢]. قال الفيض: كلّ حمل دون تسعة أشهر، وما تزداد: كلّ شيءٍ يزداد على تسعة اشهر، فكلّما رأت المرأة الدم الخالص في حملها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدم[٣].

ومنه يعلم التفاوت من زيادة ونقص عمّا عليه أغلب النساء من بلوغ الحمل إلى تسعة أشهر.

وإذا دريت الحديثين، فنذكر عدداً من أحاديثهم عليهم السلام بهذا الصدد مع خلوّ أسنادها؛ لأنّها كلّها برواية الشيخ الكليني طاب ثراه :

١ ـ الباقري: «إنّ النُطفة تكون في الرحم أربعين يوماً، ثمّ تصير عَلقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلّاقين فيقولان: يا ربّ ما تخلق ذكراً أو أُنثىٰ؟ فيؤمران، فيقولان: يا ربّ شقيّاً أو سعيداً؟ فيؤمران، فيقولان: يا ربّ ما أجله وما رزقه وكلّ شيءٍ من حاله وعدّد من ذلك أشياء، ويكتبان الميثاق بين عينيه، فإذا أكمل الله له الأجَل بعث الله ملكاً[٤] فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق، فقال الحسن بن الجهم: فقلت له: أفيجوز أن يدعو الله فيحوّل الأُنثىٰ ذكراً والذكر أُنثىٰ. فقال: إنّ الله يفعل ما يشاء»[٥].

بمقتضى كلام الإمام الباقر عليه السلام الآتي ذكره، لابدّ من القول بأنّ الله يشاء فعله إذا دعا الداعي ما بينه وبين أربعة اشهر، حيث قال محمّد بن إسماعيل أو غيره ذلك، فأجاب عليه السلام بما سمعت فيكون كلامه الآتي ككلام الإمام المهديّ عليه السلام مقيّداً

---

(١) تفسير البرهان ٢/٤٦، الوسائل ١١/٩٦ الصادقي ٣، الباب ٤٨... المعني. (٢) الرعد: ٨.

(٣) الكافي ٦ / ١٢ ـ ١٣ «باب بدء خلق الإنسان...»، الحديث ٢.

(٤) للفيض بيان وافٍ في الوافي حول الحديث وفيه «وإنّما الميثاق بالزجرة والخروج لدخوله بهما في عالم الأسباب...» انظر هامش الكافي ٦/١٣، من المحتمل قويّاً أن تكون «تخلق»: «نخلق». (٥) الكافي ٦/١٣، باب بدء خلق الإنسان... ، الحديث ٣.

لإطلاق حديثه المتقدّم، وإليك ما أشرنا إليه آنفاً:

٢ ـ الآخر: عن محمّد بن إسماعيل أو غيره قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك الرجل يدعو للحُبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سويّاً؟ قال: «يدعو ما بينه وبين أربعة أشهر؛ فإنّه أربعين ليلة نطفة، وأربعين ليلة عَلَقَة، وأربعين ليلة مُضغة. فذلك تمام أربعة أشهر...»[١].

٣ ـ الآخر: «إذا وقعت النُطفة في الرحم استقرّت فيها أربعين يوماً، وتكون عَلقة أربعين يوماً، وتكون مضغة أربعين يوماً، ثمّ يبعث الله مَلَكين خلّاقين فيقال لهما: أُخلقا كما يريد الله ذكراً أو أُنثىٰ، صوّراه واكتبا أجَلَه ورزقه ومَنِيَّتَه، وشقيّاً أو سعيداً، واكتبا لله الميثاق الّذي أخذه عليه في الذرّ بين عينيه، فإذا دنا خروجه من بطن اُمّه بعث الله إليه مَلَكاً يقال له: زاجر فيزجره فيفزع فزعاً فينسىٰ الميثاق ويقع إلى الأرض يبكي من زجرة المَلَك»[٢].

٤ ـ الآخر: «إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق النطفة[٣] الّتي ممّا أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه[٤] ويجعلها في الرحم، حرّك الرجل للجماع وأوحىٰ إلى الرحم[٥] أن آفتحي بابك حتّى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتردّد[٦] فيه أربعين يوماً ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً، ثمّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة.

ثمّ يبعث ملَكين خلّاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله فيقتحمان[٧] في بطن

---

(١) الكافي ٦ / ١٦ الحديث ٦ من كتاب العقيقة.
(٢) نفسه، الحديث ٧.
(٣) أي: يخلقها بشراً تامّاً. هذا ومن بعده من هامش الكافي ٦ / ١٣ ـ ١٥.
(٤) أي: يبدو له في خلقه بأن يجعله سقطاً (في).
(٥) «حرّك الرجل للجماع» بإلقاء الشهوة عليه. وإيحائه سبحانه إلى الرحم كناية من فطرة إيّاها على الإطاعة طبعاً (في).
(٦) تردّد بحذف إحدى التائين أي: تتحوّل من حال إلى حال (في).
(٧) أي: يدخلان من غير استرضاء واختيار لها(آت).

المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء[١] فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشقّان له السمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما في البطن بإذن الله.

ثمّ يوحي الله إلى المَلَكين: اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري واشترطا لي البداء فيما تكتبان، فيقولان: يا ربّ ما نكتب ؟ فيوحي الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أُمّه فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أُمّه فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقياً أو سعيداً وجميع شأنه.

قال فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان[٢]، ثمّ يختمان الكتاب ويحملانه بين عينيه ثمّ يقيمانه قائماً في بطن أُمّه، قال: فربّما عتا، فانقلب ولا يكون ذلك إلّا في كلّ عات أو مارد.

وإذا بلغ أوان خروج الولد تامّاً أو غير تامّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى الرحم أو افتحي بابك حتّى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه، قال: فيفتح الرحم باب الولد فيبعث إليه ملكاً يقال له: زاجر فيزجره زجرة فيفزع منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهّل على المرأة وعلى الولد الخروج، قال: فإذا احتبس زجره المَلَك زجرة أُخرى فيفزع منها فيسقط إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة»[٣].

---

(١) أي: الروح المخلوقة في الزمان المتقادم قبل خلق جسده والمراد بها النفس النباتيّة أو الحيوانيّة أو الإنسانيّة... (آت).

(٢) قرع اللوح جبهة أُمّه كأنّه كناية عن ظهور أحوال أُمّه وصفاتها وأخلاقها من ناصيتها وصورتها الّتي خلقت عليها، كأنّها جميعاً مكتوبة عليها وإنّما تستنبط الأحوال الّتي ينبغي أن يكون الولد عليها من ناحية أُمّه ويكتب ذلك على وفق ما ثمة للمناسبة الّتي تكون بينه وبينها وذلك لأنّ جوهر الروح إنّما يفيض على البدن بحسب استعداده وقبوله إيّاه واستعداد البدن تابع لأحوال نفسي الأبوين وصفاتهما وأخلاقهما، ولاسيّما الأمّ المربّية له على وفق ما جاء به من ظهر أبيه فناصيتها حينئذٍ مشتملة على أحواله... إلى آخر مانقله من الوافي في هامش الكافي ٦/١٤.

(٣) الكافي ٦ / ١٣ ـ ١٥، الحديث ٤، وله شرح لا مجال لذكره هنا.

الأمر الثاني: تأثير الدعاء:

لا ريب أنّ الدعاء مؤثّر فيما يدعى له؛ فقد دلّ عليه الكتاب العزيز، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، والعيان الّذي هو من أكبر البرهان على تصديق كلام الله عزّ وجلّ وما جاء به المعصوم عليه السلام، ومنا اهتم الإسلام بذلك، فهاهنا ينبغي الإشارة إلى هذه النواحي الّتي مرّ في «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج» المصرّح رقمه في التعليق بشكل مبسّط لا يستغنى منه.

الدعاء في الكتاب العزيز:

وهو المذكور في آي منه تخصّ بعض الأنبياء عليهم السلام، وفي آي أُخرى تعمّ عامّة الناس كائناً من كان.

فمن الأُولى قوله تعالى: ﴿*هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ...*﴾[1]، و﴿*الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ*﴾[2]. دلت الأولى على أنّ زكريّا طلب منه تعالى الولد.

وعلى أنّ إبراهيم عليه السلام بقرينة آخر الأية قد دعا الله عزّ وجلّ وطلب منه الولد فوهبه له كما وهب لزكريّا ذلك؛ كلّاً منهما استجيب دعاؤه.

ومن الثانية آية ﴿*وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ*﴾[3]، ﴿*وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ*﴾[4]، وغيرهما من آيات لا يسع ذكرها المقام، ولو لم تكن في القرآن الكريم إلّا هذه الآية وقبلها لكفىٰ ترغيباً في الدعاء والطلب.

وأيّ ضمان كضمان الله عزّ وجلّ في الإجابة لدعوة الداعي، وأيّ شيءٍ آثر في

---

(١) آل عمران: ٣٨ ـ ٣٩. (٢) إبراهيم: ٣٩.

(٣) البقرة: ١٨٦.

وقد سبق الكلام حولها والإشارة إلى ناحية مهمّة جداً يجدر النظر إليها والبناء عليها، كما وذكرنا هناك طرفاً من وظائف، انظر الرقم ٦٨.

(٤) غافر: ٦٠.

التأثير منها، أو هل بعد ضمان الله ضمان، وقول الله قول؟؟.

الدعاء في الأحاديث:

واعلم أنّ عرض الدعاء في الأحاديث على وجوه وتصاريف يجمعها الترغيب البالغ غير الموصوف فيه، ونحن نذكر نبذة منها:

١ ـ ما رواه الشيخ الكليني في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿...إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [١]، قال: هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء؛ قلت: ﴿...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [٢] قال: الأوّاه هو الدَعّاء» [٣].

٢ ـ باقري آخر: أيّ العبادة أفضل؟ فقال: «ما من شيءٍ أفضل عند الله عزّ وجلّ من أن يُسأل ويطلب ممّا عنده، وما أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده» [٤].

٣ ـ صادقي: «يا ميسر ادع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه؛ إنّ عند الله عزّ وجلّ منزلة لا تنال إلّا بمسألة؛ ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يُعطَ شيئاً فسَلْ تُعطَ. يا ميسر؛ إنّه ليس من باب يقرع إلّا يُوشك أن يفتح لصاحبه» [٥].

٤ ـ آخر: «عليكم بالدعاء؛ فإنّكم لا تُقرّبون بمثله، ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها؛ إنّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار» [٦].

٥ ـ علويّ: «أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء» [٧].

٦ ـ صادقي: «وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاءً» [٨].

٧ ـ نبوي: «الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض» [٩].

٨ ـ علوي «الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن

---

(١) غافر: ٦٠، «داخرين» أي ذليلين صاغرين. (٢) التوبة: ١١٤.

(٣) أصول الكافي ٢ / ٤٦٦، كتاب الدعاء باب فضل الدعاء، الحديث ١.

(٤) المصدر نفسه، الحديث ٢. (٥) المصدر: ٤٦٦ ـ ٤٦٧ الحديث ٣.

(٦) نفسه، ص ٤٦٧، الحديث ٤. (٧) نفسه. ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ح ٥.

(٨) نفسه، ص ٤٦٨. الحديث ٦. (٩) نفسه، ص ٤٦٨ ح ٧.

صدر نقيّ وقلب تقيّ، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالإخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع»[١].

٩ ـ آخر: «الدعاء تُرس المؤمن، ومتىٰ تُكثِرُ قرع الباب يُفتح لك»[٢].

١٠ ـ رضوي: «عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: وماسلاح الأنبياء؟ قال:الدعاء»[٣].

١١ ـ صادقي: «إنّ الدعاء أنفذ من السنان»[٤].

١٢ ـ آخر: «الدعاء أنفذ من السنان الحديد»[٥].

١٣ ـ كاظمي: «إنّ الدعاء يردّ ما قد قدّر وما لم يقدّر، قلت: وما قد قدّر عرفته، فما لم يقدّر؟ قال: حتّى لا يكون»[٦].

١٤ ـ صادقي: «إنّ الدعاء يردّ القضاء وقد نزل من السماء وقد أُبرم ابراماً»[٧].

١٥ ـ باقريّ: «ألا أُدلّك على شيءٍ لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلى؛ قال: الدعاء يردّ القضاء وقد أُبرم إبراماً ـ وضمّ أصابعه»[٨].

١٦ ـ صادقي: «... فأكثر من الدعاء؛ فإنّه مفتاح كلّ رحمة، ونجاح كلّ حاجة، ولا ينال ما عند الله عزّ وجلّ إلّا بالدعاء، وإنّه ليس بابٌ يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه»[٩].

١٧ ـ كاظمي: «عليكم بالدعاء؛ فإنّ الدعاء لله والطلب[١٠] إلى الله يردّ البلاء وقد قُدّر وقُضي ولم يبق إلّا إمضاؤه، فإذا دُعي الله عزّ وجلّ وسُئل صرف البلاء صرفه»[١١].

١٨ ـ صادقي: «عليك بالدعاء فإنّه شفاء من كلّ داء»[١٢].

١٩ ـ آخر: «الدعاء كهف الإجابة كما أنّ السحاب كهف المطر»[١٣].

٢٠ ـ آخر: «هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا؛ قال: إذا أُلهِمَ أحد [كم خ] الدعاء عند البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير»[١٤].

٢١ ـ آخر: «من تقدّم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة:

(١ و٢ و٣) أصول الكافي ٢ / ٤٦٨.

(٤ و٥ و٦ و٧) نفسه، ص ٤٦٩.

(٨ و٩) نفسه، ص ٤٧٠.

(١٠) عطف على الدعاء لله.

(١١ و١٢) نفسه، ص ٤٧٠.

(١٣ و١٤) نفسه، ص ٤٧١.

صوت معروف، ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدّم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إنّ ذا الصوت لا نعرفه»[١].

٢٢ ـ آخر: «إذا رقّ أحدكم فليدع...»[٢].

٢٣ ـ آخر: «إذا اقشعرّ جلدك ودمعت عيناك، فدونك دونك فقد قصد قصدك»[٣].

٢٤ ـ باقري: «لا والله لا يلحّ عبد على الله عزّ وجلّ إلّا استجاب الله له»[٤].

أقول:

هذا قليل من كثير، ومن لم يغنه القليل لا يغنيه الكثير؛ وبقيت الناحية الثالثة: العيان المصدِّق لهما[٥]:

والكلّ يعلم أنّ في أدوار الحياة أزمات تحدث أو حدثت لكلّ منّا لا يجد إلى الخلاص منها سبيلاً، ونرىٰ بعين العيان أنّها لا ترتفع الأزمة الحادثة مهما كانت المحاولات والتدابير المتّخذة من أجل ذلك، حتّى وصول الشفرة إلى العظم يندفع المؤمن منّا إلى مفتّح الأبواب ويقرع الباب فينفتح له وتذهب الأزمة، ولاسيّما إذا كثر قرعه؛ فإنّه كما تقدّم[٦] الحديث العلويّ: «ومتى تُكثر قرع الباب يفتح لك» ولا أُريد بالمثل: (وصول الشفرة إلى العظم) قَصْر الدعاء على هذه الحالة المشدّدة، بل لابُدّ أن يدعو العبد في الرخاء والبلاء، وقد قال الصادق عليه السلام: «إنّ الدعاء في الرخاء يستخرج الحوائج في البلاء»[٧] و«من سرّه أن يستجاب له في الشدّة فليكثر

---

(١) أُصول الكافي ٢ / ٤٧٢.

(٢) نفسه، ص ٤٧٧.

(٣) نفسه، ص ٤٧٨.

(٤) نفسه، ص ٤٧٥.

(٥) أي للكتاب العزيز وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وفي نفس الوقت العيان من أكبر البرهان، وقد اتّفق لنا حمل لبنتنا وقد اشتدّت الأزمة برهة طويلة حتّى علا النحيب وصياح الأهل بعد نصف الليل وأنا غريب في البلد لا أجد في النهار إلى حلّ الأزمة سبيلاً فكيف بالليل. فلم أشعر إلّا وأنا في السجود أرى برقاً خاطفاً، وفي تلك اللحظة ارتفعت الأزمة واستهلّ المولود سالماً مع سلامة الأُمّ بعد استفحال الخطر، وارتفاعه ببركة الدعاء الصادر عن الاضطرار والحمد لله.

(٦) تقدّم عن العلوي تحت رقم الحديث ٩، ونظيره تحت الرقم ٣، و ١٦.

(٧) أُصول الكافي ٢ / ٤٧٢.

الدعاء في الرخاء»[١].

وكذا لا أُريد بالأزمة أن لا يُدعى لما دونها مع أنّه من أدب العبوديّة أن لا يمتنع العبد من الطلب من المولى، حتّى كملح الطعام، أو قطع الشراك، أو غير ذلك ممّا قلّ أو كثر.

فلنعد إلى كلام المهديّ عجّل الله فرجه، وإنّ الّذي ذكرناه إنّما كان لغاية الاهتمام بشأن الدعاء، وكلامه عليه السلام من أحاديث الترغيب إليه والحثّ عليه، وإنّ طلب الولد كسائر الأُمور لابُدّ أن يُدعىٰ من أجله، وأن يُراعى جانبه من شروط وما يلزم الداعي رعايته؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أبى إلّا أن يُجري الأُمور بأسبابها، كما نصّ على ذلك في الصادقي: «أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكلّ شيءٍ سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح عِلماً، وجعل لكلّ عِلم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»[٢].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿فِى رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الشرائع السماويّة بأسرها مطويّة فيه وفي مقدّمها القرآن الكريم، المهيمن على كتب الوحي كلّها: المصدّق لها، لأن أنبيائها المقرّون بنبوّة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله قال الجاثليق للرضا عليه السلام: ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه؟ هل تنكر منهما شيئاً؟ قال عليه السلام: «أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه وما بشرّ به أُمته وأقرّت به الحواريّون، وكافر بنبوّة كل عيسوي لم يقرّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشّر به أُمّته...»[٤].

* * *

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أُصول الكافي ١ / ١٨٣، باب معرفة الإمام والردّ إليه، الحديث ٧. وللحديث شرح يطول بذكره المقام وهو من الأمثال والحكم الصادقية مخطوط.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٢٨، الحديث ١، الباب ١٢... مع الأديان.

باب الذال

١٨٣

ذلّل لي قُطُوف ثمرات إجابتك تذليلاً

المختار من كلمات دعاء العبرات الّذي نجا السيّد رضي الدين الآوي من يـد طاغية زمانه وسجن طامورته ببركة تعليم الإمام المهديّ عجّل الله فرجه إيّاه وإشاده إليه، وقد سبقت قصّته عند المختار: «انظره تجده»[١] مع سندها، وبصورة مـجملة عند «إنّ القلوب كاعت فـطنّها»[٢]، وعـند «جـفّت مـنها الضـروع، وتـلفت مـنها الزروع»[٣]، وقلنا عند بعض هذه الكلمات: إنّ الدعاء المعروف بدعاء العبرات قد اشتمل على استعارات عجيبة، وتمثيلات قلّ ما يوجد في دعاء مثلها وفيه قال عليه السلام:

«ويسجد ويقول: إلٰهي إنّ وجهاً إليك برغبته توجّه فالراغب خليقٌ بأن تجيبه، وإنّ جبيناً لك بابتهاله سجد حقيقٌ أن يبلغ ما قصد، وإنّ خدّاً إليك بمسألته يُـعفّر جديرٌ بأن يفوز بمراده ويظفر، وها أنا ذايا إلٰهي قد تـرى تـعفير خـدّي وابـتهالي واجتهادي في مسألتك وجدّي، فَتَلَقَّ يا ربّ رغباتي برأفـتك قـبولاً، وسـهّل إليّ طلباتي برأفتك وصولاً، وذلّل لي قُطُوف ثمرات إجابتك تذليلاً»[٤].

قد كمل ما يقال من ذكر سجود دعاء العبرات، وأمّا الدعاء نفسه فلم نذكر منه إلّا بقدر ما سمعت، وشرح بعض فقراته كمايلي:

«ذلّل لي قطوف ثمرات إجابتك تذليلاً» لعلّه مقتبسٌ من كلام الله عـزّ وجـلّ:

---

(١) رقمه ١٠٠. (٢) رقمه ١١٣. (٣) رقمه ١٦٣.

(٤) جنّة المأوي في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٢٥، الحكاية الرابعة، والدعاء موجود أيضاً في مهج الدعوات: ٣٣٩ ـ ٣٤٢.

﴿...وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١]. بل الظاهر ذلك.

دُلّيت عليهم ثمارها ينالها القائم والقاعد[٢]. قال الفيض: في الكافي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿وذلّلت قطوفها تذليلاً﴾: من قربها منهم فيتناول المؤمن من النوع الّذي يشتهيه من الثمار بعينه وهو متّكئ[٣].

كلمة «ذلّل» من الذلّ:

قال ابن فارس: أصل واحد يدلّ على الخضوع، والاستكانة واللين فالذلّ: ضدّ العزّ. وهذه مقابلة في التضادّ صحيحة تدلّ على الحكمة الّتي خصّت بها العرب دون سائر الأُمم. لأنّ العزّ من العزائز وهي الأرض الصُلبة الشديدة. والذلّ خلاف الصعوبة. وحكي عن بعضهم أنّه قال: «بعض الذِّلّ ـ بكسر الذال ـ أبقى للأهل والمال». يقال من هذا: دابّة ذلولٌ بيّن الذلّ. ومن الأوّل: ... وذُلّل القِطْف تذليلاً: إذا لانَ وتدلّىٰ[٤].

قوله: وحكي عن بعضهم أنّه قال: ... لعلّ إليه ينظر ابن الأثير: وفي حديث ابن الزبير «بعض الذُّلّ[٥] أبقى للأهل والمال» معناه أنّ الرجل إذا أصابته خُطّة ضَيْمٍ يناله فيها ذلّ فصبر عليها كان أبقى له ولأهله وماله، فإذا لم يصبر ومرّ فيها طالباً للعزّ غَرَّرَ بنفسه وأهله وماله، وربّما كان ذلك سبباً لهلاكه[٦].

وقال: وفيه «كم من عِذْقٍ مذلّلٍ لأبي الدحداح» تذليل العُذُوق: أنّها إذا خرجت من كوافيرها الّتي تغطّيها عند انشقاقها عنها يعمد الآبر فيُسمِّحُها ويُبسّرُها حتّى تتدلّىٰ خارجةً من بين الجريد والسُّلاء فيسهلُ قِطافُها عند إدراكها وإن كانت العين

---

(١) الإنسان: ١٤.
(٢) تفسير القمّي ٢ / ٣٩٩.
(٣) تفسير الصافي ٢ / ٧٧٢؛ وتفسير البرهان ٤ / ٤١٥.
(٤) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٣٤٥ ـ ذلل ـ
(٥) «الذُّلّ» بضمّ الذال في ظاهر النهاية ٢ / ١٦٦ ـ ذلل ـ وعليه لا تصدق حكاية كسر الذال منه فراجع، وتعتبر الكلمة من الأمثال السائرة.
(٦) النهاية ٢ / ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ذلل ـ.

ـ عَذْق ـ مفتوحة فهي النخلة، وتذليلها: تسهيل اجتناء ثمرها وإدنائها من قاطفها[١].

وقال الشيخ الطريحي: قوله ـ تعالى ـ ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [١٤/٧٦] أي: إن قام ارتفعت إليه، وإن قعد تدلّت عليه. وقيل معناه: لا تمتنع على طالب، ويقال لكلّ مطيع للناس: ذليل ومن غير الناس ذلول[٢].

قوله «قطوف ثمرات...» وقِطاف جمع قِطف: العنقود، قال ابن الأثير: وفيه[٣] «يجتمع النَفَر على القطف فيُشبعهم» القِطف ـ بالكسر ـ: العنقود، وهو اسم لكلّ ما يُقطَف، الذِّبح والطحن وقد تكرّر ذكره في الحديث، ويجمع على قطاف وقُطُوف، وأكثر المحدّثين يروونه بفتح القاف، وإنّما هو بالكسر[٤].

وقال الشيخ الطريحي: قوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[٥] يعني: ثمرتها قريبة التناول على كلّ حال من قيام وقعود ونيام، واحدها قِطْف بالكسر وهو العنقود. والقِطاف ككِتاب: وقت جمع العنب. والقطوف من الدوابّ وغيرها: البطيء. والقطيفة: الدثار المخمل والجمع قطائف وقُطُف كصحيفة وصحائف وصُحُف. والقطيف[٦] بلاد خلف البصرة معروفة.[٧]

إذا تبين معنى المفردات يتجلّى المقصود من الجملة الدُعائيّة.

* * *

---

(١) النهاية ٢ / ١٦٦ ـ ذلل ـ.
(٢) مجمع البحرين ٥/٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ذلل ـ.
(٣) اصطلاح منه يريد به النبويّ.
(٤) النهاية ٤/٨٤ ـ قطف ـ.
(٥) الحاقّة: ٢٣.
(٦) بلاد عامرة في المملكة السعوديّة فيها آبار النفط. هامش مجمع البحرين ـ قطف.
(٧) مجمع البحرين ٥ / ١٩٠ ـ قطف ـ.

باب الراء

١٨٤

ربّما سألونا ذلك يتبرّكون به

من كلمات الإمام المهديّ عليه‌السلام للحسن بن الفضل بن زيد اليماني، رواها الشيخ الكليني رحمه‌الله في قصّة له وردّه برّ الإمام روحي فداه، وكذا ندامته وتوبته قد سبقت برواية الصدوق طاب ثراه عند «أخطأت بردّك برّنا»[1] قال الكليني رحمه‌الله:

الحسن بن الفضل بن زيد اليماني، قال: كتب أبي بخطّه، فورد جوابه، ثمّ كتبت بخطّي فورد جوابه، ثمّ كتب بخطّ رجل من فقهاء أصحابنا فلم يرد جوابه، فنظرنا فكانت العلّة أنّ الرجل تحول قرمطياً[2]، قال الحسن بن الفضل: فزرت العراق، ووردت طوس، وعزمت لا أخرج إلّا عن بيّنة من أمري ونجاح من حوائجي ولو احتجت أن أُقيم بها حتّى أتصدّق[3]، قال: وفي خلال ذلك يضيق صدري بالمقام وأخاف أن يفوتني الحجّ.

قال: فجئت يوماً إلى محمّد بن أحمد أتقاضاه فقال لي: صر إلى مسجد كذا وكذا وإنّه يلقاك رجل، قال: فصرت إليه فدخل عليَّ رجل، فلمّا نظر إليَّ ضحك، وقال: لا تغتمّ، فإنّك ستحجّ في هذه السنة وتنصرف إلى أهلك وولدك سالماً؛ قال: فاطمأننت وسكن قلبي وأقول: ذا مصداق ذلك والحمد لله.

قال: ثمّ وردتُ العسكر فخرجت إليَّ صرّة فيها دنانير وثوب فاغتممت وقلت

---

(١) الرقم ٢٦، إكمال الدين ٢ / ٤٩٠، الباب ٤٥، مع اختلاف بعض الألفاظ.

(٢) نسبة إلى القرامطة وهم فرقة من الخوارج، في سنة ٣١٠ دخلوا مكّة... مجمع البحرين ٤ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨، ـ قرمط ـ وفيه قصّة الحجر الأسود فلاحظ.

(٣) أي أسأل الصدقة.

في نفسي: جزائي عند القوم هذا واستعملت الجهل فرددتها وكتبت رقعة، ولم يشر الّذي قبضها منّي عليَّ بشيءٍ ولم يتكلّم فيها بحرف، ثمّ ندمت بعد ذلك ندامة شديدة وقلت في نفسي: كفرت بردّي على مولاي، وكتبت رقعة أعتذر من فعلي وأبوء بالإثم وأستغفر من ذلك وأنفذتها وقمت أتمسّح[1]، فأنا في ذلك أفكّر في نفسي وأقول: إن ردّت عليَّ الدنانير لم أحلل صرارها ولم أُحدث فيها حتّى أحملها إلى أبي؛ فإنّه أعلم منّي ليعمل فيها بما شاء.

فخرج إلى الرسول الّذي حمل إليَّ الصرّة.

«أسأت؛ إذ لم تُعلم الرجل أنّا ربّما فعلنا ذلك بموالينا وربّما سألونا ذلك يتبرّكون به» وخرج إليَّ:

«أخطأت في ردّك برّنا، فإذا استغفرت الله فالله يغفرلك، فأمّا إذا كانت عزيمت وعقد نيّتك إلّا تحدث فيها ولا تنفقها في طريقك فقد صرفناها عنك، فأمّا الثوب فلابدّ منه لتُحرم فيه».

قال: وكتبت في معنيين وأردت أن أكتب في الثالث وامتنعت منه مخافة أن يكره ذلك، فورد جواب المعنيين والثالث الّذي طويت مفسّراً والحمدلله.

قال: وكنت وافقت جعفر بن إبراهيم النيسابوري بنيسابور على أن أركب معه وأُزامله، فلمّا وافيت بغداد بدا لي فاستقلته وذهبت أطلب عديلاً، فلقيني ابن الوجنا بعد أن كنت صرت إليه، وسألته أن يكتري لي فوجدته كارهاً، فقال لي: أنا في طلبك وقد قيل لي: «إنّه يصحبك فأحسن معاشرته واطلب له عديلاً واكتر له»[2].

اشتملت قصّة اليماني هذه على توقيعات منها ما لم يصرّح بمحتواه دون ورود الجواب مرّة عن كتاب أبيه، وثانية عن كتابه نفسه، وثالثة لم يرد الجواب، لأنّ الكتاب كان بخطّ رجل من فقهاء الأصحاب، فتحوّل الرجل إلى مذهب القرامطة

---

(١) يقال: فلان يتمسّح أي: لا شيء معه، كأنّه يمسح ذراعيه (في)، أو هو تمسّح الكفّ بالكفّ كناية عن الندامة ... هامش أُصول الكافي ١ / ٥٢١.

(٢) أُصول الكافي ١ / ٥٢٠ ـ ٥٢١، باب مولد الصاحب عليه السلام، الحديث ١٣ من كتاب الحجّة.

المنحرف عن خطّ أهل البيت عليهم السلام (١).

ثمّ إنّ اليماني عندما ردّ عطاءه عليه السلام وتاب خرج التوقيع بقبول توبته، صرّح بمحتواه موبّخاً الرسول الّذي جاء إليه بالصرّة: «أسأت إذ لم تُعلم الرجل أنّا ربّما

---

(١) تقدّم أنّهم فرقة من الخوارج، وعن الشيخ البهائي أنّه في سنة عشر وثلاثمائة دخلت القرامطة إلى مكّة في أيّام الموسم، وأخذوا الحجر الأسود، وبقي عندهم عشرين سنة، وقتلوا خلقاً كثيراً، وممّن قتلوا عليّ بن بابويه، وكان يطوف فما قطع طوافه، فضربوه بالسيف فوقع على الأرض، وأنشد:

ترى المحبّين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يَدْرُون كم لبثوا

مجمع البحرين ٢٦٨/٦ ـ قرمط ـ، اصول الكافي ١ / ٥٢٠، الحديث ١٣، باب مولد الصاحب عليه السلام: «تحول الرجل قِرْمِطياً...».

وعلّق عليه ما وجد في بعض النسخ الخطّية بما لفظه:

إن كان المراد بعليّ بن بابويه والد الصدوق فالظاهر من كلمات علماء الرجال خلافه؛ لأنّ المستفاد منهم أنّه توفّي سنة تناثر النجوم، وأنّه لم يقتل بل مات حتف أنفه، وأنّه لم يكن في الحجّ بل مرقده في بلدة قم معروف و بقعته مشهورة فيها تزار، ويحتمل أن يكون المراد غيره وأنّه أحد أهل التصوّف كما يظهر من شعره المذكور ـ لمحرّره محمّد هاشم الموسوي عفي عنه التعليق والمتن معاً.

قال سعد بن عبدالله الأشعري في كتاب «المقالات والفرق» عن القرامطة في موضع منه نشير إليه باختصار، قال: ص ٨٣:

وقالت فرقة منهم ـ أي الخطّابيّة ـ أنّ روح جعفر بن محمّد تحوّلت عن جعفر في أبي‌الخطاب، ثمّ تحوّلت بعد غيبة أبي الخطاب... في محمّد بن إسماعيل، ثمّ ساقوا الإمامة على هذه في ولد محمّد بن إسماعيل، وتشعّبت بعد ذلك فرقة منهم من المباركيّة ممّن قال بإمامة محمّد بن إسماعيل تسمّىٰ (القرامطة) سمّيت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من الأنباط كان يلقّب بقرموطية وكانوا في الأصل على مقالة المباركيّة...

وللمعلق بيان في ص ٢١٨ ـ ٢١٩، قال: القرامطة: وهم من فرق الإسماعيلية أتباع رجل من ناحية خوزستان يقال له: حمدان قرمط، لقّب بذلك لقرمطة في خطّه أو في خِطوه، قال المقريزي: حمدان الأشعث المعروف بقرمط من أجل قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه،... لقد نشأ القرامطة في العراق سنة ٢٧٧ هـ في المنطقة المحيطة بواسط، كانوا يعتقدون بشركة في الأموال بينهم، وقد وضع عبدان وهو صهر حمدان قرمط كتاباً شرح فيه الطريق المريد والناجب ـ إلى آخر كلامه ـ.

فعلنا ذلك بموالينا...»، كما وخرج التوقيع المصرّح بمحتواه أيضاً لليماني نفسه: «أخطأت في ردّك برّنا، فإذا استغفرت الله فالله يغفرلك...».

وذكرنا فيما سبق من قصّة اليماني عدداً من الكلمات المختارة لا تخفى على من درس الكتاب، منها: «إذا استغفرت الله عزّ وجلّ فالله يغفر لك»[١].

وفي التوقيعات دروس للناس جميعاً منها: عدم ردّ إحسان المحسن منهم فكيف بالمعصومين عليهم السلام، ومنها: وجوب تدارك الخطأ بالعود إلى الخطّ الّذي تخطّاه مع طهارة الطويّة وخلوص النيّة؛ فإنّ صاحبها لا يفقد الغفران والرضا؛ فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما في الحديث النبوي[٢]، وقبل كلّ حديث قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ...﴾[٣].

وقد تناولنا من الكتاب والحديث حول الموضوع في الأمثال النبويّة ما يمسّ بصلب الكلام فراجع[٤].

والعمدة الحرمان عن يُمن لقاء الحجة عليه السلام الناجم عن ركوب العصيان الموجب لغضب الرحمن؛ قال عجّل الله فرجه:

«يابن المازيار[٥] أبي أبو محمّد عهد إليَّ أن لا أُجاور قوماً غضب الله عليهم، ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم، وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلّا وعرها، ومن البلاد إلّا عفرها»[٦]. صالحٌ للمثل يضرب لمستبدل البرّ بالعقوق.

* * *

---

(١) الرقم ٣٤، مع اختلاف مّا لما في رواية الكليني كما علمت.

(٢) تنبيه الخواطر ١ / ٦.

(٣) الفرقان: ٧٠.

(٤) ١ / ٣٠٤، رقم المثل ٢٠٠: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ البقرة: ٦١.

(٥) مخفّف «المهزيار».

(٦) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦١.

١٨٥
ربّ مشهور لا أصل له

من الأمثال السائرة، يضرب لغاية التبيّن، ضربه الإمام المهديّ عجّل الله فرجه مثلاً للسيّد مهدي الحسيني القزويني الحلّي في قصّة له رواها الشيخ النوري رحمه الله:

قال سلّمه الله[١]: حدّثني الوالد أعلى الله مقامه، قال: لازمت الخروج إلى الجزيرة مدّة مديدة، لأجل إرشاد عشائر بني زبيد إلى مذهب الحقّ، وكانوا كلّهم على رأي أهل التسنّن، وببركة هداية الوالد قدّس سرّه وإرشاده رجعوا إلى مذهب الإماميّة كما هم عليه الآن، وهم عدد كثير، يزيدون على عشرة آلاف نفس، وكان في الجزيرة مزارٌ معروف بقبر الحمزة بن الكاظم عليه السلام يزوره الناس، ويذكرون له كرامات كثيرة، وحوله قرى تحتوي على مائة دار تقريباً.

قال قدّس سرّه: فكنت أستطرق الجزيرة، وأمرّ عليه ولا أزوره، لما صحّ عندي أنّ الحمزة بن الكاظم مقبور في الريّ مع عبد العظيم الحسني، فخرجت مرّة على عادتي ونزلت ضيفاً عند أهل تلك القرية، فتوقّعوا منّي أن أزور المرقد المذكور فأبيت، وقلت لهم: لا أزور من لا أعرف؛ وكان المزار المذكور قلّت رغبة الناس فيه لإعراضي عنه.

ثمّ ركبت من عندهم، وبتّ تلك الليلة في قرية المزيديّة عند بعض ساداتها، فلمّا كان وقت السحر جلست لنافلة الليل وتهيّأت للصلاة، فلمّا صلّيت النافلة بقيت

---

(١) القائل السيّد الآميرزا صالح ابن السيّد مهدي القزويني الحلّي المعاصر للشيخ النوري هو ووالده السيّد مهدي الّذي تشرّف باللقاء ثلاث مرّات، وهذه الحكاية إحداها على ما صرّح النوري بذلك، يُحدّث للنوري عن والده السيّد مهدي طاب ثراه، فلا تغفل.

أرتقب طلوع الفجر، وأنا على هيئة التعقيب إذ دخل عليَّ سيّد أعرفه بالصلاح والتقوى من سادة تلك القرية، فسلّم وجلس، ثمّ قال: يا مولانا بالأمس تضيّفت أهل قرية الحمزة، وما زرته ؟ قلت: نعم؛ قال: ولَم ذلك ؟ قلت: لأنّي لا أزور من لا أعرف، والحمزة بن موسى الكاظم مدفون بالريّ، فقال: ربّ مشهور لا أصل له، ليس هذا قبر الحمزة بن موسى الكاظم وإن اشتهر أنّه كذلك، بل هو قبر أبي يعلى حمزة بن القاسم العلويّ العبّاسي أحد علماء الإجازة وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم، وأثنوا عليه بالعلم والورع.

فقلت في نفسي: هذا السيّد من عوامّ السادة وليس من أهل الاطّلاع والرجال والحديث، فلعلّه أخذ هذا الكلام عن بعض العلماء، ثمّ قمت لأرتقب طلوع الفجر، فقام ذلك السيّد وخرج، وأغفلت أن أسأله عمّن أخذ هذا؛ لأنّ الفجر قد طلع، وتشاغلت بالصلاة.

فلمّا صلّيت جلست للتعقيب حتّى طلوع الشمس، وكان معي جملة من كتب الرجال فنظرت فيها وإذا الحال كما ذكر، فجاءني أهل القرية مسلّمين عليَّ وفي جملتهم ذلك السيّد، فقلت: جئتني قبل الفجر، وأخبرتني عن قبر الحمزة أنّه أبو يعلى حمزة بن القاسم العلويّ، فمن اين لك هذا ؟ وعمّن أخذته ؟ فقال: والله ما جئتك قبل الفجر، ولا رأيتك قبل هذه الساعة، ولقد كنت ليلة أمس بائتاً خارج القرية ـ في مكان سمّاه ـ وسمعنا بقدومك فجئنا في هذا اليوم زائرين لك.

فقلت لأهل القرية: الآن لزمني الرجوع إلى زيارة الحمزة، فإنّي لا أشكّ في أنّ الشخص الّذي رأيته هو صاحب الأمر عليه السلام.

قال: فركبت أنا وجميع أهل تلك القرية لزيارته، ومن ذلك الوقت ظهر هذا المزار تامّاً على وجه صار بحيث تشدّ الرحال إليه من الأماكن البعيدة.

قلت: في رجال النجاشي: حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو يعلى ثقة جليل القدر، من أصحابنا، كثير الحديث، له كتاب من روى عن جعفر بن محمّد عليهما السلام من الرجال،

وهو كتاب حسن[1].

وذكر الشيخ الطوسي أنّه يروي عن سعد بن عبد الله، ويروي عنه التلّعكبري رحمه الله إجازة فهو في طبقة والد الصدوق[2].

أقول: وقد وفّقنا في بعض السنين الغابرة لزيارته مع بعض الإخوة المؤمنين.

قوله عليه السلام: «ربّ مشهور لا أصل له» إنّه من الأمثال السائرة كما تقدّمت إليه الإشارة، وفي بعض كتب الأدب بلفظ (ربّ شهرة لا أصل لها[3]. يقال ذلك إذا لم يكن المحتوى موافقاً للعقل أو النقل.

---

(١) رجال النجاشي ١ / ٣٣٤، الرقم ٣٦٢، وفيه: وكتاب التوحيد، وكتاب الزيارات والمناسك، كتاب الردّ على محمّد بن جعفر الأسدي.

(٢) جنّة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى، المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧، الحكاية الخامسة والأربعون.

(٣) أمثال وحكم ٢ / ٨٦٣.

١٨٦
رَبِّ مَن ذا الّذي دعاك فلم تجبه؟!

من دعاء العلوي المصري المُسبق قصّته عند «الحمد لله كما يحبّ الله أن يحمد»[١].

«رَبِّ مَن ذا الّذي دعاك فلم تجبه؟ ومن ذا الّذي سألك فلم تعطه؟ ومن ذا الذي ناجاك فخيّبته؟ أو تقرّب إليك فأبعدته...؟!»[٢].

لطول الدعاء أحلنا البقية إلى موضعها كما أشرنا في أوائل القصّة إلى ما قد عرفت، ولهذا الدعاء شأن معروف عند أهله، وهل يفتقر العمل المذكور إلى الإجازة؟ أو يكفي ورودها في قصّةالعلوي المصري ؟ فيه قولان فأختر ما تحبّ، ولعلّ ذكره في الكتب، المتناول الأيدي من قِبَل علمائنا الأبرار ﵏ كافٍ في عدم الوقوف على شيءٍ والله تعالى من وراء القصد، وليعلم أنّ نظائره تمنح الداعي حبّ الله تعالى.

* * *

(١) رقمه ١٧٤.

(٢) مهج الدعوات: ٢٨٠ ـ ٢٨١؛ من ثمّ اهتمّ الكتاب والسنّة بها وأنّها العبوديّة له تعالى.

١٨٧
ربّيتهم بنعمتك وغذّيتهم بحكمتك

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام الّتي علّمها يعقوب بن يوسف الضرّاب الغسّاني في قصّة طويلة له في الحجّ في سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذهابه إلى دار الرضا عليه السلام، ولقاء الخادمة العجوز السمراء، وبالأخير وصول نسخة الدفتر الّتي خرجت عن الناحية إليه وفيها تعليم الصلاة على المعصومين من خاتم النبيّين إلى خاتم الوصيّين صلّى الله عليهم أجمعين.

(نسخة الدفتر الّذي خرج):

«بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وحجّة ربّ العالمين، المنتجب في الميثاق، المصطفى في الضلال، المطهّر من كلّ آفة، البريء من كلّ عيب، المؤمّل للنجاة، المرتجى للشفاعة، المفوّض إليه دين الله... ـ إلى أن قال: ـ

اللّهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته الأئمّة الهادين المهديّين العلماء الصادقين الأبرار المتّقين، دعائم دينك، وأركان توحيدك، وتراجمة وحيك، وحججك على خلقك، وخلفائك في أرضك، الّذين اخترتهم لنفسك، واصطفيتهم على عبادك، وارتضيتهم لدينك، وخصصتهم بمعرفتك، وجلّلتهم بكرامتك، وغشيتهم برحمتك، وربّيتهم بنعمتك، وغذّيتهم بحكمتك... ـ إلى ـ إنّك على كلّ شيءٍ قدير»[1].

وقد اهتمّ بهذه الصلوات أصحابنا، وعدّت من وظائف الغيبة فراجع.

* * *

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦٥ ـ ١٧٠، جمال الأُسبوع: ٥٠٠ ـ ٥٠٤، البحار ٥٢ / ١٧ ـ ٢٢، وج ٩٤ / ٧٨ ـ ٨٢.

١٨٨
ربضناه عندنا بالتذكرة وقبول المنّة

من كلمات، الإمام المهديّ عليه السلام لأبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار في جبال الطائف عند تشرّفه بلقائه، وقد سبقت قصّته عند «إذا بدت لك أمارات الظهور والتمكّن فلا تُبطئ بإخوانك»[١]. وعند «إذا حيل بينكم وبين الكعبة بأقوام لاخلاق لهم»[٢]. وعند «أنْبَطَ من خزائن الحِكَم وكوامن العلوم»[٣]. وعند «إنّا قد أحدثنا لك شكره ونشره»[٤]. وعند «إنّ الشُقّة قُذفة»[٥]. وعند «بارك الله فيما خوّلك وأدام لك ما نوّلك»[٦]. وعند «باهر المسارعة إلى منار اليقين تلق رُشداً»[٧]. وعند «تتخيّل لي صورتك حتّى كأنّا لم نخل طرفة عين»[٨].

قال إبراهيم بن مهزيار: «فلمّا أزف ارتحالي وتهيّأ اعتزام نفسي غدوت عليه مودّعاً، ومجدّداً للعهد، وعرضت عليه مالاً كان معي يزيد على خمسين ألف درهم، وسألته أن يتفضّل بالأمر بقبوله منّي، فابتسم، وقال: يا أبا إسحاق استعن به على منصرفك؛ فإنّ الشُقة قُذفة وفلوات الأرض أمامك جمّة، ولا تحزن لإعراضنا عنه؛ فإنّا قد أحدثنا لك شكره ونشره، وربضناه عندنا بالتذكرة، وقبول المنّة...»[٩].

تقدّم[١٠] أنّ إحداث شكر الإسداء قبوله والشكر والنشر نوع مكافأة للإحسان، وقد ذكرنا في كتابنا[١١] في هذا الصدد مقايسة الحمد مع الشكر والمدح بما يلي: الّذي

---

(١) رقم المختار ٣٧. (٢) الرقم ٣٨. (٣) الرقم ٩٣. (٤) الرقم ١٠٧.
(٥) الرقم ١١١. (٦) الرقم ١٣٤. (٧) الرقم ١٣٥. (٨) الرقم ١٤٤.
(٩) إكمال الدين ٢ / ٤٥١ ـ ٤٥٢، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام. (١٠) الرقم ١٠٧.
(١١) (الاسم الأعظم أو معارف البسملة والحمدلة) طبع بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، سنة ١٤٠٢ هـ، مجلّد واحد: ٢١٨ ـ ٢١٩.

عليه أكثر الأُدباء والمتكلّمين أنّ الحمد والمدح أخوان لا فرق بينهما تقول: (حمدت زيداً على إنعامه، ومدحته على إنعامه، وحمدته على شجاعته، ومدحته على شجاعته) فهما سواء يدخلان فيما كان من فعل الإنسان، وفيما ليس من فعله كما ذكرناه في المثالين.

فأمّا الشكر فأخصّ من المدح، لأنّه لا يكون إلّا على النعمة خاصّة، ولا يكون إلّا صادراً من منعم عليه، فلا يجوز عندهم أن يقال: (شكر زيدٌ عَمْراً لنعمة أنعمها عمرو على إنسان غير زيد).

إن قيل: الاستعمال خلاف ذلك لأنّهم يقولون: (حضرنا عند فلان فوجدناه يشكر الأمير على معروفه عند زيد).

قيل: ذلك إنّما يصحّ إذا كان إنعام الأمير على زيد أوجب سرور فلان فيكون شكر إنعام الأمير على زيد شكراً على السرور الداخل على قلبه بالإنعام على زيد وتكون لفظة «زيد» الّتي استعيرت ظاهراً لاستناد الشكر إلى مسمّاها كناية لا حقيقة، ويكون ذلك الشكر شكراً باعتبار السرور المذكور، ومدحاً باعتبار آخر وهو المناداة على ذلك الجميل والثناء بجنسه.

قيل: الشكر على النعمة خاصّة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال:

وما كان شكري وافياً بنوالكم ولكنّني حاولت في الجهد مذهبا
أفادتكم النعماء منّي ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجّبا

وقيل: إنّ الحمد باللسان وحده فهو أحد شعب الشكر، ومنه قوله عليه السلام: «الحمد رأس الشكر، ماشكر الله عبدٌ لم يحمده» وأمّا جعله رأس الشكر فلأنّ ذكر النعمة باللسان والثناء على مُوليها أشيع لها، وأدلّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الّذي يفصح عن كلّ خفيّ ويجلي كلّ مشتبه، والحمد نقيضه الذمّ، والشكر نقيضه الكفران[١].

---

(١) تفسير الكشّاف ١ / ٨ ـ ٩، والاسم الأعظم الآنف الذكر.

وإنّما تعرّضنا لبعض أبحاث الشكر لوعدٍ وعدناه عند المختار «إنّا قد أحدثنا لك شكره ونشره»[١] وأردنا إنجازه، وشكره عليه السلام كشكر الله لعبده.

قوله عليه السلام: «ربضناه عندنا بالتذكرة»:

«ربضناه» من الربض، قال ابن فارس: أصل يدلّ على سكون واستقرار. من ذلك ربضت الشاة وغيرها تربض رَبْضاً. والربيض: الجماعة من الغَنم الرابضة. وربض البطن: ما ولي الأرض من البعير وغيره حين يربض. والرَبَض: ما حول المدينة؛ ومسكن كلّ قوم رَبَض. وربضة: مقتل كلّ قوم قتلوا في بقعة واحدة. فأمّا قولهم قِربة رَبوض للواسعة، فمن الباب، كأنّها تملأ فتربِض، أو تُروي فتُربِض[٢].

وقال ابن الأثير:

في حديث أُمّ معبد «فدعا بإناءٍ يُربض الرهط» أي يُرويهم ويُثقلهم حتّى يناموا ويمتدّوا على الأرض. من ربض في المكان إذا لصق به وأقام ملازماً له. يقال أربضت الشمس إذا اشتدّ حرّها حتّى تربض الوحش في كناسها أي: تجعلها تَربض فيه. وفيه: «مَثَل المنافق كَمَثَل الشاة بين الرَّبَضَين وفي رواية «بين الرَّبيضين» الربيض الغَنم نفسها. والرَّبَض: موضعها الّذي تَربض فيه. أراد أنّه مذبذبٌ كالشاة الواحدة بين قطيعين من الغَنم، أو بين مَربضَيْها.

ومنه حديث عليّ عليه السلام: «والناس حولي كربيضة الغنم»[٣] أي: كالغنم الرُّبَّض... الرُّبْض ـ بضمّ الراء وسكون الباء ـ: أساس البناء، وقيل وسطه وقيل هو والرَّبَض سواء كسُقم وسَقَم... وفي حديث أشراط الساعة: «وأن تنطق الرُّوَيْبضة في أمر العامّة، قيل: وما الرُّوَيبضة؟ فقال: الرجل التافِه ينطق في أمر العامّة» الرُّوَيبضة تصغير الرابضة وهو العاجز الّذي رَبَضَ عن معالي الأمور وقعد عن طلبها ـ وزيادة التاء ـ للمبالغة. والتافه: الخسيس الحقير[٤].

---

(١) الرقم ١٠٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٤٧٧ ـ رَبَض ـ.

(٣) شرح النهج ١ / ٢٠٠، الخطبة ٣، الأمثال والحكم المستخرجه من نهج البلاغة: ٣٣٦، الرقم ١٠٨. وفيه الشرح الوافي.

(٤) النهاية ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ رَبَضَ ـ.

وقال الشيخ الطريحي :

في الحديث: «أقلّ ما يكون بينك وبين القبلة مَربض غَنَم، وأكثر ما يكون مَربَط فَرَس» مرابض الغَنَم جمع مَرْبِض ـ بفتح الميم وكسر الباء ـ وهو موضع رَبض الغَنَم وهو كالجلوس للإنسان، وقيل كالاضطجاع له... ومنه حديث المنافق «إذا ركع رَبَضَ، وإذا سَجَدَ نَقَرَ، وإذا جَلس شَغَرَ...»[١].

الكلام حول الكلمة المختارة أي: قوله عليه السلام: «رَبَضناه عندنا بالتذكرة» والأنسب تفسير ابن فارس المتقدّم الذكر: السكون والاستقرار.

يريد روحي فداه أنّ الدراهم المسداة والإحسان المذكور مصونة مستقرّة عند أهل البيت عليهم السلام، وكلمة «بالتذكرة» يُشير عليه السلام بها إلى عدم النسيان، وكيف ينسى الإحسان وقد أمرونا بذلك، أو لعلّ المراد بالتذكرة هو جزاء وثواب ما نواه ابن مهزيار من الجميل والخير بإمام زمانه[٢]، وفيه من تعليم الشيعة بأن يعملوا كهذا العمل وأن يراعوا الحال.

قوله: «وقبول المنّة» أي: إحسانك بوصولنا بالمال وعطاؤك مقبول لدينا.

* * *

---

(١) مجمع البحرين ٤ / ٢٠٦ ـ رَبَض ـ.

(٢) أي: لعلّ «التذكرة» يراد أحد الأمرين إمّا الجزاء لما نواه ابن مهزيار من الخير والجميل بتقديم الدراهم، أو أنّه ممّا لا يُنسىٰ ذكره عنده عليه السلام، ويجوز الأمران معاً.

١٨٩
الرجم خزيٌ

من كلام الإمام المهديّ عجّل الله فرجه عند جواب مسائل سعد بن عبد الله الأشعري القمّي، المُسبق بعض ذلك عند «إذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العَبرة»[١]، و«انزع حبّ أهلك من قبلك...»[٢]، و«إن كانت مقدّسة مطهَّرة فليست بأقدس...»، كما تأتي من[٣] تلك المسائل وجواباته[٤].

قال سعد بن عبد الله: قلت: فأخبرني عن الفاحشة المبيَّنة الّتي إذا أتت المرأة بها في عدّتها حلّ للزوج أن يخرجها من بيته؟

قال: «الفاحشة المبيَّنة هي السَحق دون الزنا؛ فإنّ المرأة إذا زنت وأُقيم عليها الحدّ ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزويج بها لأجل الحدّ، وإذا سحقت وجب عليها الرجم والرجم خزيٌ، ومن قد أمر الله برجمه فقد أخزاه، ومن أخزاه فقد أبعده، ومن أبعده فليس لأحد أن يقربه»[٥].

لا ريب أنّ السحق ـ أي: دلك فرج امرأة بفرج امرأة أُخرى ـ ظاهرة من ظواهر الفاحشة المبيَّنة ومن مصاديقها البيّنة، ولم يشكّ في ذلك إنسان، وإنّما الكلام هل أنّ حدّ السحق الرجم، أو حدّه حدّ الزنا، أو كما قلنا في كتابنا الأمثال النّبويّة في هذا الصدد: «السحق في النساء بمنزلة اللواط» ؟[٦] هنا أقوال، والمشهور أنّ حكمه حكم الزنا: مائة جلدة في غير المحصنة، والرجم إن كانت محصنة، وإليك ما جاء من المسائل بهذا الصدد، قال السيّد الأُستاذ :

---

(١) الرقم ٣٩. (٢) الرقم ٩٧. (٣) الرقم ١٠١. (٤) الرقم ٤١٠.

(٥) إكمال الدين ٢ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠، الباب ٤٣ من شاهد القائم عليه السلام.

(٦) ج ١ / ٤٦٦، الرقم ٢٩٧.

السادس ـ السحق:

في المسألة الأُولى: حدّ السحق إذا كانت غير محصنة مائة جلدة[١] ويستوي في ذلك المسلمة والكافرة وكذلك الأمة والحرّة على المشهور، وفيه إشكال بل منع، وقال جماعة: إنّ الحكم في المحصنة أيضاً كذلك، ولكنّه ضعيف، بل الظاهر أنّ المحصنة ترجم[٢]. **والمسألة الثانية:** لو تكرّرت المساحقة، فإن أُقيم الحدّ عليها بعد كلّ مساحقةٍ قتلت في الثالثة[٣]، وأمّا إذا لم يقم عليها الحدّ لم تُقتل[٤].

---

(١) بلاخلاف ولا إشكال، وتدلّ على ذلك عدّةروايات منها صحيحة محمّدبن أبي حمزة وهشام وحفص كلّهم عن أبي عبدالله عليه السلام: «أنّه دخل عليه نسوة فسألته امرأة منهنّ عن السحق، فقال: «حدّها حدّالزاني»، فقالت المرأة: ماذكر الله ذلك في القرآن،فقال:بلى؛ قالت: وأين هنّ؟ قال: «هنّ أصحاب الرّسّ» ـ الوسائل ١٨ / ٤٢٤ـ٤٢٥ الباب ١ من أبواب حدّ السحق والقيادة، الحديث ١ـ، ومنها صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «السّحّاقة تجلد» المصدر السابق،الحديث ٢.

(٢) وفاقاً للشيخ في النهاية والقاضي، ومال إليه الشهيد الثاني قدس سره في المسالك، وتدلّ على ذلك عدّة روايات منها صحيحة محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبدالله عليهما السلام يقولان: بينما الحسن بن عليّ عليهما السلام في مجلس أمير المؤمنين عليه السلام إذا أقبل قوم فقالوا: يا أبا محمّد أردنا أمير المؤمنين عليه السلام؛ قال: وما حاجتكم ؟ قالوا: أردنا أن نسأله عن مسألة؛ قال: وما هي تخبرونا بها؟ قالوا: امرأة جامعها زوجها، فلمّا قام عنها قامت بحموتها فوقعت على جارية بكر، فساحقتها، فوقعت النطفة فيها، فحملت فما تقول في هذا؟

فقال الحسن عليه السلام: معضلة وأبو الحسن لها، وأقول: فإن أصبت فمن الله ومن أمير المؤمنين، وإن أخطأت فمن نفسي، فأرجو أن لا أُخطئ إن شاء الله، يُعمد إلى المرأة فيؤخذ منها مهر الجارية البكر في أوّل وهلة؛ لأنّ الولد لا يخرج منها حتّى تُشقّ، فتذهب عُذرتها، ثمّ ترجم المرأة؛ لأنّها مُحصنة، وينتظر بالجارية حتّى تضع ما في بطنها، ويردّ الولد إلى أبيه صاحب النطفة، ثمّ تجلد الجارية الحدّ.

قال: فانصرف القوم من عند الحسن عليه السلام فلقوا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ماقلتم لأبي محمّد، وما قال لكم ؟ فأخبروه، فقال: لو أنّني المسؤول لما كان عندي فيها أكثر ممّا قال ابني ـ الوسائل ١٨ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٣) وذلك لما تقدّم في صحيحة يونس من أنّ أصحاب الكبائر كلّها إذا أُقيم عليهم الحدّ مرتين، قتلوا في الثالثة، ولا دليل مقيّد لهذه الصحيحة هنا.

(٤) لعدم الدليل عليه بعد شمول الإطلاق المزبور لمثله.

والمسألة الثالثة: إذا تابت المساحقة قبل قيام البيّنة فالمشهور سقوط الحدّ عنها، ولا أثر لتوبتها بعد قيام البيّنة[١]. والمسألة الرابعة: لو جامع الرجل زوجته فقامت الزوجة فوقعت على جارية بكر، فساحقتها، فألقت النطفة فيها فحملت، فعلى المرأة مهر الجارية البكر، ثمّ ترجم المرأة. وأمّا الجارية فتنتظر حتّى تضع ما في بطنها ويردّ إلى أبيه صاحب النطفة، ثمّ تجلد[٢] وما نسب إلى بعض المتأخّرين من إنكار كون المهر على المرأة بدعوى أنّ المساحقة كالزانية في سقوط دية العذرة لا وجه له[٣]. تستطيع تطبيق كلام الإمام المهديّ عليه السلام على بعض الصحاح المتقدّمة الذكر في الهوامش، وأنّ الرجم المذكور فيه إنّما هو حدّ المساحقة المُحْصنة، وأمّا غيرها فتُجلد، كما تعلم أنّ الزانية الّتي أُقيم عليها الحدّ ما لم يتكرّر عليها الحدّ جاز تزويجها، وأمّا الأُخرى المتكرّر إلى ثلاثة حدود فتقتل كما سبق التصريح بذلك.

«والرجم خزيٌ، ومن قد أمر الله برجمه فقد أخزاه، ومن أخزاه فقد أبعده، ومن أبعده فليس لأحد أن يقربه»، فيعني: المرجوم مخزيّ مُبعَد عن رحمة الله جلّ جلاله، وإنّ الشيطان لكونه بعيداً عن رحمته تعالى سمّي رجيماً، أو لأنّه رجم كما في قوله عزّ وجلّ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٤]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٥]، ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾[٦]. والرجم: الرمي بالحجارة وغيرها، ورَجم المُحصنة المُساحِقة كالزانية المحصنة.

* * *

---

(١) يظهر الحال فيه ممّا تقدّم. (٢) تدلّ على ذلك صحيحة محمّد بن مسلم المتقدّمة.

(٣) تقدّم أنّ الصحيحة نصّ في خلاف ذلك، وما نسب إلى بعض فهو اجتهاد في مقابل النصّ فلا يمكن المساعدة عليه بوجه.

إلى هنا قد نقلنا متن تكملة المنهاج ١ / ٢٤٧ ـ ٢٥٠، وهوامشه.

(٤) الحجر: ٣٤، صٓ: ٧٧. (٥) النحل: ٩٨.

(٦) الملك: ٥.

وقد جاء في مواضع من القرآن الكريم أي الرجم وهي أربعة عشر موضعاً كلّها بمعنى الرمي المشترك في جميع مشتقّاتها.

١٩٠

رُح وخذ منه

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام قد جاء في قصّة رؤية الشيخ المجلسي الأوّل رحمه الله إيّاه، وإجازة البحار، وإليك صورتها:

قال رحمه الله: وأمّا ما انكشف لهذا الضعيف وهو سندي، وتواتر عنّي أنّي كنت في أوائل البلوغ طالباً لمرضاة الله تعالى، ساعياً في طلب رضاه، ولم يكن لي قرار إلّا بذكر الله تعالى إلى أن رأيت بين النوم واليقظة أنّ صاحب الزمان صلوات الله عليه كان واقفاً في الجامع القديم في أصبهان قريباً من باب الطنبي الّذي الآن مدرسي، فسلّمت عليه صلوات الله عليه وأردت أن اُقبّل رجله عليه السلام فلم يدعني وأخذني فقبّلت يده، وسألت منه مسائل قد أشكلت عليّ:

منها أنّي كنت اُوسوس في صلواتي، وكنت أقول: إنّها ليست كما طلبت منّي وأنا مشتغل بالقضاء ولا يمكنني صلاة الليل وسألت عنه شيخنا البهائي رحمه الله فقال: صلّ صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد القضاء وصلاة الليل، وكنت أفعل هكذا.

فسألت الحجّة[1] عليه السلام: أصلّي صلاة الليل؟ فقال عليه السلام: «صلّها ولا تفعل كالمصنوع الّذي كنت تفعل». إلى غير ذلك من المسائل الّتي لم تبق في بالي.

ثمّ قلت: يا مولاي لا يتيسّر لي أن أصل إلى خدمتك كلّ وقت فأعطني كتاباً أعمل عليه دائماً.

فقال عليه السلام: «أعطيت لأجلك كتاباً إلى مولانا محمّد التاج». وكنت أعرفه في النوم، فقال صلوات الله عليه: «رُح وخذ منه»؛ لعلمه صلوات الله عليه بحال السّائل وطلبه.

---

(١) في النسخة «عن الحجّة» كما وقبلها «سألت عنه مسائل».

فخرجت من باب المسجد الّذي كان مقابلاً لوجهه عليه السلام إلى جانب دار البطيخ ـ محلّة من أصبهان ـ فلمّا وصلت إلى ذلك الشخص فلمّا رآني قال لي: بعثك الصاحب عليه السلام إليّ ؟ قلت: نعم، فأخرج من جيبه كتاباً قديماً فتحته ظهر لي أنّه كتاب الدعاء فقبّلته ووضعته على عيني وانصرفت عنه متوجّهاً إلى الصاحب عليه السلام فانتبهت ولم يكن معي ذلك الكتاب، فشرعت في التضرّع والبكاء والجوار[1] لفوت ذلك الكتاب إلى أن طلع الصبح.

فلمّا فرغت من الصلاة والتعقيب وكان في بالي أنّ مولانا محمّد هو الشيخ[2] وتسميته بالتاج لاشتهاره من بين العلماء، فلمّا جئت إلى مدرسه وكان في جوار المسجد الجامع فرأيته مشتغلاً بمقابلة الصحيفة، وكان القارئ السيّد الصالح أمير ذو الفقار الجريادقاني[3]، فجلست ساعة حتّى فرغ منه.

والظاهر أنّه كان في سند الصحيفة لكن للغمّ الّذي كان لي لم أعرف كلامه ولا كلامهم، وكنت أبكي فذهبت إلى الشيخ وقلت له رؤياي وأنا أبكي لفوات الكتاب، فقال الشيخ: ابشر بالعلوم الإلٰهيّة والمعارف اليقينيّة، وجميع ما كنت تطلب دائماً، وكان أكثر صحبتي مع الشيخ في التصوّف[4]، وكان مائلاً إليه، فلم يسكن قلبي وخرجت باكياً متفكّراً إلى أن اُلقي في رَوعي أن أذهب إلى الجانب الّذي ذهبت إليه في النوم، فلمّا وصلت إلى دار البطيخ رأيت رجلاً صالحاً كان اسمه آقا حسن ويلقّب بـ(تاجا)، فلمّا وصلت إليه وسلّمت عليه قال: يا فلان الكتب الوقفيّة الّتي عندي كلّ من يأخذه[5] من الطلبة لا يعمل بشروط الوقف وأنت تعمل بها، تعال وانظر إلى هذه الكتب، وكلّ ماتحتاج إليه خذه.

فذهبت معه إلى بيت كتبه فأعطاني أوّل ما أعطى[6] الكتاب الّذي رأيته في

---

(١) لعلّه من جَأرَ: رفع صوته بالدعاء، المحتمل النُّسخة والجُؤار. (٢) أي الشيخ البهائي رحمه الله.

(٣) اسم لإحدى قرى أصبهان.

(٤) لعلّ المراد به الزهد والتقشّف لاالطريقة الباطلة. وقيل المراد الفناء في الله والبقاء به المصطلح.

(٥) الظاهر «يأخذها». (٦) في بعض النسخ أعطاني.

النوم فشرعت في البكاء، وقلت: يكفيني، وليس في بالي أنّي ذكرت له النوم أم لا، وجئت عند الشيخ وشرعت في المقابلة مع نسخته الّتي كتبها جدّ أبيه من نسخة الشهيد، وكتب الشهيد نسختها من نسخة عميد الرؤساء[١] وابن السَكون[٢] وقابلها مع نسخة ابن إدريس بواسطة أو بدونها، وكانت النسخة الّتي أعطانيها الصاحب عليه السلام أيضاً مكتوبة من خطّ الشهيد، وكانت موافقة غاية الموافقة حتّى في النسخ الّتي كانت مكتوبة على هامشها وبعد أن فرغت من المقابلة شرع الناس في المقابلة عندي، وببركة إعطاء الحجّة صلوات الله عليه صارت الصحيفة الكاملة في جميع البلاد كالشمس طالعة في كلّ بيت، وسيّما في أصبهان؛ فإنّ أكثر الناس لهم الصحيفة المتعدّدة وصار أكثرهم صلحاء وأهل الدعاء وكثير منهم مستجابو الدعوة.

وهذه الآثار معجزة من الصاحب عليه السلام، والّذي أعطاني الله تعالى من العلوم بسبب الصحيفة لا أُحصيها، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس والحمد لله ربّ العالمين. هذه طريقة إجازتي القريبة[٣].

قد حكى القصّة الشيخ الطبرسي النوري في جنّة المأوى[٤] الحكاية الحادية والأربعين عن تلميذ المجلسي الثاني أبي الحسن بن محمّد طاهر الفتوني النباطي العاملي الأصبهاني الغروي، المتوفّى حدود سنة ١١٤٠ هـ[٥] جدّ صاحب الجواهر من طرف أُمّه من كتابه ضياء العالمين أواخر المجلّد الأوّل في ضمن أحوال

---

(١) رضي الدين أبو منصور هبة الله بن حامد الحلّي اللغوي الفقيه... يروي عنه السيّد فخار، كان رحمه الله من الأخيار الصلحاء المتعبّدين ومن أبناء الكتّاب المعروفين، وهو الّذي يروي الصحيفة الكاملة السجّادية عن السيّد الأجلّ بهاء الشرف فهو القائل في أوّلها: حدّثنا، مات سنة ٦٠٩. الكنى والألقاب للقمّي ٢ / ٤٨٦.

(٢) بفتح السين أبوالحسن عليّ بن محمّد بن محمّد بن عليّ الحلّي... من ثقات علمائنا الإمامية، ذكره السيوطي في الطبقات... كان رحمه الله حسن الفهم جيّد الضبط حريصاً على تصحيح الكتب، كان معاصراً لعميد الرؤساء راوي الصحيفة الكاملة، توفي حدود سنة ٦٠٦. الكنى والألقاب ١ / ٣١٤.

(٣) روضة المتّقين ١٤ / ٤١٩ ـ ٤٢٢.

(٤) المطبوع مع البحار ٥٣ / ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

(٥) الذريعة ١٥ / ١٢٤.

الحجّة عليه السلام ما لفظه طاب ثراه:

ثمّ إنّ المنقولات المعتبرة في رؤية صاحب الأمر عليه السلام سوى ما ذكرناه كثيرة جدّاً حتّى في هذه الأزمنة القريبة، وقد سمعت أنا من ثقات أنّ مولانا أحمد الأردبيلي رآه عليه السلام في جامع الكوفة، وسأل منه مسائل. وأنّ مولانا محمّد تقي والد شيخنا رآه في الجامع العتيق بأصبهان. والحكاية الأُولىٰ موجودة في البحار[(١)]، وأمّا الثانية فهي غير معروفة، ولم نعثر عليها إلّا ما ذكره المولى المذكور رحمه الله في شرح مشيخة[(٢)] الفقيه في ترجمة المتوكّل ابن عمير راوي الصحيفة.

قال رحمه الله إنّي كنت... [(٣)] إلى آخر ما ذكره فلا تغفل.

قوله عليه السلام: «رُح وخذ منه» أي الكتاب الّذي أعطاه لمولانا محمّد التاج ليوصله إلى المجلسي الأوّل، وكان يعرفه في النوم أو المكاشفة المعبّر عنها بين النوم واليقظة فلمّا انتبه اشتبه عليه من اسمه محمّد التاج وبالأخير تبيّن له أنّه أقا حسن تاجا ولعلّه كان اسمه الأصيل محمّد التاج ثمّ اشتهر بأقا حسن تاجا، وكيف كان فقد حصل على مراده فله الهناء.

ويماثل «رُح وخذ منه» ما قاله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لحنظلة بن سعد الشبامي حين وقف بين يديه يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره، وأخذ ينادي... يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب، وقد خاب من افترى؛ فقال له الحسين: يا ابن سعد، إنّهم استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا يشتمونك وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؛ قال: صدقت جعلت فداك، أفلا نروح إلى ربّنا فنلحق بإخواننا ؟ فقال له: «رُح إلى ما هو خير لك من الدنيا ومافيها، وإلى ملك لا يبلى...»[(٤)]، لا يعلم حقيقتهم إلّا الله.

---

(١) البحار ٥٢ / ١٧٥ برواية السيّد أمير علّام.

(٢) روضة المتّقين ١٤ / ٤١٩ ـ ٤٢٢.

(٣) البحار ٥٣ / ٢٧٦ ـ ٢٧٨، المطبوع معه جنة المأوى.

(٤) البحار ٤٥ / ٢٣ ـ ٢٤ نقلاً من المناقب.

لأنّ رواح المجلسي لأخذ الكتاب والعمل به وحنظلة بن سعد إلى ساحة القتال هو نفس الرواح إلى ما هو خير لهما من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لايبلى.

ولا يخفى أنّ المجلسي الثاني أشار إلى القصّة في إجازات البحار على سبيل الاختصار[١] ومنها المعروفة بالوجادة.

قد أُشير إلى أنّ المجلسي الأوّل والد الثاني ـ رحم الله الوالد والولد ـ قال: إنّ إجازتي إلى الصحيفة السجاديّة بالوجادة أي أخذتُها مشاهدة ومشافهة من الإمام المهديّ عليه السلام، لا كإجازة الأصحاب. فهنيئاً له وطوبىٰ وحسن مآب.

ولعمري إنّ في قصص أمثال المجلسي الموفّق أُسوة لمن جدّ جدّه وبذل جهده في سبيل الله حتّى ينال مانالوا ويصل إلى ما وصلوا إليه، وإنّ هذا الكتاب المشتمل على ما لو رام أحدٌ الوصول لوصل إذا أخلص العمل، ولفتحت له الأبواب إن شاء الله، واللحوق بالصبر واليقين وخاتم النبيّين محمّد وآله المعصومين صلى الله عليه وآله.

* * *

---

(١) البحار ١١٠ / ٦٠ ـ ٦١، كتاب الإجازات، فائدة في رواية الصحيفة السجّاديّة.

١٩١
رُدّ الخادم الّذي شرب المسكر

المختار من جملة إخبارات الإمام المهديّ عجّل الله فرجه بالمتواجد الغائب رواه الشيخ الكليني، وإليك خبره، قال:

الحسن بن خفيف، عن أبيه، قال: بعث[١] بخدم إلى مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله ومعهم خادمان، وكتب إليَّ[٢] خفيف أن يخرج معهم، فخرج معهم. فلمّا وصلوا إلى الكوفة شرب أحد الخادمين مسكراً، فما خرجوا من الكوفة حتّى ورد كتاب من العسكر بردّ الخادم الّذي شرب المسكر، وعزل عن الخدمة[٣].

لعلّ التوقيع كان كما ذكرناه وفق لفظ الكتاب الوارد؛ ومن ثمّ أثبتناه، ويكون «وعزل عن الخدمة» متعلّقاً في الواقع للأمر نفسه المتعلّق بردّه، والمعنى: ردّ الخادم الشارب للمسكر واعزله عن الخدمة. ويحتمل الحكاية، وأمّا لفظ المحكيّ فغير مذكور في الكتاب، فاختر ما تريد من الأمرين.

ثمّ المسكر يراد به الخمر، وكلّ مسكر خمر، لغائلته الّتي هي مخامرة العقل وفساده، وقد جاء اللعن في عشرة أشخاص في الخمر:

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن أحمد بن النضر الخزّاز، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لعن

---

(١) قيل الباعث هو الحجّة عليه السلام.

(٢) يحتمل «إلى» بالتخفيف، أو يكون «خفيف» هو الكاتب فتدبّر.

(٣) أُصول الكافي ١/٥٢٣، الحديث ٢١، باب مولد الصاحب عليه السلام ولعلّ الكاتب هو الحجّة عليه السلام.

رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة: «غارسها وحارسها وعاصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها»[١].

إن قيل: كيف يبعث المعصوم من يشرب الخمر؟ الجواب ربّما بفعله؛ لئلّا يتوهّم أنّه ربّ دون الله؛ لإكباره في النفوس عند صدور خارق العادة بإخبار المغيّبات، وإحياء الأموات، وما يدّخرون، أو تجنّ البطون والأرحام أو نزول الأمطار ونظائرها كما جرى في الأنبياء السلف مثل عيسى عليه السلام الّذي ادّعت النصارى أنّه ابن الله، القائلة منهم بالأقانيم الثلاثة والتكلّم في المهد صبيّاً واتّفق ذلك في الإمام الكاظم عليه السلام ليعقوب السَّراج: «إذهب فغيّر اسم ابنتك الّتي سمّيتها أمس؛ فإنّه اسم يَبْغضُه الله» وكان ولدت لي ابنة سَمّيتُها بالحُميراء. فقال أبو عبد الله عليه السلام «انته إلى أمره تُرشد. فغيّر اسمها»[٢]. وهو يصلح ردّاً على منكري علمهم عليهم السلام بالجزئيّات.

* * *

(١) الخصال ٢ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥، الرقم ٤١، باب العشرة كتاب حريٌّ الرجوع إليه.

(٢) الكافي ١ / ٣١٠، الحديث ١١، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام.

١٩٢
رُدَّ ما معك إلى حاجز بن يزيد

روى الشيخ الكليني رحمه الله بإسناده عن عليّ بن محمّد، عن الحسن بن عبد الحميد، قال: شككت في أمر حاجز فجمعت شيئاً ثمّ خرجت إلى العسكر، فخرج إليَّ: «ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، ردّ ما معك إلى حاجز بن يزيد»[1].

تقدّم ذكر التوقيع في المختار: «الأسديّ نَعْم العديل»[2]. ورواه الشيخ المفيد رحمه الله بنفس السند والمتن[3].

ولا فرق بينهما إلّا كلمة «تردّ» و«رُدّ» الأُولى في الثانية وهي في الأُولى، وكيف كان فقد اشتمل التوقيع على أُمور هامّة: الإخبار بعروض الشكّ في قلب ابن عبدالحميد في أمر حاجز. وبما عنده من المال أو غيره. وردّ ذلك إلى حاجز. وتوثيق مَن أقاموه مقام من سَبَقَ وأُمورٌ أُخرى.

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١ / ٥٢١، إكمال الدين ٢ / ٤٩٩، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات ولكنّ الراوي أبو محمّد السروي إثبات الهداة ٣ / ٦٦٢. (٢) رقمه ٥٠.

(٣) الإرشاد ٣٥٤ منشورات مكتبة بصيرتي، ج٢/٣٦١-٣٦٢، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم ١٤١٣ هـ

١٩٣
ردّوه فإنّه رجل صابونيّ

من قصّة رجل عطّار، رواها الحائري عن الفاضل الميثمي، صورتها:

الحكاية العشرون فيه[١] عن الفاضل والعادل الأمين مولانا محمّد أمين العراة عن رجل صالح عطار من أهل البصرة أنّه قال: إنّي كنت جالساً ذات يوم على دكتي العطارة وإذا برجلين قد أتيا ووقفا عليه لشراء السدر والكافور، فلمّا تكلّمنا وتأملت فيهما فلمأجدهما فيالصورة والسيرة في زَيّ أهل البصرة ونواحيها بل ولا المعروف من بلادنا فسألتهما عن أهلهما وبلادهما فاكتتما فألححت عليهما وكلّما كثر تسترهما ازددت إلحاحاً عليهما إلى أن أقسمت عليهما بالرسول المختار وآله الأئمّة الأطهار عليهم السلام فلّما رأيا ذلك منّي أظهرا لي أنّهما من جملة ملازمي عتبة الإمام الحي المنتظر حجّة الله صاحب الزمان عجّل الله فرجه، وأنّ واحداً من صحبتهم قد توفي بأجله الموعود وقد أُرسلا لِشراء السدر والكافور منه.

قال: فلمّا سمعت بذلك توسّلت إليهما وأظهرت المصاحبة معهم إلى سيّدي ومولاي وتضرّعت وألححت إليهما في ذلك، فقالا: إنّ هذا موقوف على إذنه عليه السلام، وإنّا لم نؤذن بذلك، فقلت لهما: خذاني معكما إلى تلك الصقع، ثمّ استإذنا لي منه، فإن أذن وإلّا فأنصرف، ويصيبكم أجر الإجابة، فامتنعا عن ذلك أيضاً فأكثرت من الإلحاحإليهما فترحّما عليّ وأجاباني، وسلّمتهما السدر والكافور مستعجلاً وأغلقت الدّكان وانطلقت معهما حتّى أتيا ساحل بحر عمّان، فمشيا على الماء كالمشي على الأرض الصلبة ووقفت متحيّراً فالتفتا إليّ وقالا: لا تخف واقسم الله عزّ وجلّ

---

(١) أي في كتاب دار السلام.

بالحجّة في حفظك، فقلت ذلك وبسملت فمشيت على الماء كالمشي على الأرض إلى أن انتهينا إلى قبّة البحر، فبينا نذهب وإذا بسحاب مركوم ومطر غزير تمطر ومن الاتفاق إنّي منذ يوم خروجي من البصرة كنت طابخاً صابوناً واضعاً إيّاه[١] على سطح الدار ليستنشف في الشمس، فلمّا رأيت تراكم السحاب والمطر الغزير تذكّرت الصابون وأنّه[٢] ينتفع، وإذا برجلي قد نفذت في الماء وطمست فيه[٣] فكدت أن أغرق فأخذت في السبح، فالتفت الرجلان إليّ، قالا لي يا فلان تب عمّا قصدت وتذكّرت وممّا انصرفت به عن مولاك وجدّد القسم، فتبت إلى الله وجدّدت القسم فصلب الله لي الماء فأخذت أمشي خلفهما كالأوّل حتّى انتهينا إلى الساحل، ومضينا فيه إلى أن ظهرت لنا خباء كشجر طور نورها قد ملأ الفضاء والبيداء، فالتفتا إليّ الرجلان وقالا: إنّ مقصودك في هذا الخباء ولكن قف هنا حتّى نذهب ونستأذن لك، فذهبا ودخل أحدٌ منهما في الخيمة فسمعته يتكلم في أمري، وإذا بصوت سمعته من وراء الحجاب والخباء يقول: «ردّوه؛ فإنّه رجل صابونيّ»، فلمّا سمعت هذا من الإمام عليه السلام ووجدته طبقاً للبرهان العقلي والشرعي فاستيئست وقطعت الطمع عمّا كنت أطمعه، وعلمت أنّ هذا مقام شامخ عظيم لا تكاد تناله أيدي المتشبّث بالتعلّقات الدنيويّة[٤]. كلّ شيء تعلّق القلب به سمّي به على حدّ المثل السائر: (من أكثر من شيءٍ عرف به)[٥]، وصحّت النسبة إليه؛ ومن ثمّ من أحبّ الله تعالى وظهرت فيه ظاهرته قيل له: رجل متألّه، ربّاني، والمتعلّق قلبه بالدنيا وزخرفها فهو رجل دنيوي، وإذا صار مرتعاً للشيطان فشيطاني، وهلّم جرّاً وتشابه قصّة البصري الصابوني قصّة

---

(١) في (أ) إيّاها. (٢) في (أ) وإنّها.

(٣) في (أ) فيها.

ولا يخفىٰ على الناظر إلى الأصل: إلزام الناصب أنّه يجد أخطاء بعض الكلمات الّتي لا يخلو منها كتاب.

(٤) إلزام الناصب: ١٥٢، دار السلام: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، ١٦.

(٥) مجمع الأمثال ٢ / ٣٢٨، موسوعة أمثال العرب ٥ / ٤٢٨، المستقصىٰ ٢ / ٣٥٣، الرقم ١٢٩٦، روضة الكافي: ٢٢، خطبة الوسيلة الحديث ٤.

«الشيخ الدخني» الآتي ذكرها[١]. والجامع المشترك بين القصتين العلقة القلبيّة الّتي عرف الرجلان بها، هذه حال من تعلّق قلبه بشيء واحد افتضحا به. فما حال من ملأ قلبه جميع التعلقات الدنيويّة وتخلّى عن محبّة الله والمقربين لديه محمّد وآله صلى الله عليه وآله لا سمح الله أو أحبّ ولكن ليس خالصاً. وتحقق فيه المثل العلوي «لا تجتمع عزيمة ووليمة»[٢]. يريد عليه السلام به الجهاد لا يجتمع مع الأكل والراحة. وما شاكل ذلك. ولا غرو إذا علم الإمام المهديّ عليه السلام ما في فكرة البصري من صنعة صابونه والشيخ المصلّي في جامع الكوفة ودخنته وسائر الناس وما تزاوله قلوبهم. وهذا شأن المؤمن الوارد فيه: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور الله»[٣] فما ظنك بأئمّة المؤمنين ونبيّهم عليهم السلام. والخالق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤].

والكلّ يعلم ما في نفسه من صفو وكدر، أو خير أو شر والقلب إناء و(كلّ إناء يرشح بما فيه)[٥]. وحتّى لو لم تصدق القصّتان للصابوني والدخني فإنّما الحساب أمام الله والرسول وإمامه والقلوب الّتي نوّرها الله تعالى فرأت. و﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[٦]. كالماء الزلال. الخالي عن الكدر. والمرأة الّتي تتجلّى الصّور المرتسم بها. وفي الرضوي التمثيل العجيب بها ردّاً على سؤال عمران الصابي: يا سيّدي أهو في الخلق. أم الخلق فيه ؟ قال الرضا عليه السلام: «جلّ هو عن ذلك. ليس هو في الخلق. ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك. وساء علمك... أخبرني عن المرأة أنت كنت فيها أم هي فيك ؟...[٧].

* * *

---

(١) رقمه ٢٢٤.

(٢) شرح النهج ١١ / ١٤٢، كلام ٢١٥.

(٣) الأمثال النبويّة ١ / ٤٩، الرقم ٢٥، الهمزة مع التاء.

(٤) الملك: ١٤.

(٥) مجمع الأمثال ٢ / ١٦٢، رقم المثل ٣٣٦٠، ويروى (ينضح بما فيه)، المستقصىٰ ٢ / ٢٢٤ (... يترشح بما فيه)، الرقم ٧٥٤، موسوعة أمثال العرب ٤ / ٦٠٣. ولكشاجم كما في تعليق الأمثال والحكم للرازي ١٦١ :

وكلّ إناءٍ بالّذي فيه يرشحٍ

(٦) النجم: ١١. إن لهم شأناً لا يطمع فيه طامع، وإنّهم عليهم السلام هم جمع الجمع وحقائقه.

(٧) عيون أخبار الرضا ١ / ١٣٩، الباب ١٢، الحديث ١.

١٩٤
رُزئتَ ورُزئنا وأوحشك فراقه وأوحشنا

من التوقيع الصادر عن الناحية لتعزية أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري بموت أبيه عثمان بن سعيد أوّل نوّاب الإمام المهديّ عليه السلام الأربعة، وسبق من التعزية عند «أجزل الله لك الثواب»[١]، و«أحسن لك العزاء»[٢]، ولربط المختار به ما يلي:

قال الشيخ الصدوق: قال عبد الله بن جعفر الحميري: وخرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه رضي الله عنهما في فصل من الكتاب:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون تسليماً لأمره...».

وفي فصل آخر: «رُزئتَ ورزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا...»[٣].

وللإكمال انظر المختارين السابق ذكرهما، وما عسى اللسان من كلّ إنسان أن يطيق المدح لمن يمدحه بقيّة الله الإمام المهديّ عليه السلام.

* * *

تمّ الجزء الأوّل إلى آخر باب الراء، ويليه الجزء الثاني من أوّل باب الزاي، ولله الحمد وحده.

---

(١) الرقم ١٨.

(٢) الرقم ٢١.

(٣) إكمال الدين ٢ / ٥١٠، الباب ٤٥، الاحتجاج ٢ / ٣١٠، توقيعات الناحية المقدّسة معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، الرقم ٢٠٢.

فهرس المحتوى

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء